بدائع الزهور في وقائع الدهور

الجزء الرابع

ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردى الغورى الأشرفى

وهو السادس والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو ، ٣
العشرون من ملوك الجراكسة وأولادهم فى العدد . وقد قلت فى ذلك ابتداء :

أصفى التاريخ حكى ــ بسجعه الشحرورى
فاق التواريخ بمـا ــ أوردته للغـورى ٦

أقول وكان أصله جركسى الجنس من مماليك الأشرف قايتباى وأعتقه فهو
من معاتيقه ، ثم أخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية ، ثم بقى
خاصكيا ، ثم قُرِّر فى كشف الوجه القبلى سنة ست وثمانين وثمانمائة بواسـطة ٩
الأمير قانصوه خمسمائة ، ثم أنعم عليه الأشرف قايتباى بأمرة عشرة فى سنة
تسـع وثمانين وثمانمائة وخرج فى بعض التجاريد إلى البلاد الحلبية ، (١١٧ ب)
ثم قرّر فى نيابة طرسوس ، ثم إنه عاد إلى حلب وقرر فى حجوبيتها عوضا عن ١٢
باكير بن صالح الكردى وذلك فى سـنة أربع وتسعين وثمانمائة ، ثم بقى نائب
ملطية بعد حجوبية الحُجاب بحلب ، وكل ذلك فى دولة الأشرف الملك النـاصر
محمد بن قايتباى ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب فى دولة الملك ١٥
الظاهر قانصوه خال الملك الناصر وذلك فى ثالث ذى القعدة سنة خمس وتسعمائة ،
وسافر إلى الشام صحبة الأمير طومان باى لمـا خرج إلى محاربة قصروه نائب
الشام لما أظهر العصيان على الأشرف جان بلاط ، فلما تسلطن طومان باى بالشام ١٨
ورجع إلى القاهرة وهو سلطان أخلع عليه وقرره فى الدوادارية الكبرى والوزارة
والأستادارية عوضا عن نفسه ، فاستمر على ذلك حتى وثب العسكر على العادل
فى سلخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة واختفى فى ليلة عيد الفطر بعد العشاء ، ٢١

فلما أصبح ذلك اليوم وأشـيع هروب العادل ركب الأمير قيت الرجبى أمير سلاح وقانصوه الغورى أمير دوادار كبير وطراباى وقانى باى قرا أمير آخور ٣ كبير ومصر باى وأصطمر وأنسـباى وبيبردى الفهلوان وطُقطباى وماماى جَوْشن وخاير باك أخو قانصوه البرجى وآخرون من الأمراء المقدّمين ، ثم ظهر خشكلدى البيسقى وكان مختفيا من العادل لما أراد القبض عليه ، فلما تكاملوا ٦ اجتمعوا ببيت قانصوه خمسمائة الذى بقناطر السباع ، فحضر إليهم الأتابكى تانى بك الجمالى وكان مختفيا من حين كُسِر الأشرف جانبلاط وتسـلطن العادل ، فلما حضر وقع الاتفاق على سلطنته أوّلا فركب من هناك وعلى رأسـه الصنجق ٩ السلطانى وقد ترشّح أمره إلى السلطنة ، فلما طلع إلى باب السلسلة ليَلِى السلطنة فأشيع فى ذلك اليوم أن الأشرف قانصوه خمسمائة باق فى قيد الحياة ، فأشهروا النداء فى القاهرة بأن قانصوه خمسمائة إن كان موجودا فليظهر وله الأمان وإن ١٢ لم يظهر بعد ستة أيام فلا أمان له ، فلما طال المجلس (١١٨ آ) انفضّ العسكر من الرملة ونزل غالب الأمراء الذين كانوا قد اجتمعوا فى الحراقة بباب السلسلة ، وكان يوم عيد الفطر يوم الإثنين فاختار كل أحد عوده إلى داره حتى يقع اختيار ١٥ الأمراء على من يولونه السلطنة ، فأعرض غالب العسكر عن الأتابكى تانى بك الجمالى ولم يرض به أحد منهم ، وكان الأتابكى تانى بك الجمالى أرشل معكوس الحركات فى أفعاله وطاش لما ذكر للسلطنة ، ثم آل أمره بعد ذلك إلى كل سوء ١٨ فلم تقم له السلطنة وكانت منه نصيب قانصوه الغورى كما سيأتى الكلام على ذلك ، فكان كما يقال :

تنافس الناس فى الدنيا وقد عظمت فصفوها لك ممزوج بتكدير
٢١ لم يُرزَقوها بسـعى عند ما قُسِمَت لكنّما رُزِقوها بالمقـادير
لو كان عن طلب بالسعى ندركها طار البزاة بأرزاق العصافير

فلما رأوا المجلس مانع ، تعصب الأمير قيت الرجبى أمير سـلاح والأمير

مصر باى إلى قانصوه الغورى وقالوا ما نسلطن إلاّ هذا فسحبوه وأجلسوه
وهو يمتنع من ذلك ويبكى وربما كلمه مصر باى ومرّق طوق ملوطته وهو يمتنع
غاية الامتناع ، فحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب وقاضى القضاة عبد الغنى ٣
ابن تقى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى ، وتأخر قاضى القضاة الشافعى
زين الدين زكريا والبرهان الدين بن الكركى الحنفى حتى يقع رأى الأمراء
فيمن يولونه السلطنة ، فكتب القاضى الحنبلى صورة محضر فى خلع العادل من ٦
السلطنة وشهد فيه جماعة كثيرة من الناس بأنه سفاك للدماء ، ثم حضر القاضى
الشافعى والقاضى الحنفى وعقدت البيعة لقانصوه الغورى وبايعه الخليفة ، وكانت
سلطنته فى يوم الاثنين مستهل شوال سنة ست وتسعمائة ، ثم أحضر إليه شعار ٩
السلطنة وهى الجبة والعمامة السوداء فأفيض عليه ذلك ، كل هذا وهو يمتنع
ويبكى ،فلقبوه بالملك الأشرف ، وسما فى علوه وأشرف ، وكنّوه بأبى النصر
قانصوه الغورى ، وبه صارت مصر مُشَرّفة (١١٨ ب) بالنّورى ، وقيل : ١٢

ألا إنما الأقسام تحرم ساهر　　وآخر يأتى رزقه وهو نائم

ثم قدمت إليه فرس النوبة بالسرج الذهب والكنبوش فركب من على
سلم الحراقة التى بباب السلسلة ، فتقدم قيت الرجبى وحمل القبة والطير على ١٥
رأسه وقد ترشح أمره إلى الأتابكية ، فركب الخليفة عن يمين السلطان ، ومشت
بين يديه الأمراء وهم بالشاش والقماش ، حتى طلع من باب سرّ القصر الكبير
وجلس على سرير الملك ، والباقى للزوال نحو من خمس وعشرين درجة ، وكان ١٨
الطالع بالسرطان ، فأوّل من قبّل له الأرض قيت الرجبى ثم بقية الأمراء شيئا
فشيئا ، ثم أخلع على الخليفة ونزل إلى داره ، وأخلع على مصرباى وقرره
فى الدوادارية الكبرى والوزارة والأستادارية عوضا عن نفسه فنزل إلى داره ٢١
فى موكب حافل . ثم دقت له البشائر بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت
الأصوات له بالأدعية الفاخرة ، وزال ما كان من الشكوك والظنون ، وأقرت من

الناس بسلطنته العيون ، فكانت سلطنته على غير القياس ، وأشيع بأن بنيانه على غير أساس ، فصار منه بعد ذلك الهزل جدّا ، ومكث فى السلطنة مكثا جاوز الحدّ ، فزال عنه الأضرار والباس ، وامتلأت منه أعين الناس ، فتولى الملك وله من العمر نحوا من ستين سنة ولم يظهر بلحيته الشيب حتى عُدّ ذلك من جملة سعده .

ومن العجائب أن أرباب الملاحم قالت للعادل طومان باى ما يأخذ الملك منك إلاّ حرف القاف فظن أنه قصروه فقتله ظلما ولم يكن يحسب لقانصوه الغورى حسابا ، فكان كما قال :

الرزق لم يزل للمـــرء ملــتزم
ما المـــن سمىّ إلا لمن قسم

ومن الحوادث فى يوم سلطنته أن طائفة من المماليك الجلبان توجهوا إلى بيت فخر الدين كاتب المماليك الذى فى الأزبكية فأحرقوه ونهبوا ما فيه ، ثم توجهوا إلى بيت شمس الدين أبى المنصور مباشر العادل فنهبوا ما فيه ، ثم توجهوا إلى بيت قرقماس المقرى المحتسب وبيت أزبك النصرانى والى القاهرة فنهبوا (١١٩ آ) ما فيهما ، ثم توجهوا إلى بيت عبد العظيم الصيرفى فنهبوا ما فيه ، وكذلك بيت يونس نقيب الجيش ، وحصل فى ذلك اليوم غاية الاضطراب ولا سيما فى مثل يوم العيد . — ثم إن السلطان أخلع على شخص من الأتراك يسمى طومان باى الجلب وقرره فى ولاية القاهرة عوضا عن أزبك النصرانى ، فركب ونادى فى القاهرة بالأمان والاطمان وأن المماليك تكف عن النهب ، فسكن الاضطراب قليلا .

وفى ذلك اليوم اختفى جماعة من الأمراء ممن كان من عصبة العادل ، وجانى بك شاد الشراب خاناه ومسايد ناظر الجوالى ومصر باى الصغير وأزبك النصرانى وآخرين من الأمراء ممن كان من حلفه . — وفى ذلك اليوم ظهر الشيخ جلال

---

(٩) ما المن سمّى : ما هو المن سمّى .

الدين الأسيوطى وكان مختفيا من العادل فى مدة سلطنته ، وكان يقصد الإخراق به فكفاه الله مؤنته ، وذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وبشره بزوال العادل عن قريب . — وفيه كتبت المراسيم السلطانية بحضور الأمير قانصوه ٣ المحمدى البرجى ، وكتبت المراسيم أيضا بالإفراج عمن سجنه العادل بقلعة دمشق وهم قرقماس وأزدمر وقانصوه بن اللوقا وسودون الدواداری وآخرين من الأمراء ممن كان سجنهم العادل بقلعة دمشق وقد تقدم ذكرهم . ٦

وفى يوم الخميس رابعه عمل السلطان الموكب بالحوش وهو أول مواكبه ، فأخلع على جماعة من الأمراء خلع العيد ونزلوا من القلعة فى موكب حافل ، وكذلك أرباب الوظائف من المباشرين . ٩

وفى يوم السبت فى السادس من شوال أخلع السلطان على جان بردى الغزالى وقرره فى الحسبة عوضا عن قرقماس المقرى ، وقرر تانى بك أخو ماماى فى الخازندارية الكبرى عوضا عن تمر باى خازندار العادل ، وأخلع على أقباى ١٢ الطويل وقرره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن جانى بك المشد ، وقرر تمر باى أمير مشوى فى نظر الجوالى ، وقرر مغلباى الشريفى فى الزردكاشية الكبرى عوضا عن تمر الحسنى بحكم انتقاله إلى التقدمة . — ثم إن السلطان قبض (١١٩ ب) ١٥ على الأتابكى تانى بك الجمالى ووكّل به بالقلعة وأمره بالخروج إلى مكة صحبة الحاج . — وفيه أنعم السلطان على قانصوه الفاجر بتقدمة ألف ، وكذلك قرقماس التنمى ، وأنعم أيضا على دولات باى قرموط بتقدمة ألف ، وكذلك ١٨ طقطباى من ولى الدين . — وفيه هجم الوالى على بيت قاضى القضاة الحنفى برهان الدين بن الكركى بسبب التفتيش على العادل فلم يجدوه عنده ، فنهبوا بيته وأخذوا منه علبة كان فيها مال الأوقاف الذى كان تحت يده . ٢١

وفيه فى ثامن عشره خرج الحاج من القاهرة وكان أمير ركب المحمل سودون العجمى أحد المقدمين ، وبالركب الأول دولات باى قرموط ، وخرج صحبته الأتابكى تانى بك الجمالى فرسم له بالإقامة فى مكة فخرج وهو فى التوكيل به ، ٢٤

ورسم السلطان لخاتون ابنة خليل بن حسن الطويل صاحب العراقين بعمل يرق وحجت فى تلك السنة .

٣ وفى يوم الخميس ثانى عشرينه أخلع السلطان على الشيخ سرىّ الدين عبد البرّ بن الشحنة وقرره فى قضاء الحنفية ، عوضا عن البرهان الدين بن الكركى بحكم صرفه عن القضاء وقد قاسى غاية المشقة بما جرى عليه بسبب
٦ اختفاء العادل . — وفيه كثر شرّ المماليك على السلطان بسبب طلب الأقاطيع والوظائف حتى أنه تبرأ من السلطنة وهمّ بأن يختفى بنفسه حتى يولّوا من يختارونه من الأمراء . — وفيه جاءت الأخبار من دمشق بفرار دولات باى نائب
٩ الشام ، وقد بلغه ما جرى على العادل وكان من أقاربه ، فخاف على نفسه فأخذ بركه وحريمه وخرج من الشام وتوجه إلى نحو بلاد ابن عثمان ملك الروم . — وفيه رسم السلطان بإحضار جماعة من الأمراء وكان العادل نفاهم إلى دمياط ،
١٢ منهم برد بك المحمدى الأينالى الذى كان الأشرف جانبلاط قرره فى حجوبية الحجاب وأرزمك الناشف الذى كان مقدم ألف ومامش الرجبى وتمر باى الشيخ وآخرين من الخاصكية وكان عدّتهم نحوا من ثمانية عشر نفرا . — وفيه زاد أمر
١٥ التفتيش على العادل وصار والى القاهرة يركب ومعه حاجب الحجاب والأمير طراباى رأس نوبة النوب ، ومعهم الجمّ الغفير من المماليك وهم بآلات السلاح ، فيهجمون البيوت والحارات (١٢٠ آ) تحت الليل بسبب العادل ، وكان العادل
١٨ يكبس البيوت والحارات بسبب الأمراء الذين اختفوا منه فما عن قريب حتى صار يكبسون البيوت والحارات بسببه ، والمجازاة من جنس العمل . — وفيه عرض السلطان مماليك العادل وأمرهم بإخراجهم إلى جهة الصعيد ، وكان العادل أخرج
٢١ خرجا من المماليك وسماهم العادلية . — وفيه توفى على باى الظاهرى تمر بغا وكان من الأمراء العشرات ، ومات وهو طرخان وكان لا بأس به .

وفى الثانى والعشرين من شوال أحضرت جثة الأشرف جانبلاط من ثغر
٢٤ الإسكندرية ، وقد تقدم أن العادل بعث بخنقه وهو فى البرج فخنق ودفن

بالإسكندرية ، ثم وقفوا مماليك جان بلاط إلى السلطان وسألوه فى نقله إلى القاهرة فرسم لهم بذلك ، فنقل وهو فى سحلية ، فلما حضرت جثته دفن أولا بتربة الأشرف قايتباى وأقام بها أياما ، ثم تعصبت له مماليكه وقالوا ما ندفن أستاذنا ٣
إلا فى تربته التى أنشأها بباب النصر ، فرسم لهم السلطان بذلك ، فنقلوه ودفنوه فى تربته التى بباب النصر ، وهذه ثالث نقلة وقعت له وكان نقله إلى تربته فى ليلة الجمعة سادس عشرين هذا الشهر . — وفيه فى تاسع عشرينه أخلع السلطان على ٦
قيت الرجبى وقرره فى الأتابكية عوضا عن قصروه نائب الشام بحكم موته ، وكانت الأتابكية شاغرة من يومئذ حتى قرر بها قيت ، وكان المتكلم فى جهات الأتابكية فى هذه المدة الأمير طراباى رأس نوبة النوب . — وفيه قرر شمس الدين ٩
أبو المنصور القبطى فى نظر البيمارستان المنصورى .

وفى أوائل هذا الشهر توفيت عزيزة بنت السطحى ، وكانت من أعيان مغانى مصر فريدة عصرها فى النشيد مع حسن الصوت وفصاحة بإعراب الشعر ، فلم ١٢
يخلفها من بعدها أحد من النساء المغانى ، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية العزّ والعظمة ما لا رآه غيرها من أرباب هذا الفن ، وماتت وهى فى عشر الثمانين وكان لها بمصر شهرة زائدة ، ومما قاله فيها الشهاب المنصورى (١٢٠ ب) : ١٥

وفتاة نزّهتُ طرفى فيها شنّفت مسمعى بجوهر فيها
منذ زارت محبّها وتغنّت كاد يرمى بنفسه من أبيها

وفى ذى القعدة ثار طائفة من المماليك ولبسوا آلة السلاح وطلبوا من ١٨
السلطان نفقة البيعة ، فأوعدهم حتى يجمع المال فسكن الأمر قليلا . — وفيه اجتمع القضاة الأربعة والخليفة وقرئ عهد السلطان بحضرتهم وكان موكباً حفلا . —
وفيه قبض على قاضى القضاة برهان الدين بن الكركى الحنفى ، ثم توجهوا به إلى ٢١
دار الأتابكى قيت فوكلوا به بالمدرسة الباسطية ، وقد تكلم بعض الناس فى حقه بأن العادل قد أودع عنده مالا فأقام فى الترسيم يوما وليلة ، ثم تكلم بعض

الأمراء مع السلطان فى أمره فرسم بالإفراج عنه فعاد إلى داره ، وكان معه فى التوكيل بدرالدين السعودى نقيبه المعروف بابن الوقاد ، فآل أمره أن طلب ٣ منه مال وأخذ منه فيما بعد .

وفى يوم الثلاثاء سابعه أخلع على الأمير خشكلدى البيسقى وقرره فى أمرة مجلس ، وكان مختفيا من العادل لما أراد القبض عليه . — وفيه تزايد أمر التفتيش ٦ على العادل فهجموا بسببه دار سيدى على بن المؤيد أحمد بن الأشرف أينال فلم يجدوا بها أحدا ، وهجموا زاوية الشيخ أبوشامة التى بالناصرية ، وصاروا يهجمون عليه عدة بيوت وأماكن ، وكان العادل فى مدة اختفائه يكتب أوراقا ٩ ويرسل يعلقها عند سوق السلاح بالقبو وغير ذلك من الأماكن التى يجتمع بها الأتراك ، ويكتب فيها أنه إذا عاد إلى السلطنة ينفق على العسكر مائتى دينار لكل واحد منهم وفرس ، وأن الذى وقع منه فى الماضى لا يعاد ونحن أولاد اليوم .

١٢ وفى يوم الإثنين ثالث عشره حضر قانصوه الخازندار ، وكان الظاهر قانصوه خال الناصر أرسله قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فكانت مدة غيبته فى هذه السفرة سنة وثلاثة أشهر ، فلما حضر أكرمه السلطان وأخلع عليه . — وفيه قبضوا ١٥ على العادل طومان باى من مكان بالقرب من بيت الأتابكى جرباش كرد الذى عند زاوية (١٢١ آ) الشيخ خلف ، وكان من ملخص أمره أنه لما طال اختفاؤه وصارت الأمراء على رؤسهم الطيرة منه ولا ينامون فى بيوتهم إلا ومماليكهم ١٨ لابسون آلة السلاح ليلا ونهارا ، فلما تزايد الأمر أخذوا فى أسباب عمل الحيلة على العادل ، فاستمالوا جانى بك الذى كان شاد الشراب خاناه وجانى بك الشامى وكان من أخصاء العادل ، فأوعدوا كلا منهما بتقدمة ألف ، وكانا يجتمعان على ٢١ العادل فى مدة اختفائه ، فحسّنوا للعادل بأن يجىء إلى بيت جانى بك الشامى الذى بجوار بيت الأتابكى جرباش كرد ، وكان الأمير مصر باى الدوادار ساكنا فى بيت الظاهر تمر بغا الذى عند سوق القبو خلف بيت الأتابكى جرباش

فقرروا مع العادل أنه إذا حضر إلى بيت جانى بك الشامى يهجمون على مصر باى
بعد العشاء وهو جالس فى مقعده ، فيدخلون عليه من باب سرّ الأتابكى جرباش
الذى خلف بيت تمر بغا فيقتلونه تحت الليل على حين غفلة ، فإذا قتل مصر باى ٣
يركب العادل من هناك ويحطم من باب السلسلة فيملكه ، فانصاغ العادل إلى هذا
الكلام وحضر إلى بيت جانى بك الشامى وكان هذا عين الخداع ، وصار من تدبيره
ما عاد فى تدميره ، فلما صار عنده فى البيت مدّ له أسمطة حافلة وبات عنده ، فأرسل ٦
جانى بك الشامى أعلم مصر باى بذلك ، فبينما العادل فى أرغد عيش فما شعر إلّا
وقد هجموا عليه وأحاطوا بالمكان الذى به وقد تمت الحيلة عليه ، كما يقال :

لا تركنن إلى الخريف فماؤه مستوخم وهواؤه خطاف ٩
يمشى مع الأجسام مشى صديقها ومن الصديق على الصديق يخاف

قيل لما هجموا عليه قام وهرب فتسلّق من على حائط وأرمى بنفسه من
أعلى الحائط فوقع على فخذه فانكسر نصفين ، فأدركه شخص من مماليك ١٢
الأشرف جان بلاط يقال له أرزمك فقطع رأسه ، وصار كل من مماليك جانبلاط
وقصروه يشتفى منه ويضربه بالسيف حتى هروه ، فلما قطعوا رأسه أحضروها
بين يدى مصر باى الدوادار ، فوضعها فى طبق من النحاس ، وأخرجها من بيته ١٥
والمشاعلية تنادى عليه هذا جزاء من يسفك (١٢١ ب) الدماء ويقتل الأمراء
بغير حق ، فعزّ ذلك على بعض الأمراء ، فلما عرضت رأسه على السلطان رسم
بدفنه وأرسل معه ثوبا بعلبكيا وعشرين دينارا ، فأعادوا رأسه إلى جثته وغسلوه ١٨
وكفنوه وصلّوا عليه ، ثم توجهوا به إلى تربته التى أنشأها بالقرب من المطعم
السلطانى فدفن بها ، ولما أرادوا التوجه به أدخلوه من باب زويلة ومعه والى
القاهرة وجماعة كثيرة من المماليك السلطانية وهم لابسون آلة السلاح ، ٢١
وكان هذا خوفا على العادل من مماليك الأشرف جانبلاط ومماليك قصروه

---

(٦) حافلة : حفلة . — (٩) وهواؤه : وهواه .

أن لا يحرقوه وهو فى التابوت ، وكان قصدهم ذلك حقيقة فما قدروا على ذلك .
وواقعة العادل طومان باى تقرب من واقعة الأتابكى تمراز الشمسى وقد تقدم
٣ ذكر ذلك .

وكان العادل طومان باى ملكا جليلا مهابا ذا شهامة زائدة وحرمة
وافرة ، وكان من مبتداه إلى منتهاه وهو فى عزّ وضخامة ، لكنه لما ولى السلطنة
٦ ظهر منه أمور فاحشة وأخرق فى سفك الدماء وقتل الأمراء ، ولو دام فى السلطنة
كان يظهر منه أمور شنيعة ويقتل غالب الأمراء ، وكان عنده مكر وخداع لكنه
كان يظهر العدل فى بعض الأمور ، وكان محببا للناس ولا سيما طائفة العوام ، وقد
٩ تقدم ما أوردناه من أخباره ، وما ولى من الوظائف السنية ، وما وقع منه
من الأمور فى تغيير الدول ، وما فعل بالملك الناصر والظاهر قانصوه والأشرف
جانبلاط وغير ذلك من الأمراء ، وقد قلت فى ذلك :

١٢ العادل السلطان لا تعجب له ... فيما جرى منه بتغيير الدول
أعماله رُدّت عليه بما جنى ... والدهر قد جازاه من جنس العمل

وكانت مدة اختفائه من حين تسحّب من القلعة ليلة عيد الفطر إلى حين
١٥ قبض عليه اثنين وأربعين يوما ، فلما قبضوا عليه وجدوا شعر رأسه قد طال
حتى صار كفروة الغنم ، وكانت الناس فى مدة اختفائه فى جمرة نار من هجم
البيوت وكبس الحارات وقاسوا غاية المشقة بسبب ذلك حتى ظهر ، وكانت واقعته
١٨ من النوادر الغريبة فكانت تقرب واقعته واقعة الملك العزيز يوسف بن الأشرف
برسباى لما اختفى وحصل (١٢٢ آ) للناس الضرر بسببه . قيل لما قتل العادل
تخلّقوا بدمه عيال خوند أمّ الناصر وأظهروا الفرح والسرور فى ذلك اليوم ،
٢١ وكانت معذورة فيما فعلت فإنه قتل ابنها الناصر وسجن أخاها الظاهر قانصوه
وقتل زوجها الأشرف جان بلاط . وعدّ قتل العادل من جملة سعد الغورى ،

---

(١٢) بتغيير : التغيير .

وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له قرقماس البيسقى تتم نائب الشام وقرره فى نيابة القدس ، وكان أحد الأمراء العشرات .

وفى ذى الحجة حضر من كان سجنه العادل من الأمراء بدمشق وهم ٣ قرقماس من ولىّ الدين وأزدمر من على باى وقانصوه بن سلطان جركس الذى كان نائب حماة وسودون الدوادارى ، فلما مثلوا بين يدى السلطان أخلع عليهم وأوعدهم بكل جميل . — وفيه ظهر تمر باى خازندار العادل وكان مختفيا ، فلما ظهر ٦ قُرر عليه مال وأقام فى الترسيم حتى يورد ما قرر عليه من المال .

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة عزل قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى عن القضاء ، وهذا كان آخر عزله وولايته للقضاء ،وقد كفّ بصره عقيب ذلك، ٩ فلما عزل زكريا سعى محيى الدين عبد القادر بن النقيب فى عوده إلى القضاء ، وقد أورد مالا له صورة ، فأخلع عليه وأعيد إلى القضاء عوضا عن زكريا بحكم انفصاله عنها ، وهذه ثانى ولاية وقعت لابن النقيب . — وفيه فرق السلطان الأضحية على ١٢ العسكر وقطع أضحية لبعض جماعة من الفقهاء والخدام . — وفيه أنعم السلطان بعدّة تقادم ألوف على جماعة من الأمراء منهم قرقماس من ولىّ الدين قرره فى أمرة السلاح عوضا عن قيت الرجبى بحكم انتقاله إلى الأتابكية ، وقرر أصطمر ١٥ من ولىّ الدين فى أمرة مجلس عوضا عن خشكلدى البيسقى ، وبقى خشكلدى البيسقى مقدم ألف بغير وظيفة وكان يجلس فوق أصطمر ، وقرر أزدمر من على باى فى حجوبية الحجاب عوضاً عن أصطمر من ولىّ الدين بحكم انتقاله إلى أمرة ١٨ مجلس ، وأنعم على أرزمك الناشف الذى كان نائب القلعة بتقدمة ألف ، وكذلك قانصوه الخازندار الذى كان توجه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكذلك قانصوه الفاجر ، وخشكلدى الذى كان أستادار الصحبة وكان (١٢٢ ب) الأشرف ٢١ جان بلاط أنعم عليه بتقدمة ولم يتم له ذلك من بعده وصار أمير طبلخاناة ، وغير هؤلاء جماعة آخرين . — وفيه رسم السلطان بإحضار جماعة من الأمراء العشرات

وكان العادل نفاهم إلى دمياط فحضروا جملة واحدة ، وكانوا نحوا من ثمانية أنفار .

ومن الحوادث الشنيعة أن طائفة المماليك وقفوا وقت طلوع الفجر إلى
٣ القاضى شمس الدين أبى المنصور مباشر العادل فقتلوه وهو خارج من بيته الذى
بالمقس طالع إلى القلعة ، فقتله بعض المماليك بخنجر فى بطنه فمات من يومه ولم
تنتطح فى ذاك شاتان ، كما وقع لأبى البقا بن الجيعان فى البندقانيين وهو طالع من
٦ بيته إلى القلعة ، وكان أبو المنصور من أعيان المباشرين ورأى غاية العزّ
والعظمة أيام أقبردى الدوادار ، وباشر عدة جهات سنية فى أيامه ، ثم من بعد
أقبردى التجأ إلى العادل طومان باى من حين كان دوادارا كبيرا وخرج معه إلى
٩ الشام فى تجريدة قصروه ، فلما عاد وهو سلطان تزايدت عظمة أبى المنصور عنده
وجعله متكلما فى الخزائن الشريفة مع صلاح الدين بن الجيعان ، وكان أصله من بنى
الأقباط وكان لا بأس به .

١٢ وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه تغير خاطر السلطان على قاضى قضاة الشافعية
محيى الدين عبد القادر بن النقيب فعزله عن القضاء ورسم بنفيه إلى قوص ، فتوجه
إليه نقيب الجيش وأركبه على حمار وتوجه به إلى البحر ، فشفع فيه بعض الأمراء
١٥ من النفى وقُرر عليه مال ، فكانت مدته فى هذه الولاية الثانية ثلاثة عشر يوما
لاغير ، فإنه أعيد إلى القضاء بعد عزل قاضى القضاة زكريا فى يوم الخميس ثامن
ذى الحجة ، وعزل عن القضاء فى يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى الحجة فهى ثلاثة
١٨ عشر يوما سوى .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه طلب السلطان الشيخ برهان الدين إبراهيم
ابن أبى شريف المقدسى ، فأخلع عليه وقرره فى قضاء الشـــافعية بمصر عوضا
٢١ عن عبد القادر بن النقيب ، فكان له يوم مشهود لما شق من القاهرة وهو لابس
التشريف ، وكان كفوءًا للمنصب . — وفيه اضطربت الأحوال (١٢٣ آ)
وأرتج الأمر على السلطان من قبل المماليك بسبب نفقة البيعة ، فشكا السلطان

بأن الخزائن خالية من المال ، فإن المماليك ثائرة بسبب النفقة وقد كثُر العسكر
من سائر الطوائف ما بين ظاهرية وأشرفية وأينالية وخشقدمية وقايتبايهية
وناصرية ومماليك الظاهر قانصوه ومماليك الأشرف جانبلاط ومماليك العادل ٣
طومان باى ومماليك النواب والأمراء الذين قتلوا ممن تقدم ذكرهم ، وقد صار كل
أحد منهم يروم له رزقا ، وأن الملك الناصر بن الأشرف قايتباى فرّق الأقاطيع
التى كانت فى الذخيرة جميعا فمن أين أسدّ هؤلاء المماليك . ٦

فلما كان يوم الاثنين سادس عشرين ذى الحجة اجتمع الأمراء عند
السلطان فى الدهيشة وضربوا مشورة فى ذلك اليوم ، وأقاموا فى القلعة إلى بعد
العصر ، فلما نزلوا أشيع بين الناس أن السلطان يقصد يخرج أوقاف الجوامع ٩
والمدارس ويبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ، وأنه يفرّق بلاد الأوقاف بمثالات على
الأمراء والمماليك ؛ فلما بلغ الناس ذلك اضطربت الأحوال وكثرت فى ذلك الأقوال .

ثم دخلت سنة سبع وتسعمائة ١٢

فيها فى المحرّم صعد الخليفة المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب والقضاة الثلاثة
وهم برهان الدين بن أبى شريف الشافعى وعبد الغنى بن تقى المالكى والشهاب
أحمد الشيشينى الحنبلى ، وتأخر قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة ، ولكن ١٥
طلع فيما بعد ، فلما طلعوا إلى القلعة ليهنّوا السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى
بالعام الجديد تكلم مع القضاة فيما تقدّم ذكره فى أمر الأوقاف ، فلم يوافق
القاضى الشافعى على ذلك ولا القاضى المالكى ولا الحنبلى ، ثم إن القاضى الحنبلى أغلظ ١٨
على السلطان فى القول فانحرف منه وقال له : إذا ركبوا المماليك وطلبوا منى نفقة
أنا أبعثهم لك فى بيتك كلمهم مثل ما تعرف ، فانفض المجلس مانعا ونزل القضاة إلى
دورهم على غير رضا من السلطان ، ثم طلع القاضى الحنفى عبد البرّ إلى السلطان ٢١
فى أواخر النهار فتكلم معه فى ذلك (١٢٣ ب) فمشى عبد البرّ فى غرض السلطان

(١٧) أمر : الأمر .

بما يريد ، ثم اجتمع الأمراء عند السلطان فى مجلس ثان وضربوا مشورة فى معنى
ذلك ، فوقع الاتفاق على أن الأوقاف تبقى على حالها ويؤخذ من ريعها سنة كاملة ،
٣ ومن أجرة أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان
ومراكب وغير ذلك يؤخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة ، حتى من وقف
البيمارستان المنصورى وسائر الأوقاف من عال إلى دون ، وكتبت المراسيم بمعنى
٦ ذلك إلى ثغر الإسكندرية ودمياط حتى إلى دمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية
والحلبية ، وكان القائم فى هذه المظلمة الأتابكى قيت الرجبى ، وصار الأتابكى
قيت الرجبى يرسم على أعيان الناس بسبب ذلك بالمدرسة الباسطية حتى يردوا
٩ الأموال ، لا جزاه الله خيراً ، ثم إن السلطان نادى فى القاهرة بأن كل من كان ناظراً
على وقف وكل من كان له إقطاع من أجناد الحلقة أو غيرها يتوجه إلى بيت
الأتابكى قيت الرجبى ، وأن أرباب الرزق من النساء والخوندات والستات يتوجهن
١٢ إلى بيت القاضى ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال ، وأن أرباب الأملاك
والحوانيت يتوجهون إلى بيت الأمير مصر باى الدوادار ، ثم إن السلطان رسم
لثمانية من الأمراء المقدمين بأن يتكلم كل واحد منهم على فرع من أبواب هذه
١٥ المظالم ، فتكلم الأتابكى قيت فى جهات الأوقاف قاطبة وإقطاعات الحلقة ، وقد
تقدم ذكر ذلك ؛ وتكلم مصر باى فى جهات الأملاك قاطبة فكتبت القوائم
بأسماء الأقاطيع والرزق من بيت أولاد الجيعان وطلبت أعيان الناس بالرسل
١٨ الغلاظ الشداد ، وطلب مصر باى أرباب الأملاك التى هى من الصليبة إلى مصر
العتيقة إلى دير الطين ، وتكلم الأمير قرقاس أمير سلاح على جهات البيوت
التى هى داخل بابى زويلة قاطبة ، وتكلم الأمير أزبك المكحل أحد المقدمين فى
٢١ جهات البيوت التى هى خارج باب الشعرية من جزيرة النيل إلى المطرية ، وتكلم
قانى باى قرا أمير آخور كبير فى جهات المراكب والسواقى قاطبة ، وتكلم الأمير

(٢) على حالها : حالهم . (١٤) فرع : فرح . (٢٠) بابى : كذا فى الأصل .

طقطباى أحد المقدمين على جهات الغيطان قاطبة ، وتكلم طراباى رأس نوبة
النوب على جهات مصادرات التجار ومساتير الناس ، وتكلم أنص باى أحد
المقدمين هو وأزدمر من على باى على مصادرات طائفة اليهود والنصارى (١٢٤ آ) ٣
وقد قرر عليهم نحوا من ثلاثين ألف دينار ، وتكلم ناصر الدين الصفدى وكيل
بيت المال على جهات رزق النساء من الخوندات والأعيان من الستات ، ثم قرر
السلطان مالا على جماعة من الخدام منهم محسن ومختص وغير ذلك من الخدام ، ٦
وأطلق فى الناس جمر نار المصادرات ، وصار كل منهم فى أليم الغمرات .

فلما كان يوم الاثنين رابع المحرّم وثب جماعة من المماليك على السلطان
ولبسوا آلة السلاح ، وسبب ذلك أن السلطان قد أبطأ عليهم بتفرقة النفقة ٩
ثلاثة أشهر فوثبوا عليه وطالبوه بالنفقة ، فقال لهم حتى تجبى الأموال فلم يرضوا
بذلك ، فنادى لهم أن النفقة تكون بعد مجىء الحاج فسكن الحال قليلا ، وآل
الأمر إلى الحث على أرباب المصادرات فى سرعة استخراج الأموال ، وأطلقوا ١٢
فيهم نيران الأهوال ، وعملوا فيهم بالباع والذراع ، ولم يجدوا لهم من حميم ولا شفيع
يطاع ، ثم إن أصحاب الأملاك ضيقوا على السكان وألزموهم بأن يعجلوا لهم من
أجرة الدكاكين والبيوت عشرة أشهر معجّلا لأجل هذه الغرامة ، فحصل لهم ١٥
بسبب ذلك الضرر الشامل وتعطلت الأسواق من البيع والشراء ، وغلقت غالب
دكاكين القاهرة ، ووقع الاضطراب للغنى والفقير وصار الناس بين جمرتين ، و يُطلبون
فى اليوم الواحد من أبواب جماعة كثيرة من الحكام مرتين ، حتى ضجوا من ذلك ، ١٨
وقلت فى المعنى :

لما جبوا أملاك مصر والقرى ... فى عام سبع مضّنى الإهلاك
الله أكبر يا له من حادث ... قد ضج منه الأرض والأملاك ٢١

فلما كان يوم الجمعة ثامن المحرّم تزايد الأمر وغلقوا بعض الجوامع ومنعوا
منها الخطبة فى ذلك اليوم ، منها جامع الجنيد الذى هو داخل الدرب التى
بالقرب من قناطر السباع وجامع آخر بباب اللوق ، وغير ذلك عدّة جوامع ، فلمّا ٢٤

طلع الأتابكى قيت الرجبى إلى القلعة وصلى الجمعة مع السلطان ونزل ، وقفت
له جماعة كثيرة من العوام وشكوا له أن أصحاب الأملاك ضيّقوا عليهم وطالبوهم
٣ بعشرة أشهر معجّلا بسبب هذه الغرامة وما لهم قدرة على ذلك ، فلم يلتفت (١٢٤ب)
إلى كلامهم ، فلما وصل إلى الجامع الصالح الذى تجاه بابى زويلة فكبروا
عليه العوام ورجموه فجاءته رجمة فى كلوته ، وكان إلى جانبه الأمير طراباى رأس
٦ نوبة النوب فجاءته رجمة فى جبهته حتى سال منه الدم ، فلما عاينوا المماليك
ذلك سلّوا أسيافهم ووقعوا فى العوام وجرح منهم جماعة وقتل فى ذلك اليوم
نحواً من ثلاثة أنفار ، ثم إن الزعر والعبيد نهبوا عدّة دكاكين من البُسطيّين
٩ إلى داخل باب زويلة ، واستمرّ النهب والقتل عمال إلى قريب المغرب ، ونهب
للناس مال له صورة وبضائع كثيرة ، حتى قيل نهب لشخص حريرى خمسمائة
دينار ذهب عين ، وغير ذلك من شمع وفاكهة وسكر ، فلما تزايد الأمر ركب
١٢ والى القاهرة وقبض على جماعة من الزعر والعبيد ووسّط منهم نحوا من أربعة
عشر إنسانا ، وكادت القاهرة أن تخرب عن آخرها مما جرى [فى] هذا الحادث العظيم .

فلما كان يوم السبت صبيحة ذلك اليوم وقف جماعة من السوقة من أهل
١٥ الصليبة إلى الأمير أزدمر من على باى أحد المقدّمين وشكوا له حالهم وكلموه
بلطافة وحشمة عن أمر أجرة العشرة أشهر ، فلما طلع إلى القلعة اجتمع بالسلطان
وتكلم معه فى ذلك ، فاتفق الحال على أن يحط من العشرة أشهر ثلاثة أشهر وتصير
١٨ سبعة كما فعل الأشرف قايتباى . ثم إن السلطان نادى فى القاهرة للناس بالأمان
والاطمان والبيع والشراء وأن السلطان حطّ من أجرة البيوت والدكاكين ثلاثة
أشهر وصارت سبعة ، فسكن الحال قليلاً .

٢١ وفى يوم الثلاثاء ، ثانى عشره قبض السلطان على الأمير مصرباى الدوادار وهو
بالقلعـــة وقد وقع اختيار الأمراء على ذلك ، فلمّا قبضوا عليه أدخلوه البحرة
وقيدوه ، وقبضوا فى ذلك اليوم على آخرين من الأمراء العشرات من غير سبب .

---

(٤) تجاه : بجاه .

وفى يوم الخميس رابع عشره أخلع السلطان على الأمير أزدمر من على باى وقرّره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن مصر باى بحكم القبض عليه ، وأخلع على الأمير خاير بك أخو قانصوه البرجى (١٢٥ آ) وقرّر فى حجوبيّة الحجاب ٣ عوضا عن أزدمر بحكم انتقاله إلى الدواداريّة الكبرى . وأخلع على الأمير طقطباى من ولىّ الدين وقرّر فى التقدمة والوزارة والأستاداريّة عوضا عن مصر باى .

وفى أثناء هذا الشهر توفّى الأمير قان بردى الدوادار الثانى أحد المقدّمين ، ٦ وكان من خواصّ العادل وترشّح أمره بأن يلى وظيفة الأتابكيّة بعد قصروه ، وما تمّ ذلك وجرح لمّا وثبوا على العادل فى رمضان واستمرّ من ذلك الجرح عليلا حتى مات . — وفيه تقرّر جان بلاط الموتر فى الحسبة عوضا عن جان بردى ٩ الغزالى بحكم انفصاله عنها .

وفى يوم السبت سادس عشر المحرّم أشيعت الأخبار بأن جانى بك الشامى الذى كان من أخصاء العادل وخاير بك كاشف الغربيـــة الشهير باللامى قد ١٢ تسحّبا من البرج التى بالقلعة وقت الظهر وقتلوا السجّان . وتسحّب معهم عدّة مماليك كانوا بالبرج . فلما تسحّبوا اختفوا بالقاهرة فاضطربت الأحوال وكثر القيل والقال . فلما بلغ السلطان ذلك أحضر المصحف العثمانى وحلّف عليـــه ١٥ سائر الأمراء بحضرة الخليفة والقضاة الأربعة فحلفوا بأنّهم لا يخونوه ولا يغدروه ولا يركبوا عليه .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر المحرّم الموافق لتاسع مسرى أوفى النيل المبارك ، ١٨ فلمّا أوفى لم يجسر الأتابكى قيت بأن يتوجّه ويفتح السدّ على العادة . فتوجّه لفتحه مغلباى الشريفى الزردكاش . — وكان فى ذلك اليوم تفرقة الجامكية فلم يطلع إلى القلعة أحد من العسكر ، ثمّ فى ذلك اليوم لبسوا آلة السلاح وثارت الفتنة مهولة ٢١ واستمرّ الأمر على ذلك إلى قريب المغرب ، وكان القائم فى هـــذه الفتنة مماليك الظاهر قانصوه ومماليك الأشرف جانبلاط ومماليك العادل طومان باى ، فلمّا ركبوا طلعوا إلى الرملة فلم يفد من ركوبهم شيئاً ونزل إليهم الأمير طراباى رأس ٢٤

نوبة النوب ومعه جماعة من الأمراء ، فلمّا عاينوهم هربوا من وجوههم وتمّت الكسرة على طائفة المماليك الذين وثبوا .

٣ وفى يوم السبت ثالث عشرينه نادى السلطان فى القاهرة بأن مماليك الظاهر قانصوه والأشرف جانبلاط والعادل طومان باى يخرجون إلى جهة (١٢٥ ب) الصعيد ويقيمون بها وكلّ من تأخر من بعد المناداة شنق بلا معاودة ، وصاروا ٦ يكرّرون هذه المناداة ثلاثة أيّام متوالية ، فصاروا يخرجون إلى جهة الصعيد شيئاً فشيئاً وهم فى غاية الذلّ . – وفيه أخلع السلطان على الأمير بيبردى الفهلوان وقرّره فى الدواداريّة الثانية عوضا عن قان بردى بحكم وفاته .

٩ وفى صفر فى أوّل يوم منه نزلوا بالأمير مصر باى من القلعة وهو مقيّد ، فتوجّهوا به إلى السجن بثغر الإسكندريّة فسجن بها .

وفى يوم الاثنين ثانيه نفق السلطان على العسكر نفقة البيعة وقد صبّرهم ١٢ نحوا من أربعة أشهر حتى جمعت الأموال من المصادرات ، فنفق على طبقتين لا غير وصبّر الباقين حتى تجمع الأموال ، ولم يعط لأحد من المماليك مائة دينار كاملة سوى المماليك القايتبايية فقط .

١٥ وفيه قبض السلطان على الأمير عبد اللطيف الزمام وقرّر عليه مالا له صورة ، فسلّمه إلى الأمير طراباى وأقام عنده فى التوكّل به حتى يردّ ما قرّر عليه من المال فباع أملاكه وقماشه حتى سدّ ذلك ، وصودر عنبر مقدّم المماليك ونائبه وشاد ١٨ الحوش وجماعة آخرين من الخدّام ، وقد عمّت هذه المصادرة حتى غلمان الاسطبل السلطانى والأوجاقيّة والسرآخوريّة ونقباء القصر والمعاملين والطبّاخين حتى الفرّاشين والبابيّة والشربدارية وغير ذلك من غلمان ٢١ السلطان قاطبة ممن له جامكية فى باب السلطان ، وكلّ هذا لأجل النفقة على المماليك وكانت حادثة عامّة على غالب الناس من الأعيان وغيرهم ، وقد وقع الاضطراب فى أوائل سلطنته إلى الغاية .

٢٤ وفى يوم الاثنين سادس عشر صفر توفى الأمير بيبردى الفهلوان الذى قرّر

فى الدوادارية الثانية فأقام بها مدّة يسيرة ومات ، فلمّا مات أخلع السلطان على
جانم قريب الأشرف قانصوه خمسمائة وقرّره فى الدوادارية الثانية عوضاً عن
بيبردى الفهلوان بحكم وفاته . ٣

وفى سلخ هذا الشهر أخلع السلطان على طقطباى العلاى وقرّره فى نيابة
انقلعة عوضاً عن طوخ المحمّدى . — وفيه هجم المنسر تحت الليل على سوق الجملون
وسوق الحشيبة (١٢٦ آ) والورّاقين ونهبوا منها نحوا من عشرين دكّاناً ولم تنتطح ٦
فى ذاك شاتان . وراحت على التجّار أموالهم . — وفيه ضيّق بعض الأمراء الذين
تولّوا جباية الأملاك عن السبعة أشهر ، فارسلوا إلى أصحاب الأملاك مهندسين
صحبة خاصكىّ من قبل السلطان . فطافوا الحارات وهجموا البيوت وقطعوا أجرة ٩
الأملاك ثانيا ولم يرضوا بما أخذه الأشرف قايتباى بمقتضى وصولات معهم
عما أوردوه فى مغرم السبعة أشهر كما تقدّم ، فكانت النكسة أمرّ من الضعف
وأخذوا منهم مظلمة ثانية وشدّدوا عليهم واستوفوا أجرة ثانية . — وفيه أرسل ١٢
السلطان قبض على خوند أصل باى أمّ الملك الناصر وطلع بها إلى القلعة ووكل
بها عدّة من الطواشيّة وأقامت فى الترسيم مدّة أيّام وقاست غاية البهدلة ،
وقُرّر عليها مال له صورة فلم تورد منه شيئاً وأظهرت العجز ، فرسم السلطان ١٥
بنفيها إلى مكّة فشفع فيها الأمير قرقماس أمير سلاح والأمير طراباى من النفى
وأوردت من المال الذى قرّر عليها بعض شىء . — وفى هذا الشهر نفق السلطان
على العسكر نفقة البيعة فنفق على طبقتين كالحكم الأوّل . فكان مجموع ما نفقه ١٨
فى هذه المدة على أربعة طباق لا غير . — وفيه تعطلت الأسواق من البيع
والشراء بسبب فلوس جدد ضربها السلطان تخسر فى المعاملة الثلث . — وفيه
جاءت الأخبار بقتل كاشف الشرقيـة قتلوه العرب . فلمّا قتل أخلع السلطان ٢١
على أقباى وقرّره فى كشف الشرقية عوضا عن الذى قتلوه العرب .

وفى ربيع الأوّل عمل السلطان المولد النبوىّ بالحوش . واجتمع القضاة
الأربعة وسائر الأمراء ، وكان يوماً مشهوداً ، وهذا كان أوّل موالد السلطان . — ٢٤

(٢٠) تخسر : تخصر . (٢٤) موالد : موالده .

وفيه انتهت زيادة النيل المبارك إلى سبعة عشر أصبعا من عشرين ذراعاً واستمرّ ثابتاً إلى نصف بابه .

٣ وفى يوم السبت سابع عشرينه أخلع السلطان على موفّق الدين بن القمّص القبطى وقرّره فى التحدّث على أوقاف الزماميّة نيابةً عن عبد اللطيف الزمام . — وفى سلخ هذا الشهر كانت وفاة قاضى القضاة المالكى عبد الغنى بن تقىّ ،
٦ وكان عالماً فاضلاً من ذوى البيوت ، مات وهو فى عشر السبعين ، وكان لابأس به .

وفى ربيع الآخر جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية (١٢٦ ب) بأن الأمير مصرباى الدوادار قد كسر قيده وهرب من البرج ، وقد قيل أن شخصاً من مماليكه
٩ يقال له إياس صنع له مبرداً من فولاذ وجعله ضمن موكبة شمع وأدخلها لأستاذه وهو فى البرج فبرد به قيده ونزل من أعلا السور ، وأحضر إليه مركبا صغيرا فنزل به وقد ستر الله عليه وتمّت حيلته فحضر إلى القاهرة فى الخفية ،
١٢ فلما أشيع هذا الخبر اضطربت أحوال الأمراء وبقى على رؤسهم منه طيرة وصار الوالى فى كلّ يوم وليلة يكبس بسببه البيوت والحارات وحصل للناس غاية الضرر .

١٥ وفى جمادى الأولى فى يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على العلاّمة برهان الدين إبراهيم الدميرى وقرّره فى قضاء المالكيّة عوضاً عن ابن تقىّ بحكم وفاته ، وقد اشتبه على ولاية قاضى القضاة برهان الدين الدميرى هل كانت فى شهر
١٨ ربيع الآخر أو فى جمادى الأولى .

وفيه قبض السلطان على جماعة من الأمراء منهم قانصوه الفاجر أحد الأمراء الطبلخانات وتانى بك الأبحّ وأسنباى الأصمّ وآخرين من الأمراء ، فأرسل
٢١ قانصوه الفاجر إلى السجن بثغر الإسكندرية ، ثم إن الأتابكى قيت شفع فى تانى بك الأبحّ وأسنباى الأصمّ .

وفيه أخلع السلطان على الأمير علان من قراجا وقرّره فى ولاية الشرطة
٢٤ بالقاهرة عوضا عن طومان باى الجلب ، وأخلع على تانى بك الخازندار وقرّر فى

(١٠) فبرد : فبرأ .

الحسبة على شخص يسمّى محمد بن يوسف . وكان جابى أوقاف الجامع المؤيدى .
فقرّره فى نظر الأوقاف كما كان محمد بن العظمة . فحصل للناس منه غاية الضرر
وصار يشوّش على أعيان الناس ويبهدلهم وصار يعضده شخص من الأمراء ٣
العشرات حتى لا يحتمى عليه أحد من الناس . فوقع منه أمور مهولة فى حقّ
الناس . فكان كما يقال :

ما كنت أحسب أن يمتدّ بى زمنى حتى أرى دولة الأوغاد والسفل ٦
هذا جزاء امرئٍ أقرانُه درَجوا من قبله فتمنّى فُسْحة الأجَل

وفيه وثب العسكر ولبس آلة السلاح . ولم يكن لهذه الركبة سبب . فأسفرت
القضية على أن هذه حيلة على الأمير مصرباى حتى يظهر إن كان هو مختفيا ٩
بمصر فيظهر . فلمّا علم أنها حيلة عليه لم يظهر . فخمدت تلك الفتنة فى أواخر
النهار عن غير طائل .

وفيه طلع مجد الدين بن كراوية ناظر الدولة وشكى إلى السلطان انشحات ١٢
الديوان وعدم وجود اللحم فوكّل (١٢٧ آ) السلطان به بالقلعة . وأقام نحوا من
اثنى عشر يوماً وطباق المماليك معطّلة من اللحوم فضّج العسكر من ذلك . ثمّ
إنّ السلطان رسم بقطع لحوم أولاد الناس والمباشرين والفقهاء وغير ذلك من ١٥
الناس قاطبةً حتى رواتب الخوندات وأن لا يصرف سوى للمماليك فقط . فما عن
قريب حتى وصل الأمير طقطباى من ولىّ الدين وزير الديار المصريّة وكان
مسافراً إلى جهة الصعيد فأحضر صحبته اثنى عشر ألف رأس من الغنم . فعدّ ١٨
ذلك من جملة سعد السلطان .

وفيه أخلع السلطان على ناصر الدين الصفدى وقرّره فى نظارة الخاصّ ،
عوضاً عن علاى الدين بن الإمام بحكم صرفه عنها . فجمع الصفدى بين وكالة بيت ٢١
المال ونظارة الخاصّ كما كان ابن الصابونى .

وفيه نادى السلطان فى القاهرة بأن الأمير مصرباى وبقيّة الأمراء المختفين

يظهرون وعليهم أمان الله تعالى ، فلم يظهر سوى جان بردى الغزالى ، فلمّا ظهر أخلع عليه السلطان وقرّره فى حجوبية الحجّاب بحلب فخرج عن قريب .

وفى جمادى الآخرة دخل الأتابكى قيت إلى القاهرة وكان توجّه إلى نحو العبّاسة ٣ على سبيل التنزّه ، فلمّا طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب حافل . — وفيه أفرج السلطان عن القاضى فخر الدين بن العفيف كاتب المماليك ،وكان له مدّة وهو فى الترسيم فقرّر عليه مالا وأطلقه وكذلك الصيارف . — ٦ وفيه قبض السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له ألماس فضربه ضربًا مبرحًا ، وضرب معه شخصا آخر يسمّى جانى بك الأشرفى جان بلاط ، فمات تحت الضرب فوق الخمسمائة عصاة وأرماه فى البرج ، وكان سبب ذلك قد ٩ أشيـع عنه يرمى الفتن بين الأمراء فصار يضربه غير ما مرّة . — وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن أهل الشام قد رجموا النائب وأخرجوه من البلد ، وكان سبب ذلك أن السلطان لمـا جبى أملاك مصر والقاهرة بسبب السبعة أشهر التى ١٢ رسم بها فأرسل مراسيم إلى نائب الشام يأخذ أجرة سبعة أشهر من أملاك أهل الشام ، فجار على أهل الشام بسبب ذلك ، فما طاقوا هذا الحال فرجموه حتى أخرجوه من البلد ، وكادت دمشق أن تخرب عن آخرها فى هذه الحركة . ١٥

وفى رجب كانت وفاة الأمير أقباى الطويل (١٢٧ ب) شادّ الشراب خاناه ، فنزل السلطان وصلّى عليه وكانت له جنازة حافلة . —وفيه طلع إلى السلطان شخص يقال له صلاح الدين بن الجنيد ، وكان أصله رسولا عند ناظر الخاصّ علاى الدين ١٨ ابن الصابونى ، فلمّا طلع إلى السلطان اجتمع به وعرض عليه قوائم فيها أسماء جماعة من أعيان التجّار ومساتير الناس ، حتى من أعيان النساء المساتير من الخوندات والستات ، وقرّر أنّه يأخذ على كل رأس من عبد وجارية دينارا ، ثمّ ٢١ قال للسلطان ألبسنى خلعةً وأنا أضمنلك مائتى ألف دينار من غير ضرر ولا أشلة ، فانصاغ السلطان إلى كلامه وأراد أن يلبسه خلعةً ، فلما بلغ الأمراء ذلك

شقّ عليهم وكادت أن تثور فتنة بسبب ذلك . فاستدرك السلطان فارطه وأحضر ذلك الرجل المرافع وضربه بالمقارع وأمر بقطع لسانه وأشهره فى القاهرة على جمل وهو عريان . فلمّا شقّ المدينة كادت العوامّ أن ترجمه أو تحرقه ، ثم توجّهوا ٣ به إلى المقشرة فسجن بها وعدّ ذلك من النوادر ، وكان ضربه بالحوش بين يدى الأمراء حتى أرضاهم بذلك .

وفى يوم الاثنين رابع عشره أخلع السلطان على ولده المقرّ الناصرى محمد ٦ وقرّره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن أقباى الطويل بحكم وفاته ، وكان ابن السلطان حديث السنّ وقد قامت الأمراء على السلطان حتى قرّره فى شادية الشراب خاناه ، وكان القائم فى ذلك الأتابكى قيت الرجبى والسلطان يمتنع . — ٩ ومن الحوادث أن السلطان عيّن شخصاً من الخاصكيّة يقال له نانق الخازن بأن يتوجّه إلى جهة البلاد الشرقية والغربية ليستوفى على المقطعين ما كانوا أوردوه من الخراج عن السنة التى أفردها السلطان على المقطعين . فلمّا توجّه ١٢ نانق المذكور إلى هناك ضيّق على الفلاحين وفحص عن أصل خراج كلّ حصّة وما تعمل فى كلّ سنة من الخراج . فصارت المقطعون فى وجل بسبب ذلك ، ورحل غالب الفلاّحين وقد طالبهم ببقيّة الخراج زيادةً عمّا أوردوه المقطعون ١٥ فى بيت الأتابكى قيت الرجبى . فأرسلوا الفلاّحون يطلبون من المقطعين الرجعات بما أوردوه ببيت الأتابكى قيت ، فغرموا الفلاّحون لنانق (١٢٨ آ) المذكور جملة من المال حتى حلّ عنهم ، وقد ضاع خراج تلك السنة أيضا على المقطعين بين ١٨ الفلاّحين وبين نانق المذكور . ثم آل أمر هذه الحركة إلى السكون ، وقد تقدّم ما وقع لأصحاب الأملاك ما يقرب من ذلك وغرموا مغرما ثانيا كما تقدّم وقد ضاق الأمر على الناس جدّا . — وفيه ضرب السلطان فلوسا جددا وقد نقش عليها ٢١ هيئة شباك ، فوقف أمر الفلوس التى كانت قبل ذلك وصارت السوقة لا تأخذ إلا الفلوس التى منقوش عليها الشباك ، فوقف حال الناس وصارت البضائع تباع بسعرين بسعر من الفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق ، وفوق هذا كلّه ٢٤

ما قرّره المحتسب على السوقة من مال يردّونه فى كلّ شهر ، وقد أحال السلطان
بما تقرّر على الحسبة لبعض الأمراء المقــدّمين وبعض أمراء عشرات عوضا
٣ عن الأقاطيع ، وكان ما قرّر على الحسبة فى كلّ شهر فوق الألفى دينار وقيل
أكثر من ذلك ، وصارت مقرّرة على سائر السوقة والطحّانين وغير ذلك ،
ومن يومئذ تحسّنت سائر البضائع فى الأثمان بموجب المشاهرة التى تقرّرت
٦ على السوقة .

وفى يوم الخميس تاسعه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب الجوامك
والأيتام من نساء ورجال ، فلمّا عرضهم قطع عدّة جوامك ممن له أشرفى أو مائتان
٩ فأضرّ ذلك بحال الأيتام من نساء وصغار ، ثم قطع عدّة جوامك لجماعة كثيرة
من أعيان أولاد النــاس والمباشرين ووبخهم بالكلام ، وقطع جوامك جماعة
من الأوجاقيّة ونقباء القصر والسراخوريّة وغلمان الإسطبل السلطانى ، وسائر
١٢ من له جامكية فى باب السلطان من الفقهاء والمتعمّمين حتى جماعة من الخوندات
والستّات ، فجماعة أبقى لهم النصف من جوامكهم وشىء قطع لهم الجوامك كلّها
وصار بالقسم والنصيب ، وكان القائم فى هذه المظلمة أيضا الأتابكى قيت الرجبى
١٥ لا جزاه الله خيرا ، فحصل للناس فى ذلك اليوم كسر خاطر ونزلوا من القلعة
بغير طائل ، فكان كما يقال فى المعنى :

ياطالبَ الرزقِ مَهلاً فلا يُسْعيك تَطْمَعْ وَثِق بربٍّ كريم فالله يُعطى ويَمْنَعْ

١٨ وفيه عيّن السلطان الأمير قانصوه بن سلطان جركس بأن يتوجّه إلى
الشرقية كاشفا ، فلمّا توجّه إلى هناك لم يقابله من العربان أحد وازدادوا (١٢٨ب)
عصيانا فوق عصيانهم وسموه هات لبن ، فأقام بالشرقية نحوا من أربعين يومًا
٢١ ورجع من غير طائل . – وفيه أكمل السلطان نفقة البيعة على العسكر ، وقد
طاول العسكر هذه المدّة الطويلة واعتذر عن ذلك حتى جمع الأموال ثمّ أكمل
لهم النفقة بعد ذلك .

---

(٧) تاسعه : يعنى تاسع شعبان .

وفى أواخر هذا الشهر توفى القاضى زين الدين سالم صاحب ديوان الأتابكى أزبك من ططخ ، وكان من أعيان المباشرين ورأى غاية العزّ والعظمة فى أيّام الأتابكى أزبك ، وكان فى سعة من المال وله ثروة زائدة وكان لابأس به ، ومات ٣ وقد جاوز السبعين سنة من العمر . — وفيه توجّه الأمير طقطباى وزير الديار المصريّة إلى جهة الصعيد لجمع المغلّ ، فصلى الجمعة مع السلطان ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الأمراء المقدّمون ، وكان له يوم مشهود . ٦

وفى رمضان فى يوم مستهلّه نادى السلطان فى القاهرة بأن أولاد الناس والأيتام من النساء والصغار يطلعون إلى القلعة ، وأشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يرد جوامك الأيتام التى قطعت وكان قصده ذلك حقيقا ، فلما طلعوا ٩ إلى القلعة لم يمكّنه الأتابكى قيت من ذلك ، فردّ فى ذلك اليوم لبعض جماعة من المماليك ونزلوا البقيّة خايبين من غير طائل ، كما قيل :

سَلِ الله ربّك من فضله ... إذا عرضتْ حاجة مُقلقة ١٢

ولا تسأل التُرك فى حاجة ... فأعيُنُهم أعين ضَيّقة

ومن الحوادث أن فى ليلة الاثنين ثانى عشر شهر رمضان طلع الأمراء إلى القلعة ليفطروا مع السلطان على العادة ، فلمّا فطروا ونزلوا من القلعة ووصلوا ١٥ إلى رأس الصوة وإذا بطائفة من المماليك نحو من اثنى عشر مملوكا قد أحاطوا بهم ، فأسفرت هذه الواقعة بأن الأمير مصر باى الدوادار ظهر والتفّ عليه طائفة من أخمل المماليك ، فقصد أن يقطع الطريق على الأمراء وهم نازلون من القلعة ١٨ فوقفوا لهم عند باب السلسلة ، فلما نزلوا من القلعة خرج عليهم مصر باى بمن معه من تلك المماليك اليسيرة فأرموا على الأمراء بالنشّاب ، فجرح الأمير طراباى والأمير تمر الزردكاش لكنه جرح خفيف فما تأثروا له ، ولكن ٢١ قتل (١٢٩ آ) فى تلك الليلة شخص بالرملة من المماليك يقال له جانى بك قيل إنه قرابة الأمير طراباى ، وكان قصد مصر باى قتل أزدمر الدوادار وقيت الرجبى

وبقيّة الأمراء فما قدر على ذلك وانكشف رخه وافتضح ، وكانت هذه غاية الخفّة
من مصرباى ، فلما جرى ذلك اضطربت الأحوال تلك الليلة ولبس العسكر آلة
٣ السلاح وباتوا على وجل ، فوقف مصر باى بالرملة ساعة[1] فلم يحضر عنده أحد
من العسكر ، فنزل من الرملة بغير طائل ، ثم رجع الأمير أزدمر إلى القلعة وبات
بها عند السلطان تلك الليلة ونزل الأتابكى قيت إلى داره ، وقد أشيع أن السلطان
٦ كان مع مصرباى فى الباطن ولم يكن لهذا الكلام صحة ، فلما رجع مصرباى من
الرملة دار على الأمراء تحت الليل فلم يطاوعه أحد على الركوب معه ، فعند
ذلك توجه إلى الأزبكية وبات بها وانتظر أحدا يأتيه من المماليك السلطانية
٩ فلم يجئ أحد له ، فلما طلع النهار اجتمع عنده بالأزبكية نحو من عشرين مملوكا
أو دون ذلك ، فلما بلغ السلطان ذلك أرسل إليه طائفة من المماليك صحبة الأمير
علان والى القاهرة فحاربوه هناك ، فلم يكن إلا ساعة يسيرة وقد كسر الأمير
١٢ مصر باى وقتل بالأزبكية أشر قتلة ، فحمله بعض المماليك قدامه على الفرس
وهو ميّت وطلع به إلى القلعة ، فلما عاينه السلطان أمر بدفنه فغسل وكفن
وصلى عليه ودفن ، وكانت واقعته من أبشع الوقائع وأنحسها ، وقد خطر بباله أنه
١٥ يقتل الأمراء ويملك القلعة بهذه الطائفة اليسيرة التى معه من المماليك وهى
دون عشرين مملوكا ، وكان هذا غاية الخفّة منه مع أنه كان من ذوى العقول
وعنده ثبات جنان ، وكان ديّنا خيرا وأصله من مماليك الأشرف قايتباى
١٨ وساعدته الأقدار حتى ولى الدوادارية الكبرى بمصر فى دولة الغورى ، ثم
قبض عليه وسجن بثغر الإسكندرية ، ثم تسحّب من البرج التى كان به مسجونا
وجرى بسببه على الناس ما لا خير فيه من كبس بيوت وحارات وغير ذلك ، ثم
٢١ ظهر بعد ذلك بالرملة كما تقدم فلم يطب طبة ، وكانت الأمراء على رؤسهم طيرة
منه ، فلما توجّه إلى الأزبكية وبات بها وأصبح فجمع صغار باب اللوق ودق له

(١) وبات : وباب .

هناك طبلخاناه ، وكانت طبلخانة فشار ، وآخر الأمر (١٢٩ ب) كسر وقتل فى يومه كما تقدّم ذكر ذلك ، فكان كما يقال :

ما يبلغ الجاهل من نفسه ... ما تبلغ الأعداء من جاهل ٣

وكان الأمير مصرباى سبباً لقتل الملك العادل طومان باى وقد عمل عليه حيلة حتى أركن إليه ثم غدره حتى قتل ، ووضع رأسه فى طبق وأشهره بالرملة والمشاعليّة تنادى عليه وأفحش فى حقّه إلى الغاية ، فما عن قريب حتى أخذ ٦ مصرباى وجرى عليه شدائد ومحنا ، وافتضح وهو طالع إلى القلعة ميّت على فرس وخلفه من يحضنه والناس ينظرون إليه ، وهذا غاية الذلّ والمجازاة من جنس العمل ، كما يقال : ٩

إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ ... كلاكِلَهُ أناخ بآخرينا

فقُلْ للشامتين بنا مُهيْلاً ... ستلقوا عن قريب ما لقينا

وكان فى هذه الواقعة عبرة لمن اعتبر ، فلما قتل مصرباى خمدت تلك الفتنة ١٢ وعدّ قتله من جملة سعد السلطان . — ثم فى يوم السبت سابع عشر رمضان عرض السلطان مماليك أقبردى الدوادار ورسم بنفى جماعة منهم إلى البلاد الشاميّة ، فنفى نحواً من ثمانين مملوكا فأخرجهم وهم فى زناجير من حديد ، وقد أشيع ١٥ عنهم بالركوب مع مصر باى فبقى لهم ذنب كبير .

وفى شوال لم يثبت رؤية الهلال إلا بعد العشاء ، وكان العيد بالجمعة ، فحصل للسلطان تلك الليلة توعك فى جسده فلم يصلّ صلاة العيد واحتجب عن الناس وكثر ١٨ القيل والقال بين الناس فى ذلك اليوم . — وفى يوم الاثنين ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمّل زائد ، وكان أمير ركب المحمل أصطمر من ولىّ الدين أمير مجلس ، وبالركب الأوّل الناصرى محمد بن العلاى علىّ بن خاصّ بك ، فلمّا خرج ٢١ المحمل رسم السلطان بإخراج قانم أخو الظاهر قانصوه صحبة الحاجّ وأن يقيم بمكّة بطالاً ، وكان صحبته قانصوه الفاجر . — وفيه أخلع السلطان على أقباى من

يشبك وقرّره فى كشف الشرقيّة عوضا عن قانصوه بن سلطان جركس . —
وفى هذا الشهر تحوّل الأتابكى قيت من بيت الأشرف جان بلاط الذى بحارة
٣ عبد الباسط وسكن بالأزبكيّة فى بيت الأتابكى أزبك .

وفى ذى القعدة كان ختان ابن على بن أبى الجود برددار السلطان — أقول : وأمّا
برداريّة (١٣٠ آ) السلطان فهى وظيفة حادثة لم تعهد فى الدول الماضية وإنّما
٦ حدثت فى دولة الأشرف قايتباى ، وأوّل من تولى بها محمد بن الحمامية ، فلمّا
مات تولاّها من بعده جماعة كثيرة ، واستمرّت إلى الآن حتى تولاّها على بن أبى
الجود ففتك بها فتكا ذريعا ، فلمّا كان زفّة ولده رجّت لها القاهرة وزيّنت الدكاكين
٩ ووقدوا له الشموع والقناديل من المدرسة الأشرفيّة إلى الصليبة ، ومشى بها أعيان
الناس من المباشرين والتجّار حتى تغرى بردى الأستادار وبعض أمراء عشرات
منهم تغرى برمش وجماعة من الطواشيّة وغير ذلك من الأعيان ، وكان لها يوم
١٢ مشهود مثل دوران المحمل حتى عدّ ذلك من النوادر ، ثم اشتهر أمر على بن
أبى الجود من بعد ذلك حتى كان ما سنذكره فى موضعه . — وفيه كانت
الأسواق معطّلة والبضائع مشحوتة بسبب الفلوس الجدد حتى يعمل لهم معدّل .

١٥ وفى ذى الحجّة فى يوم الخميس رابعه كانت وفاة ناصر الدين بن الصفدى
ناظر الخاصّ ووكيل بيت المال مات فجأةً ، قيل طلب منه السلطان مالا فلم يقدر
على ذلك فيقال أنه ابتلع فصا من الماس فمات من ليلته ، وكان لا بأس به ، وعُدّ
١٨ من أعيان مصر . — وفيه فرّق السلطان الأضحية على العادة ولكن قطع لجماعة
من الفقهاء والطواشية والنساء . — وفيه حضر الأمير طقطباى الوزير وكان
مسافراً نحو بلاد الصعيد ، فلمّا حضر أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره
٢١ فى موكب حافل . — وفيه رسم السلطان لعلى بن أبى الجود بأن يتكلّم
فى جهات الخاصّ إلى أن يتولّى من يختاره السلطان عوضًا عن الصفدى . —
وفيه ختم السلطان ضرب الكرة وعزم على الأمراء فى الدهيشة ومدّ لهم

أسمطة حافلة . — وفيه توفى القاضى شهاب الدين بن البرق ، وكان من أعيان نوّاب الحنفيّة وله شهرة بين الناس وكان لابأس به .

٣ وفى أواخر هذه السنة صار يحترق فى كلّ ليلة عدّة أماكن بالقاهرة بسبب المريس وحصل للناس الضرر الشامل ، وقد خرجت هذه السنة من الناس وهم فى أمر مريب بسبب ما وقع فيها من الفتن والمصادرات ، وكانت سنة كثرت ٦ [فيها] (١٣٠ ب) الحوادث والوقائع ، صعبة شديدة ، فانقضت على خير ، انتهى ذلك.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعمائة

فيها فى المحرّم كان خليفة الوقت يومئذ الإمام المستمسك بالله أبو الصبر ٩ يعقوب بن المتوكل على الله عبد العزيز ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى . — وأمّا القضاة الأربعة فالقاضى برهان الدين إبراهيم بن أبى شريف المقدسى الشافعى والقاضى سرى الدين عبد البر بن الشحنة الحلبى الحنفى ١٢ والقاضى البرهان إبراهيم الدميرى المالكى والقاضى شهاب الدين أحمد بن الشيشينى الحنبلى . — فلما دخلت هذه السنة وتمّ أمر السلطان فى السلطنة وثبتت قواعد دولته قرر الأمراء المقدمين أربعة وعشرين أميراً مقدم ألف منهم أرباب الوظائف وهم : ١٥ الأتابكى قيت الرجبى أمير كبير وقرقماس من ولى الدين أمير سلاح وأصطمر من ولى الدين أمير مجلس وقانى باى قرا من ولى الدين أمير آخور كبير وطراباى الشريفى رأس نوبة النوب وأزدمر من على باى دوادار كبير وخاير بك من ملباى ١٨ حاجب الحجّاب وهو أخو قانصوه البرجى نائب الشام ، فهؤلاء أرباب الوظائف ، وأما الأمراء المقدمين الذين بغير وظائف وهم : خشكلدى البيسقى الظاهرى خشقدم وقانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا والأمير سودون العجمى ٢١ وماماى المحمّدى المعروف بجوشن وأنصباى من مصطفى وتمر الحسنى وطقطباى العلاى نائب القلعة وطقطباى من ولى الدين وهو الوزير والأستادار ودولات باى قرموط وقانصوه من طراباى المعروف بكرت وأرزمك الشريفى الناشف

---

(٢١) المحمدى : مكررة فى الأصل .

وأزبك من طراباى المكحّل ونوروز من أزبك أخو يشبك الدوادار وأبو يزيد المحمّدى وعلى باى السيفى يشبك الذى كان نائب غزة وخاير بك السيفى أينال ٣ من أينال كاشف الغربية وجانبلاط المحمّدى أخو قانصوه البرجى ، انتهى العدد من ذلك ، ثم قرر من الأمراء الطبلخانات خمسة وسبعين أميراً منهم أرباب الوظائف عشرة وهم : عبد اللطيف الزمام والخازندار الكبير والمقر الناصرى محمد ٦ ابن السلطان شاد الشراب خاناه (١٣١ آ) وجانم قريب الأشرف قانصوه خمسمائة أمير دوادار ثانى ومغلباى الشريفى الزردكاش الكبير وتمراز جوشن رأس نوبة ثانى وجان بردى تاجر المماليك وطومان باى قرا حاجب ثانى وقلج من ولى الدين ٩ أمير آخور ثانى وتانى بك من يشبك محتسب القاهرة وخازندار ثانى وعلان والى القاهرة ويعرف بعلان من قراجا وقانصوه من دولات بردى أستادار الصحبة ، فهؤلاء أرباب الوظائف ، وأما الأمراء الذين بغير وظائف فهم : قرقماس ١٢ الشريفى ، وكان الأشرف جان بلاط أنعم على خشكلدى من ولى الدين بتقدمة ألف وعلى قرقماس الشريفى فلم يتم لهما ذلك من بعده وآل أمرهما إلى أمرة طبلخاناه ، وأزدمر من يشبك وخشكلدى من ولى الدين وقانصوه من بردبك ١٥ وجانى بك من أزدمر وبرسباى العلاى وطوخ المحمّدى الذى كان نائب القلعة وقانصوه الإبراهيمى وتانى بك المعروف بالأبح وتانى بك النجمى وقيت الأحول ويشبك من تبوك وبرقوق من خجا بردى وشاد بك الناصرى وجانباى المحمّدى ١٨ وجان بلاط من ولى الدين أيضاً وقرقماس من يشبك وتمر باى من سيباى وبكبلاط من أقباى وقانى باى من يشبك وجانم الإبراهيمى وأزبك الشريفى ومصر باى الشريفى وطومان باى من طوبزه ونوروز الشريفى وبلاط من حيدر ٢١ ومامش الرجبى وكرتباى من حيدر ومغلباى من بختجا وجانبلاط من قانصوه وأصطمر من يشبان وقانى باى من أزدمر وسودون من مصطفى وألماس من برد بك وقنبك من شاد بك وجانم من خضر وجان بردى من قانم وبرسباى ٢٤ الدمرداشى وتمر الإبراهيمى وجانى بك الشريفى وتنم من شادّ بك ومامای

من قيت وقانصوه من يشبك وقان بردى من قانصوه وأرزمك من بردبك
وتمر باى السيفى قجماس خازندار العادل طومان باى وجانم من قانصوه ومسايد
من حيدر ويرش من عبد الكريم ومسايد أيضا من قانصوه وجانى بلك قرا ٣
الشريفى وطراباى الشريفى وقايتباى من جانى بلك المعروف بالأشقر وشادى بلك
اليحياوى وقانصوه من يشبك وتانى بك السيفى أقبردى ودولات باى من
مصطفى وقانى من سودون الإبراهيمى وجانم (١٣١ ب) من قجماس وطراباى ٦
من جانم ومغلباى من جانم ومصر باى الأبو بكرى وجانى بلك من حيدر . انتهى
العدد من ذلك ، ثم قرر الأمراء العشرات مائة وخمسة وثمانين أميرا وهم : عنبر
مقدّم المماليك وخشكلدى الشريفى وتبك الناصرى وأسنباى من برسباى ٩
وقراكز الشريفى وجانى باى من يشبك وبكتمر من ولىّ الدين وسنقر العلاى
وقلج السيفى قانصوه خمسمائة وجانم السيفى قايتباى وأسنباى من قروس
وطقطمش السيفى أينال وسيباى الأبو بكرى وأينال من جانم وقانصوه ١٢
الإبراهيمى وسودون من حيدر ويوسف من مصطفى وعلان من ولىّ الدين
وأقبردى الحسنى وقنبك الشريفى وبهادر من قرقماس وأزدمر من عبد الرحيم
وبيبردى من جانبلاط وبردبك الشريفى وبيبردى من كسباى وأركماس السيفى ١٥
قانصوه وبكباى من قراجا وطوماى باى من مصطفى وأقبردى الشريفى وأينال
باى من مصطفى وخاير بلك من قجماس وجانى بلك من مهدى وأقباى السيفى
يشبك وطوبى الناصرى وبرسباى من بردبك وبكبلاط المحمّدى وأزدمر من ١٨
تمرباى ونانق من يخشباى ونوروز من يلباى وشاهين الجمالى يوسف ناظر
الخاصّ وجانم السيفى قايتباى ونوروز السيفى قانى باى وقنبك السيفى يونس
ودولات باى الإبراهيمى وجانى باى الحسنى وسنطباى المحمدى وتغرى بردى ٢١
الشرفى ودولات باى السيفى يشبك وجانى بلك من جانبلاط وأزدمر السيفى
أينال وقانم من نانق وقنبك من قانى باى أمير جندار وقصروه من قانصوه
وتغرى بردى الترجمان وقرقماس المحمّدى وجان بردى من ولىّ الدين وتغرى ٢٤

بردى الحسنى وأزدمر المهمندار وأزبك النصرانى أمير شكار وقانصوه من أبى
يزيد وقانصوه الناصرى وأبرك السيفى لاجين ويلباى من على باى وأبو يزيد
٣ من قانصوه ومغلباى من إياس ودولات باى المحمّدى وقانصوه من جانم ونانق
من أنت وتُبلك من أزرم وقطلو باى من عبد الرحيم وقانى باى من أزرم
وسودون من ولىّ الدين وسيباى من جانى باى وأينال من بيبردى (١٣٢ آ)
٦ وقرقماس الإبراهيمى ومغلباى من حيدر وعلى باى من شبتان وأسنباى اليوسفى
ودولات باى الإبراهيمى وأزبك من قانصوه وماماى من قبيد وجانم من
قجماس وقانصوه العلاى وقلج الشريفى وعلى باى من صـــدقة وبكبلاط من
٩ قانصوه وإياس المحمّدى وقانصوه من يشبك وبرسباى من جانى بك وقانصوه
من عبد الرحيم وطراباى السيفى أزبك ونوروز العلاى وملاج من برد بك
ويرشباى السيفى يشبك وجانى باى الحسنى وكزيم بردى من قروس وأزبك
١٢ من مصطفى وقانصوه من جان بلاط وقرقماس الشريفى وتمر من ولىّ الدين
ودولات باى من أزبك وأزبك الشريفى وجان بلاط من مغلباى وبكباى
السيفى أزبك وتغرى بردى المحمّدى وتبك المحمّدى وبرد بك السيفى قانى باى
١٥ وبيبرس من قرقماس وأركماس الإبراهيمى وأركماس السيفى أزبك ويوسف
البدرى كاشف البحيره وهو الوزير الآن وبيبرس من يشبك وخاير بك
العلاى وأقباى من يشبك وتبك من إياس وجانم من يشبك وقانصوه من جانم
١٨ ومصر باى من لاجين وخاير بك الشريفى وجانم المحمّدى وعلى باى السيفى
خشكلدى وجانى بك الناصرى كاشف منفلوط وجانبلاط الشريفى وقان بردى
الشريفى وأزبك الإبراهيمى وقانم من كرتباى وتغرى برمش السيفى كسباى
٢١ وأبرك الشريفى وجانم من مصطفى وأزبردى من قلج وأقطوه من قانصوه
ويوسف من مصطفى وقانصوه من عبد الرحيم وتمر باى من جكم وبيسق
اليوسفى وأقطوه من يشبك وبرسباى من قراجا وجان بردى من مصطفى وتنم

(١١) كزيم : كذا فى الأصل .

من قانى باى وأقبردى المحمّدى وقانى باى من حمزة وأقبردى المحمّدى أيضا
وبرمش من بيبردى وبرد بك من أيدكى وأسنباى من برد بك وقطلوباى
من تمر وقايتباى من طوبرزه وكرتباى السيفى يشبك وقان بردى من قجماس ٣
وأركماس السيفى قانصوه وتمر السيفى أرغون شاه وقراكز من يشبك وجانى بك
السيفى برسباى وقراكز السيفى جكم وبكبلاط الأبوبكرى (١٣٢ ب)
ونوروز من ألماس وبرد بك السيفى يشبك وأينال السيفى أزبك وقانصوه ٦
من درويش وتمراز من أينال باى وخشكلدى من أركماس وقيت من حيدر
وقانى باى الرمضانى وجانى بك من ولىّ الدين وألماس من قردمش وتمرباى
السيفى أزبك وجان بلاط من جانم ومغلباى من قيت وتمراز من أقباى وقرقماس ٩
السيفى برد بك ومامش المحمّدى وعلى باى السيفى أينال وبرد بك الإبراهيمى
وسودون من درويش ومغلباى اليوسفى وأيدكى الشريفى وشاد بك من قانصوه
وسيباى من جانى بك وجانى باى المحمّدى وقانصوه من قانى باى وقانصوه من ١٢
ولىّ الدين وقانصوه من ولىّ الدين أيضا وطراباى من قانصوه وبيبرس من
قانصوه وخدا بردى الشريفى وشاهين معلّم الدبوس ، انتهى العدد من ذلك .

واجتمع فى هذه السنة من الخاصكية ثمان مائة خاصكى على ما قيل ثم تزايد ١٥
عدد الخاصكية فيما بعد حتى صاروا ألف ومائتى خاصكى . — وأمّا النواب بالبلاد
الشامية فكان ممّن قرّر بها من أوائل هذه السنة وهم : قانصوه المحمّدى المعروف
بالبرجى نائب الشام . وسيباى المعروف بنائب سيس قرّر فى نيابة حلب ، وقرّر ١٨
جانم فى نيابة حماة . وقرّر دولات باى قرابة العادل فى نيابة طرابلس وكان
قبل ذلك نائب الشام ، وفرّ ثم عاد وقرّر فى نيابة طرابلس ، وقرّر سودون
الدواداری فى نيابة صفد ، وقرّر فى نيابة غزة قانصوه قرا ويعرف بقانصوه ٢١
الجمل وكان العادل قرّره فى نيابة حلب وما تمّ ذلك وهو الآن مقدّم ألف
بمصر ، وقرّر ملاج فى نيابة القدس ، وقرّر أيدكى فى نيابة قطية ، ونائب الإسكندرية
قانصوه خمسمائة السيفى يشبك الدوادار ، ونائب دمياط شخص من الأتراك يسمّى ٢٤
فارس المنصورى عثمان ، فهذا كان حكم النوّاب بالبلاد الشامية فى أوائل

هذه السنة ، ثم تغيرت الأحوال من بعد ذلك وانتقلت النيابات إلى آخرين
من الأمراء يأتى الكلام عليهم .

٣ وأمّا أرباب الوظائف من المتعمّمين وهم : القاضى بدر الدين محمود بن أجا الحلبى
الحنفى كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية ، والقاضى شهاب الدين أحمد بن الجمالى
يوسف ناظر الجيوش المنصورة ، والقاضى صلاح الدين بن الجيعان مستوفى ديوان
٦ الجيش وناظر الخزائن الشريفة ، والقاضى محيى الدين عبد القادر القصروى ناظر
الجيش كان وهو الآن ناظر الكسوة الشريفة وناظر الجوالى ، والشهابى أحمد بن
الجيعان نائب كاتب (١٣٣ آ) السرّ ، وشمس الدين محمد بن مزاحم ناظر الاسطبل
٩ الشريف ، ومجد الدين بن كراوية ناظر الدولة والصحبة الشريفة ، وكان على بن أبى
الجود متحدثا فى جهات الخاص يومئذ من حين توفى ناصر الدين الصفدى ، ثم
فى عقيب ذلك تولّى نظارة الخاص علاى الدين بن الإمام وهذه ثانى ولاية وقد
١٢ راج أمره فى هذه المرة إلى الغاية ، وكان يومئذ القاضى فخر الدين بن العفيف كاتب
المماليك السلطانية ، وموفّق الدين بن القمص الأسلمى ناظر الذخيرة والمتحدث
على أوقاف الزمامية ، وعبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخاناه ، والشرفى
١٥ يونس النابلسى ناظر الديوان المفرد ، ومحمد بن يوسف ناظر الأوقاف ، وصاحب
ديوان الأحباس شمس الدين بن العبسى ، وصاحب ديوان جيش الشام بدر الدين
ابن الإنبابى وشريكه يوسف بن السيرجى ، وأما الوظائف التى غير هؤلاء فكان
١٨ نقيب الجيش يومئذ الشرفى يونس بن الأقرع ، ومعلّم المعلمين يومئذ البدرى
حسن بن الطولونى انتهى ذلك ، فهذا كان ترتيب دولة الغورى فى أوائل سنة
ثمان وتسعمائة ، ثم انتقلت من بعد ذلك الأمريات والوظائف إلى جماعة كثيرة
٢١ من الأمراء والمباشرين يأتى الكلام عليها فى موضعه من ولاية وعزل .

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن مضى الخامس عشر من المحرم ولم يعلم
للحجّاج خبر ولا حضر المبشر ، فكثر القيل والقال بسبب ذلك ، فلما كان يوم
٢٤ الأحد تاسع عشره حضر هجّان وأخبر أن أحوال الحاج مضطربة إلى الغاية ، وأن

---

(٣) القاضى : مكررة فى الأصل .

الجازانى ابن أمير مكة قد أظهر العصيان وخرج عن الطاعة ، والتفّ عليه يحي
ابن سبع أمير الينبع ومالك بن روى أمير خليص وطائفة من عرب الحجاز
يقال لهم بنى إبراهيم ، قد خرجوا على ركب الحاجّ الشامى فى رابغ قبل أن ٣
يدخلوا إلى مكة فنهبوا الركب عن آخره وقتلوا الرجال وأسروا النساء وفعلوا
بهم ما لا فعله تمرلنك لما دخل إلى الشام ، فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة
اضطربت أحوال الناس لهذه الأخبـــار ثم انقطعت أخبار الحاج مدة طويلة لم ٦
يأت من عندهم خبر . — (١٣٣ ب) وفى يوم الخميس ثالث عشرينه الموافق لرابع
مسرى زاد الله فى النيل المبارك أربعين أصبعا فى يوم واحد ، ثم فى يوم الجمعة
خامس مسرى زاد الله فى النيل المبارك عشرين أصبعاً ، ثم أوفى فى يوم الأحد ٩
ثامن مسرى وزاد عن الوفاء أحد عشر أصبعا ، فكان فتح السد فى يوم الاثنين
تاسع مسرى الموافق لسابع عشرين المحرم وهو سابق النيل الماضى بيوم واحد
والفضل بينهما سبعة عشر أصبعا عن النيل الماضى ، فكان كما قيل : ١٢

النيـــل قال وقوله إذ قال ملء مسامعى
فى غيض من طلب الغلا عمّ البـــلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا قلّعتهـــا بأصابعى ١٥

فلمّا أوفى توجّه الأتابكى قيت الرجبى وفتح السد على العـــادة ، وكان
يوما مشهودا .

وفى صفر فى مستهلّه نزل الحاج إلى البركة على حين غفلة ، ثم فى يوم ١٨
السبت ثانيه دخل المحمل إلى القاهرة وكان أمير ركب المحمل أصطمر من
ولى الدين أمير مجلس ، وبالركب الأول الناصرى محمد بن خاص بك ، ودخل الحاج
وهو فى غاية النكد بسبب ما جرى على الناس فى طريق الحجاز ، وكان من ٢١
ملخّص واقعة الحجّاج وهو ما استفاض بين الناس أن أصطمر أمير الحاج لمّا
وصل إلى بطن مرو قبل أن يدخل إلى مكة لاقاه الجازانى من هناك ، فأحضر

(١٣) ملء : ملء . (٢٣) يدخل : دخل .

إليه أصطمر خلعة وقال له إن كنت تستقرّ أمير مكة إحمل للسلطان خمسين
ألف دينار ، فقال الجازانى نعم أنا أحمل للسلطان هذا القدر ، فألبسه الخلعة حتى
٣ طمّنه ، وقد أظهر العصيان من قبل ذلك وجرى منه أمور شتى ، ثمّ إن أصطمر
أرسل فى الدس مكاتبة للشريف بركات أخو الجازانى بأن يجمع العربان ويلاقيه
حتى يقبض على الجازانى ، فلما أحسّ الجازانى بذلك تسحّب تحت الليل من
٦ بطن مرو ، وكان أصطمر أرشل قليل الدُربة ، فلما تسحّب الجازانى لاقى الركب
الشامى فى رابغ وجرى منهم ما تقدّم ذكره من قتل ونهب وأسر النساء ، فلما
دخل الحاجّ إلى مكّة وبلغه ذلك اضطربت الأحوال إلى الغاية ووقف الحاجّ
٩ بالجبل وهم على وجل من الجازانى وعرب بنى إبراهيم ، فلما انتهى الوقوف
بالجبل وخرج الحاجّ من مكة قال أصطمر للشريف (١٣٤ آ) بركات أخرج
معنا ولاقى الجازانى ، فلما خرج الشريف بركات صحبة الحاجّ ووصل إلى مكان
١٢ يسمّى الدهنة فلاقاه أخوه الجازانى فى جمع كثير من عرب بنى إبراهيم ، فأرسل
الجازانى يقول لأصطمر لا تدخل بينى وبين أخى بركات ودعنا نقتتل فى بعضنا
وخذ أنت الحاجّ وامضى ، فلم يسمع أصطمر منه ذلك ، ثم حضر يحيى بن سبع
١٥ أمير الينبع وصار عونة مع الجازانى ، فاتفقوا مع الشريف بركات ، ودخل أصطمر
بينهم ونادى فى الركب بأن من كان معه سلاح يحضر عونة على قتال الجازانى ،
فاجتمع الجمّ الغفير من الجمّالة والعكام والضوية فكان بينهم ساعة تشيب منها
١٨ النواصى وآل الأمر إلى كسرة أصطمر أمير ركب المحمل ، وقتل ممن كان معه
من المماليك السلطانية نحوا من مائة مملوك غير الغلمان والطفش ، وتمّت
الكسرة على من كان بركب المحمل فى ذلك اليوم ونهب كلّما فيه حتى عروا
٢١ النساء من أثوابهنّ وأخذوا عصايبهن من على رؤوسهن وقاسين من الشدة ما لا خير
منه ، وتخلّف غالب الحاج بالينبع وصاروا ينزلون فى مراكب من البحر
الملح ويدخلون إلى القاهرة بعد مدة طويلة وهم فى أنحس حال ، وقاسوا فى هذه
٢٤ السنة غاية المشقّة وجرى عليهم كل سوء . — وقيل أن الجازانى لم يفحش

فى حق من بالركب الأول كما فعل بمن فى ركب المحمل وقد راعى الناصرى محمد
ابن خاص بك دون أصطمر وكان متأثرا من أصطمر ؛ فلما جرى ذلك رجع
الشريف بركات إلى مكة وهو مهزوم من أخيه الجازانى ، فلما رجع من ٣
بقى من الحجّاج إلى الأزنم وجدوا الآبار قد رُدمت بالحجارة فمات من الحجّاج
جماعة كثيرة بالعطش ، فلما وصلوا الحجّاج إلى العقبة لاقاهم جماعة من عربان
بنى لام فعوّقوهم عن طلوع العقبة وأفردوا عليهم ثلاثة آلاف دينار فجبى أمير ٦
الحاج ذلك من الحجاج ودفعها للعرب حتى مكنوهم من طلوع العقبة ، ودخلوا
إلى بركة الحاج وهم فى أسوأ حال ، فلما طلع الأمير أصطمر والناصرى محمد بن
خاصّ بك إلى القلعة ووقفوا بين يدى السلطان وبخهما بالكلام بسبب ما جرى ٩
على الحجاج من الجازانى وابن سبع ، ثم رسم بإدخال أصطمر (١٣٤ ب) إلى
قاعة البحرة ورسم أيضا على الناصرى محمد بن خاص بك ووكّل به ، ثم أرسل
بالقبض على قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة ووكّل به وقد وشى به ١٢
عند السلطان بأنّه كاتب يحيى بن سبع وأيقظه بأن السلطان يقصد القبض عليه
فأوسع خياله حتى عصاه على ما قيل ، وكذلك قبض السلطان على أزدمر المهمندار
قيل أن يحيى بن سبع كاتبه ولم يعلم السلطان بذلك ؛ فصار لكل واحد منهم ذنب ١٥
واستمر الحال على ذلك .

وفى الثلاثاء خامس صفر توفى جانبلاط المحمّدى أحد مقدمى الألوف وهو
أخو قانصوه البرجى نائب الشام ، فلما مات دفن فى تربة أخيه خاير بك التى ١٨
أنشأها بباب الوزير ، وكانت مدّته فى التقدمة يسيرة ومات عقيب ذلك . —
وفى تاسع صفر رسم السلطان بإخراج أصطمر منفيًا إلى ثغر دمياط ، فنزل من
القلعة بعد العشاء وتوجهوا به إلى البحر وسار فى مركب إلى دمياط وهو ٢١
مقيّد بقيد ثقيل ، وأما قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة فرسم السلطان بنفيه
إلى قوص ، وكان ببيت نقيب الجيش هو وأزدمر المهمندار فشفع فيهما الأتابكى

---

(٤) رُدمت : رُدموا .

قيت الرجبي ، ثم بعد أيام أخلع السلطان على القاضى عبد البر وأعاده إلى القضاء
على عادته . وشفع فى أزدمر المهمندار أيضا — وأما الناصرى محمد بن خاص بك
٣ فإنه أقام فى التوكيل مدة أيام وقرر عليه السلطان عشرين ألف دينار ، واستمر
على ذلك حتى ضمنه الأمير قرقماس أمير سلاح وتسلمه من السلطان وشفع فيه
حتى حط عنه خمسة آلاف دينار ، واستمر عند قرقماس فى الترسيم نحوا من ثلاثة
٦ أشهر حتى غلق ما قرر عليه من المال وأتى إلى بيته وحصل له غاية الضرر .

وفى أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من حلب أن خارجيا تحرك على البلاد
يقال له شاه إسمعيل الصوفى ، فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة اضطربت
٩ الأحوال وجمع السلطان الأمراء وضربوا مشورة فى أمر الصوفى وعين السلطان
تجريدة ، ثم إنه قبض على جماعة من المباشرين ووزع عليهم مالا له صورة بسبب
أمر التجريدة ، فقبض على الشهابى أحمد ناظر الجيش وسلمه إلى الأمير طراباى
١٢ رأس نوبة النوب فعرضه للضرب غير ما مرة حتى أورد ما قرر عليه من المال ،
وقبض على صلاح الدين بن الجيعان ووكل به بالقلعة ، (١٣٥ آ) وقبض على
فخر الدين بن العفيف كاتب المماليك ، وقبض على موفق الدين بن القمص
١٥ القبطى ووكل به بالقلعة . وقبض على عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزردخاناه
وقرر عليه مالا له صورة فلم يثر به فضربه بالحوش ضربا مبرحا ، وضرب
أيضا موفق الدين بن القمص وفخر الدين كاتب المماليك ، وقبض أيضا على
١٨ شمس الدين بن مزاحم ناظر الاسطبل فأقاموا هؤلاء فى الترسيم والضرب حتى
غلقوا ما قرر عليهم من المال . — ثم فى أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من حلب
بأن عسكر الصوفى رجع إلى بلاده وخمدت فتنته وبطل أمر التجريدة ولكن
٢١ استمرت المصادرات عمالة فى المباشرين وغير ذلك .

ومن الحوادث أن فى ليلة السبت ثالث عشرين هذا الشهر هجم المنسر على
سكان المسطاحى التى بجوار قنطرة الحاجب ، فقتلوا من الخفراء واحدا ونهبوا

---

(١٦) فلم يثر به : يعنى لم يقم به .

عدّة بيوت ، ثمّ دخلوا إلى الجسر الذى بجوار بركة الرطلى وكان النيل فى قوة
الزيادة والجسر عامرا بالسكّان فخطفوا عدّة عمائم وشدود ، وكانوا نحوا من ستّين
رجلا ومعهم قسىّ ونشّاب فعطعطوا تلك الليلة فى الجسر والمسطاحى وقام ٣
العياط من الطيقان وكانت ليلة مهولة . فلما بلغ علان والى القاهرة ما جرى
بالجسر تلك الليلة أخذ جماعة من المماليك وساق خلف المنسر بطول الليل
فظفر منهم بثمانية أنفس فقبض عليهم من ناى وطنان وهرب الباقون ، فلما طلع ٦
النهار وصل بهم إلى باب القلعة ثم عرضهم على السلطان فرسم بشنقهم على
قنطرة الحاجب فسمّروهم على جمال وطافوا بهم القاهرة وكان لهم يوم مشهود ،
فأتوا بهم إلى قنطرة الحاجب فشنق منهم جماعة ووسّط منهم جماعة وانطلقت لهم ٩
الزغاريت من النساء ، ولبس علان الوالى خلعة حافلة فى ذلك اليوم الكونه
بيّض وجهه وقبض على المنسر فى ليلته ، وعدّ ذلك من النوادر ، كما يقال :

كأنّ فجاج الأرض يُمناك إن يَسِرْ بها خائفٌ تُجْمَع عليه الأناملُ ١٢
فأين يفرّ المرءُ منك بجُرمه إذا كان تُطوَى فى يديك المراحلُ

وفى يوم الاثنين خامس عشرين هذا الشهر كانت وفاة القاضى (١٣٥ ب)
بدر الدين محمد النويرى الحنفى أحد نوّاب الحكم ، وكان عالما فاضلا رئيسا ١٥
حشما لا بأس به .

وفى ربيع الأوّل فى مستهلّه أفرج السلطان عن صلاح الدين بن الجيعان
ونزل إلى داره ، وكان فى الترسيم بسبب ما قرّر عليه من المال وقد أشرف على ١٨
تغليق ذلك — وفى يوم الخميس خامسه أخلع السلطان على الأمير سودون
العجمى وقرّره فى أمرة مجلس عوضا عن أصطمر من ولىّ الدين بحكم توجّهه
إلى دمياط . — وفيها بعد توفى الجمالى يوسف بن الزرازيرى كاشف الوجه ٢١

---

(٤) العياط : العايط . (٦) وهرب : وهرت .

القبلى ، وتولى الوزارة أيضاً ؛ بالمقشرة مغضوبا عليه وقاسى شدائد ومحنا ، وكان
لابأس به . — وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالحوش واجتمع به القضاة
٣ الأربعة ، ومن الأمراء المقدّمين أربعة وعشرون ، حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة . —
ومن الحوادث أن فى ليلة تفرقة الجامكية طلع حمل المال من حارة زويلة وقت
صلاة الفجر ، فلما وصلوا به إلى رأس البندقانيين فى أثناء الزقاق المظلم خرج
٦ عليهم جماعة من الأتراك فى زى العرب فحاشوا البغل الذى عليه المال برسم
الجامكية واقتلعوه من الموكّل به وربما أشيع قتله فأخذوا البغل بما عليه
من المال ومضوا ، ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وكان قدر المبلغ اثنى عشر ألف
٩ دينار مما جمعه على بن أبى الجود من وجوه المصادرات بالضرب والحبس لأعيان
التجّار ومشاهير الناس وغير ذلك فذهب ذلك المال ولم ينتفعوا به ، فكان كما يقال :

لستُ أعطى فى حرام أبدا إلا حراما

١٢ وفى أواخر هذا الشهر أكمل السلطان نفقة البيعة على الجند وقد طاولهم
نحوا من سنة ونصف وهو يحتج بجمع المال حتى راج أمره فى السلطنة وتمّت
قواعد دولته ، وكان هذا بتدبير الأتابكى قيت الرجبى حتى خمدت تلك الفتن
١٥ القائمة . — ومن الحوادث أن فى يوم السبت سلخ هذا الشهر طلع الأمير أزدمر
الدوادار إلى القلعة وقت صلاة الصبح ، فلما وصل إلى باب القلة التى بالقلعة
فلم يشعر إلا وقد جاء سهم نشّاب من بعض طباق المماليك (١٣٦ آ) فجاء
١٨ السهم من تحت إبطه فأخرق الملوطة التى عليه ، فلما جرى ذلك أخذ السهم
النشّاب ودخل به إلى السلطان قال له إن كنت تقصد قتلى فلا تخلى المماليك
الجلبان يقتلونى ، فحلف السلطان على المصحف الشريف أن لم يكن له علم
٢١ بذلك ولا جرّه ، ثم بعث خلف أغوات الطباق وضرب منهم جماعة وقرّرهم عن
من فعل ذلك فأسفرت القضية على أن شخصا من المماليك قيل هو أخو الأتابكى

---

(٥) المظلم : الظلم . (٧) وربما : ورب ما . (١٢) على الجند : مكررة فى الأصل .

قيت الرجبي الذى فعل ذلك ، فأمر السلطان بنفيه إلى الشام فخرج من يومه ، وكان هذا المملوك من شرار المماليك وقيل له عدة قتلاء .

وفى ربيع الآخر فى يوم مستهلّه طلع ابن أبى الردّاد وثبت النيل المبارك على ٣ خمسة أصابع من عشرين ذراعا ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك . — وفيه كسفت الشمس عند طلوعها وقت الإشراق وأقامت على ذلك ساعة حتى انجلت . — وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بوفاة نائبها قانصوه خمسمائة ، وكان أصله ٦ من مماليك يشبك الدوادار ، وكان لابأس به .

وفى ليلة الأحد رابع عشره خسف جرم القمر أيضاً ، فكان بين كسوف الشمس وخسوف القمر أياما قلائل ، حتى عدّ ذلك من النوادر . — وفيه رسم ٩ السلطان بشنق شخص من أهل حلب انكسر عليه مال فشنقه على باب زويلة وهذا أول ما نفذه من أمر القتل فى أيام دولته . — وفيه أفرج السلطان عن فخر الدين كاتب المماليك ، وكان له مدّة فى الترسيم حتى غلّق ما قرر عليه ١٢ من المال ، واستمر على وظيفته . — وفيه أخلع السلطان على تانى بك النجمى أحد الأمراء الطبلخانات وقرّره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن قانصوه خمسمائة بحكم وفاته . — وفيه رسم السلطان بشنق التاجر ابن الملقى وشخص آخر من ١٥ الأتراك قيل أنه كان خازندارا لجانى بك الشامى ، وكان جانى بك الشامى مختفيا فلم يقرّ بمكانه فسمره السلطان على جمل هو وابن الملقى ونزلوا بهما من القلعة ، فأرسل الأتابكى قيت شفع فيهما فتوجهوا بهما إلى المقشرة فسجنوا بها . — ١٨ وفيه قبض السلطان على محمد بن يوسف ناظر الأوقاف وسجنه بالعرقانة بسبب مال قد انكسر عليه ولم يقم به . — وفيه غمز على جانى بك الشامى وخاير بك اللامى فى مكان عند المدرسة القجماسية ، فتوجه إليهما علان والى القاهرة وهجم ٢١ ذلك (١٣٦ ب) المكان وكانا فى ربع هناك ، فقبض على جانى بك الشامى وخاير بك اللامى وعلى صاحب البيت الذى كانا فيه ، وكان صاحب البيت يبيع

(٢) قتلاء : يعنى قتلى . (١٤) الطبلخانات : العشرات (انظر ص ٣١ س ١٦) .

البطيخ ، فلما قبضوا عليهما وطلعوا بهما إلى القلعة رسم السلطان بتوسيطهما عند
سلم المدرج فوسّطوا خاير بك اللاّمى وجانى بك الشامى هناك ، ثم رسم السلطان
٣ بشنق صاحب البيت الذى وُجدوا فيه فشُنق على دكّانه وراح ظلما ، فكان كما يقال :

من لا تجانسه إحذر تجالسه فالشمع آفته من صُحبة الفتَل

وكان أصل جانى [بك] الشامى وخاير بك اللامى من مماليك الأمير أقبردى
٦ الدوادار ، وكانا يعرفان بالشجاعة والإقدام فى الحرب لا يفزعان من الموت ، فلما
تسلطن الغورى قبض عليهما وقيّدهما وسجنهما فى البرج التى بالقلعة ، فلما
كان ليلة وفاء النيل فى عام سنة سبع وتسعمائة تسحّبا من البرج وكسرا
٩ قيودهما وقتلا السجّان ونزلا من القلعة وقت الظهر والناس مقيّلة ، واستمرّوا
فى اختفاء وهما بالقاهرة ، فكان السلطان والأمراء على رؤسهم الطيرة منهما
ولا سيما الأمير طراباى ، وصار الوالى يكبس البيوت والحارات لأجلهما واستمرّوا
١٢ على ذلك مدّة طويلة حتى ظفروا بهما ، وجرى منهما أمور غريبة فى مدّة
اختفائهما حتى قيل أنهما اللذان قطعا الطريق على حمل الجامكية وهو
خارج من حارة زويلة وقد تقدم ذكر ذلك ، وكانت الأمراء فى وجل منهما . —
١٥ ومن الحوادث أن الأمير طقطباى الأستادار حسّن للسلطان أن يبطل المعتدّات
التى كانت فى الديوان المفرد ، فأضرّ ذلك بحال المقطعين . — وفيه أفرج السلطان
عن الشهابى أحمد ناظر الجيش وألبسه خلعة ونزل إلى داره ، وكان له نحو من
١٨ ثلاثة أشهر وهو فى التوكل به فى بيت الأمير طراباى بسبب المصادرة كما تقدّم ،
فباع أملاكه وغيطه الذى أنشأه بفم الخور ، وباع أشياء كثيرة من وقف والده
حتى سدّ ذلك القدر الذى قرّر عليه . — وفيه أفرج أيضا عن الناصرى محمد بن
٢١ خاصّ بك وكان له نحو من ثلاثة أشهر وهو فى الترسيم ببيت الأمير قرقماس
أمير سلاح حتى أورد ما قرّر عليه من المال وهو خمسة عشر ألف (۱۳۷ آ)
دينار ، وكان فى هذا الأمر مظلوماً .

---

(٢) خاير : خير . (١٠) وهما : وهم . (١٣) اللذان : اللذانى ‖ قطعا : قطع .

وفى جمادى الأولى فى يوم مستهلّه أخلع السلطان على علىّ بن أبى الجود وقرّره فى نظر الأوقاف عوضا عن محمد بن يوسف ، فتزايدت عظمة على بن أبى الجود ولبس الطوق وركب الخيول بالأخفاف والمهاميز وصار يعدّ ٣ من جملة رؤساء مصر ، فاجتمع فيه وكالة بيت المال ونظر الأوقاف وبردداریة السلطان وتكلّم فى ديوان الوزارة والأستاداريّة وديوان الخاصّ وغير ذلك من الوظائف ، فاجتمعت فيه الكلمة وتصرّف فى أمر المملكة بما يختار ٦ وقمع سائر المباشرين وصاروا فى خدمته الناس قاطبةً ولا يحتمى عليه أحد من التجّار ولا المباشرين ، فأظهر الظلم الفاحش بالديار المصريّة حتى فاق على هناد الذى أحدث المظالم ، فكان الناس على رؤسهم طيرة منه ودخل ٩ فى قلوبهم الرعب الشديد بسببه ، فكان العبد يرافع سيّده ويشكوه من باب على بن أبى الجود فينتصف العبد على سيّده ، وكذلك الامرأة إذا تخاصمت مع زوجها تشكوه من باب على بن أبى الجود ، وكان من له عدوّ يشكوه من بابه ١٢ ويكذب عليه ويقول هذا لقى مال فيسلب نعمة ذلك الرجل ويأخذ منه ما لا يقدر عليه ، فأطلق فى الناس النار وصار على بابه نحوا من مائة رسول ، فكانت أرباب الصنائع تترك أشغالها ويعملون رسلا على باب ابن أبى الجود ١٥ وصار غالب الناس لا يشكون خصمائهم إلا من باب على بن أبى الجود حتى صار بابه أعظم من أبواب أرباب الوظائف من الأمراء المقدمين ، وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حق على بن أبى الجود كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . — ١٨ وفى هذه الأيام تزايد ظلم على بن أبى الجود حتى شاع ذكره فى بلاد ابن عثمان ملك الروم وفى بلاد الشرق من ديار بكر وغير ذلك من البلاد بسبب مصادرات تجّار الأروام وجوره عليهم ، وكان السلطان قرّر على علىّ بن أبى الجود فى كل ٢١ شهر اثنى عشر ألف دينار يردها على الجوامك ليس تحتها جهة من الجهات وإنما

(١٦) خصمائهم : يعنى خصومهم .

هى من أبواب المظالم ، فطاش ابن أبى الجود فى تلك الأيام إلى الغاية وعادى
(١٣٧ ب) أرباب الدولة قاطبة من أمير ومباشر وغير ذلك حتى ملوك الشرق
٣ لأجل تجّار الأروام مما يشكون منه من كثرة المصادرات لهم ، وكان هذا كلّه
دمارا فى حقّه ، كما قد قيل :

أقول له إذ طيّشته رياسةٌ رُوَيْدك لا تعجل فقد غلط الدهرُ
٦ ترفَّق يراجعْ فيك دهرُك رأيه فما سُدت إلا والزمان به سكْرُ

وقد قلت فيه أيضا :

بالذى أركبك البغــلة بعد المشى حافى
٩ وكسى جسمك بعد الــعُرْىِ خزًّا وتَصافى
لايكن خـُلقك يوماً يا علاى الدين جافى

وكان أصله سوقى من الصليبة ، قيل فى الأمثال :

١٢ ما طاب فرعٌ أصله خبيث ولا زكى من مجده حديث

وكان أبوه أصله نجّار يقال له المعلم حسن ثم تعلق على صنعة الحلوى وسمى
نفسه أبو الجود وأقام مدة طويلة يبيع الحلوى على باب حمام شيخو ، واستمر
١٥ على ذلك حتى مات ، فاستقر ابنه على فى دكانه وكان يقلى المشبَّك بيده فى رمضان
واستمر على ذلك مدة طويلة ، ثم إنه تكلم فى بعض جهات الوزر وأبطل بيع
الحلوى ، ثم بقى برددارا عند تغرى بردى الأستادار ثم سعى فى برددارية الأمير
١٨ طومان باى لما كان دوادارا كبيرا ، فلما تسلطن وقرر فى الدوادارية الكبرى
الأمير قانصوه الغورى سعى عنده فى البرددارية ، فلما تسلطن الغورى حظى
عنده وطاش وجرى منه ما تقدّم ذكره وجار على الناس بالظلم ، حتى أخرب
٢١ ثغر الإسكندرية ودمياط وبندر جدّة وغير ذلك من الثغور بسبب مصادرات
التجّار ، فتلاشى أمر الثغور والبنادر من يومئذ وتضاعفت أمر المكوس جدّا

(٣) يشكون : يشكوا . (١٤) شيخو : شيخوا .

حتى جاوزت الحد فى ذلك ، فهابت الناس على بن أبى الجود قاطبة وصارت له حرمة وافرة تمصر . فكان كما يقال فى المعنى :

إذا ما اللئيم رقا رتبةً تملقْ له وانتظرْ وَضْعَها ٣
وقبِّلْ يداه إذا مدها إذا كنت لم تستطع قطْعَها

وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ابن عثمان ملك الروم وصحبته تقدمة حافلة إلى السلطان ، فأوكب السلطان فى ذلك اليوم (١٣٨ آ) موكبا عظيما ٦ بالحوش ، وكان يوما مشهودا .

وفى جمادى الآخرة عزم السلطان على قاصد ابن عثمان فى الميدان الذى تحت القلعة ، وأحضر فى ذلك اليوم عدة مماليك يرمون بالنشّاب على الخيل ٩ ونصب لهم هناك القبق يرمون عليه وأحرق النفط بالنهار قدام القاصد ، وكان يوما مشهودا . — وفيه رسم السلطان بشنق شخص من مشايخ عربان بنى وائل يقال له شرف الدين بن موسى فشنقه على باب زويلة . — وفى سابع عشرينه ١٢ كانت وفاة الشيخ العارف بالله برهان الدين إبراهيم المواهبى الشاذلى تلميذ الشيخ العارف بالله أبى الصفا محمد بن أحمد بن محمد التونسى الشاذلى الوفائى المعروف بأبى المواهب ، قدس الله روحه ، وكان الشيخ إبراهيم عالما فاضلا وارعا ١٥ زاهدا من أعيان مشايخ الصوفية ، وكان لا بأس به .

وفى رجب فى خامسه توفى الأمير طقطباى من ولىّ الدين أحد المقدمين الألوف وزير الديار المصرية وأستادار العالية ، وكان ظالما غاشما كثير الأذى جاهلا ١٨ لا يعرف الحلال من الحرام ، وهو الذى كان سببا لقطع المعتدات التى كانت تخرج من الديوان المفرد وكانت الملوك تسامح بذلك فى الدولة الماضية فقطع ذلك فى هذه الدولة وحصل للمقطعين بسبب ذلك الضرر الشامل . — وفيه ٢١ فى يوم السبت خامس عشره توفى الأمير خشكلدى البيسقى الظاهرى خشقدم ، وكان أميرا جليلا دينا خيرا من ذوى العقول ، تولى من الوظائف رأس نوبة النوب ثم بقى أمير مجلس ثم صرف عن أمرة مجلس وبقى مقدم ألف ومات ٢٤

(١٣) إبراهيم : إبراهيمى .

عقيب ذلك ، وقاسى فى أثناء عمره شدائد ومحنا ونُفى إلى الشام وأقام بها مدّة
طويلة ثم عاد إلى مصر وبقى أمير مجلس ومات فى عشر السبعين من العمر ،
٣ وكان لا بأس به . — وفى يوم الثلاثاء حادى عشره توجّه الأمير أزدمر الدوادار
إلى نحو قناطر العشرة ، وكان فى زمن الربيع ، فعزم على قاصد ابن عثمان هناك
ومدّ له أسمطة حافلة وأظهر العظمة من الفتك هناك إلى الغاية ، وأقام من يوم
٦ الثلاثاء إلى يوم السبت وهو فى أرغد (١٣٨ ب) عيش ثم عاد إلى داره . —
وفيه عزم السلطان على قاصد ابن عثمان فى الميدان وأضافه وألبسه خلعة السفر . —
وفيه فى يوم الأحد ثالث عشرينه توفى الأمير شاد بك الفهلوان أحد الأمراء
٩ العشرات مات فجأة ، وكان لا بأس به .

وفى شعبان أخلع السلطان على الأمير أزدمر الدوادار وقرّره كاشف
الكشّاف مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى . — وفى يوم الجمعة ثالث
١٢ عشره توفى والدى المرحوم الشهابى أحمد بن المرحوم إياس الفخرى من جنيد ،
وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وقرّر دوادار ثانى فى دولة الناصر
فرج بن برقوق ، وأمّا والدى فإنه عاش من العمر نحوا من أربع وثمانين
١٥ سنة ، وجاءت من الأولاد خمسة وعشرون ولدا ما بين ذكور وإناث غير
المسقوط وعاش له من ذلك ثلاثة أولاد صبيان وبنتا ، وكان كثير العشرة
للأمراء وأرباب الدولة رحمة الله عليه ، وكان من مشاهير أبناء الناس . —
١٨ وفيه أخلع السلطان على الأمير تغرى برمش وقرّره فى الوزارة عوضا عن
طقطباى بحكم وفاته ، وقرّر الأمير تغرى بردى فى الأستادارية عوضا عن
طقطباى أيضاً ، وكان على بن أبى الجود هو المشار إليه فى الديوانين وتزايدت
٢١ عظمته جدّا . —

وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الجازانى ابن أمير مكة تحارب مع أخيه
الشريف بركات فكسره ، ثم إن الجازانى جمع عربان بنى إبراهيم وهجم على
٢٤ مكة ولعب فى أهلها بالسيف ونهب أموال التجّار والسرحات التى بمكة :

---

(١) شدائد ومحنا : شديدا ومحن .

فكان الشخص الواحد من بنى إبراهيم إذا غرس رمحه على باب بيت من بيوت
مكة أو سرحة فيملك جميع ما فيها من قماش أو بضائع أو بهار ويخرج صاحب
البيت بمفرده لا مال ولا قماش وربما يقتلونه . ثمّ إن الجازانى هجم على تانى بك ٣
الجمالى الذى كان أتابك العسكر بمصر ونفى إلى مكة فلما هجم عليه طلب
منه مالا فاعتذر عن ذلك فربط محاشمه بوتر واستمرّ يعاقبه إلى أن مات وأخذ
ماله ، وهجم على الناصرى محمد بن جانم نائب الشام فأخذ ما فى داره من أثاث ٦
(١٣٩ آ) وقماش وغير ذلك فمات الناصرى محمد بن جانم من الرجفة عقيب
ذلك هو وأمّه خوند الجركسية زوجة الظاهر جقمق ، وهجم على الشهابى أحمد
ابن العينى وكان مجاورا بمكة فنهب جميع ما فى داره وهرب ابن العينى هو وعياله ٩
إلى نحو المدينة الشريفة ، وهجم على دولات باى السيفى قنبك باش المجاورين ونهب
جميع ما فى داره ، وقتل جماعة كثيرة من المجاورين ومن أهل مكة نحوا من
سبعمائة إنسان حتى هرب غالب أهل مكة وحضر إلى القاهرة من البحر الملح ١٢
والذى تخلّف بمكة اشتروا أنفسهم منه بمال جزيل ، وكانت واقعة الجازانى
من أبشع الوقائع وأنحسها ، وقد قلت فى المعنى :

تقول مكة واحرباه مما جرى من جازانى ١٥
سيأخذوا ربى وأقول هذا جزاء من جازانى

وقد كادت مكة أن تخرب فى هذه الواقعة عن آخرها ، وتقرب واقعة
الجازانى من واقعة أبى ظاهر القرمطى وما فعله بمكة من النهب وقتل الناس ، ١٨
وكان ذلك فى زمن الخليفة المقتدر بالله خليفة ببغداد سنة ثمان عشرة وثلثمائة ،
وقد انقطع الحج من بغداد وغيرها من البلاد نحوا من تسع عشرة سنة لم يحجّ
فيها أحد إلى مكة وانقطع بسبب ذلك هذه المدة ، وكانت هذه الواقعة من أعظم ٢١
المصائب الكبار وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا فى الجزء الثانى من تاريخ الخلفاء انتهى
ذلك . — فلما بلغ [السلطان] هذه الأخبار اضطربت أحواله إلى الغاية وعين الأتابكى

---

(٢) بضائع : بضاع . (١٥) مكة : مكا .

قيت الرجبى أمير ركب المحمل ، وعيّن أنص باى أحد المقدّمين بالركب الأوّل ،
وعين صحبتهم نحوا من ستمائة مملوك من المماليك السلطانيّة ، ثم بعد أيام نفق
٣ على المماليك المعيّنة إلى مكة لكلّ مملوك مائة دينار وأخــذوا فى أسباب عمل
يرقهم إلى السفر ، ثم [إن] السلطان رسم لأقباى كاشف الشرقية بأن يرمى على بلاد
المقطعين جمالا بسبب التجريدة المعيّنة إلى مكة ، فشرع يرمى على كلّ بلد جملين
٦ أو ثمن ذلك خمسين دينارا فأضرّ ذلك بحال المقطعين ، وقطع هــذا القدر من
خراجهم وخربت عدّة بلاد بسبب ذلك .

وفى رمضان عرض السلطان (١٣٩ ب) المحابيس من الرجال والنساء وأطلق
٩ منهم جماعة وأبقى أصحاب الجرائم على حالهم . — وفى يوم السبت سابع عشرين
رمضان عرض السلطان كسوة الكعبة الشريفة والمحمل وخلع العيد ، وكان
يوما مشهودا . — وفى سلخ هذا الشهر تغيّر خاطر السلطان على العلاى علىّ بن
١٢ أبى الجود ووكّل به بطبقة الخازندار ، ثم قبض على حاشيته وغلمانه وختم على
حواصله وبيوته ورسم على نسائه وأحاط به البلاء من كلّ جانب ، وكان هذا آخر
سعده وأوّل عكسه ، فكان كما يقال :

١٥ إذا كنت فى نعمة فارْعَها فإن المعــاصى تزيل النعم
وإذا تمّ أمرُه بدا نَقْصُهُ تَوَقَّ زوالاً إذا قيل تم

واستمرّ علىّ بن أبى الجود فى التوكل به مدّة أيّام حتى كان من أمره
١٨ ما سنذكره فى موضعه .

وفى شوّال أشيع أمر الركوب على السلطان ووزّعوا النــاس قماشهم فى
الحواصل ، فلما بلغ السلطان ذلك أحضر المصحف العثمانى وحلف عليه سائر
٢١ الأمراء بحضرة قاضى القضاة المالكى برهان الدين الدميرى ، فلما حلفوا حلف
هولهم أيضا أنه لا يمسك منهم أحدا بغير ذنب ، وحلف بعد ذلك المماليك
الذين فى الطباق طبقة بعد طبقة على المصحف العثمانى ، فسكن الأمر قليلا

(١٥) المعاصى : المعاصى المظالم .

وخمدت تلك الإشاعات الفاسدة . — وفيه أخلع على قانصوه اليحياوى الذى
كان أتابك العساكر بغزّة ، وقرره فى نيابة حماة عوضا عن جانم الذى كان بها . —
وفى يوم الاثنين تاسع عشره أخلع على علاى الدين بن الإمام وقرر فى نظر ٣
الأوقاف مضافا لما بيده من نظارة الخاص ، وكانت نظارة الأوقاف بيد على بن
أبى الجود . — وفيه أخلع على معين الدين بن شمس وقرّر فى وكالة بيت المال
عوضا عن علىّ بن أبى الجود ، فاجتمع مع معين بن شمس وكالة بيت المال ونظر ٦
البيمارستان المنصورى فعظم أمره جدّا . — وفيه أخلع على الحاجّ بركات بن
موسى وكان أباه موسى من العرب وأمّه تسمى عنقا ، ثم بقى ركاب الملك
المؤيد أحمد بن الأشرف أينال ، فاستقرّ برددار السلطان ومتحدثا على جهات ٩
(١٤٠ آ) البُهار وغير ذلك من أمور المملكة عوضا عن علىّ بن أبى الجود ،
وهذا أوّل ظهور بركات بن موسى واشتهاره فى الرياسة فعظم أمره جدا وصار
معدودا من أعيان رؤساء مصر ، وتزايدت عظمته من بعد ذلك حتى كان من ١٢
أمره ما سنذكره فى موضعه ، فكان كما يقال فى المعنى :

هذا الزمان على ما فيه من كدرٍ على انقلاب لياليه بأهليه
غديرُ ماءٍ تراءَى فى أسافله أشخاص قوم قياماً فى أعاليه ١٥

وكان بركاتُ بن موسى من جملة صبيان البزادرة الذين يحملون الطير
على أيديهم . — ثم إن السلطان سلّم علىّ بن أبى الجود إلى الحـاج بركات بن
موسى ليعاقبه ويستخلص منه الأموال ، فنزلوا بابن أبى الجود من القلعة وهو ١٨
فى الحديد وتوجهوا به إلى دار بركات بن موسى . — وفى يوم الاثنين فى العشرين
منه خرج المحمل من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل الأتابكى قيت الرجبى ،
وبالركب الأول أنص باى أحد المقدّمين ، ثم نادى السلطان فى القاهرة بأن امرأة ٢١
لاتحجّ فى هذه السنة خوفا على الحجّاج من فساد العربان وقد تقدم ما فعله
الجازانى بمكة . — وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه عرض السلطان علىّ بن أبى

(٨) ثم بقى : جاءت فى الأصل قبل كلمة « وأمه » .

الجود بالحوش وضربه بالمقارع عشرين شيبا حتى خرق جنبه وأشرف على
الموت فلم يرث له أحد من الناس بموجب ماكان يفعله من أنواع المظالم بالناس
٣ وقد أخذ من الجانب الذى كان يأمن إليه . – وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه
خرج الأمير أزدمر الدوادار إلى نحو جبل نابلس بسبب جمع الأموال من مشايخ
عربان نابلس كما كان يصنع الأمير أقبردى الدوادار ، فتوجّه الأمير أزدمر وصحبته
٦ جماعة من الأمراء العشرات والمماليك السلطانية . – وفيه خرج الأمير قرقماس
أمير سلاح وتوجّه إلى نحو المنزلة بسبب حفر فم البحر الصغير الذى تروى منه
جهات المنزلة وما حولها . – ومن الحوادث أن فى أواخر هذا الشهر هجم
٩ المنسر على سوق جامع أحمد بن طولون وكسر فى تلك الليلة نحوا من أربعة
وعشرين دكانا ونهبوا ما فيها من قماش وغير ذلك ، فلما جرى ذلك وقف جماعة
من التجّار ممن أصيب فى ماله إلى السلطان وشكوا له (١٤٠ ب) مما أصابهم
١٢ من أمر نهب الدكاكين وذهاب أموالهم ، فلما وقفوا إلى السلطان رسم للوالى
بتحصيل غرمائهم ، فلا زال يفحص عمن فعل ذلك حتى قبض على جماعة منهم
نحوا من عشرين نفرا من المنسر فوسّطهم الوالى فى وسط سوق جامع ابن طولون ،
١٥ ولبس علان الوالى خلعة بسبب ذلك .

وفى ذى القعدة رسم السلطان بنقل علىّ بن أبى الجود إلى بيت الوالى
ليعاقبه ، فلما تسلمه الوالى عصره فى رجليه ويديه حتى أورد بعض شىء من المال
١٨ الذى قرّر عليه . – وفى هذا الشهر تزايد الفساد من العربان والعشير فى جهة
الشرقية والغربية وجهة الصعيد حتى كادت أن تملك العربان البلاد من أيدى
المقطعين ، فعند ذلك جمع السلطان الأمراء فى الدهيشة وضربوا مشورة بسبب
٢١ فساد أحوال البلاد الشرقية والغربية ، فعين فى ذلك اليوم جماعة من الأمراء
بأن يخرجوا لمحاربة العربان وطردهم عن البلاد ، فعين طراباى رأس نوبة النوب
إلى جهة الغربية ومعه جماعة من المماليك السلطانية ، وعين الأمير قانى باى

(١) بالحوش : بالحوض . (١٣) بتحصيل : بتحصل . (٢٠) الأمراء : أن الأمراء .

قرا أمير آخور كبير إلى جهة الشرقية ، وعين خاير بك حاجب الحجاب وقانصوه ابن اللوقا أحد الأمراء المقدّمين إلى جهة الصعيد ، وعين أزبك المكحل أحد المقدّمين ودولات باى قرموط أيضا بأن يتوجها إلى جهة البحيرة ، فخرجوا هؤلاء الأمراء وصحبتهم الجم الغفير من العسكر ، ثم بعد أيام جاءت الأخبار بأن عربان الشرقية قد كسروا الأمير قانى باى أمير آخور كبير وقطعوا طبوله وجرح فى وجهه ، فعند ذلك أرسل له السلطان نجدة فعين الأمير تمر الزردكاش أحد الأمراء المقدّمين ومعه جماعة من المماليك السلطانية فتوجهوا إليه .

وفى سابع عشره الموافق لثامن عشر بشنس القبطى فيه خلع السلطان الصوف ولبس البياض وابتدأ بضرب الكرة ، وكان غائبا من الأمراء المقدّمين ثلاثة عشر أميراً فجماعة منهم إلى جهة الحجاز وجماعة مفرقة فى البلاد الشرقيّة والغربية والصعيد وغير ذلك من البلاد ، ثم إن الأمراء الذين توجهوا إلى محاربة العربان صاروا يقطعون رؤوس شبّان العرب ويرسلونها إلى القاهرة فى شلف (١٤١ آ) التبن على الجمال ، وأشيع عن الأمير طراباى أنه كان ينشر جماعة من العربان بالمنشار من رؤوسهم إلى أقدامهم وسلخ منهم جماعة كثيرة وراح الصالح [مع الطالح] حتى مهدوا البلاد ، وقتل من العربان زيادة على ألفى إنسان ، فمن يومئذ سكن الاضطراب الذى كان بالشرقية والغربية قليلا وخفّ أمر العشير الذى كان طافشا فى البلاد .

وفى ذى الحجة حضر إلى الأبواب الشريفة جانم الذى كان نائب حماة وانفصل عنها فأكرمه السلطان وأمره بالإقامة فى القاهرة . — وفى ليلة عيد النحر من هذا الشهر انتهى العمل من بناء مدرسة السلطان التى أنشأها فى الشرابشيين ، فعمل هناك فى تلك الليلة ولمة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان الناس من المباشرين والأمراء ، وحضر فى تلك الليلة قراء البلد والوعاظ ومدّ أسمطة حافلة وعمل هناك وقدة حافلة وزينت الدكاكين التى هناك من باب زويلة إلى الشوايين

---

(٦) الزردكاش : زردكاش . (١٤) ينشر : وينشر . (٢٣) الشوايين : لعله يقصدهنا الشرابشيين .

وعلّقت تنانير بها قناديل موقودة ، وكانت تلك الليلة من الليالى المشهودة — أقول :
وكان أصل من بنى أساس هذه المدرسة الطواشى مختصّ الذى كان رأس نوبة
٣ السقاة فى دولة الظاهر قانصوه خال الملك الناصر محمد ، فلما تسلطن قانصوه
الغورى تغير خاطره على مختصّ فقبض عليه وصادره وقرّر عليه مالا له صورة
فأعطاه هذه المدرسة من جملة ما قرّر عليه من المال وكان بنى منها بعض شىء ،
٦ فلما ملكها الغورى هدم ما بناه مختص ثم أوسع فى بنائها وأخذ سوق الجملون
وما حوله من الأسواق ، وتناهى فى زخرفها ورخامها وبنائها فجاءت فى غاية
الحسن والظرف والرونق بحيث لم يعمر فى عصرنا مثلها ، ولكن شنّعت عليه
٩ الناس أن مصروف عمارة هذه المدرسة كان من وجوه المظالم ومصادرات
الناس ، وأخذ غالب رخامها من أماكن شتى بأبخس الأثمان ، وأخرب قاعة
شموال اليهودى الصيرفى وأخذ رخامها وأبوابها ، وفعل مثل ذلك بعدّة قاعات ،
١٢ وقد سمّى بعض اللطفاء هذه المدرسة المسجد الحرام لما وقع فيها من غصوبة
الأرض ومصروف العمارة من مال فيه شبهات ، وقد شنّعوا الناس قبله على المؤيد
شيخ لما بنى جامعه الذى بجوار باب زويلة (١٤١ ب) أكثر ما شنّعوا على الملك
١٥ الأشرف قانصوه الغورى ، وأهل مصر ما يطاقون من ألسنتهم إذا أطلقوها
فى حق الناس ، فكان كما قيل :

ومن سوء حظّ المرء فى الدهر أنه ... يُلام على أفعاله وهو مُحسن

١٨ ثم إن السلطان رسم باستبدال قيسارية الأمير على التى تجاه جامعه وكانت
جارية فى أوقاف المدرسة الناصرية التى بين القصرين ، فلما استبدلها من الحكندار
شخص يقال له بره ، هدمها وبنى مكانها القبّة والمدفن والصهريج والسبيل وغير
٢١ ذلك [من] الأماكن التى استجدّها ، وقد قلت فى معنى ذلك :

بنى الأشرف الغوریُّ للناس جامعاً ... فضاع ثواب الله فيه لطالبه
كمثل حمامٍ جُمّعتْ فى شباكها ... متى ألتق عنها طار كلٌّ لصاحبه

(٢٠) بره : كذا فى الأصل .

وفيه حضر الناصرى محمد بن قانصوه البرجى نائب الشام ، وكان السلطان وقع بينه وبين أبيه ، فحضر وعلى يده تقدمة حافلة وشرع يستعطف بخاطر السلطان ، وكان السلطان منع المكاتبة إليه من المراسيم وغيرها ، فلما حضر ٣ ابن نائب الشام أخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ونزل بدار عمّه خاير بك حاجب الحجاب .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه حضر مبشر الحجّاج وأخبر أن الأتابكى قيت ٦ طرد عربان بنى إبراهيم عن مكة وهرب الجازانى من وجهه ولم يقابله ، وأنه مهّد مكة وقبض على بركات وأخيه قايتباى وجماعة من أخوته ووضعهم فى الحديد وهو واصل بهم ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بدقّ الكوسات بالقلعة وعلى ٩ أبواب الأمراء ، ونادى فى القاهرة بالزينة سبعة أيام فزيّنت زينة حافلة حتى زيّنوا داخل الأسواق وأقامت مزينة سبعة أيام ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ . — وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الرحمن الديرى الحنفى ١٢ شيخ الجامع المؤيدى ، وكان عالما فاضلا دينا خيراً من كبار علماء الحنفية ، ومات وهو فى عشر السبعين من العمر ، وكان الأشرف قايتباى أخرج مشيخة الجامع المؤيدى عن أولاد الديرى وقرر بها الشيخ سيف الدين الحنفى فلما مات قرر ١٥ بها شمس الدين بن الدهانة ، (١٤٢ آ) وكان المؤيد شيخ قرر بها شمس الدين الديرى وجعل مشيخة هذا الجامع بيد أولاد الديرى واستمرّوا على ذلك إلى دولة الأشرف قايتباى ، فلما توفى قاضى القضاة برهان الدين بن الديرى أخرجت مشيخة ١٨ الجامع عن أولاد الديرى إلى جماعة كثيرة من الحنفية ، واستمرّوا على ذلك إلى أن تسلطن الغورى فأعاد المشيخة إلى الشيخ بدر الدين بن الديرى كما كان أولا ، فعدّ ذلك من محاسن الغورى واستمر بها الشيخ بدر الدين إلى أن مات ، فأخلع السلطان على شخص ٢١ من أبناء العجم يقال له الشيخ حسين الشريف الحنفى فقرّره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن الشيخ بدر الدين بحكم وفاته ، واستمر بها إلى الآن ، انتهى ذلك .

(٢٠) فأعاد المشيخة إلى الشيخ : أعاد المشيخة الشيخ .

ثم دخلت سنة تسع وتسعمائة

فيها فى المحرم جاءت الأخبار من مكة بأن الأتابكى قيت قد قبض على
٣ الجازانى ففرح السلطان لهذا الخبر ونادى فى القاهرة بإعادة الزينة ، ثم ظهر
بأنّ هذا الخبر ليس له صحة وهو باطل ولم يقبض على الجازانى ، فشق على الناس
إعادة الزينة حين راحت فى البطال . — وفيه خرج الأمير تانى بك الخازندار
٦ الذى تعين قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فخرج وصحبته هدية حافلة إلى
ابن عثمان . — وفيه قبض شيخ العرب نجم على شخص من العرب العصاة من
مشايخ بنى حرام يقال له علاى الدين بن قرطام ، فلما قبض عليه قطع رأسه
٩ وأرسلها إلى القاهرة ، وقد قبض عليه من جبل الطور وحزّ رأسه هناك وبعث
بها إلى القاهرة فطيف بها وعلّقت على باب زويلة ثم نقلت إلى خانقة سرياقوس
فعلّقت بها أياما ، وقد عد قتل ابن قرطام من النوادر فإنه كان فى تحصيله فرصة. —
١٢ وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بشنق علىّ بن أبى الجود فشنق
على باب زويلة واستمرّ معلّقا ثلاثة أيّام لم يدفن حتى نتن وجاف ، ثم نزلوا
به ودفن ، ولم يرث له أحد من الناس ولا ترحّم عليه مما سبق منه فى حق الناس
١٥ من الأفعال الشنيعة كما تقدم ذكر ذلك ، وكان السلطان استصفى أمواله
وعاقبه وعصره ودقّ القصب فى أصابعه وأحرقها بالنار وقاسى شدائد ومحنا ،
وكان قد طاش وركب فى غير سرجه (١٤٢ ب) وكثر فى الناس هرجه فأغواه
١٨ الشيطان حتى أطاع أمر السلطان ، ثم إنه أقلب عليه وأخذ من الجانب الذى
كان يأمن إليه ، فكان كما يقال فى المعنى :

ربما يرجو الفتى نفع فتًى ... خوفُه أولى به من أمله
٢١ رب من ترجو به دفع الأذَى ... سوف يأتيك الأذَى من قِبَله

وفى صفر فى يوم الثلاثاء ثامنه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى تاسع مسرى ،

---

(١١) فإنه : فان .

فتوجه الأمير سودون العجمى أمير مجلس وفتح السدّ على العادة ، وكان الأتابكى
قيت غائباً فى مكة كما تقدم . — وفى الخميس عاشره دخل الأمراء الذين قد
توجّهوا إلى الشرقية والغربية بسبب فساد العربان كما تقدم . — وفيه ابتدأ ٣
السلطان بعمارة الميدان الذى تحت القلعة فعلاّ حيطان صـــوره وأرمى فى أرضه
الطين الكثير قدر أربعة أذرع وجعل ذلك فى الجهة الغربية من الميدان ، ثم
ساوى أرضه وفرش بها النقارة ، ثم شرع فى بناء مقعد وبيت بالميدان برسم ٦
المحاكمات ، وأنشأ فى الجهة الغربية من الميدان قصرا حافلا ومنظرة وبحرة وغير
ذلك من البناء الفاخر ، ثم شرع فى نقل أشجار من سائر الفواكه وأصـــناف
الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان فى الجهة الغربية ، ثم أجرى إليه ٩
المياه من السواقى التى بباب القرافة وأجرى إليه المياه أيضاً من السواقى التى
بحدرة البقر ، ثم أنشأ قصرا على باب الميدان مطلا على الرملة ، وصنع ممشاة
من القلعة إلى الميدان بسلالم متصلة إلى ذلك القصر المطلّ على الرملة ، وجعل ١٢
للميدان بابا كبيراً وعليه سلسلة حديد وإلى جانبه باب صغير أيضاً وعليه سلسلة
من الحديد مثل الباب الكبير ، ثم أمر بعمارة سبيل المؤمنى وعقد سقفه بالحجر
النحيت وأنشأ إلى جانبه حوضاً وساقية ، وصنع هناك مغسلا برسم الأموات ١٥
وميضة وغير ذلك مما ينتفع به ، وقيل أن السلطان أصرف على بناء هذا الميدان
من مبتدائه إلى منتهائه نحواً من ثمانين ألف دينار ، ولكن وقع له فى بناء هذا
الميدان (١٤٣ آ) أمور غريبة لم تقع لأحـــد قبله من الملوك وكان غالب ١٨
مواكبه به ، ووقع له به محاكمات غريبة وأوقات عجيبة يأتى الكلام عليها
فى مواضعه .

وفى ربيع الأول فى يوم الخميس ثانيه دخل الأتابكى قيت الرجبى وصحبته ٢١
الحجّاج الذين حجوا معه تلك السنة ، فلما دخل إلى القاهرة كان له يوم مشهود
وكان صحبته أولاد أمير مكة وهم الشريف بركات وأخوه قايتباى وبقية أخوته
والوزير عنقا وأخوه وهم الجميع فى زناجير حديد ، فما شكر الأتابكى قيت على ٢٤

تلك الفعلة فلم يقدر على تحصيل الجازانى فقبض على أخوته هؤلاء وأحضرهم
فى الحديد وعمل حكمه فيهم ، وأظهر بمكة غاية الجور والمظالم وما حصل بتوجهه
٣ إلى مكة خير بل تزايد أمر الفتنة التى كانت بين أولاد أمير مكة ، ووقع من بعد
ذلك أمور يأتى الكلام عليها فى مواضعه ، فكان كما يقال :

حججتَ البيت ليتــك لا تحجُّ فظلمك قد فشى فى الناس ضج
٦ حججتَ وكأن فوقك حِمْلُ ذنبٍ رجعت وفوق ذاك الحمل خرجُ

فلما طلع الأتابكى قيت إلى القلعة وأعرض الشريف بركات وأخوته على
السلطان رسم بفكّهم من الحديد ، ونزلوا مع الأتابكى قيت إلى داره وأقاموا به
٩ حتى كان من أمرهم ما سنذكره فى مواضعه . — ولما دخل الحاج إلى القاهرة
أشيع بين الناس وفاة الشهابى أحمد بن العينى توفى بالمدينة الشريفة ، وكان لما توفى
ولده الناصرى محمد توجه إلى مكة وأقام بها نحوا من ست سنين ، فلما جرى من
١٢ الجازانى ما تقدم ذكره فرّ منه الشهابى أحمد بن العينى إلى المدينة الشريفة
فأدركته المنية هناك فمات بها ودفن بالبقيع ، وكان رئيسا حشما ، وهو أحمد
ابن عبد الرحيم بن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى رحمة الله عليه ،
١٥ وكانت والدته ربيبة الملك الظاهر خشقدم فلما تسلطن رقى الشهابى أحمد بن
العينى فى أيامه إلى الغاية وصار صاحب الحلّ والعقد فى تلك الأيام حتى صار
فى زمرة أولاد السلاطين ، وأنعم عليه الظاهر خشقدم بتقدمة ألف وهى تقدمة
١٨ قانم التاجر لما قرّر فى الأتابكية ، (١٤٣ ب) ثم بقى أمير آخوركبير بعد ياباى
المؤيدى لما قرر فى الأتابكية بعد موت الأتابكى قانم التاجر ، ثم بقى أمير مجلس
فى دولة الظاهر يلباى لما قرر تمر بغا فى الأتابكية ، واستمر على ذلك حتى تسلطن
٢١ الأشرف قايتباى قبض عليه وضربه كما تقدم واستصفى أمواله وأخذ منه فوق
المائتى ألف دينار ، وقاسى بعد موت الظاهر خشقدم شدائد ومحنا ، وآخر الأمر
لما تسلطن الغورى أرسل يطلبه فى الحديد ، فلما دخل الأتابكى قيت إلى المدينة
٢٤ الشريفة وجده قد مات ، وكان السلطان رسم للأتابكى قيت الرجبى بأن يقبض

على ابن العينى ويحضر به فى الحديد ، فلما دخل المدينة وجده قد مات ودفن بالبقيع وكفاه الله شرّ الغورى ، وقد تقدّم من أخباره ما يغنى عن شهرته ، انتهى ذلك . — وكان السلطان رسم للأتابكى قيت عند عوده إلى مكة أن ينقل قانصوه ٣ الفاجر وقانم أخو الظاهر قانصوه من مكة إلى القدس ، وكان السلطان نفاهما إلى مكة ثم بدا له نقلهما إلى القدس ، فلما حضرا صحبة قيت شقّ ذلك على السلطان وبعث بهما إلى القـــدس ولم يقبل فيهما شفاعة ، وكان من أمر قانصوه الفاجر ٦ ما سنذكره فى موضعه . — وفيـــه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا على العادة ، وأخلع السلطان على الأمير أنص باى أحد المقدّمين وقرّره أمير ركب المحمل ، وقرّر بالركب الأول تانى بك الأبح . ٩

وفى ربيع الآخر فى يوم الجمعة مستهلّه خطب فى جامع السلطان الذى أنشأه فى الشرابشيين وقد تمّ بناؤه وجاء غاية فى الحسن والتّزخرف ، وصنع به مأذنة لها أربع رؤوس وهو أول من اتخذ ذلك ، وانتهى العمل من المدرسة التى ١٢ تجاه الجامع وعقد هناك قبّة كبيرة على المدفن وغلّفها بقاشانى أزرق فلم ينطل ذلك على الناس ، فكان أول من خطب بهذا الجامع قاضى قضاة دمشق الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقى الشافعى فلبس السواد وخطب ، وكان المرقى قدّامه ١٥ القاضى عبد القادر القصروى ، وحضر فى ذلك اليوم الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وهم برهان الدين بن أبى شريف الشافعى وعبد البرّ بن الشحنة الحنفى وبرهان الدين الدميرى المالكى والشهاب الشيشينى الحنبلى ، وحضر ١٨ غالب الأمراء (١٤٤ آ) المقدّمين وولد السلطان المقرّ الناصرى وأعيان المباشرين قاطبة والجمّ الغفير من الأمراء العشرات والخاصكية وأعيان الناس ، وزيّنت الشرابشيين فى ذلك اليوم وكان يوما مشهودا . وأخلع السلطان فى ذلك ٢١ اليوم على قاضى القضاة عبد البرّ بن الشحنة كونه حكم بصحة الخطبة فى هـــذا الجامع ، وأخلع على أينال شادّ العمارة خلعة حافلة وأنعم عليه بأمرة عشرة ، وأخلع

(٥) حضرا : حضروا .

فى ذلك اليوم على عدة وافرة من المهندسين والبنّائين والمرخمين والنجارين وغير ذلك من أرباب الصنائع ممن كان بالجامع ، وأنعم على الفعلاء لكل واحد بألف ٣ درهم ، ثم فى الجمعة الثانية رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البر بن الشحنة بأن يخطب بهذا الجامع ، فخطب تلك الجمعة خطبة بليغة ولكن ميزوا خطبة قاضى القضاة عبد البرّ [عن] خطبة ابن فرفور .

٦ وفى ربيع الآخر ثبت النيل المبارك على أحد عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراعا ، وكان نيلا شحيحاً وشرّق غالب البلاد ولكن ثبت إلى العشرين من توت . — وفيه حضر الأمير أزدمر الدوادار وكان مسافرا إلى جهة نابلس ٩ وكان صحبته ماماى جوشن وقانصوه كرت ، فلما صعد إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب حافل . — وفيه أخلع السلطان على الأمير جانم وأعاده إلى نيابة حماة كما كان ، وصرف عنها قانصوه اليحياوى الذى كان ١٢ أتابك العسكر بغزة .

وفى جمادى الأولى نادى السلطان فى القاهرة بأن أصحاب الدكاكين قاطبة يقطعون الطرقات من الشوارع قدر الذراع بالعمل ، وكانت الطرقات قد عليت ١٥ جدّا فلما رسم السلطان بذلك حصل للناس الضرر الشامل بسبب الكلفة على ذلك ، وقد استحثّوا الناس فى سرعة العمل وعزّ وجود التّرابة وصار الطلب فى ذلك حثيثاً ، وقد قلت :

١٨ لقــد حملنا فوق ما لا نطيق ‏ ‏ من دولة الغورى ومن جَوره
من قلّة الأمن وقطع الطريق ‏ ‏ وقد كفى من فعله ما جرى

وفى خامس عشره أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال ٢١ له (١٤٤ ب) قنبك فقرّر فى نيابة غزة وخرج عن قريب . — وفيه قوى عزم السلطان على أن يدور المحمل فى رجب وتلعب الرمّاحة على العادة القديمة ، وكان هذا الأمر قد بطل من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة من دولة الظاهر

(١٦) وقد : قد .

خشقدم ونسى هذا الفنّ من يومئذ ، فأراد السلطان أن يجدّد هـذا الأمر حتى
يصير له التذكار بين الملوك بتجديد هذا الفنّ ، فعيّن الأمير تمر الحسنى المعروف
بالزردكاش بأن يكون معلّم الرماحة ، وعيّن معه من الباشات أربعة وهم أبو يزيد ٣
أحد الأمراء المقدّمين وجانم الدوادار الثانى وهو قرابة قانصوه خمسمائة وعلان
والى القاهرة وقرقماس المقرى ، وعيّن من الخاصكية أربعين مملوكا على جارى
العادة القديمة . ٦

وفى جمادى الآخرة خرجت الرمّاحة المعيّنين للعب الرمح فلعبوا عند
زاوية الشيخ أبو العبّاس الحرّار رحمة الله عليه . — وفيه أخلع السلطان على
شرف الدين الصغير وقرّره فى نظر الدولة عوضا عن مجد الدين بن كراوية بحكم ٩
صرفه عنها . — وفيه كان انتهاء عمارة المقعد والمبيت التى أنشأها بالميـدان ،
فجلس السلطان فى المقعد ورسم للرمّاحة بأن يسوقوا قدّامه فى الميدان فساقوا
وهو جالس وحوله الأمراء ، فلما ساقوا عيّبت عليهم المماليك القرانصة وخطأهم ١٢
فى طريقة لعب الرمح عما كانت تفعله الأقدمون من البنود التى كانت تقع فى لعب
الرمح على العادة القديمة . — وفى يوم الخميس ثالثه كانت وفاة الشيخ الصالح
المعتقد سيدى أبو الخير الكليباتى المجذوب رحمة الله عليه وكان من أعيان ١٥
الأولياء ، فلما توفّى دُفن بجوار جامع الحاكم وبنى له السلطان هناك زاوية .

وفى رجب حضر الأتابكى قيت وكان توجّه إلى العبّاسة على سبيل التنزّه ،
فأرسل [له] السلطان خلعة بسبب دوران المحمل . — وفيه ثار ريح أسود حتى أظلم ١٨
منه الجوّ ووقع فى ذلك اليوم [بيوت] وعدّة أماكن ونخيل ، ثم فى عقيب ذلك جاءت
الأخبار من ثغر دمياط بأن فى ذلك اليوم هاج الريح هناك جدّا حتى فاض
ماء البحر الملح وأغرق عدّة بساتين من دمياط وكذلك بفارسكور وحصل ٢١
هناك للناس الضرر الشامل وغرق فى ذلك اليوم عدّة (١٤٥ آ) مراكب
بناسها من المسافرين وكان أمرا مهولا . — وفى يوم الخميس ثامنه نادى السلطان

(٣) الباشات : الباشاة . (١٠) انتهاء : انتهى . (١٣) عما : عنما .

فى القاهرة بالزينة بسبب دوران المحمل . – ثم فى يوم السبت عاشره لبسوا الرمّاحة
الأحمر على العادة القديمة وطافت المسايرات بالقاهرة . – ثم فى ليلة الاثنين ثانى
٣ عشره بات السلطان بالقصر وأحرق تلك الليلة إحراقة نفط بالرملة ، وكانت ليلة
مشهودة ورأت الناس أشياء كانت قد نُسيت ، فلما كان يوم الاثنين جلس
السلطان فى الحرجاة المطلّة على الرملة وساقوا الرمّاحة قدّامه بالرملة ، ثم طافوا
٦ بالكسوة الشريفة والمحمل على العادة مرّتين باكر النهار وبعد الظهر كما كان
يفعل فيما قبل ، فخرجت البنت فى خدرها تتفرّج على المحمل بعد ما كان قد
نُسى أمره ، فجاءت الناس أفواجا من الخانكاه ومن بلبيس وغير ذلك من أماكن
٩ شتى بسبب الفرجة على الرمّاحة ودوران المحمل ، حتى صنّفوا العوامّ رقصة
وهم يقولون :

بيـــع اللحاف والطراحة حتى أرى ذى الرماحة
١٢ بيع لى لحافى ذى المخمل حتى أرى شكل المحمل

وخرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ ، فلما انقضى ذلك اليوم
أخلع السلطان على الأمير تمر معلّم الرمّاحة أطلسين ، وأخلع على الباشات الأربعة
١٥ كوامل بصمور ونزلوا إلى دورهم وانقضى أمر المحمل ، فعدّ ذلك من محاسن
الغورى حيث فرّج الناس على أشياء كانت قد نُسيت فجدّدها حتى يصير له
بذلك التذكار بين الملوك بعد ما نُسى هذا الأمر . – وفى يوم دوران المحمل
١٨ توفّى الأمير مغلباى صصرق وكان من أعيان الأشرفية برسباى وكان أميرا
جليلا حشما رئيساً لا بأس به ، ولكن قاسى شدائد ومحنا ونُهب بيته فى وقعة
أقبردى الدوادار وقاسى ما لا خير منه .

٢١ وفى شعبان قبض قاضى القضاة الشافعى برهان الدين بن أبى شريف المقدسى
على محمد بن يوسف الذى كان ناظر الأوقاف فضربه ضربا مبرحا ، وأشهره
فى القاهرة على حمار وهو عريان مكشوف الرأس لأمر أوجب ذلك ، وكان

---

(١٢) المخمل : المحمل . (١٨) صصرق : صصرف .

منفصلا عن نظر الأوقاف والمتحدث بها يومئذ ناظر الخاصّ علاى الدين بن
الإمام (١٤٥ ب) . — وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن بلك باى دوادار الأتابكى
أزبك قد احتال على الجازانى ابن أمير مكة الذى جرى منه ما تقدّم ذكره ، ٣
فقتلته المماليك المجاورون بمكة حين دخل إلى الحرم ، فلما تحقّق ذلك سُرّوا الناس
لهذا الخبر وكان الجازانى هذا جاهلا عسوفا سفّاكا للدماء ، وجرى منه أمور
شتى والتفّ عليه عربان قبيلة بنى إبراهيم وحصل منه غاية الضرر كما تقدّم . ٦

وفى رمضان خسف جرم القمر عند آخر الليل واستمرّ فى الخسوف
نحوا من عشرين درجة . — ومن الحوادث أن فى سابع عشر هذا الشهر قبض
الوالى على أربعة أنفار من الأعوام وجدهم فى بستان ومعهم امرأة وهم يأكلون ٩
ملوحة بالنهار وربما قيل كانوا سكارى ، فلما قبض عليهم هربت تلك الامرأة
فقبض على الرجال وضربهم بالمقارع وأشهرهم فى القاهرة ثم سجنهم بالمقشرة
فأقاموا مدّة طويلة . ١٢

وفى شوال وقعت حادثة وهو أن الشريف بركات أمير مكّة الذى كان
مقيما ببيت الأتابكى قيت هرب هو وأخوته من بيت الأتابكى قيت الذى بالأزبكية ،
وكان السلطان قرّر على الشريف بركات وأخوته مالا له صورة فما وافقوا ١٥
على ذلك وهربوا على حين غفلة ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد ولام الأتابكى
قيت على ذلك ، ووقع فى المجلس بعض تنافس بين الأمير قرقماس أمير سلاح
والأتابكى قيت وقال قرقماس لقيت : هذا كله شغلك أنت الذى هرّبته من بيتك ، ١٨
فاتّسع بينهما الكلام حتى دخل بينهما السلطان بالصلح فاصطلحوا صلحا على
فساد وكان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه . وفيه خرج الحاجّ من القاهرة
وكان أمير ركب المحمل الأمير أنص باى أحد المقدمين ، وبالركب الأول ٢١
تانى بلك الأبح أحد الأمراء الطبلخانات ، ولم يحجّ فى تلك السنة امرأة لفساد
العربان بطريق مكّة .

(٩) الأعوام : كذا فى الأصل ، ويعنى « العوام » .

وفى ذى القعدة حضر تانى بك الخازندار ، وهو المحتسب أيضا ، الذى كان قد توجّه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، فكان مدّة غيبته فى هذه السفرة
٣ نحواً من عشرة أشهر ، فلما حضر أخلع عليه السلطان خلعة سنيّة ونزل إلى داره ثم أنعم عليه فيما بعد بتقدمة ألف . — وفيـه أرسل أقباى (١٤٦ آ) الكاشف برأس شخص من عربان الشرقيّة وكان من العصاة يقال له ابن بيسار
٦ وله حكايات غريبة يطول شرحها وكان من شرار العربان ، فلما أحضرت رأسه بين يدى السلطان رسم بتعليقها على باب زويلة . — وفى عقيب ذلك قبض أقباى الكاشف أيضاً على شخص من العربان المفسدين يقال له ابن بهيج ،
٩ فلما قبض عليه بعث به السـلطان فرسم بشنقه فشُنق على باب النصر . — وفى يوم الجمعة ثامن عشره توفّى الأمير أبو يزيد الصغير أحد المقدّمين فنزل السلطان وصلّى عليه .

١٢ وفى أثناء هذا الشهر ظهر الطاعون بالديار المصرية وفشى ، لكنه كان خفيفا بالنسبة للطاعون الذى كان فى السنة التى تليها وهى سـنة عشر وتسعمائة كما سنذكره . — وفيه قلع السلطان الصـوف ولبس البياض وابتدأ بضرب
١٥ الكرة . — وفيه رسم السلطان بأن يقطعوا الخلجان على قدر ثلاثة أذرع ونصف ، فشقّ ذلك على أصحاب الأملاك وحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ، وعزّ وجود الترابة لأجل شيل التراب ، فلما عظم الأمر باع غالب الناس أملاكهم
١٨ التى على الخلجان بأبخس الأثمان فى نظير شيل التراب .

وفى ذى الحجّة أشيع بين الناس بأن عنبر مقدّم المماليك قد هرب وتوجّه إلى نحو بلاد التكرور ، وسبب ذلك أن السلطان طلب منه مالا لم يقدر عليه فهرب
٢١ وظنّ أنه يختفى أمره ، ثم بعد مضىّ أربعة أيّام قبضوا عليه وأحضروه إلى بين يدى السلطان فرسم بسجنه فى العرقانة ، قيل لما قبض عليه ووقف بين يدى السلطان وبخه بالكلام وقال له : من إيش هربت وإنت بقيت مقدّم المماليك أمير عشرة .
٢٤ فقال له عنبر : من عادة العبيد السودان الهروب ، فاستحسن السلطان منه ذلك

الجواب . — وفى أواخر هذا الشهر قوى أمر الطاعون بالقاهرة وفشى أمره بعد مضىّ أيّام فطر النصارى وهى التى يسمّونها الخماسين ، وقد ظهرت التُريا ، واستمرّ الطعن عمّالا حتى دخل شهر بؤونة القبطى ونزلت النقطة ، وهذا بخلاف ٣ العادة حتى عدّ من النوادر ، لكنه كان خفيفاً بالنسبة لما جاء بعده فى سنة عشر وتسعمائة ، وقد وقع الطاعون فى سنتين (١٤٦ ب) متوالية حتى عدّ من النوادر . — وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه كانت وفاة خوند فاطمة ابنة ٦ العلاى على بن خاصّ بك ، وهى زوجة الملك الأشرف قايتباى ، ثم تزوّجت بعده بالعادل طومان باى ، وقيل تزوّجت بالأشرف قانصوه خمسمائة فى الخفية على ما يقال ، وكانت من مشاهير الخوندات فى سـعة من المال وقد ظهر لها فيما بعد ٩ تركة حافلة ؛ وأقامت فى الخونداتية وهى صاحبة القاعة نحواً من ثلاثين سنة ، وأظهرت من الفتك والعظمة ما لا أظهره غيرها من الخوندات ، وماتت وهى فى عشر الستين سنة من العمر ، ولما ماتت أخرجت فى بشخانة زركش ومشت ١٢ قدّامها القضاة الأربعة والأمراء المقدّمون ، ونزل السلطان وصلّى عليها فى سبيل المؤمنى ونهبوا العوامّ الكفارة من قدّامها حين وصلت إلى رأس الصليبة وكان لها جنازة حافلة . — أقول وجرى عليها فى أواخر عمرها شدائد ومحنا ، منها ١٥ أن المماليك الجلبان هجموا عليها وهى فى دارها التى بجوار قنطرة سنقر وطلبوا منها نفقة وأغلظوا عليها فى القول وقصـدوا الإخراق بها ، وكان القائم فى ذلك طائفة من المماليك من حلف الأمير أقبردى الدوادار ، فلما بلغ الملك الناصر ١٨ ذلك تعصّب لها ونادى فى القاهرة بأن طائفة المماليك قاطبة لا يتوجّهون إلى بيت خوند زوجة الأشرف قايتباى ولا يقفون لها على باب وكلّ من فعل ذلك شُنق بلا معاودة فانكفّوا عنها من يومئذ ، وسبب ذلك قد بلغ المماليك بأن ٢١ خوند قد تزوّجت بقانصوه خمسمائة فى الدسّ فلما قتل تحرّشوا بها وطلبوا منها نفقة ، واستمرّت مختفية عن بيتها مدّة من بعد ذلك . — ومنها أن الظاهر قانصوه

(٢) التريا : كذا فى الأصل .

صادرها وأخذ منها مالا له صورة ووكّل بها جماعة من الخدّام حتى أوردت
ما قرّر عليها ، وكذلك الملك الناصر أخذ منها جملة مال ، ثم إنها تزوّجت من بعد
٣ ذلك بالعادل طومان باى فأقامت معه نحواً من شهرين وجرى له ما جرى ،
واستمرّت من بعد ذلك مريضة وقد طلع لها فى خدّها أكلة وأقامت بها مدّة
طويلة ، فلما ثقلت (١٤٧ آ) فى المرض توجّهت إلى بولاق ثم ماتت هناك وحُملت
٦ وهى ميّتة إلى دارها التى بجوار قنطرة سنقر فأخرجت جنازتها من هناك ،
انتهى ذلك .

وفى أثناء هذه السنة كانت وفاة العلاّمة الحافظ فخر الدين عثمان الديمى
٩ شيخ الحديث ، وكان عالما فاضلا محدّثا ديّنا خيرا ، ومات وهو فى عشر الثمانين ،
وكان لا بأس به . — وفيها توفّى أيضا القاضى ولىّ الدين محمد النحريرى
المالكى أحد نوّاب المالكيّة ، وكان رئيساً حشما فاضلا فى مذهبه من أعيان
١٢ المالكيّة وكان لا بأس به ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة عشر وتسعمائة

١٥ فيها فى المحرم أخلع السلطان على عنبر الطواشى وأعاده إلى تقدمة المماليك
كما كان أولا ، وقد قاسى شدائد ومحنا وسجن فى العرقانة مدّة ثم رضى عليه
السلطان وأعاده إلى وظيفته ، وقد استحسن منه السلطان جوابه أن من عادة
١٨ السودان الهروب فعفى عنه فيما بعد . — وفيه أخذ قاع النيل فجاءت القاعدة
ستة أذرع على حكم السنة الماضية . — وفيه فى الثالث وعشرين دخل الحاجّ
إلى القاهرة مع السلامة . — وفيه أشيع بين الناس بوقوع فتنة كبيرة فوزّع
٢١ الناس قماشهم فى الحواصل ، فلما بلغ الناس ذلك جمع الأمراء وأحضر لهم
المصحف العثمانى وحلّفهم عليه فخمدت تلك الإشاعات الفاسدة .

وفى صفر عرض السلطان جماعة من أولاد الناس ومن المماليك السيفية

ممن كان قطع جوامكهم ، قرّر لجماعة منهم جوامكهم وجماعة بحكم النصف . —
وفيه توقّف النيل عن الزيادة ستة أيّام فقلقت الناس لذلك وتشحّطت الغلال
وتكالب الناس على مشترى الغلال ، ثم ترادفت الزيادة من بعد ذلك حتى ٣
أوفى عن قريب .

وفى ربيع الأول أخلع السلطان على الشهاب أحمد بن فرفور الدمشقى
قاضى القضاة بدمشق ، وقرّره فى قضاء الشافعية بمصر عوضا عن القاضى ٦
برهان الدين بن أبى شريف المقدسى بحكم صرفه عنها ، وقد جمع الشهاب بن
فرفور بين قضاء الشافعية بمصر والشام فى وقت واحد فعدّ ذلك من النوادر . —
وفى سابعه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى فى خامس عشرين مسرى فتأخر ٩
عن النيل الماضى سبعة عشر يوما ، فزاد عن الوفاء (١٤٧ ب) فى ذلك اليوم
خمسة أصابع من الذراع السابع عشر ، فكان كما قيل فى المعنى :

يا نيل مصر كم يداً لك بالوفا أوليتنا بالكسر جبراً دائما ١٢
قد زدت قبل الكسر خمسة أصابع كَرَمًا فكانت للوفاء خواتما

فلما أوفى توجّه الأتابكى قيت وفتح السدّ على العادة ، وكان يوما مشهودا ،
وهذا كان آخر فتح الأتابكى قيت للسدّ وقد أخذ عقيب ذلك وكان من أمره ١٥
ما سنذكره فى موضعه . — وفيه حضر سيف قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى
نائب الشام ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وولى عدّة وظائف سنية
وآل أمره إلى أن بقى نائب الشام ومات بها . — وفيه عمل السلطان المولد ١٨
النبوى وكان حافلا . — وفيه أخلع السلطان على قانى باى قرا أمير آخور كبير
وقُرّر فى أمرة ركب المحمل ، وقرّر بالركب الأول جان بردى تاجر المماليك . —
وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على شيخ العرب بيبرس بن أحمد بن بقر وأعاده إلى ٢١
مشيخته كما كان أولا . — وفيه خسف جرم القمر عند طلوعه واستمرّ
فى الخسوف نحوا من خمسين درجة . — وفيه أخلع السلطان على قنبك من

---

(٩) أوفى : وفا .

شاد بك وقرّر فى رأس نوبة الثانية ، عوضا عن تمراز جوشن بحكم وفاته بدمشق
وكان قد توجّه فى بعض مهمّات السلطان فمات هناك . – وفى يوم الجمعة تاسع
٣ عشره قبض السلطان على القاضى بدر الدين محمد بن مزهر الذى كان متولّيا
لكتابة السرّ وعزل عنها ، فأرسل إليه السلطان بعض البابيّة فتوجه إلى بيته
الذى ببركة الرطلى فقال له قم كلّم السلطان فقام وطلع معه إلى القلعة ، فلما وقف
٦ بين يدى السلطان وبخّه بالكلام ثم شكّه فى الحديد وسجنه بالعرقانة ، وسبب
ذلك قد بلغ السلطان بأن بدر الدين بن مزهر اجتمع بالأتابكى قيت الرجبى
وقال له قم وتسلطن وضمان نفقة البيعة علىّ ، وقيل أنه كتب قوائم بأسماء جماعة
٩ من حاشية السلطان ووزّع عليهم مالا له صورة ، وذكر فى القوائم جماعة من
المباشرين وغير ذلك حتى اسمى فيهم ابن السلطان وخاير بك الخازندار وبركات
ابن موسى وآخرين من جماعة السلطان ، فتكلم الأعداء فى حقّ بدر الدين بن
١٢ مزهر بسبب ذلك وغيّروا خاطر السلطان عليه (١٤٨ آ) وآل أمره من بعد
ذلك إلى كل سوء حتى كان ما سنذكره فى موضعه .

وفى ربيع الآخر عمل السلطان الموكب بالحوش وأخلع على الأمير سودون
١٥ العجمى وقرره فى نيابة الشـــام عوضا عن قانصوه البرجى بحكم وفاته ، وأخلع
على الأمير خاير بك أخى قانصوه البرجى الذى كان نائب الشام وقرّره فى نيابة
حلب عوضا عن سيباى الذى كان بها ، ورسم لسيباى بأن يحضر إلى القاهرة ليلى
١٨ أمرة مجلس عوضا عن سودون العجمى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام ، فلم يتمّ هذا
الأمر وكان ما سنذكره فى موضعه . – وفى هذا الشهر ثبت النيل المبارك
على ثلاثة عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا وقد ثبت إلى ثامن عشرين توت : –
٢١ وفيه أخلع السلطان على الأمير أنص باى من مصطفى وقرّر فى حجوبية الحجاب ،
عوضا عن خاير بك من ملباى أخى قانصوه البرجى الذى كان نائب الشـــام بحكم
انتقاله إلى نيابة حلب كما تقدم . – وفى هذا الشهر اهتمّ السلطان بعمارة قاعة

(٢٢) ملباى : يلباى .

البيسرية وقاعة العواميد وغير ذلك من الأماكن التى بالقلعة ، فجدّد ما فيها
من العمارة وزخرفها إلى الغاية ، لكن حصل منه غاية الضرر منها أنه رسم
للقاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش بأن يفكّ رخام قاعة والده ناظر الخاصّ ٣
يوسف التى سمّاها نصف الدنيا وكان فيها الرخام المثمن الذى لا يوجد ، وقد
أفنى ناظر الخاصّ يوسف عمره على بناء هذه القاعة ، فلا زال به السلطان حتى
فكّ رخام نصف الدنيا ونقله إلى قاعة البيسرية وقاعة الأعمدة وغير ذلك مما ٦
أنشأه بالقلعة ، فحصل على أولاد ناظر الخاصّ بسبب ذلك ما لا خير فيه ، وكانت
هذه الواقعة من أقبح الوقائع ولو أن السلطان نقل هــذا الرخام إلى مدرسته
لكان أولى من وضعه فى قاعة البيسرية ، كما يقال فأفقرنى فيمن أحبّ ولا أستغنى ، ٩
وقد قلت فى هذه الواقعة مطلع زجل فى معنى ذلك :

سلطاننا الغورى قد جار والصبر منّا قد أعيا
وصار فى ذا الجور عمّال حتى خرب نصف الدنيا ١٢

وفيه جاءت الأخبــار من غزة بوفاة الشيخ الصالح المعتقد (١٤٨ ب)
المسلك سيدى محمد الغزاوى رحمة الله عليه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفيّة .

وفى جمادى الأولى كملت عمارة مدرسة السلطان التى أنشأها تجاه جامعه ١٥
الذى بالشرابشين ، وأنشأ هناك مدفنا له وعقد فوقه قبّة ، وأنشأ صهريجا ومكتبا ،
وقرّر بهذه المدرسة حضورين وصوفيّة يحضروا بكرة والعصر ، وجعل قاضى
القضاة برهان الدين بن أبى شريف شيخ الحضور باكر النهــار ومحبّ الدين ١٨
الحلبى الإمام شيخ الحضور العصر كما أمر بذلك . فجاءت هذه المدرسة من محاسن
الزمان ولا سيما فى هذا الخط الذى لم يتفق لأحد من الملوك البناء فيه فعدّ ذلك
من جملة سعد قانصوه الغورى ، وكان أصل هذا المكان قيســارية تسمّى ٢١
قيسارية الأمير على فاستبدلت من وقف الناصر محمد بن قلاون ، ووقع للغورى
أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك منها أنه نقل الآثار الشريف النبوى من
مكانه الذى كان به المطلّ على بحر النيل فجعله فى مدرسته ، حتى عدّ ذلك ٢٤

من النوادر ، وقد تعب الصاحب بهاى الدين بن حنّا فى نقل هذا الآثار الشريف
وكان عند جماعة من بنى إبراهيم بالينبع فلا زال يتلطف بهم [حتى] اشتراه منهم
٣ بستّين ألف درهم بالدراهم القديمة ، ثم نقله إلى الديار المصرية وبنى له مسجداً
مطلاّ على بحر النيل ، وكانت الناس يقصدون الزيارة إليه فى كل يوم أربعاء ،
فلما تلاشى أمر ذلك المكان الذى كان به الآثار الشريف استفتى السلطان
٦ العلماء فأفتوه بنقله إلى مدفنه بالقبّة وهذا بخلاف شرط الواقف ، ثم إن السلطان
نقل المصحف العثمانى إلى مدرسته أيضاً وعدّ ذلك من النوادر ، ثم نقل إلى
المدرسة أيضاً الربعة العظيمة المكتوبة بالذهب التى كانت بالخانقة البكتمرية
٩ التى بالقرافة ، قيل أن مشتراها على الواقف ألف دينار ، ولم يكتب نظير
هذه الربعة سوى ربعة أخرى بخانقة سرياقوس اشتراها الملك الناصر محمد
ابن قلاون بألف دينار أيضاً ، وأخرى بالمدينة الشريفة ، وأودعها بهذه الخانقة ،
١٢ وقد وقع للأشرف قانصوه الغورى (١٤٩ آ) فى مدرسته من المحاسن ما لا وقع
لأحد قبله من الملوك وحاز فيها أشياء غريبة عزيزة الوجود ، ولما نقل الآثار
الشريف والمصحف العثمانى إلى مدرسة السلطان كان له يوم مشهود ونزل قدّامه
١٥ القضاة الأربعة والأتابكى قيت وجماعة من الأمراء المقدّمين والفقراء أرباب الزوايا
بالأعلام وهم يذكرون .

وفى ذلك اليوم أخلع على الشيخ برهان الدين بن أبى شريف وقرّره
١٨ فى مشيخة هذه المدرسة ، وقد صرف عن قضاية القضاة وانفرد بمشيخة
مدرسة السلطان واستمرّ بها إلى الآن ، وقد قلت من قصيدة مدحت بها
السلطان ، وقد عرضت عليه واستحسنها ، فمن أبياتها قولى فى جامعه الذى
٢١ أنشأه ، وهو قولى :

بنى بمصر لله بيتاً رخامه قائم ونائم
فجاء فى حسنه فريد من كل عيب يقال سالم
٢٤ فليس يبنى له نظير فى سائر المُدن والأقالم

وفيه فى يوم الخميس ثانى عشرينه عرض السلطان القاضى بدر الدين بن مزهر بالحوش بين العسكر وهو فى الحديد فوبّخه بالكلام ، ثم بطحه وضربه ضرباً مبرحا حتى كاد أن يهلك وهذا أول عقابه . — وفيه أحضرت جثّة قانصوه المحمـدى البرجى الذى كان نائب الشام ، فلما حضرت دفنت بتربة أخيه الأمير خاير بك التى أنشأها بباب الوزير .

وفى جمادى الآخرة رسم السـلطان للرمّاحة بأن يسوقوا على العادة ويدور المحمل فى رجب كما فعل فى العام الماضى . — وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن سيباى نائبها امتنع عن الحضـور إلى القاهرة ولم يوافق بأن يلى أمير مجلس وقد أظهر العصيان ، فلما تحقق السلطان ذلك بطل أمر سودون العجمى من نيابة الشام وأعيد إلى أمرة مجلس كما كان ، وأرسل السلطان خلعة وتقليدا إلى أركماس نائب طرابلس بأن يكون نائب الشام عوضاً عن سودون العجمى الذى كان قد قرر بها .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره توفّى الحافظ تقى الدين بن الأوجاقى وكان من أعيان مشايخ الحديث ، وكان عالما فاضلا ديّنا خيرا بقيّة السلف وعمدة الخلف ، ومات وقد جاوز المائة سنة (١٤٩ ب) من العمر . — وفى يوم الأحد تاسع عشره توفّى ابن المحرّق ، وكان رئيساً حشما لا بأس به .

وفيه خرج الأمير خاير بك الذى قرّر فى نيابة حلب ، فكان له يوم مشهود ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدّامه الأمراء قاطبة . — وفيه جاءت الأخبار بأن دولات باى قرابة العادل طومان باى الذى كان نائب الشام ، وولى أيضا نيابة طرابلس ، وقد أظهر العصيان والتفّ على سيباى نائب حلب وقد توجّهوا إلى دمشق وحاصروا المدينة وقد أشرفوا على أخذها ، فلما تحقق السـلطان ذلك اضطربت أحواله وأراد أن يبطل دوران المحمل فى رجب فمنعوه الأمراء من ذلك ، ثم إنه جمع الأمراء فى قاعة البحرة وضربوا هناك مشورة فى أمر سيباى نائب حلب ودولات باى ، فأقاموا الأمراء عند السلطان إلى قريب العصر . —

وفيه عاقب السلطان بدر الدين بن مزهر وعصره فى أكعابه وركبه ودقّ القصب
فى أصابعه وأحرقها بالنار حتى وقعت عُقَد أصابعه ، ثم نوّعوا له أنواع العذاب
٣ فأخذوا له كمّاشة حديد وأحموها بالنار واختطفوا بها أبزازه وأطعموها له ، ثم
أخذوا له حبل قنب ولووه على أصداغه حتى نفرت عيناه من وجهه وسالت
على خدّيه ، وقاسى ما لاخير فيه وعُذّب بأنواع العذاب الشديد ، وكان المتولى
٦ عقابه الحاجّ بركات بن موسى ومعين الدين بن شمس وكيل بيت المال وإبراهيم
دوادار الوالى والريس كمال الدين المزيّن فما أبقوا ممكناً فى عذابه ، وكان هذا
من مقت الله تعالى فى حقّ بدر الدين بن مزهر ، وقد روى فى بعض الأخبار
٩ أن الله تعالى يقول إذا عصانى من يعرفنى سلّطت عليه من لا يعرفنى .

وفى رجب فى يوم الأربعاء رابعه توفّى القاضى بدر الدين بن مزهر بالقلعة ،
وقد مات تحت العقوبة ، فغُسل بالقلعة وكُفن وصُلّى عليه ونزلوا به من القلعة
١٢ وتوجّهوا به إلى تربة أبيه فدفن عليه ، وكان رئيسا حشما تولّى عدة وظائف
سنية منها نظارة الخاصّ والحسبة وكتابة السرّ تولاّها عن أبيه ، وكان جميل
الهيئة مليح الشكل ، وتوفّى عن ثلاث وخمسين سنة من العمر ، وكان من أعيان
١٥ الرؤساء بمصر أنصاريّ الأصل ، وهو محمد بن أبى بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن
أحمد بن عبـــد الخالق بن (١٥٠ آ) عثمان الشهير بمزهر الدمشقى الأنصارى
الشافعى ، وكان له اشتغال بالعلم لكنه كان يتقرّب إلى خواطر الملوك بإيذاء الناس
١٨ فأخذ من الجانب الذى كان يأمن اليه ، وقد رثيته بقولى مع التضمين :

خُسف البدر المفدّا وبسُحب الترب غابا
يا ترابا ضمّ بدرى ليتنى كنت ترابا

٢١ انتهى ذلك .

وفى هـــذا الشهر جاءت الأخبار بأن دولات باى أخا العادل توجّه إلى

---

(٣) واختطفوا : واخطفوا .

حماة ونهب غالب ضياعها وفرّ منها النائب الذى كان بها وقبض على أعيان
أهلها ، فلما بلغ السلطان ذلك عيّن تجريدة إلى البلاد الشامية وعيّن الأتابكى
قيت باش العسكر وصحبته جماعة من الأمراء المقدّمين ، ثم بطل ذلك فيما بعد وعيّن ٣
الأمير أزدمر الدوادار باش العسكر وصحبته جماعة من الأمراء غير تلك الطائفة
التى تعيّنت صحبة قيت ، ولم يتمّ ذلك أيضا وكان من الأمر ما سنذكره . —
وفيه ترافع الشيخ أبو شامة مع خليفة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، ٦
فرسم السلطان بإيداع خليفة سيدى أحمد البدوى فى الترسيم ، ثم إن
السلطان أخلع على ولد خليفة سيدى أحمد البدوى وقرّره فى المشيخة عوضا
عن أبيه ، وأشرك معه بشخص من الأتراك يقال له لاجين رأس نوبة الجمدارية ، ٩
وقرّره أيضاً ناظرا على مقام سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه . — وفى يوم
تاسعه نودى فى القاهرة بالزينة بسبب دوران المحمل ولبسوا الرمّاحة الأحمر
على العادة ، وكان معلّم الرمّاحة تمر الحسنى الزردكاش أحد المقدّمين والباشات ١٢
الأربعة على حكم السنة الماضية ، غير أن لما توفى الأمير أبو يزيد وكان أحد
الباشات فقرّر عوضه شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له مصرباى ، فساقوا
فى هذه السنة أحسن ما ساقوا فى العام الماضى وبات السلطان بالقصر وأحرقوا ١٥
قدّامه إحراقة نفط حافلة ودارت المسايرات فى القاهرة على العادة القديمة ، ثم
ساقوا الرمّاحة بالرملة مرّتين على العادة ونزلوا عن خيولهم وباسوا الأرض
للسلطان فى الرملة عند انتهاء اللعب كما كان يفعل للملك الظاهر خشقدم ، فأول ١٨
من أحدث ذلك السلطان قايتباى لما كان يسوق (١٥٠ ب) فى المحمل ، ثم دار
المحمل وكسوة الكعبة الشريفة ومقام إبراهيم عليه السلام ، فلما انقضى أمر المحمل
أخلع السلطان على المعلّم والأربعة باشات ونزلوا إلى دورهم . — وفى هذا ٢١
الشهر أخلع السلطان على شيخ العرب بيبرس بن بقر وقرّره فى شياخة العرب
على عادته ، وقرّر أقباى فى كشوفية الشرقية على عادته ، وكانت الشرقية يومئذ
فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان . ٢٤

ومن الحوادث أن فى يوم الاثنين سادس عشر رجب قبض السلطان على الأتابكى قيت الرجبى وهو واقف بالحوش بين الأمراء فأدخلوه قاعة البحرة ، وقبضوا معه على الأمير أزبك المكحل ، فكثر القيل والقال فى ذلك اليوم ، ثم إن السلطان نادى فى القاهرة بالأمان والاطمان والبيع والشراء فسكن ذلك الاضطراب قليلا ، وكان الأتابكى قيت ظالما غاشما عسوفا واسطة سوء قليل الخير كثير الأذى ، وهو الذى كان سببا لأخذ أجرة الأملاك سبعة أشهر ، وكذلك خراج الإقطاعات والرزق عن سنة كاملة ، ثم تسبب فى قطع جوامك أولاد الناس والأيتام والنساء ، وحصل منه غاية الضرر للناس قاطبة ، وكان إذا استعمل صنايعيا يقطع أجرته ، وقد اجتمع فيه أشياء كثيرة من المساوى وقد اسودّ وجهه من كثرة المظالم ، فكان كما يقال فى المعنى :

يا مُشبها فى فعله لونه لم تخط ما أوجبت القسمة
فعلك من لونك مستخرجٌ والظلم مشتقّ من الظلمة

ولما قبض السلطان على قيت ووبّخه بالكلام أنكر ما نقل عنه ، فأحضر له السلطان عدّة مراسيم بما كان يكاتب بها النوّاب بما نقل عنه ، فعند ذلك تبيّن صحّة ما نقل عنه وافتضح بين الأمراء ، وكان سبب تغير خاطر السلطان على الأتابكى قيت الرجبى أنه كان له الغرض التامّ بأن يتسلطن ، فكاتب سيباى نائب حلب بأن يُظهر العصيان حتى يخرج إليه قيت فى التجريدة فإذا توجّه إلى البلاد الشامية التفّ عليه دولات باى الذى [كان] نائب طرابلس وسيباى نائب حلب وغير ذلك من النوّاب ويتسلطن هناك كما فعل العادل طومان باى ، فلما تحقّق السلطان ذلك أبطله من باشيّة العسكر بعد أن عيّنه صحبة التجريدة التى تعيّنت إلى سيباى نائب حلب ، ثم لما انقضى أمر المحمل قبض عليه عقيب ذلك وأدخله إلى قاعة البحرة ثم قيّده وزنجره ، وقبض (١٥١ آ) معه على الأمير أزبك المكحل ، ثم إن السلطان احتاط على موجود الأتابكى قيت من صامت

---

(٥) سوء : يسوء .

وناطق ولم يترك له شيئا ، فوجد عنده أشياء كثيرة من آلة السلاح ، ووجد له من الذهب العين ستين ألف دينار ، ومن البرك والخيول والقماش أشياء كثيرة ، فاحتاط السلطان على ذلك جميعه ، واستمرّ قيت فى التوكيل به فى قاعة البحرة . — ٣
وفى سلخ هذا الشهر بات السلطان بالقصر وعمل الموكب بالشاش والقماش ، فلما أصبح يوم الاثنين أخلع على المقرّ السيفى قرقماس من ولىّ الدين أمير سلاح وقرّره أتابك العساكر بمصر عوضا عن قيت الرجبى بحكم القبض عليه ، فنزل ٦ من القلعة فى موكب حافل وقدّامه سائر الأمراء وغالب العسكر .

وفى شعبان فى يوم السبت حادى عشره رسم السلطان بإخراج قيت الرجبى إلى ثغر الإسكندرية ، فنزلوا به من القلعة وهو مقيّد منزعج وخلفه أوجاق ٩ بخنجر وقدّامه أزبك المكحّل أحد الأمراء المقدّمين . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان بنفى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له يلباى قيل أنه قرابة سيباى نائب حلب . — فنزلوا بالأتابكى قيت ومن معه من الأمراء بعد العصر من باب الدرفيل ١٢ وتوجّهوا به من خلف القاعة إلى البحر فأنزلوه فى مركب وأقلعوا به فى يوم هوى مريسى ، وكان المتسفّر عليه الأمير جانم الدوادار الثانى وعلان والى القاهرة ونحوا من خمسين مملوكا من المماليك السلطانية ، فسجنوا قيت بثغر ١٥ الإسكندرية ، وكان يومئذ خدا بردى مملوك السلطان متوليا نيابة الإسكندرية فسبّ قيت الرجبى عند ما سجن بالبرج وما قاسى منه خيرا ، وكان خدابردى تقرّر فى نيابتها عوضا عن تانى بك النجمى بحكم انتقاله إلى التقدمة من نيابة ١٨ الإسكندرية ، وتوجّهوا بأزبك المكحّل إلى نحو دمياط فسجن بها ، فعدّ نفى الأتابكى قيت من جملة سعد السلطان ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وقد قلت فى ذلك :

قد كان قيت باغيا ولكل شرّ يُسْرِعُ ٢١
فجنى عليه بغيُهُ ولكل باغٍ مَصْرَعُ

(١٢) فنزلوا : مكررة فى الأصل .

وفيه أخلع على الأتابكى قرقماس من ولىّ الدين خلعة الإنظار فنزل (١٥١ ب) من القلعة وتوجّه إلى البيمارستان المنصورى، وكان يوما مشهودا . – وفيه أخلع
٣ على الزينى بركات بن موسى وقرّر فى حسبة القاهرة ، وقد عُدّ من جملة أعيان الرؤساء بمصر وقد عظم أمره جدّا ، وقد قيل فى المعنى :

من وَلِىَ الحسبة يصبر على تعرّض الواقف والعابر

٦ فليس يحظى بالمُنا والغنا فيهم سوى المحتسب الصابر

وفيه رجع الأمراء الذين توجّهوا صحبة الأتابكى قيت فسجنوه بالإسكندرية ورجعوا . – وفيه عرض السلطان المحابيس من الرجال والنساء فأفرج عن
٩ جماعة منهم وصالح عنهم أرباب الديون وأبقى أصحاب الجرائم والفلاّحين .

وفى رمضان أخلع السلطان على الناصرى محمد بن القمارى وقرّره أمير شكار ، عوضا عن محمد بن أحمد بن أسنبغا الطيارى بحكم صرفه عنها . – وفيه
١٢ تسحّب من سجن العرقانة التى بالحوش السلطانى شخص من الأتراك يقال له أرزمك ، وكان له مدّة طويلة وهو فى السجن ، وقيل أنه هو الذى قتل العادل طومان باى ، فلما تسحّب خنق السجّان حتى مات وأخذ ثيابه ولبسها ونزل
١٥ من باب السبع حدرات ، فاضطربت القلعة فى تلك الليلة وهرب بعض الطواشية ، ثم بعد ثلاثة أيام أرسل يطلب من السلطان الأمان وقد شفع فيه الأتابكى قرقماس ، فعفى عنه السلطان من القتل ورسم بنفيه . – وفى أثناء هذا الشهر فشى
١٨ الطاعون بالديار المصرية ، وقد وقع فى أواخر السنة التى قبلها ، وكان تارة يقوى وتارة يخفّ ثم قوى أمره فى هذه السنة وهجم فى هذا الشهر جملة واحدة ، فلما تزايد الأمر فتح السلطان مغسلا للأموات بجوار سبيل المؤمنى فحصل به
٢١ للناس غاية النفع . – وفى يوم السبت تاسع عشره توفّى القاضى كمال الدين بن مزهر أخو القاضى بدر الدين كاتب السرّ كان ، وكان شابّا رئيسا حشما وولى كتابة السرّ بعد أخيه بدر الدين فى دولة الظاهر قانصوه . – ومن العجائب

أن أولاد القاضى أبو بكر بن مزهر كاتب السرّ ماتوا الثلاثة فى سنة واحدة ، فبدر الدين مات تحت العقوبة كما تقدّم ، وأخوه يوسف شنق نفسه من خوفه من السلطان ، وأخوه كمال الدين (١٥٢ آ) مات مطعونا فكانت آجالهم متقاربة ٣ من بعضهم ، وكانوا أشكالا حسنة ولا بأس بهم .

وفى شوال كان العيد بالجمعة ، وخطب فى ذلك اليوم خطبتين ولهج الناس بزوال السلطان عن قريب ولم يكن ذلك . — وفيه حضر قاصد على دولات ٦ وقد أرسل يشفع عند السلطان فى سيباى نائب حلب ودولات باى نائب طرابلس ، وكان قد أشيع عنهما العصيان وأنهما من عصبة قيت الرجبى وقد تقدّم القول على ذلك . — وفيه تزايد أمر الطاعون وفتك فى الأطفال والمماليك ٩ والعبيد والجوار والغرباء ووصل إلى أربعة آلاف جنازة كل يوم ؛ وعزّ وجود السكر النبات حتى بيع كل رطل بثمانية أنصاف ، وعزّ وجود البطيخ الصيفى والرمان . — وفيه توفّى القاضى إبراهيم اللادنى مستوفى الزردخاناه ، ومات ابنه ١٢ محمد عقيب موته رحمهما الله تعالى ، وكان رئيساً حشما من أعيان المباشرين . — وفيه نودى فى القاهرة من قبل السلطان بأن لا يعمل عزاء بطارات ولا نائحة تنوح على ميّت ، ثم غمز على نائحة عملت عزاء بطارات فجرسها بركات بن موسى ١٥ على حمار والطارات معلّقة [فى] عنقها ووجهها ملطّخ بالسواد ؛ فلما جرى ذلك رجعن النساء عن تلك الأفعال الشنيعة ، ثم نادى الوالى أن النساء لا يخرجن فى نعىّ بالليل . — وفيه خرج الحاجّ من القاهرة وكان أمير ركب المحمل قانى باى ١٨ قرا أمير آخور كبير ، وبالركب الأول جان بردى تاجر المماليك ، فلما تزايد أمر الطاعون نادى السلطان بأن أرباب الوظائف من الأمراء يمنعون النقباء من جلوسهم على أبوابهم قاطبة وأن لا يشتكى أحد خصمه إلا من الشرع الشريف ، ٢١ ثم رسم السلطان لحاجب الحجّاب ووالى القاهرة بأن يكبسوا بيوت النصارى ويكسروا ما عندهم من جرار الخمر ، ويحرقوا أماكن الحشيش والبوزة

ولا يبقوا فى ذلك ممكنا ، وقد وقع فى دولة الأشرف شعبان بن حسين ما يقرب من هذه الواقعة حتى قال فى ذلك الأديب إبراهيم المعمار مواليا فى المعنى :

٣ يا من على الخمر أنكر غاية النكران لا تمنع القسّ يملأ الدنّ والمطران
وأمُرْ ببلع الحشيشة تكتسب أجران وتغتنمْ دعوة المصطول والسكران

وكان ذلك فى سنة تسع وستين وسبعمائة ، انتهى ذلك . — وفى خامس
٦ عشرينه (١٥٢ ب) أخلع السلطان على قاصد على دولات وأذن له بالعود إلى بلاده، وكتب له الجواب عن أمر سيباى نائب حلب ودولات باى نائب طرابلس . — وفى ثامن عشرينه توفّيت للسلطان ابنة وكانت مستحقّة للزواج ، فأخرجت
٩ فى بشخانة زركش وقدّامها كفارة ، وصلى عليها فى الجامع الأزهر ، ودفنت فى مدرسة أبيها داخل القبّة ، وكان لها جنازة مشهودة .

وفى ذي القعدة فى يوم مستهلّه توفى الأمير جانم الدوادار الثانى وكان
١٢ يقرب إلى الأشرف قانصوه خمسمائة ، وكان شابًّا جميل الهيئة شجاعا بطلا مشهورا بالفروسية ، وكان لا بأس به . — وفيه توفى جماعة كثيرة من الأمراء العشرات ومن الخاصكية . — وفيه توفى للأمير طراباى ابن صغير عمره دون العشر سنين ،
١٥ وتوفى له عبد حبشىّ كان بجمقدارا له فوجد عنده من الذهب العين ثمانية آلاف دينار غير القماش ، وتوفى له بوّاب الواحى فوجد له من الذهب العين ألف دينار خارجا عن مساطير على الناس . — وفى هـــذا الشهر أظهر السلطان
١٨ العدل فى الرعيّة ونادى فى القاهرة بأن المشاهرة التى كانت مقرّرة على الحسبة قد أبطلها السلطان ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وفرح الناس بذلك ، فلما مضى أمر الطاعون أعيدت كما كانت وزيادة . — وفى يوم الجمعة سادسه كانت وفاة
٢١ المقرّ الناصرى محمد ولد السلطان ، وكان متولىّ شادية الشراب خاناه ، وكان شابًّا جميل الصورة مليح الشكل بهىّ المنظر توفىّ وله من العمر نحوا من ثلاث عشرة

(١٦) الواحى : يعنى من الواحات .

سنة ، وكان وافر العقل قليل الأذى فكثر عليه الأسف والحزن من الناس ، وكانت وفاته بالقلعة وصلّى عليه بعد صلاة الجمعة عند باب الستارة ونزلوا به من سلّم المدرج ، ومشت قدّامه الأمراء فتوجّهوا به إلى الدرب الأحمر وأدخلوه ٣ من خوخة أيدغمش ، وكانت له جنازة مشهودة ونهب العوامّ الكفارة من قدّامه عند باب الوزير ، واستمرّت الأمراء ماشية حتى أتوا به إلى مدرسة أبيه فدفن بها داخل القبّة ، وقد رثيته بقولى : ٦

لَهَفى على من كان ظنى أنّنى ... أفنى المدائح فى الثناء قوافيا
فمضى وأثكلنى فها أنا ناظم ... تلك المعانى الغُرّ فيه مراثيا

(١٥٣ آ) ثم فى عقيب ذلك توفّيت للسلطان سريّة جركسية وهى أمّ ولده ٩ الصغير فدفنت داخل القبّة أيضا . — وفى يوم الثلاثاء عاشره توفى جان قلج الخازندار أحد الأمراء العشرات ، وكان من خواصّ السلطان وكان شابّا جميل الهيئة مليح الصورة ، وقد أقبلت له الدنيا ، وكان تعيّن للدوادارية الثانية قبل موته . — ١٢ وفى يوم الاثنين سادس عشره فيه أخلع السلطان على علان من قراجا والى القاهرة وقرره فى الدوادارية الثانية عوضا عن جانم قريب قانصوه خمسمائة بحكم وفاته ، وأخلع على قانصوه المعروف بأبى سنّة وقرّره فى ولاية القاهرة ١٥ عوضا عن علان بحكم انتقاله إلى الدوادارية الثانية ، وأخلع على الأمير طومان باى قريب السلطان وقرّر فى شادية الشراب خاناه عوضا عن ابن السلطان بحكم وفاته . — وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه توفىّ الناصرى محمد بن الأمير تانى بك قرا أمير ١٨ مجلس كان ، وكان من أعيان أولاد الأمراء رئيساً حشما لا بأس به . — وفى سادس عشرينه توفى أزبك النصرانى أحد الأمراء العشرات أمير شكار ، وكان غير مشكور السيرة . — وفى يوم الجمعة سابع عشرينه توفى الشهابى أحمد ٢١ خليفة سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه ، وكان من أعيان مشايخ الصوفية ، وكان رئيسا حشما لا بأس به .

وفى ذى الحجّة أخلع السلطان على القاضى محيى الدين عبد القادر القصروى وقرر فى نظر الجيش ، عوضا عن الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخاصّ . — وفيه رسم السلطان بإحضار أربعة الأمراء العشرات الذين كانوا نفيوا إلى ثغر دمياط ، فلما حضروا ألبسهم سلاريات بسنحاب ونزلوا إلى دورهم .

وفيه جاءت الأخبار بوفاة القاضى بهاى الدين بن قدامة الحنبلى ، وكان تولى قضاء مصر فأقام بها مدّة يسيرة وعزل عنها ، ثم قرّر فى قضاء الحنابلة بدمشق فخرج إليه ومات فى أثناء الطريق . — وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض وذلك فى حادى عشرين بشنس القبطى ثم ابتدأ بضرب الكرة . — وفيه دخلت خماسين النصارى والطعن (١٥٣ ب) عمّال وقد فتك فى الناس فتكا ذريعاً وأفنى من المماليك والعبيد والجوار والأطفال والغرباء ما لا يحصى ، وفى هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين الأسيوطى من أبيات :

يا ربِّ بالهادى النبيّ المجتبى	أغمد عن الإسلام أسياف الوبا
يا ربِّ لا نشكو أليمَ عذابه	إلاّ إليك فقد أخاف وأرعبا
كم حلّ فى دار فبدّد شمل من	فيها فلا يجدون منه مهربا
يا ربِّ لطفاً بالعباد فما لهم	ربٌّ سواك يقيهم المستصعبا
إنّا اعترفنا بالذنوب فكلّنا	عاصٍ مسيءٌ للعذاب استوجبا
لكن إذا قرنت عظيم ذنوبنا	بعظيم عفوك كان عفوك أغلبا
إن كان لا يرجوك إلاّ محسن	فى العالمين فمن يُجير المذنبا

انتهى ذلك . — وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريب بما وقع فيها [من] الفناء والغلاء وفساد العربان بالشرقية والغربية حتى بأرض الحجاز ، والأمر إلى الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وتسعمائة

فيها فى المحرم اهتمّ السلطان بإصلاح بناء الدهيشة وسدّ البحرة التى كانت
بها وفرش أرضها بالرخام الملوّن وصارت مدهشة للناظرين ، ولكن حصل منه ٣
الضرر الشامل ، وذلك أنه رسم بفكّ رخام قاعات كاتب السرّ أبو بكر بن
مزهر ونقله إلى الدهيشة ، وجدّدها من سقوفها وأبوابها وما بها من المعالم
قاطبة . — وفيه فى ثامنه حضر هجّان من الحجاز وأخبر أن المبشّر معوّق ٦
عند العرب ، وأخبر بوفاة مختص الطواشى وكان من أعيان الخدام رئيسا حشما
جميل الهيئة ، وهو الذى بنى أساس جامع السلطان الذى بالشرابشيين ، وكان عمره
أولا لنفسه ثم أخذه منه السلطان وزاد فى اتساعه كما تقدم ذكر ذلك . — ٩
ومن الحوادث أن فى يوم عاشوراء سقط ربع من داخل المشهد الحسينى ، فمات
فى ذلك اليوم تحت الردم نحو من عشرين إنسانا من رجال ونساء . — وفيه
أنعم السلطان على تانى بك النجمى بتقدمة ألف وبقى من جملة الأمراء المقدّمين . — ١٢
وفيه أخلع السلطان على تمر باى خازندار العادل طومان باى وقرّر فى الأستادارية
الكبرى ، عوضا عن تغرى بردى من يلباى بحكم صرفه عنها . — وفيه أخذ قاع
النيل وجاءت القاعدة سبعة أذرع ، وكانت الزيادة فى أول يوم من المناداة خمسة ١٥
أصابع . — وفى الرابع والعشرين منه دخل الحاجّ إلى القاهرة (١٥٤ آ)
وقد قاسى فى هذه السنة مشقّة زائدة من موت الجمال والعطش وفساد العربان .

وفى صفر تغير خاطر السلطان على الأمير محسن الخازن الطواشى الحبشى ١٨
فرسم بنفيه إلى سواكن ، ورسم بنفى جوهر الشمسى شاد الحوش فنفاه إلى مكة ،
وكان سبب ذلك أنه غفل عن أرزمك الذى تسحّب من العرقانة . — وفيه
أخلع السلطان على سرور الزينى وقرّره فى شادية الحوش عوضا عن جوهر ٢١
الشمسى بحكم نفيه إلى مكة . — وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء
العشرات يقال له أزبك الصوفى وقرّره فى نيابة القدس عوضا عن ملاج بحكم

---

(١٦) وفى : وفيه .

صرفه عنها . – وفيه أذن السلطان لحريمه أن يصعد إلى القلعة ، وكان فى هذه
المدّة لم تصعد خوند زوجة السلطان إلى القلعة وكانت مقيمة ببيت الأمير
٣ ماماى الذى بين القصرين ، فكان يوم صعودها إلى القلعة يوما مشهودا فصعدت
إلى القلعة فى محفّة زركش وكان لها موكب حافل ، فلما صعدت إلى القلعة حملت
على رأسها القبّة والطير ، ونثرت عليها خفائف الذهب والفضّة ، وفُرشت لها
٦ الشقق الحرير من باب الستارة إلى قاعة العواميد ، ومشت قدّامها الخوندات حتى
جلست على المرتبة ، وكان السلطان فى هذه المدّة جدّد عمارة قاعة العواميد
وزخرفها بخلاف ما كانت عليه أولا .

٩ وفى ربيع الأول فى يوم السبت ثانيه كان وفاء النيل المبارك وقد وافق
ذلك تاسع مسرى ، فتوجّه الأتابكى قرقماس وفتح السدّ على العادة وكان يوما
مشهودا ، وقد أوفى وزاد عن الوفاء ثلاثة أصابع ، وكان نيلا عظيما كما يقال :

١٢ ذا النيل ما يبرح فى سعده وحاله الماشى حالا
يجرى لنا ماض ومستقبلا لا أوقف الله له حالا

وكان من مبتدأ زيادته إلى هبوطه لم يتوقّف يوما واحدا . – وفى يوم
١٥ الاثنين رابعه حضر إلى الأبواب الشريفة سيباى نائب حلب الذى كان قد أظهر
العصيان بسبب واقعة قيت الرجبى ، فلما جرى له [ما جرى] ونفى أرسل سيباى
يطلب من السلطان الأمان فأرســل له منديل الأمان ورسم له بالحضور إلى
١٨ القاهرة ، فلما طلع إلى بين يدى السلطان حمل تحت إبطه ثوبا بعلبكيا وفكّك
أزراره كما فعل قانصوه خمسمائة (١٥٤ ب) لما قابل الأشرف قايتباى ، فلما قابل
السلطان أخلع عليه كاملية مخمل أحمر بصمور ونزل من القلعة فى موكب حافل . –
٢١ وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان حافلا . – وفيه خسف
جرم القمر خسوفا فاحشا واستمرّ فى الخسوف إلى آخر الليل . – وفى حادى
عشرينه عمل السلطان الموكب وأخلع على سيباى نائب حلب وقرّره فى أمرة
٢٤ السلاح عوضا عن قرقماس من ولىّ الدين بحكم انتقاله إلى الأتابكية . – وفيه

أخلع السلطان على أيدكى والى قطيا وقرّره فى نيابة القدس عوضاً عن أزبك الصوفى ، ونقل أزبك الصوفى إلى نيابة غزّة عوضا عن ملاج الذى كان نائب القدس ، وسجن ملاج . — وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه توفّى الأمير تغرى بردى من يلباى ٣ المعروف بالقادرى أمير أستادار العالية ، فلما مات دفن بجوار الإمام الشافعى رضى الله عنه بتربته التى أنشأها هناك ، وكان أميرا جليلا ديّنا خيرا رئيسا حشما ، وكان من جملة الأمراء العشرات ، وولى الأستادارية الكبرى غير ما مرّة ٦ وأقام بها مدّة طويلة ، وكان ينتج بالسداد والناس عنه راضية ، وكان أقلّ ظلما من غيره من الأستادارية وكان لا بأس به .

وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال ٩ له قايتباى من طـــوبرزه وقرّره فى نيابة الكرك فخرج إليها عن قريب . — وفيه عرض السلطان العسكر وعيّن ثلاث تجاريد واحدة إلى مكة بسبب يحيى ابن سبع أمير الينبع ، وواحدة إلى الكرك بسبب فساد عربان بنى لام ، وواحدة ١٢ إلى الهند بسبب تعبّث الفرنج بسواحل الهند ، فعيّن فى ذلك اليوم جماعة كثيرة من العسكر وأخذوا فى أسباب عمل البرق . — وفيه أخلع السلطان على القاضى إبراهيم الشرابيشى المعروف بابن البابا مباشر الأتابكى قيت الرجبى ، وقرّره متحدّثا ١٥ على أوقاف الزمامية وناظر الذخيرة وغير ذلك من الجهات السلطانية ، عوضا عن شهاب الدين المرقبى بحكم صرفه عنها . — وفيه اســـتعفى الأمير تمر باى خازندار العادل من الأستادارية ، فأعفاه السلطان منها ولم ينتج بالسداد فيها . ١٨

وفى جمادى الأولى فى يوم مستهلّه أخلع السلطان على القاضى شرف الدين يونس النابلسى ناظر الديوان المفرد (١٥٥ آ) وقرّره فى الأستادارية الكبرى عوضا عن الأمير تمر باى بحكم انفصاله عنها ، وهذه الوظيفة لم يلها متعمّم من ٢١ بعد القاضى تاج الدين بن المقسى لما جمع بين نظارة الخاص والأستادارية فى سنة اثنين وثمانين وثمانمائة فى دولة الأشرف قايتباى سوى شرف الدين يونس النابلسى

---

(٢٠) يونس : يوسف .

ناظر الديوان المفرد . — وفيه ثبت النيل المبارك على أحد عشر أصبعا من عشرين ذراعا ، واستمرّ فى ثبات إلى آخر بابه وكان نيلا مباركا . — وفى يوم
٣ الخميس تاسع هذا الشهر كانت وفاة شيخنا الحافظ العلاّمة جلال الدين الأسيوطى وهو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق بن أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الهمام الخيضرى الأسيوطى الشافعى ، وكان عالما
٦ فاضلا بارعا فى الحديث الشريف وغير ذلك من العلوم ، وكان كثير الاطلاع نادرة فى عصره بقيّة السلف وعمدة الخلف ، وبلغت عدّة مصنّفاته نحوا من ستمائة تأليف ، وكان فى درجة المجتهدين فى العلم والعمل ، وكان مدّة حياته نحوا من
٩ اثنين وستين سنة وأشهر ، وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ولما مات دُفن بجوار خانقة قوصون التى هى خارج باب القرافة ، قيل لما غسل أخذ الغاسل قيصه وقبعه فاشترى بعض الناس قيصه
١٢ من الغاسل بخمسة دنانير للتبرّك به وابتاع قبعه الذى كان على رأسه بثلاثة دنانير للتبرّك به ، ولما مات رثاه شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى بهذه الأبيات وهو قوله :

١٥ مات جلال الدين غوث الورى — مجتهد العصر إمام الوجود
وحافظ السنّة مهدى الهدى — ومرشد الضالّ لنفع يعود
فيا عيون انهملى بعده — و يا قلوب انفطرى بالوقود
١٨ واظلمى دنياى إذ حقّ ذا — بل حقّ أن ترعد فيك الرعود
وحقّ للضوء بأن ينطفى — وحقّ للقائم فيك القعود
وحقّ للنور بأن يختفى — ولليالى البيض أن تبق سود
٢١ وحقّ للناس بأن يحزنوا — بل حقّ أن كلا بنفس يجود
وحقّ للأجيال خرّا وأن — تطوى السماء طيا كيوم الوعود
وأن يغور الماء والأرض أن — تميدا إذ عم المصاب الوجود

---

(١٥) غوث : غورث .

(١٥٥ ب) مصيبة جلّت فحلّت بنا وأورثت نار اشتعال الكبود
صبّرنا الله عليها وأو لاه نعيما حلّ دار الخلود
وعمّه منه بوبل الرضى والغيث بالرحمة بين اللحود ٣

انتهى ذلك . — وفيه مالت مأذنة جامع السلطان الذى أنشأه بالشرابشيين ، فلما تشقّقت وآلت إلى السقوط رسم بهدمها وقد ثقلت من علوّها كون أنها بأربعة رؤوس ، فلما هدمت أعيدت على الصحّة وقد بنى علوّها بالطوب وصنعوا ٦ عليه قاشانى أزرق ، وقد تقدّم مثل هذه الواقعة للمؤيد شيخ ، فلما بنى جامعه الذى هو داخل باب زويلة فمالت مأذنته الشرقية عند انتهاء العمل منها فأمر بهدمها ، فهدمت وأعيدت على ما كانت عليه وذلك فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . ٩

وفى جمادى الآخرة فى يوم مستهله نفق السلطان على من تعيّن من العسكر صحبة التجريدة المعيّنة إلى بلاد الهند ، فأعطى لكلّ مملوك عشرين دينارا وأصرف لهم جامكية أربعة أشهر معجلاً وكذلك العليق ، فكان جملة ما صرف لهم نحوا ١٢ من خمسين دينارا لكلّ شخص ، وكان العسكر الذى خرج فى هذه التجريدة ملفقا ما بين أولاد ناس وبعض مماليك سلطانية والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك ، وأرسل السلطان صحبتهم جماعة كثيرة من البنّائين ١٥ والنجّارين والفعلاء بسبب تلك الأبراج التى أنشأها السلطان فى جدّة وإنشاء الصور . — وفى يوم الخميس ثانيه كانت وفاة قاضى القضاة الشافعى شهاب الدين أحمد المعروف بابن فرفور الدمشقى . وكان عالما فاضلا رئيسا حشما فى سعة ١٨ من المال ذا شهامة وعظمة ، وقد جمع بين قضاء الشافعية بمصر والشام وهذا لم يتفق لأحد قبله من القضاة ، ولما توفى الشهاب بن فرفور رسم السلطان لقاضى القضاة الحنفى سرىّ الدين عبد البرّ بن الشحنة بأن يخطب به ويصلّى صلاة ٢١ الجمعة بالقلعة إلى أن يلى قاضى شافعى . — فلما كان يوم الجمعة خرج عبد البرّ وخطب

---

(٢) صبرنا : صبرنا . (١٩) وعظمة : وعظيمة .

بالسلطان وهو لابس السواد فصعد المنبر وخطب خطبة مختصرة . — وفى يوم الاثنين (١٥٦ آ) سادسه خرجت تلك التجريدة المعيّنة إلى بلاد الهند ، وكان

٣ لها يوم مشهود ، فكان باش المماليك الذين توجّهوا فى المراكب إلى جدّة والتركمان والعبيد الذين بها حسين المشرف ، وباش المغاربة الذين بها الخواجا نور الدين على المسلاتى المغربى ، فلما خرجوا توجّهوا إلى نحو السويس ونزلوا من هناك

٦ مراكب إلى جدّة ، وقد جهّز لهم السلطان عدّة مراكب مشحونة بالزاد والسلاح وغير ذلك . — وفيه كانت وفاة الشيخ الصالح سيدى محمد المغربى الشاذلى رحمة الله عليه ، وكان من مشاهير الأولياء . — وفى يوم الخميس تاسعه أخلع

٩ السلطان على الشيخ ولىّ الدين محمد ولد قاضى القضاة شهاب الدين بن فرفور وقرّره فى قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن أبيه بحكم وفاته ، وكان شابًّا لم يلتح بعد . — وفى يوم الجمعة رسم السلطان لقاضى القضاة عبد البرّ بن الشحنة

١٢ بأن يخطب به ويصلّى الجمعة كما فعل فى الجمعة الماضية . — وفيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك حادى عشر هاتور القبطى . — وفى يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان على الشيخ جمال الدين القلقشندى وقرّره

١٥ فى قضاء الشافعية بمصر عوضاً عن الشهاب الدين بن فرفور بحكم وفاته .

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن شخصا من الأمراء العشرات يقال له مغلباى المقترع قتله عبده تحت الليل ، فلما بلغ السلطان ذلك شنق العبد على

١٨ باب سيّده فى مكان قتله به . — وفى سلخ هذا الشهر أخلع السلطان [على] أقباى كاشف الشرقيّة وقرّره فى نيابة غزة ، عوضا عن أزبك الصوفى الذى كان بها وصرف عنها .

٢١ وفى رجب فى يوم مستهلّه كانت وفاة الناصرى محمد بن الأتابكى أزبك من ططخ ، وكان شابًّا رئيسا حشما أصيلا عريقا سبط الملك الظاهر جقمق وأمّه خوند بنت البارزى ابنة الظاهر جقمق ، وكان من جملة الأمراء العشرات وكان

لا بأس به . — وفى يوم الخميس رابعه أخلع السلطان على شخص يقال له
أقطوه وقرّره فى كشف الشرقيّة عوضا عن أقباى بحكم انتقاله إلى نيابة غزّة . —
وفى يوم الأحد سابعه جلس السلطان بالميدان وعرضوا عليه أبقار الجراريف ٣
وأبقار الدواليب ، فلما عرضوا على السلطان ورجعوا نهبوا صبيان الحوَلّة عدّة
دكاكين من باب النصر إلى باب زويلة ، وكادت القاهرة أن تخرب فى ذلك اليوم
عن آخرها ، فضجّ أصحاب البضائع واستغاثوا (١٥٦ ب) وطلعوا إلى السلطان ٦
وقد نُهب لهم بضائع وقماش نحو من خمسمائة دينار ، فلما بلغ السلطان ذلك
تشوّش إلى الغاية ووبّخ الجمالى يوسف بن أبى أصبع وكان هو المتحدّث على
تلك الجهات وألزمه بإحضار من فعل ذلك من صبيان المرابعين ، فنزل الزينى ٩
بركات بن موسى ويوسف بن أبى أصبع ليحرّروا ما نهب للناس ويرضونهم
فى بضائعهم حسبما رسم السلطان بذلك ، فلما نزل ابن موسى ويوسف بن أبى
أصبع قبضوا على جماعة ممن فعل ذلك فرسم السلطان بشنق أربعة أنفس منهم ١٢
وضرب منهم جماعة بالمقارع ، وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع . — وفيه
خرج الأمير قايتباى الرمضانى الذى ولى نيابة الكرك إلى محلّ ولايته وخرج
صحبته العسكر المعين إلى الكرك بسبب فساد عربان بنى لام . ١٥

وفى شعبان جاءت الأخبار بوفاة نائب صفد الأمير قانصوة قرا ، وكان أصله
من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان لا بأس به . — وفيه عرض السلطان
المحابيس فأطلق منهم جماعة وأبقى أصحاب الجرائم والفلاّحين . — وفيه خرج ١٨
الأمير أقباى كاشف الشرقيّة الذى قرّر فى نيابة غزّة إلى محل ولايته بها . —
وفيه أخلع السلطان على الأمير خاير بك كاشف الغربيّة أحد الأمراء المقدّمين
وقرّره أمير حاجّ بركب المحمل ، وقرّر قنبك رأس نوبة ثانى بالركب الأول ، ولم ٢١
يتمّ ذلك وبطل . — وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء الطبلخانات
يقال له قانى باى العثمانى وقرّره فى نيابة صفد عوضا عن قانصوه قرا بحكم

وفاته . — وفيه حضر شخص من فقراء الصعيد يقال له مهدى ، فلما مثل بين يدى السلطان قامت عليه البيّنة بأنه زنديقا ساحرا يتوضّأ باللبن ويستنجأ به ،
٣ وذكروا عنه أشياء كثيرة من هذا النمط تخالف الشريعة ، فأرسله السلطان إلى قاضى القضاة المالكى فحكم بكفره بموجب ما قامت به عليه البيّنة وضرب عنقه تحت شبّاك المدرسة الصالحية بعد أن أشهروه على جمل وهو عريان . —
٦ وفيه كان دخول الأمير طراباى رأس نوبة النوب على أخت خوند الخاصبكية وهى زوجة الأمير أقبردى الدوادار ، فكان لها مهمّا حافلا . — وفيه خرج قانى باى العثمانى الذى قرّر فى نيابة (١٥٧ آ) صفد إلى محل ولايته بها . —
٩ وفيه وقعت نادرة لطيفة وهو أن الشيخ جمال الدين السلمونى الشاعر هجا القاضى معين الدين بن شمس وكيل بيت المال هجوا فاحشا ، فمن جملة ذلك هذا البيت :

وحرفته فاقت على كل حرفة يركّب ياقوتا على فصّ خاتمه

١٢ فلما بلغ معين الدين ذلك شكا السلمونى إلى السلطان فقال له إن وجب عليه شىء بالشرع أدبه ، فنزل وضع السلمونى فى الحديد وأتى به إلى بيت قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة وادّعى عليه ، فضربه عبد البرّ وعزّره وأشهره
١٥ على حمار وهو مكشوف الرأس . وقد ورد فى بعض الأخبار أن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أول من عاقب على الهجاء ، وقد قال بعض شعراء العصر فى واقعة السلمونى بيتين هما :

١٨ وشاعر قد هجا شخصا فحل به من حاكم الشرع توبيخ وتعزير
فأشهروه وجازوه بفعلتـــه تَبًّا له شاعر بالهجو مشهور

فلما بلغ السلطان ما فعله معين الدين بن شمس بالسّلمونى شقّ ذلك عليه
٢١ ووكّل به وأمر بقطع لسانه ، فإنّه قال السلطان رسم لى بأن أشهر السلمونى ، ولم يكن السلطان رسم بشىء من ذلك ، واستمرّ ابن شمس فى الترسيم مدّة طويلة حتى تراضى السلطان بمال له صورة حتى رضى عليه وألبسه خلعة .

وفى رمضان تغير خاطر السلطان على شخص من الأتراك يقال له الشيخ سنطباى ، وكان يدّعى التصوّف وكان مقيما بالمدرسة السنقرية التى تجاه خانقة سعيد السعداء ، فَوُشِى به عند السلطان أنه يضرب الدراهم والدنانير الزغل ٣ فأرسل قبض عليه فوجد عنده عدّة ضرب الزغل ، وكان عنده جماعة يفعلون ذلك فأمر السلطان بقطع أيديهم ، وأما الشيخ سنطباى شفع فيه الأتابكى قرقماس من قطع اليد فرسم له السلطان بأن يتوجّه إلى القدس ويقيم به بطّالا ، وكان ٦ الشيخ سنطباى أصله من مماليك الأشرف قايتباى وكان يدّعى الصلاح فانكشف رخه وظهر للناس أمره ، وقد قال فيه القائل :

يا مَن بضرب الفلس صار مشتغل وما رأيناه قطّ يضرب ذهب ٩
إلا بطول الدهر ضرّاب فلوس وجدّ ضرب الفلس عقله ذهب

(١٥٧ ب) وفيه جاء شخص من بلاد جركس وهو صبيّ صغير زعموا أنه أخو السلطان ، وكذلك حضر آخر زعموا أنه أخو الأمير أزدمر الدوادار ١٢ فأنزلوهما بالطبقة .

وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى ، وكان الختم بالحوش السلطانى وقد نصبت هناك خيمة كبيرة ، وكانت العادة القديمة بأن البخارى يقرأ بالقصر ١٥ ويختم بالقصر الكبير ويكون له يوم مشهود ، وتفرّق هنـاك الخلع على القضاة ومشايخ العلم وكذلك الصرر ، فبطل ذلك وصار البخارى يقرأ بجامع القلعة ويختم بالحوش فتكون ساعة يسيرة ثم ينفضّ ذلك المجلس عن أمر هين . ١٨

وفى شوال كان موكب العيد حافلا وفرّقت الخلع على الأمراء ونزلوا إلى دورهم ، وكان يوما مشهودا . — وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن أهل المدينة ثاروا على نائبها أركماس من طراباى ورجموه وأخرجوه من المدينة ، فلما ٢١ بلغ السلطان ذلك أرسل بالحضور إلى أركماس نائب الشام وعين نيابة الشام إلى

سيباى أمير سلاح ، ثم إن السلطان قبل أن يخلع عليه رسم له بأن يتوجّه إلى بيت
الأمير أزدمر الدوادار وأن يحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة
٣ الأربعة ويحلّفوه بحضرتهم ، فلما تكامل المجلس أحضروا سيباى وحلّفوه على
مصحف شريف وكتبوا عليه صورة حلف بأنه لا يعصى على السلطان ولا يخامر
ولا يخون الإيمان ، وشهد عليه الخليفة والقضاة الأربعة بذلك . — ثم فى يوم
٦ الخميس سابع عشره أخلع السلطان على سيباي وقرّره فى نيابة الشام عوضا
عن أركماس الذى كان بها ، فنزل من القلعة فى موكب حافل . — وفيه جاءت
الأخبار من مكة بأن الأحوال فاسدة وأن عربان بنى إبراهيم قد التفّوا على
٩ يحيي بن سبع أمير الينبع ومالك بن رومى أمير خليص وقد اشتدّ الأمر فى ذلك
جدّا ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بإبطال التوجّه إلى الحجاز فى هذه السنة من
مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة ، وكانت هذه الواقعة من أعظم المصائب والثلم
١٢ فى الدين ، وقد حضر الركب التكرورى والركب المغربى ولم يحجّ منهم أحد
فى تلك السنة ، ثم إن السلطان أرسل كسوة الكعبة الشريفة وصرر الحرمين
والزيت من البحر المالح فى مراكب من الطور ويتوجّهون من هناك إلى جدّة ،
١٥ ثم إن السلطان عزل يحيي بن سبع عن أمرة الينبع (١٥٨ آ) وولى بها شخصا
من أولاد درّاج الذى كان أمير الينبع قبل ذلك ، ولم يسمع من مبتدأ دولة
الأتراك وإلى الآن بأن الحجّاج امتنع خروجهم إلى مكة سوى فى هذه السنة
١٨ وهى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وقد تقدّم ما وقع من الجازانى فى حقّ الحجّاج
بالركب الشامى والعراقى والمصرى وما صنع بالمجاورين بمكة فى سنة ثمان وتسعمائة
وقد تقدّم القول على ذلك . — وقد جرى على الناس من الحوادث القديمة ما هو
٢١ أعظم من ذلك ، وهو أن فى سنة ثمان عشرة وثلثمائة فى دولة الخليفة
القاهر بالله أبى منصور محمد بن الخليفة المعتضد بالله العبّاسى خليفة بغداد لما

تغلّبت على الخلفاء طائفة من العربان يقال لهم القرامطة ، وكان أميرهم شخصا
يسمّى أبو ظاهر القرمطى ، وكان يدّعى أنّه علوىّ من أولاد الإمام على
رضى الله عنه ، وكان يقول نحن أفضل من بنى العباس ، وكانت هذه القبيلة دون ٣
الألف إنسان ، وكان أبو ظاهر القرمطى خارجيّا سفّاكا للدماء جاهلا ، وكانت
قبيلة هذه القرامطة يسكنون بهجر ، فلما خرج ركب الحاجّ من بغداد وكان
أمير الركب يسمّى منصور الديلمى . فلما وصل بالحاج إلى مكة وأقام بها إلى يوم ٦
الصعود هجم عليهم أبو ظاهر القرمطى بمن معه من العربان فقتل[1] محارب أمير
مكة وقتل منصور الديلمى أمير الركب ونهب جميع الأموال التى بمكة وقتل
الحجّاج عن آخرهم وأسر النساء والصبيان الصغار ، فكان عدّة من قتل فى هذه ٩
الحركة نحوا من خمسة وثلاثين ألف إنسان ، وطرح غالب القتلاء ببئر زمزم
حتى امتلأت بالقتلاء ، ثم دخل إلى البيت الشريف وأخذ ما كان فيه من القناديل
الذهب والفضّة ، وقلع باب الكعبة الشريفة وقلع الحجر الأسود وعرى الكعبة ١٢
ونزع الكسوة عنها ، وكانت هذه الحادثة من أجل المصائب وأعظمها ، ثم إن
أبا ظاهر القرمطى نقل ما نهبه من الأموال وغيرها إلى هجر ، واستمرّ الحجّ
منقطعا من بغداد وغيرها من البلاد نحوا من عشرين سنة لم يحجّ فيها إلى ١٥
البيت أحد ، فلما كانت خلافة الراضى بالله أحمد بن المقتدر مشى أبو على بن
يحيى العلوى بين طائفة هذه القرامطة وبين الخليفة بالصلح حتى أذنوا للناس
بالحجّ ، وجعلوا على الحجّاج فى كل سنة نحوا من خمسين ألف دينار تعطى حتى يمكنوهم ١٨
من (١٥٨ ب) الدخول إلى مكة ، وهذا أول مكس أخذ على الحجّاج من
يومئذ ، وكان ذلك فى سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، وقيل أن أبا على بن يحيى العلوى
تلطّف بالقرامطة حتى ردّوا الحجر الأسود وباب الكعبة إلى مكانهما بعد جهد ٢١
كبير ، أورد ذلك ابن الجوزى ، انتهى ما أوردناه من هذه الواقعة ومن هنا
نرجع إلى أخبار دولة الغورى .

وفى ذى القعدة ركب القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا وطلع إلى القلعة ، وكان له مدّة طويلة وهو منقطع فى داره بسبب توعّك جسده حتى شفى ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل من القلعة فى موكب حافل وقدّامه القضاة الأربعة وأعيان المباشرين قاطبة . — وفيه جاءت الأخبار بوصول الأمير جانم المصبغة الذى كان حاجب الحجّاب بمصر وخرج مع الأمير أقبردى الدوادار لما انكسر ، فلما مات أقبردى أقام جانم هذا بدمشق وقد نسى أمره مدّة طويلة فشفع فيه بعض الأمراء فرسم السلطان بإحضاره إلى القاهرة ، فلما وصل إلى غزة مرض واستمر عليلا حتى دخل خانقة سرياقوس فمات بها ولم يدخل إلى القاهرة ، فلما مات هناك حُملت جثّته ودُفن بالصحراء ، وكان أميرا جليلا رئيسا حشما وولى عدّة نيابات سنيّة ثم بقى حاجب الحجّاب بمصر ، وكان من حلف أقبردى الدوادار ، وجرى عليه شدائد ومحنا ، وفاته القتل مرارا عديدة ، وكان من خيار مماليك الأشرف قايتباى . — وفيه سافر تغرى بردى التّرجمان إلى نحو بلاد الفرنج وأخذ معه كتاب البترك ؛ وكان قد تزايد تعبّث الفرنج بالسواحل وأخذ أموال التجّار . — وفى يوم الخميس ثانى عشرينه أخلع السلطان على قاضى القضاة الشافعى محيى الدين عبد القادر بن النقيب وأعاده إلى قضاء الشافعية عوضا عن جمال الدين القلقشندى بحكم صرفه عنها ، فكانت مدة برهان الدين القلقشندى فى القضاء نحوا من ستة أشهر وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ، ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار وغرم نحوا من ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء وغيرهم ، وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره من خواص السلطان ، وهذه ثالث ولاية وقعت (١٥٩ آ) لابن النقيب بمصر ، وقد نفـــذ منه مال له صورة على ولاية القضاء ولم يقم بها فى الثلاث مرّات إلاّ مددا يسيرة ويعزل عنها ، فكان كما يقال فى المعنى :

(١٧) برهان الدين : كذا فى الأصل ، ويقصد جمال الدين .

يُفنى البخيل بجمع المال مدّتَهُ ... وللحوادث والأيام ما يدَعُ
كدودة القزّ ما تبنيه تهدمهُ ... وغيرها بالذى تبنيه ينتفعُ

وكان غير مشكور السيرة رثّ الهيئة بُجاقى النفس يزدريه كل من يراه ، ٣
وقد قال فيه بعض شعراء العصر مداعبة لطيفة ، وهو قوله :

قاضٍ إذا انفصل الخصمان ردّهما ... إلى جدالٍ بحكمٍ غيرِ منفصل
يُبدى الزهادة فى الدنيا وزخرفها ... جهراً ويقبل سرّاً بعرة الجمل ٦

وقال آخر وقد أفحش فى حقّه جدّا ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله وأنا
استغفر الله تعالى من ذلك :

يا أيها الناس قِفوا واسمعوا ... صفات قاضينا التى تطرب ٩
يلوط يزنى ينتشى يرتشى ... ينمّ يقضى بالهوى يكذب

وفى هذا الشهر كثُر الحريق بالقاهرة وصار فى كل ليلة يحترق عدّة أماكن
بسبب الدريس الذى يكون ببيوت الأتراك ، وكانت المماليك أكثرت من خزن ١٢
الدريس فى هذه السنة ، وصارت المماليك يمسكون الناس من الطرقات غصبا
ويحبسونهم عندهم أياما بسبب نقل الدريس ، وتعطّلت أحوال الناس بسبب ذلك
حتى صنّفوا العوامّ رقصة وهم يقولون : ١٥

اهرب يا تعيس وإلاّ يحمّلوك الدريس

وفى ذى الحجّة فى يوم الخميس سابعه خرج سيباى الذى قُرّر فى نيابة
الشام ، فكان له يوم مشهود . — وفيه فى ثامنه حضر المقرّ السيفى أركماس الذى ١٨
كان نائب الشام وانفصل عنها ، فلما حضر وقابل السلطان أكرمه وأخلع عليه
ورسم له بأن ينزل فى الأزبكية ويسكن فى بيت الأتابكى أزبك . — وفيه بلغ
السلطان بأن طائفة من المماليك الذين توجّهوا إلى الكرك صحبة التجريدة قد ٢١
دخل منهم جماعة فى الخفية إلى القاهرة من غير إذن السلطان ، فصار يكبس
عليهم وحصل لهم الضرر الشامل من السلطان ونادى لهم بأن يعودوا إلى الكرك

وإلاّ تقطع جوامكهم ويحصل عليهم ما لا خير فيه (١٥٩ ب) فخرجوا من يومهم على وجوههم .

٣ وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض وذلك فى ثالث عشر بشنس القبطى ، ثم ابتدأ بضرب الكرة ، وكانت الأمراء المقدّمون جميعهم حاضرة بمصر لم يكن منهم أحد غائبا فى السفر ، فكانت للسلطان فى هذه السنة مواكب مشهودة حافلة ،

٦ كما يقال فى المعنى فى ضرب الكرة :

يا حسنها كُرَةٌ كالنجم سائرةٌ قد طال تردادها بين الجواكين

تفرّق الهمّ إذ كانت مؤلفةً بين القلوب بآراء السلاطين

٩ لجَبْرهم لقلوب الجنْد إذ لعبوا مع الملوك وهم بعض المساكين

وفيها أنعم السلطان على قرابته الأمير طومان باى بن أخيه بتقدمة ألف ، مضافا لما بيده من شادية الشراب خاناه . — وفيه جاءت الأخبار من الشرقية بأن

١٢ وقع هناك معركة مهولة بين شيخ العرب بيبرس بن بقر وبين نجم شيخ العايد ، فقتل فى هذه المعركة جماعة كثيرة من العربان ، واستمرّ الحرب ثائرا بين الفريقين ، ودخل أقطوه الكاشف إلى القاهرة وهو مشحوت من العرب . — وفيه

١٥ حضر شخص من أولاد على دولات أخو سوار أمير التركمان وصحبته تقدمة حافلة للسلطان ، فأكرمه وأخلع عليه ثم قرّره فى تقدمة ألف بحلب فيما بعد . — وقد وقع فى هذه السنة الخصب والرخاء فى سائر الغلال والبضائع ، وكانت سنة

١٨ هادئة من الفتن بين الأتراك ، ولكن كان معظم الأمر فيها بطلان الحاجّ بسبب عصيان يحيي بن سبع أمير الينبع ومالك بن رومى أمير خليص ، ولم يبطل الحاجّ فى هذه السنة كبير أمر أوجب ذلك وإنما السلطان أهمل الأمور فى أول الأمر

٢١ حتى تزايدت الفتن بين قبيلة بنى إبراهيم والتفّوا على الجازانى وجرى منهم ما تقدّم ذكره ، وغلب القضاء والقدر فى هذا الأمر والحكم لله فيما يريد انتهى ذلك ،

---

(١٦) بحلب : جاءت فى الأصل بعد كلمة « السلطان » فى نفس السطر .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وتسعمائة

فيها فى المحرّم جاءت الأخبار من الكرك بأن أهل الكرك قد وثبوا على
النائب الذى توجّه إليها فخرج منها هاربا وأتى إلى غزّة ، وسبب ذلك أن نائب ٣
الكرك لما تولّى عليها أراد أن يظهر له حرمة فشنق حاجب المدينة وأخاه
وأولاده فما طاقوا ذلك أهل الكرك ووثبوا عليه . فلما بلغ السلطان ذلك تغيّر
خاطره على نائب الكرك ورسم بنفيه إلى القدس بطّالا . — وفيه كبى الفرس ٦
بالأمير طراباى رأس نوبة النوب وهو يضرب الكرة مع السلطان فانزعجت يده ،
(١٦٠ آ) ومات الفرس الذى كان تحته فأنعم السلطان عليه بفرس غيرها . —
وفيه فى يوم عاشوراء أمر السلطان بأن تجمع الفقراء والحرافيش عند سلّم المدرج ، ٩
فاجتمع هناك الجم الغفير من الفقراء والحرافيش ، ونزل السلطان بنفسه ووقف
وهو راكب على فرسه تحت سلّم المدرج وصار يعطى لكل إنسان من الفقراء من
رجل وإمرأة وكبير وصغير أشرفيا ذهبا ، فوقع الازدحام بين الفقراء حتى قتل ١٢
منهم فى ذلك اليوم ثلاثة أنفار من شدة ازدحامهم ، فكان كما يقال فى المعنى :

فيا له من عمل صالح يرفعه الله إلى أسفل

وقيل أنه فرق فى ذلك اليوم نحوا من ثلاثة آلاف دينار فارتفعت الأصوات ١٥
له بالدعاء ، فلما رأى ازدحام الفقراء لم ينزل مرّة أخرى ولم يفرّق شيئا وكان
قصده يفرّق على الفقراء مرّة أخرى . — وفيه أخلع السلطان على ملاج وأعاده
إلى نيابة القدس كما كان أولا ، وأضاف إليه نيابة الكرك والتحدّث على مدينة ١٨
لُدّ والرملة ، وكان ملاج غير مشكور السيرة سيّئ التدبير فى أفعاله . — وفيه
حضر نجّاب من مكة وأخبر أن طائفة بنى إبراهيم قد دخلوا تحت طاعة أمير
مكة وتلاشى أمر يحيى بن سبع فلم يثق السلطان بذلك . — وفى ثامن عشرينه ٢١

---

(١٠) الغفير : الحفير .

طلع ابن أبى الردّاد ببشارة النيل وجاءت القاعدة سبعة أذرع وعشرة أصابع
أرجح من النيل الماضى بعشرة أصابع . — وفى يوم سلخه خرج ملاج إلى محل نيابته
٣ بالقدس وخرج صحبته المماليك الذين كانوا حضروا من الكرك بغير إذن كما تقدّم .

وفى صفر كان ختام ضرب الكرة ، فجمع السلطان الأمراء ومدّ لهم مدّة
حافلة وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . — وفيه أخرج السلطان له خرجا من
٦ المماليك نحوا من أربع مائة مملوك ، وأخرج لهم خيلا وقماشا ولم يخرج من بعد
الفصل خرجا سوى هذا ، وصاروا يسمّون الأشرفية الغورية . — وفيه حضر
القضاة الأربعة ببيت الأمير أزدمر الدوادار بسبب عقد مجلس ، فوقع فى ذلك المجلس
٩ بعض تشاجر بين قاضى القضاة الشافعى محيى الدين عبد القادر بن النقيب وبين
قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة ، فتفاوضا فى الكلام حتى خرجا فى
ذلك عن الحدّ ، فدخل بينهما الأمير أزدمر الدوادار حتى سكن الأمر (١٦٠ ب)
١٢ بينهما قليلا ، وسبب ذلك لأجل خزانة الكتب التى بالمدرسة المحموديّة ، وأمر
هذه الواقعة قد اشتهر بين الناس . — وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن حضر
إلى مكة بسبب الحجّ جماعة كثيرة من اليمن والعراق وغير ذلك من البلاد
١٥ ووقفوا بالجبل ، فتنكّد السلطان بسبب ذلك لعدم خروج المحمل من القاهرة
ورأى ذلك فى حقّه نقصاً بين ملوك اليمن وغيرها . — وفيه جاءت الأخبار
من الينبع بأن التجريدة التى خرجت إلى الهند بسبب تعبّث الفرنج لما وصلوا
١٨ إلى الينبع اتقعوا مع يحيى بن سـبع أمير الينبع فهرب من وجههم ، وكانت
الكسرة عليه وقتل من عربانه جماعة كثيرة ، وأحرقوا الدور التى على ساحل
البحر الملح التى ببندر الينبع ، وأخربوا غالب دكاكينه وشتّتوا العربان الذى
٢١ به ، ثم جاءت الأخبار بأن العسكر لما وصل إلى جدّة شرع حسين باش العسكر
وسنقر أحد الزردكاشيّة وعلى المسلاتى المغربى فى بناء أبراج على ساحل بندر

---

(٩) بعض : بعد .

جدّا وكان هذا عين الصواب ومن أحسن المبانى ، ثم جاءت الأخبار بأن العسكر
لما وصل إلى سواكن ملكوها بالأمان واحتاطوا على ما فيها من بهار وغيره وشتّتوا
أهلها عنها ، فانشرح السلطان لهذه الأخبار . — وفيه أخلع السلطان على ابن على ٣
دولات وأذن له بالسفر إلى أبيه ، وعين معه شاد بك نائب المهمندار ، وأرسل
صحبته تقدمة حافلة إلى على دولات — وفيه وقعت فتنة كبيرة بين الزُعر
فى الرملة تحت القلعة ، فلما بلغ الوالى ذلك ركب ومعه جماعة من المماليك وهم ٦
لابسون آلة السلاح فاتقعوا معهم فى وسط الرملة فقتل من الزعر فى ذلك
اليوم سبعة أنفار وانهزموا الباقون . — ومن الحوادث أنّ جارية سوداء
قتلت ستّها وابن ستّها وأخا ستّها ، فلما عرضت على السلطان رسم بقطع يدها ٩
وشهرت فى القاهرة ، ثم كلبت وعلقت عند خوخة المغازليين فى مكان قتلت فيه
ستها . — وفيه أخلع السلطان على قانصوه رُوح لو وأعيد إلى كشوفية الشرقية
كما كان أولا ، وقد اضطربت أحوال الجهات الشرقية إلى الغاية فخرج قانصوه ١٢
المذكور وصحبته جماعة كثيرة من العسكر ، وكان السلطان قرّر قانصوه هذا من
جملة الأمراء المقدّمين فعظم أمره جدّا .

وفى ربيع الأول طلع القضاة الأربعة (١٦١ آ) إلى القلعة لأجل التهنئة ١٥
بالشهر ، فلما تكامل المجلس أصلح السلطان بين القاضى الشافعى عبد القادر بن
النقيب وبين القاضى الحنفى عبد البرّ بن الشحنة ، وكان بينهما وحشة كما تقدّم ،
فلما اصطلحا أخلع السلطان عليهما ونزلا إلى دورهما . — وفيه جاءت الأخبار ١٨
من الشرقية بأن العرب العصاة قطعوا جسر سنيت والحلفاية على الجرون حتى
غرقت ، وكان النيل قد أشرف على الوفاء وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل
وتوقف النيل عن الزيادة لأجل المقاطع التى قطعت عليه . — وفيه عمل السلطان ٢١
المولد النبوى وكان حافلا . — وفى العشرين منه كان وفاء النيل المبارك ، وقد
أوفى فى العشرين من مسرى وكبر فى الحادى والعشرين منها ، فلما أوفى توجّه

الأتابكى قرقماس وفتح السدّ على العادة ، وكان يوما مشهودا . – ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن الأتابكى قرقماس لما أراد أن يطلع من الحراقة عند المقياس
٣ نشر خازنداره على رأسه خفائف الذهب والفضّة . فتكاثرت عليه الناس ، فجفل الفرس به فأقلبه فى البحر ، فلاقته النواتية وطلعوا به فى المركب وقد انبلّ شاشه وقماشه حتى غيّرهما ، وتوجّه إلى نحو المقياس وهو ماشى . وقيل إن الفرس غرق ،
٦ وطلعوا به وهو يعرج ، وحصل للأتابكى قرقماس فى ذلك اليوم مشقّة زائدة بسبب ذلك . – ومن الحوادث فى هـــذا الشهر كان انتهاء العمل من الجامع الذى أنشأه الشيخ عبد القادر الدشطوطى بجوار بركة الرطلى على أرض الطبالة وبركة
٩ القرع ، فلما كمل خطب به الشيخ علاى الدين الإخميمى النقيب . واجتمع به فى ذلك اليوم قضاة القضاة وأعيان الناس وكان يوما مشهودا ، ثم إن الشيخ عبد القادر أشار بفتح فمّ بركة القرع حتى تدخلها المراكب مثل بركة الرطلى . ففُتح لها مسرب
١٢ من الخليج الحاكمى من عند ذيل التمساح ، فلما كان يوم الجمعة دخل فيها المراكب وانطلقت لها ألسن النساء بالزغاريت ، وكان يوما مشهودا وعُدّ ذلك من النوادر ، وصارت المراكب تدخلها فى كل سنة من يومئذ .

١٥ وفى ربيع الآخر تغيّر خاطر الســلطان على أربعة من الأمراء الطبلخانات فقبض عليهم وهم جان بردى تاجر المماليك وقلج أمير آخور ثانى وبيبردى أخو (١٦١ب) جان بلاط الذى تسلطن وتنم المقرى ، فلما قبض عليهم قيّدهم ، وسبب
١٨ ذلك قد بلغ السلطان هؤلاء الأمراء كانوا قد اتفقوا على قتله لما ينزل إلى الميدان وقت الظهر وقد أقرّ بعضهم على نفسه بصحّة ما نقل عنهم ، فلما تحقّق السلطان ذلك قبض عليهم ورسم بنفيهم . – وفيه توفى القاضى شمس الدين محمد بن مزاحم
٢١ الطرابلسى ناظر الإسطبل ، وكان رئيسا حشما وولى عدّة وظائف سنيّة ، لكنّه كان غير مشكور السيرة وعنده ظلم وعسف . – وفيه أخلع السلطان على الأمير ماماى جوشن وقرّره كاشف الغربية عوضا عن الأمير خاير بك من أينال الذى

كان بها وقد تعين باش التجريدة إلى الحجاز . — وفيه وقع أن شخصا من الأتراك ،
يسمّى ماماى الداودى ، أبو الأمير أبى يزيد أحد المقدّمين ، ضرب شخصا من تجّار
الأروام بسبب مشترى بغل ، فلما ضربه سال دمه فطلع التاجر شكاه إلى السلطان ٣
فرسم لنقيب الجيش بالقبض عليه وأن ينفيه إلى الواح ، فلما قبض عليه نقيب الجيش
هرب من عنده تلك الليلة فحصل على نقيب الجيش ما لا خير فيه بسببه ، فلما
هرب ماماى المذكور اختفى الأمير أبو يزيد بسبب ذلك ، ثم إن ماماى توجّه ٦
إلى الأتابكى قرقماس ليشفع فيه عند السلطان فطلع به وقابل السلطان ، فحطّ
عليه وقصد ضربه ثم رسم بنفيه إلى الواح ، وكان ماماى هذا من شرار المماليك
وكان مشدا على جهات المكوس بقطيا . — وفى هذا الشهر وقع الاضطراب ٩
بين الأمراء وأشيع أمر الوثوب على السلطان بسبب الأمراء الذين رسم بنفيهم
كما تقدّم ، وقد صمّم على نفيهم لأمر أوجب ذلك . — وفيه تغيّر خاطر السلطان
على الزينى فرج الحاجب ورسم بتسليمه إلى بركات بن موسى ، وقرّر عليه عشرة ١٢
آلاف دينار ، ثم آل أمره إلى أن حُطّ عنه خمسة آلاف دينار ويرد خمسة آلاف ،
فأباع جميع قماشه ورزقه وما يملكه وأقام مدّة طويلة وهو فى التوكيل به
وقاسى شدائد ومحنا عظيمة ، وسبب ذلك أن أنصباى حاجب الحجاب أمره أن ١٥
يحرس بعض الجسور فى أيام النيل فامتنع من ذلك فطلع أنصباى وشكاه إلى
السلطان فجرى عليه ما جرى ، وموجب هذا كلّه خسّة نفسه (١٦٢ آ) وشحّة
أوجب ذلك ، كما يقال : ١٨

وربّ جار لنا شحيح ليس له بالجميل عاده
أعظم شىء تراه منـــه مسّاكم الله بالســعاده

وفيه جلس السلطان بالحوش وأحضر المصحف العثمانى وحلّف عليه سائر ٢١
الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وموجب ذلك كثرة الإشاعات بأمر الوثوب
على السلطان . — وفى ذلك اليوم أخلع على الأمير نوروز أغات أزدمر الدوادار
وقرّره تاجر المماليك عوضا عن الامير جان بردى المغضوب عليه . — وفيه أخلع ٢٤

على بيبرس قريب السلطان وقُرّر أمير آخور ثانى عوضا عن قلج المغضوب عليه : –
وفيه أخلع السلطان على شمس الدين محمد بن فخر الدين كاتب المماليك وقرّره
٣ فى نظر الاسطبل عوضا عن ابن مزاحم بحكم وفاته . – وفيه رسم السلطان بإخراج
هؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم فنفى بيبردى أخا الأشرف جان بلاط وتنم
المقرى إلى البلاد الشامية ، فتسلّمهما الوالى وهما فى قيود وتوجّه بهما إلى الخانكاه
٦ فرسم لأحدهما بالتوجّه إلى طرابلس والآخر إلى حلب ، وأما جان بردى وقلج
فاستمرّا فى البرج وهما فى قيود وزناجير حتى يكون من أمرهما ما يكون . – وفيه
جاءت الأخبار من الكرك بأن عربان بنى لام كسروا ملاج نائب القدس وقتلوا من
٩ المماليك السلطانية الذين خرجوا معه فى التجريدة جانباً كبيرا ، فلما بلغ السلطان
ذلك تنكّد إلى الغاية وكتب عدّة مراسيم إلى نائب الشام ونائب طرابلس ونائب
صفد بأن يجمعوا العساكر ويزحفوا على العربان من بنى لام . – وفى هذا الشهر
١٢ تزايد فساد العربان بالشرقية والغربية حتى أعيى الكشّاف أمرهم واضطربت الأحوال
جدّا . – وفيه توفى الصارمى إبراهيم بن جكم ، وكان من أعيان أولاد الناس
وكان لابأس به . – وفيه كانت الأسعار مشتطة فى سائر البضائع والغلال .

١٥ وفى جمادى الأولى تغيّر خاطر السلطان على القاضى فخر الدين بن العفيف
كاتب المماليك ورسم عليه أربعة من الخاصكية وأقام مدّة وهو فى الترسيم ، وقرّر
عليه مالا حتى يردّه لما تقتضيه الآراء الشريفة فى أمره (١٦٢ ب) . – وفى
١٨ يوم الاثنين عاشره نفق السلطان على العسكر المعيّن إلى تجريدة الحجاز ،
فنفق لكلّ مملوك مائة دينار وسبعة أشرفيّة ثمن جمل ، وقرّر معهم بأن يكون
السفر أوّل رجب فشرعوا فى عمل البرق . – وفيه أخلع السلطان على القاضى
٢١ فخر الدين كاتب المماليك وأعاده إلى وظيفته بعد أن أورد نحوا من ألفى دينار
وكسور . – وفيه ثبت النيل المبارك على تسعة عشر ذراعاً وأصبعين من عشرين
ذراعاً وانهبط قبل دخول بابه وكان نيلا متوسّطا . – وفيه عُقد للأمير طومان
٢٤ باى قريب السلطان على ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، وكان العقد بالقلعة وحضر

القضاة الأربعة وسائر الأمراء وأعيان الناس ، وكان الأمير طومان باى يومئذ فى
غاية العظمة وقد جمع بين شادية الشرابخاناه وتقدمة ألف . — وفيه رسم السلطان
بشنق شخص يسمّى عمر وكان مباشرا بالواح فشُنق على باب زويلة ، وشنق معه ٣
شخص آخر يسمّى الشيخ حسن من مباشرى الواح أيضا . — وفى أواخر هذا
الشهر رسم السلطان بعقد مجلس فى الميدان ؛ فاجتمع هناك القضاة الأربعة ، وذلك
بسبب شخص يسمّى شمس الدين بن أبى عبيد ، وقصّته مشهورة بين الناس ، فوقع ٦
فى ذلك المجلس بسببه بين القضـاة ما لا خير فيه وآل أمره بأن السلطان رسم
بعزله عزلا مؤبّدا ، وانفصل المجلس على ذلك .

وفى جمادى الآخرة قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، وقد خالف العادة ٩
فلبس الصوف فى سادس عشرين بابه قبل دخول هاتور بأربعة أيام ، ولم يكن الحال
يقتضى ذلك ولا أفرط البرد فى تلك الأيام فعدّ ذلك من النوادر ولم يُعلم ما
سبب ذلك . — وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصا من أبناء التجار يقال ١٢
له عمر بن عبد اللطيف ، وكان والده من أعيان التجار ، فأشيع عنه أنه قد قتل
زوجته فى بتيّة خشب وأحرقها بالنار لأمر وقع منها ، وكانت هذه الواقعة برشيد ،
فلما بلغ السلطان ذلك أحضره فى الحديد ، فلما حضر عاقبه على ذلك أشدّ العقوبة ١٥
فلم يقرّ بشىء فاحتاط على موجوده جميعا وأسلب نعمته وكان فى سعة من المال ،
ثم سجنه وأقام به مدّة طويلة نحوا من أربع سنين وقاسى شدائد ومحنا وأمره
مشهور . — وفيه (١٦٣ آ) أنعم السلطان على أركماس من طراباى الذى كان ١٨
نائب الشام وحضر إلى القاهرة بتقدمة ألف وجعل له مرتّبا على الذخيرة من
غير إقطاع ، ورتّب فى كل شهر له ألف دينار وفى كل سنة ألف أردب قمح ، ورسم
له بأن يقف فى المواكب فوق الأمير طراباى رأس نوبة النوب ، وأحضر له تخفيفة ٢١
من تخافيفه التى بالقرون الطوال فألبسها له ، وقلع من عليه سلارى وشق وألبسه
له ، فحصل له فى ذلك اليوم غاية الجبر من السلطان ، واستمرّ ساكنا بالأزبكية . —

---

(٢٣) غاية : فى غاية .

وفيه توفى الركنى عمر بن تغرى بردى السيفى سودون بقجة الذى كان دوادار الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز ، وكان رئيسا حشما كثير العشرة للناس وكان لا بأس به فى أولاد الناس . — وفيه سافر ناظر الخاص علاى الدين بن الإمام إلى جهة الطور بسبب تجهيز العليق لأجل العسكر المعين إلى مكة فخرج ومعه جماعة من المماليك السلطانية .

وفى رجب أخلع السلطان على شرف الدين النابلسى الأستادار باستمراره فى الأستادارية وكان أشيع عزله . — وفى يوم الاثنين سابعه حضر دولات باى قرابة العادل طومان باى الذى كان نائب الشام ، وولى نيابة طرابلس أيضا ، وكان أظهر العصيان والتف على سيباى نائب حلب ، فلما حضر سيباى وقابل السلطان ففر دولات باى والتجأ إلى على دولات وأقام عنده ، فأرسل على دولات ولده إلى السلطان ليشفع فى دولات باى ، فأجابه السلطان إلى ذلك وأرسل له أمانا على يد شاد بك نائب المهمندار ، فلما وثق [من ذلك حضر إلى القاهرة ، وقد حدثت من] دولات باى هذا أمور شتى وتوجه إلى بلاد ابن عثمان على أن يثير فتنة كبيرة فما طلع من يده شيئاً وآل أمره إلى أن حضر بالأمان ، فلما قابل السلطان حمل تحت إبطه ثوباً بعلبكيا أى كفنه كما فعل قانصوه خمسمائة ، فعفى عنه السلطان وأخلع عليه كاملة مخمل أحمر بصمور ونزل من القلعة فى موكب حافل . — وفى هذا الشهر خرج العسكر المعين إلى مكة وكان باش العسكر خاير بك من أينال كاشف الغربية أحد المقدمين وصحبته قنبك من شاد بك رأس نوبة ثانى ، وخرج صحبتهم جماعة من الأمراء العشرات ، ومن المماليك السلطانية نحوا من خمسمائة مملوك ، وخرج صحبتهم هجار بن دراج الذى قرر فى أمرة الينبع عوضا عن يحيى بن سبع ، وخرج صحبتهم المحمل الشريف فكان (١٦٣ب) لهم يوم مشهود ، لكن رسم السلطان بأن امرأة لا تخرج صحبة العسكر ومنعوا من ذلك ، وخرج صحبة الأمير خاير بك نحوا من مائة قواس ، فأقام المحمل لما خرج بالريدانية إلى يوم الأربعاء

(١٢ – ١٣) ما بين القوسين ناقص فى الأصل .

تاسعه ثم رحل من هناك [صحبة] العسكر ، ولما خرج الأمير خاير بك رسم السلطان لجان بردى تاجر المماليك الذى كان غضب عليه وسجنه بالبرج بأن يخرج صحبة العسكر منفيا إلى مكة ويقيم بها . — وفى ذلك اليوم رسم بإخراج قلج أمير آخور ثانى ٣ إلى حلب منفيّا ، وقد تقدّم أنه غضب عليه . — وفى يوم الجمعة حادى عشره صلى السلطان بالجامع ، وجلس على باب الستارة ، وأخلع على الأمير دولات باى المقدّم ذكره وقرّره فى أمرة السلاح عوضا عن سيباى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام . ٦

وفى شعبان عرض السلطان المحابيس والنساء التى بالحجرة وأطلق منهم جماعة وصالح عنهم من أرباب الديون من ماله . — وفيه وصل إلى السلطان من البلاد الشامية صناديق خشب وفيها أشجار بطينها ما بين تفّاح شامى وكمثرى وسفرجل ٩ وقراصيّة وكروم عنب وأشجار مزهرة ما بين ورد أبيض وسبوسان وزنبق وغير ذلك من الأزهار الشامية ، حتى أحضر إليه شجرة جوز هند بطينها ، فغرس ذلك جميعه بالميدان الذى تحت القلعة ، فكانوا نحوا من مائة وخمسين حملا ، فعدّ ذلك من ١٢ النوادر اللطيفة ، وقد تقدم أنه أنشأ به مناظر ومقاعد وأماكن للمحاكمات وأرمى بأرضه الأحمال الطين ، وكان السلطان مولعاً بغرس الأشجار وحب رؤية الأزهار والرياضات وهذه الأخبار تقرب من أخبار خمارويه بن أحمد بن طولون حيث ١٥ أنشأ بستاناً بالقرب من جامع أبيه الذى أنشأه بأعلا الكبش ، وقد تقدم ذكر ذلك فى أخباره فى الجزء الرابع الذى ذكرنا فيه أخبار مصر ، ولما كملت عمارة هذا الميدان صار من جملة متنزهات الديار المصرية وصار السلطان ينزل إليه فى كل يوم ١٨ ويعمل به المواكب فى غالب الأيام ، وكان أكثر إقامته به لأجل التنزه ، وقد صار هذا الميدان مثل غوطة دمشق ما بين أشجار ومياه جارية حتى عُدّ ذلك من النوادر ، وقد قلت فى المعنى : ٢١

عاينت بالميدان بستاناً زها ... أشجار، أومت لنا بسلام
والزهر مختلف به ألوانه ... ولقد يجلّ تراه عن نمام

---

(١٠) سبوسان : كذا فى الأصل ولعله يقصد سوسن (١٧) الجزء : الجزو .

ولقد وقع للأشرف قانصوه الغورى أشياء كثيرة من الغرائب (١٦٤ آ) لم تقع لغيره من الملوك السالفة وربما يأتى الكلام على ذلك فى موضعه. — وفى هذا
٣ الشهر جاءت الأخبار من الطور بأن قد غرقت مراكب مسمارى كبار فيها قمح للدشيشة التى رتبها الأشرف قايتباى إلى المدينة الشريفة، وكان فى تلك المراكب أصناف بضائع بنحو عشرة آلاف دينار للأتابكى قرقماس فغرق جميعه، وغرق فيها
٦ ما لا يحصى من رجال ونساء وصغار عند بركة غرندل، فشقّ ذلك على الناس ولا سيما أهل المدينة الشريفة فإن كان بها الغلاء الشديد.

وفى رمضان فى يوم مستهلّه عرض القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة
٩ اللحم والخبز والدقيق والسكر على السلطان وهو بالميدان، وطلع به مزفوفا على رؤوس الحمّالين على جارى العادة. فأخلع عليه وعلى الزينى بركات بن موسى المحتسب، وأخلع فى ذلك اليوم على شيخ العرب نجم شيخ العايد باستمراره على عادته، وطلع
١٢ القضاة الأربعة والخليفة على الدكّة بالحوش جلوسا عامّا، وكان يوما مشهودا. — وفى ذلك اليوم حضر علاى الدين ناظر الخاصّ، وكان توجّه إلى الطور بسبب إرسال عليق العسكر المتوجّه إلى التجريدة فأرسله فى مراكب من البحر الملح إلى
١٥ جدّة. — وفى يوم الاثنين خامسه طلع الأمراء إلى الخدمة، فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثمانى بين العسكر وحلّف عليه الأمير دولات باى الذى قرّر فى أمرة السلاح. وحلّف أيضاً أركماس الذى كان نائب الشام، فحلفا
١٨ للسلطان بأن يكونا تحت طاعته، فلما حلفا ألبس كلا منهما سلارى صوف بصمور وانفضّ الموكب على ذلك. — وفى يوم الاثنين ثانى عشره أخلع السلطان على قاضى القضاة جمال الدين القلقشندى وأعاده إلى قضاء الشافعية وهذه الولاية الثانية،
٢١ وعزل عبد القادر بن النقيب فكانت مدته فى هـذه الولاية تسعة أشهر وعشرين يوما وهى الولاية الثالثة، وكان فى هذه الولايات فى غاية الضنك وكان غير محبّب للناس. — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره توفى الأمير طقطباى قرابة

---

(٤) وكان فى تلك المراكب : فى ذلك هذا المراكب .

أقبردى الدوادار ، وكان أحد الأمراء العشرات وكان لا بأس به : — وفى ثامن عشره حضر هجّان من مكة وأخبر بأن العسكر الذى توجه إلى مكة قد انتصر
٣ على عربان بنى إبراهيم وهرب (١٦٤ ب) يحيى بن سبع وقتل من العربان ما لا يحصى ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بدقّ الكوسات ثلاثة أيام وسُرّوا الناس قاطبة لهذا الخبر . — وفى يوم الاثنين تاسع عشره عرضت كسوة الكعبة
٦ على السلطان وهى مزفوفة على رؤس الحمّالين وشقّوا بهـا من القاهرة ، وكان يوما مشهودا . — وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عرض ناظر الخاص خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة ، فألبسه السلطان خلعة حافلة لكونه ثار فى هذه
٩ السنة بالسداد .

وفى شوال فى يوم عيد الفطر أخلع السلطان على من له عادة ، وكانت الخلع فى غاية الوحاشة من القماش القطنى الملوّن تساوى الخلعة من ذلك نحو ثلاثة
١٢ دنانير ،وكانت الخلع من قديم الزمان من المنسوجات الحرير الملوّن بفرو وسنجاب.— ومن جملة ما بطل من شعائر المملكة وهو موكب الوزير فى يوم العيد ، فكان ينزل من القلعة وهو راكب بغلة بزنارى ،وعلى رأسه طرحة بيضاء ، وتحت عمامته عرقيّة
١٥ بذهب وهى التى يسمّونها الطاسة ، ويتقلّد بسبحة بأكر من عنبر ، وتركب قدّامه الأوجاقية وهى بالترّيات الحرير الأصفر قائدة الجنائب ، وقدّامه مبخرة السلطان بالبخور ، ويستمر فى هذا الموكب الحافل حتى يصل إلى داره ، وآخر من أدركناه
١٨ يفعل ذلك الصاحب علاى الدين على بن الأهناسى ، فصار الآن تغرى برمش الوزير إذا نزل من القلعة فى يوم العيد فلم يشعر به أحد من الناس إذا شق من القاهرة ، انتهى . — وفيه نادى السلطان فى القاهرة للمقطعين بأن كل من كان له حصّة
٢١ خراب ينزل يعمّرها ويجرف جسورها ويرد فلاحينها المتسحّبين حيث كانوا . — وفيه جاءت الأخبار بأن العربان بالشرقية قد قطعوا الطريق على القفل الذى جاء من المحلة ونهبوا كلما فيه ، وكان فيه حمل مال للسلطان فأخذ مع جملة ما أخذ . —
٢٤ وفيه رسم السلطان بشنق ثلاثة أنفار قيل أنهم من سُياس الأمير أزدمر الدوادار ،

وسبب ذلك أنهم قتلوا قتيلا فى بولاق فشُنقوا هناك . — وفيه حضر أقباى نائب
غزة وقد حصل بينه وبين ملاج نائب القدس تشاجر فشكاه أقباى إلى السلطان
٣ فأرسل بإحضار ملاج فلم يحضر (١٦٥ آ) وأظهر العصيان فتغيّر خاطر السلطان
عليه . — وفيـــه تغيّر خاطر السلطان على تغرى برمش الوزير وشرف الدين
الصغير ناظر الدولة ، وقد رافعهما بعض العمال على أنهما يأخذان الغلال من البلاد
٦ بالكيل الكبير ويصرفونه من الشون بالكيل المصرى ، فقرّر السلطان عليهما فى
نظير ذلك عشرة آلاف دينار يردّونها للخزائن الشريفة . — وفيه أنعم السلطان
على جماعة من الخاصّكية بأمريات عشرة ، فأمّر فى هذا الشهر نحواً من أربعين أميرا
٩ زيادة على ما ذكرناه فى أخبار سنة ثمان وتسعمائة . — وفى يوم الاثنين رابع
عشرينه حضر شخص من الأمراء العشرات يقال له خاير بك المعمار وصحبته نحوا
من خمسين رأسا ممن قتل فى الواقعة من العربان من بنى إبراهيم وهى الواقعة الأولى ،
١٢ فلما حضر خاير بك المعمار إلى القاهرة أنعم عليه السلطان بأمرة طبلخاناه بمصر ،
فلما حضروا زيّنت لهم القاهرة ودقّت الكوسات ودخلت تلك الرؤوس وهى
مشهورة على رماح والمشاعلية تنادى عليهم هذا جزاء من يقطع الطريق على
١٥ الحجّاج وينهب أموالهم ، فلما عرضوا على السلطان أخلع على خاير بك المعمار
ورسم بتعليق تلك الرؤوس على أبواب القاهرة ، وقد أقامت حرمة المملكة بعد ما
كانت قد انتهكت وتبهدلت الأتراك وكاد الحاجّ أن ينقطع عن التوجّه إلى مكة . —
١٨ وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه توفّى الشهابى أحمد بن الأمير تمرباى رأس نوبة
النوب وكان قد كبر وشاخ وقارب التسعين سنة من العمر ، وكان لابأس به رئيسا
حشما من أعيان أولاد الناس . — وفى يوم الاثنين سلخ هذا الشهر رسم السلطان
٢١ للأمير أزدمر الدوادار بأن يخرج على حين غفلة ويسافر إلى جهة الكرك ونابلس
بسبب فساد العربان من بنى لام فخرج عن قريب ، وعيّن معه نحوا من خمسمائة
مملوك من المماليك السلطانية .

٢٤ وفى ذى القعدة فى يوم مستهلّه أخلع السلطان على أقباى نائب غزة وسافر

إليها على عادته وقد تقدّم سبب حضوره إلى القاهرة . — وفى ذلك اليوم حضر
عدّة هجّانة من مكة وأخبروا بأن العسكر المتوجّه إلى يحيى بن سبع قد انتصر
عليه نصرة ثانية ، وكان من ملخّص أخبار هذه النصرة أن العسكر لما اتقع مع يحيى ٣
ابن سبع وانكسر أوّلا فتوجّه إلى طائفة من العربان يقال لهم العنزة وهم من
بنى لام فالتجأ إليهم واستمرّ مقيما فى مكان بالقرب من (١٦٥ ب) الينبع . —
فلما مضى شهر رمضان ودخــل شوال حضر الشريف بركات أمير مكة ٦
وحضر أخوه الشريف قايتباى وحضر معهما من العربان نحو من ألف إنسان ،
فركب الأمير خاير بك باش العسكر ووزّع تلك العربان وأكمنهم فى مواضع متفرقة ،
فلما وصل العسكر إلى مكان يسمّى السويق بالقرب من الينبع فأتى إليهم يحيى ٩
ابن سبع ، وقد التفّ عليه مالك بن الرومى أمير خليص وأمير المدينة وحُميضة
أخو الجازانى ، فاتقعوا هناك وقعة مهولة فقتل بها من العربان ما لا يحصى ومن الأتراك
أيضا ، فلم تكن إلا ساعة يسيرة وقد انكسر يحيى بن سبع ومن كان صحبته من العربان ، ١٢
فلما انهزموا خرج عليهم الأكمنة التى أكمنها الأمير خاير بك فاحتاطوا بهم ولم ينج
منهم إلا القليل بعد ما قتل منهم نحو من ثمانمائة إنسان وأسر منهم قدر ذلك ، وجرح
فى هذه الواقعة الشريف بركات أمير مكة فى وجهه ، فلما هرب يحيى بن سبع وقع ١٥
النهب فى نجع العرب فغنموا منهم الأتراك أشياء كثيرة من جمال وأغنام وقماش مما
نهبوه من ركب الحاجّ الشامى والعراقى كما تقدّم ، وقد تمّت الكسرة على يحيى بن
سبع وأمير المدينة وحُميضة أخى الجازانى فهربوا ولم يعلم لهم خبر ، فلما صحّت ١٨
هذه الأخبار زُيّنت القاهرة سبعة أيام واستمرّت الكوسات عمّالة وصارت الأمراء
تخلع على الهجّانة الذين أتوا بهذه البشارة كوامل وسلاريات ، وكانت هذه النصرة
على غير القياس ، ثم فى عقيب ذلك جاءت الأخبار بأن الشريف بركات وأخاه ٢١
قايتباى لما رجعوا من الينبع وأتوا إلى خُليص اتقعوا مع مالك بن الرومى أمير
خليص واقعة مهولة فانكسر ابن الرومى وهرب ، فلما هرب غنموا منه عربان
الشريف بركات أشياء كثيرة من جمال وأغنام وقماش وسلاح مما كان نهبه من ٢٤

الحجّاج . — وفى هذا الشهر كان دخول الأمير طومان باى قريب السلطان على
ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، فكان لها مهمّ حافل وزفّ لها الجهاز حافل حتى رجّت
٣ له القاهرة ، فلما كان ليلة الدخول مشى فى زفّة الأمير (١٦٦ آ) طومان باى الأتابكى
قرقماس وسائر الأمراء قاطبة وبأيديهم الموكبيات الشمع الموقدة ، وكانت هذه الزفة
تعادل زفّة الأمير جانم قرابة الأشرف قايتباى لما تزوّج بأخت خوند ابنة خاصّ بك. —
٦ وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم فأكرمه السلطان وأحسن إليه .

وفى أثناء هذه السنة توفّى الشيخ بدر الدين محمد الماردينى ، وكان من أهل
العلم والفضل وكانت له يد طائلة فى علم الميقات وغير ذلك من العلوم . — وفى
٩ هذه السنة توفّى أيضا خشكلدى المعروف بنصف وجه ، وكان أحد الحجّاب
بالديار المصرية ، وكان مفرداً فى فتنه بعثوا عليه الناس حتى السلطان ، وكان قد
كبر وشاخ . — ومن الحوادث أنّ شخصا من المماليك القرانصة فى سنّ الشيخوخة
١٢ طلع إلى القلعة وقت صلاة الصبح وكان يوم الجامكية ، فبينما هو طالع برأس الصوة
وإذا بثلاثة أنفار من المماليك الجلبان خرجوا عليه هناك فقتلوه بخنجر فى بطنه
فمات لوقته ، وقتلوا عبده أيضا وكان ماشيا معه حاملا قماشه التى يلبسها عند طلوعه
١٥ إلى القلعة ، فآل أمره بأن ذلك الجندى كان له إقطاع فرض ، فلما ثقل فى المرض
طلع هؤلاء المماليك يطلبون إقطاعه فقال لهم السلطان حتى يموت خذوه ، ثم إن
الجندى عوفى من ذلك المرض فلما طاب وطلع إلى القلعة قتلوه تلك المماليك من
١٨ قهرهم منه لكونه عوفى من ذلك المرض ، وأعجب من ذلك أن السلطان أخرج
الإقطاع إلى غير هؤلاء المماليك الذين قتلوا الجندى بسبب إقطاعه ، فكان كما يقال :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

٢١ ومن الحوادث فى هذا الشهر أن الأمير طراباى رأس نوبة النوب كان له
حاصل فى درب الخازن وفيه دريس فحرق بالنهار وقت الظهر ، فذكر بعض
الجيران [أنه] رأى أن شخصاً فى صفة فلاّح كان هناك فى عمارة مع جملة الفعلاء
٢٤ فأرمى فى ذلك الدريس نارا ، وربما كان هذا الكلام كذبا عليه ، فأرسل قبض

عليه وضربه بالمقارع ثم قطع يده اليمين ورجله اليمين وأشهره فى القاهرة ، ثم أراد حرقه بالنار فشفع فيه بعض الأمراء . — وفى سادس عشره توفّى القاضى بدر الدين محمد بن القاضى شمس الدين بن محمد القرافى المالكى ، وكان من أعيان نوّاب المالكية ، ٣
وكان ينتسب إلى الشيخ عبد الله بن أبى جمرة رحمة الله عليه . — وفيه توفّى شخص حريرى كان له دكّان على رأس عطفة الماطيين تجاه سوق اليوسفية ، فوجد عنده فى دكّانه أربعة آلاف دينار ما بين ذهب وفضّة وهى موزّعة فى برانى ٦
فى سقف الدكّان وكان رثّ الهيئة يدّعى الفقر ، ويقرب من ذلك أن امرأة كانت تستعطى عند جامع ابن طولون فلما ماتت وجد (١٦٦ ب) عندها سبعمائة دينار ما بين ذهب وفضّة ، ووجد عندها أمطار فيها فلوس جُدد ، ووجد عندها ٩
ربع غزل نحو من ثمانمائة ربعة فتعجب الناس من ذلك .

وفى ذى الحجة فى يوم سابعه خرج الأمير أزدمر الدوادار مسافرا إلى جهة الكرك ونابلس بسبب فساد بنى لام ، وخرج صحبته الأمير قانصوه بن سلطان ١٢
جركس والأمير تانى بك النجمى وجماعة كثيرة من الأمراء العشرات ومن المماليك السلطانية نحو من خمسمائة مملوك ، فكان له يوم مشهود . — وفيه أخلع السلطان على قانصوه كاشف الشرقية وعلى ماماى جوشن كاشف الغربية بأن يكونا على ١٥
عادتهما ، وكان أشيع عزلهما . — وفيه ركب القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا ، وكان عليلا منقطعا عن الركوب ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان كاملة ونزل من القلعة فى موكب حافل . — وفيه قلع السلطان الصوف ولبس ١٨
البياض ، ووافق ذلك خامس بشنس القبطى . ثم ابتدأ يضرب الكرة ، ففى أول يوم من ذلك تقنطر أمير كبير قرقماس ووقع إلى الأرض ثم قام وركب . — وفيه هجم المنسر على شخص من الأمراء العشرات يقال له خشكلدى الهوارى ، وكان ٢١
دوادار الأتابكى قيت الرجبى وكان ساكنا بالقرب من حدرة الكُماجيين ، فلما هجم عليه المنسر تحت الليل ذبحوه وهو راقد فى فراشه وأخذوا كلما فى البيت

(١٢) سلطان : السلطان .

ولا يعلم من فعل ذلك. وقد أشيع بين الناس أن زوجة خشكلدى المذكور كانت هى
السبب فى قتله فأقامت مدة وهى فى الترسيم ببيت بركات بن موسى . — وفيه
٣ حضر مبشّر الحاجّ وأخبر بأن العسكر لما انتصر على يحيى بن سبع توجّه إلى مكة
ووقف بالجبل. وأخبر بأن العيد كان هناك يوم الجمعة ، وأن مكة مغلية ، وأخبر أيضا
أن الفرنج كثر تعبثهم ببحر الهند وأن حسين باش العسكر المتوجّه إلى هناك
٦ يشرع فى بناء أبراج على ساحل جدّة وصور ، وقد جهّزوا المراكب إلى الخروج
إلى عدن فسرّ السلطان لهذا الخبر ، لكن تزايد الضرر من الفرنج فيما بعد وترادفت
مراكب الفرنج ببحر الحجاز حتى بلغوا فوق عشرين مركباً ، وصاروا يعبثون
٩ على مراكب تجار الهند ويقطعون عليهم الطريق فى الأماكن المخيفة ويأخذون
ما معهم من البضائع حتى عز وجود الشاشات والأزر من مصر وغيرها
من البلاد . وسبب هذه الحادثة أن الفرنج تحيّلوا حتى فتحوا السد الذى صنعه
١٢ الإسكندر (١٦٧ آ)بن فلبس الرومى ، وكان هذا نقبا فى جبل بين بحر الصين
وبحر الروم ، فلازالوا الفرنج يعبثون فى ذلك النقب مدّة سنين حتّى انفتح وصارت
تدخل منه المراكب إلى بحر الحجاز . وكان هذا من أكبر أسباب الفساد . —
١٥ وفى أواخر هذه السنة ظهر الطاعون ببلاد الصعيد ولم يقع بها فى سنة عشر
وتسعمائة لما ظهر بالقاهرة . — وفى هذه السنة طلع إلى السلطان شخص يسمّى
أبو الخير المرافع وقال له أنا ألتزم لك بمائتى وخمسين ألف دينار استخلصها لك
١٨ ممن أعرفه ولا تنتطح فى ذالك شاتان ، فمال السلطان إلى كلامه وقصد أن يخلع عليه
ويشرع فى ذلك ، فاجتمع بعض الأمراء بالسلطان ورجّعه عن ذلك فرجع
ولله الحمد .

٢١ وفى هذه السنة تزايد ظلم الأمير طراباى رأس نوبة النوب وشرع يأخذ
أوقاف الناس من بلاد وبيوت وغير ذلك فيحلّها فى ساعة واحدة ويبرمهم
عليهم ويأخذ أماكنهم بأبخس الأثمان ، وكل من امتنع من ذلك يضربه ضربا مبرحا

(٤) مغلية : أى بها غلاء . (١٢) فلبس : فلبش .

ويدعه فى الترسيم حتى يعذر له ، ولا سيما ما وقع ليونس بن جانم الزردكاش أخذ منه بيت أبيه الذى أنشأه بزقاق حلب فامتنع يونس من ذلك فضربه ضربا مؤلما حتى أعذر له وهو تحت العقوبة ، وفعل مثل هذه الواقعة بجماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم .

ومن الحوادث اللطيفة ما وقع فى أواخر هذه السنة أن السلطان أبطل المجراة القديمة التى كانت عند درب الخولى بمصر العتيقة ، وشرع فى بناء مجراة جديدة فجمع المهندسين فاختاروا أن يكون مبتدأها من عند موردة الخلفاء بالقرب من الجامع الجديد ، فأنشأ هناك بئرا وجعل لها مسربا من بحر النيل ، وصنع على هذه البئر عدّة سواقى نقّالة ، وأنشأ من هناك مجراة على قناطر معقودة على دعائم متصلة إلى باب الزغلة ، ومن هناك تتصل إلى الميدان والقلعة ، فجاءت هذه المجراة من العجائب والغرائب لكن أصرف على بنائها ما لا ينحصر من الأموال وغالبه من وجوه الظلم والمصادرات ، وقد وقع فى زمن الشيخ زين الدين بن الوردى رحمة الله عليه ما يشبه ذلك وهو أن بعض الملوك أجرى قناة بدمشق إلى بعض الجوامع ، وكان ذلك المصروف من مال فيه شبهة ، فأنشأ الشيخ زين الدين فى هذه الواقعة وهو يقول :

كرهت وضوءً من قناةٍ تُساق من ... دماء الرعايا أو بمــال محرَّم

(١٦٧ ب) سيشرق فى يوم الحساب ندامة ... كما شرقت صَدر القناة من الدم

وفى هذه السنة طلعت جزيرة ببولاق تجاه ربع قانم التاجر ، فصارت هذه الجزيرة فى كل سنة تزرع أمقتة ورياحين ، فتوجهت إليها الناس وخرجوا فى القصف والفرجة هناك عن الحدّ وضربوا الخيام الكثيرة ، وتعمل هناك أخصاص للمتفرجين بها وصاروا يبيتون هناك ليلا ونهارا ، وصاروا الناس يخوضون فى البحر إلى نصف الليل ، وقد قال القائل فى المعنى :

فى جزيرة بولاق رأينا عجب ... أسْد ساروا معهم ظبا شاردين

حين رأينا ذيك الوجوه الصباح أذهلونا خضنا مع الخايضين

وقال آخر وأجاد :

٣ امض لبولاق ترى بجزيرة حور وولدان لهـا تأنيق

لى من تحابى وردها نشر زهاً ولهـا بقلبى هزة وعلوق

وقد خرجت هذه السنة على الناس وهم فى أمن وسلامة ، وكانت سنة مباركة

٦ على الناس أخصب فيها الزرع ووقع بها الرخاء فى سائر البضائع والغلال ، وكانت سنة هادئة من الفتن بين الأتراك ، وقد حصلت بها هذه النصرة العظيمة على عربان الحجاز بعد ما كاد الحاجّ أن ينقطع من فساد الطرقات إلى مكة من عرب

٩ بنى إبراهيم فلله الحمد .

انتهى ما أوردناه من أخبار سنة اثنتى عشرة وتسعمائة ، وذلك [على] سبيل الاختصار ، يتلوه الجزء العاشر من بدائع الأمور فى وقائع الدهور فى أخبار

١٢ سنة ثلاث عشرة وتسعمائة من دولة الملك الأشرف قانصوه من بيبردى الغورى الأشرفى عز نصره (١ ب) .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وتسعمائة

١٥ فيها فى المحرم كان خليفة الوقت الإمام المستمسك بالله أبو النصر يعقوب الهاشمىّ الأبوين بن المتوكّل على الله عبد العزيز ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردى الغورى عز نصره ، والقضاة الأربعة جمال الدين إبراهيم

١٨ القلقشندى الشافعى وسرىّ الدين عبد البرّ بن الشحنة الحنفى وبرهان الدين إبراهيم الدميرى المالكى وشهاب الدين أحمد الشيشينى الحنبلى . — وأما الأمراء أرباب الوظائف من المقدّمين الأتابكى قرقماس من أركماس من ولى الدين أمير كبير ، ودولات باى

٢١ قرابة العادل أمير السلاح ، وسودون العجمى أمير مجلس ، وقانى باى قرا الرمّاح أمير آخور كبير ، وطرا باى الشريفى رأس نوبة النوب ، وأزدمر من على باى دوادار

(١٤) تبدأ هنا نسخة لنينجراد . (١٧) عز نصره : عزيز .

كبير ، وأنصباى من مصطفى حاجب الحجاب ، الخالية . — وأما أرباب الوظائف
من المباشرين فالقاضى محبّ الدين محمود بن أجا الحلبى كاتب السرّ الشريف ناظر
ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، والقاضى محيى الدين عبد القادر القصروى ناظر ٣
الجيش ، والقاضى علاى الدين بن الإمام ناظر الخاصّ ، والأمير تغرى برمش
متحدّث مع القاضى شرف الدين (٢ آ) الصغير فى الوزارة ، وشرف الدين يونس
النابلسى متحدّث على وظيفة الأستادارية الكبرى ، وبقية المباشرين من أرباب ٦
الوظائف على حكم ما شرح فى السنة الخالية ، انتهى ذلك . — وفى هذا الشهر وقع
لقاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة واقعة غريبة وهو أن جمال الدين
السلمونى الشاعر هجا القاضى عبد البرّ بن الشحنة هجوا فاحشا بقصيدة مطوّلة ٩
يأتى الكلام عليها ، وسبب ذلك أن السلمونى كان قد هجا معين الدين بن شمس وكيل
بيت المال وقد تقدّم ذكر ذلك ، فشكاه معين الدين إلى القاضى عبد البرّ فأحضر
السلمونى بين يديه وضربه وعزّره وأشهره فى القاهرة وهو عريان مكشوف الرأس ، ١٢
فلما بلغ السلطان ذلك أرسل خلّصه من القاضى عبد البرّ ، فلما خلص هجا عبد البرّ
بهذه القصيدة الفاحشة وقد دارت بين الناس ، فلما بلغ القاضى عبد البرّ ذلك شكا
السلمونى إلى السلطان لما طلع إلى القلعة فى يوم التهنئة بالشهر وعرض عليه تلك ١٥
القصيدة التى هجاه بها ، فأحضر السلطان السلمونى بين يديه ووبّخه بالكلام وقال له
أتهجو شيخ الإسلام بهذا الهجو الفاحش ، فأنكر السلمونى ذلك وقال أنا ما قلت
فيه هذا كله ، فقامت عليه البيّنة بأن هذا نظمه ، فرسم السلطان لقاضى القضاة ١٨
عبد البرّ بأن يتوجه بالسلمونى إلى المدرسة (٢ ب) الصالحية ويعمل معه ما
يقتضيه الشرع الشريف ، فنزل بالسلمونى وهو فى الحديد ، وكان السلطان له عناية
بالسلمونى فى الباطن ، فلما أتوا به إلى الصالحية تعصّب عليه القضاة قاطبة وقصدوا ٢١
ضربه بالسياط وإشهاره فى القاهرة ، وهذه ثانى واقعة وقعت للسلمونى بسبب
الهجاء ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أول من

(١) الخالية : كذا فى الأصل ، ولعل المتن كان فى نسخة الأصل : على حكم ما شرح فى السنة الخالية .

عاقب على الهجاء ، فلما أرادوا ضرب السلمونى وتعزيره تعصّب له جماعة كثيرة من العوام وقصدوا يرجمون قاضى القضاة عبد البرّ وهو فى وسط إيوان المدرسة
٣ الصالحية وجمعوا له الحجارة فى أكمامهم ، فما وسع القاضى عبد البرّ إلا أنه عفى عن السلمونى من التعزير والإشهار فى القاهرة ، ثم إن القضاة أمروا بسجن السلمونى فسُجن وأقام مدّة طويلة فى السجن يأتى الكلام عليها ، وأما القصيدة الموعود
٦ بذكرها فهى قصيدة مطوّلة فيها ألفاظ فاحشة إلى الغاية وإساءة مفرطة لا ينبغى أن تذكر ، ولكن نورد منها بعض أبيات مما نظمها جمال الدين السلمونى ، وهو قوله من أبيات :

٩ فشا الزُّور فى مصرٍ وفى جَنَباتها ... ولِمَ لا وعبدُ البرّ قاضى قضاتها
أيُنكَرُ فى الأحكام زُورٌ وباطلٌ ... وأحكامُهُ فيهــا بمختلفاتها
إذا جاءَهُ الدينــار من وجه رشوة ... يرى أنه حــلٌّ على شُبُهاتها
١٢ فإســلام عبد البرّ ليس يُرَى سوى ... بعِمّته (٣ آ) والكفرُ فى سماتها
أجاز أموراً لا تحــلّ بملّةٍ ... بحَــلٍّ وبَرْمٍ مُظهِراً منكراتها
ألستَ ترى الأوقاف كيف تبدّلت ... وكانت على تقــديرها وثباتها
١٥ وقد وثبتْ فيها قضاياه بالأذى ... وبالبيع شبهُ الأسْدِ فى وثباتها
فإن كان فى الأوقاف ثَم بقيّة ... تكذبُنى فيها أقول فهاتها
ولا بدّ من بيع الجوامع تارك الــــجماعاتِ منها مبطل جُمُعَاتها
١٨ ولا بدّ أن يستبدل الناسُ أعبُداً ... بأحرارها بيعاً لنفس ذواتهــا
ولو أمكنتْه كعبة الله باعها ... وأبْطل منها الحجّ مع عُمَرَاتها
ومصداقَ قولى أنه كان مغرياً ... ليحيى بن سبع فى خراب جهاتها
٢١ وقد كان ذئباً لابن سبع وقومه ... يطالع بالأخبار قبــل رُواتها
ولو يُعْطَ ديناراً وطاوعه الورى ... لأسقط عنها صومها وصلاتها
شكت ملّة الإسلام مما ينالها ... بأفعاله يا هلْ تُزيلُ شكاتها

فيبكى على الدين القويم وشرعه وأحكامه فيهـا بمنعوجاتها
نعى مذهب النعمان من قُبْحِ فعله على فَتوات الزُور لا عن ثقاتها
تعَقَّبَ يعقوبًا وخالف رأيه فكم حَلَّ من وقفٍ وأبدى شتاتها ٣
وعن زفرٍ قد زفّرالنقل كاذبًا بتزويج أرحامٍ (٣ ب) لحين براتها
وقد خان قاضى خان فى فتَواته بتغييرها عن مقتضى موجباتها
فلا تخشى إثما أن تَخُوضَ بعرضه فغيبته للناس خيرُ لغاتها ٦
فماذا على الإسلام حَلَّ من الردا بأيّامِ عبد البرّ مع سنواتها

انتهى ذلك على سبيل الاختصار وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . — وفى رابع هذا الشهر خرج الأتابكى قرقماس إلى نحو الشرقية والغربية ، وقد سرح ٩ فى البلاد وغاب فيها . — وفى حادى عشره كان ببولاق ليلة حافلة بسبب وقت سيدى إسماعيل الإنبابى رحمة الله عليه ، فضربت فى تلك الجزيرة التى تجاه بولاق نحو خمسمائة خيمة ، أوصنعوا سوقا بدكاكين وخرج الناس فى الفتك والفرجة ١٢ عن الحدّ ، وأقاموا هناك ليالى متوالية ، وموجب ذلك أن كان الرخاء والأمن موجودين . — وفى عقيب ذلك عُمل مولد الشيخ سويدان المجذوب فى مدرسة ابن الزمن التى ببولاق عند الرصيف ، فكان له مولد حافل ، وضربت هناك الخيام ١٥ الكثيرة عند المدرسة ؛ لكن حدث تلك الليلة حادثة مهولة ، وهو أن امرأة طبخت على شاطىء البحر فطارت منها شرارة فتعلّقت بمركب هناك كان فيها كتّان فعملت فيه النار ، وكان تلك الليلة الريح عاصفا فمشت النار إلى شونة تبن ١٨ فى معصرة هناك (٤ آ) فعملت فيها النار ، فاحترقت المعصرة ونهب ما فيها من قصب وسكّر وعسل ، وحصل للناس تلك الليلة غاية النكد ، ولولا لطف الله تعالى ثم بَركَة الشيخ سويدان لاحترقت تلك الأماكن التى هناك عن آخرها . — ٢١ وفيه تغير خاطر السلطان على أبى الخير المرافع بعد أن قرّبه ، وكان قد أخذ فى أسباب مصادرات الناس، ولو دام لحصل للناس منه كل سوء، فتسلّمه الزينى

بركات بن موسى فنزل به من القلعة وهو فى الحديد ، فلما شقّ من القاهرة كادت العوامّ أن ترجمه وارتفعت الأصوات لابن موسى بالدعاء لأنه كان سببا لذلك ،
٣ فلما أتى إلى داره ضرب أبا الخير المرافع بالمقارع وبعث به منفيًّا إلى الواح . — ومن الحوادث أن مملوكا من المماليك الجُلبان نزل إلى سوق الرقيق ليشترى عبدا أو يردّ عبدا فوقع بينه وبين الدلال تشاجر ، فلما تزايد الأمر بينهما ضربه
٦ المملوك بقبقاب على رأســه فى السوق بين الناس ، فحُمل إلى داره فأقام نحو شهر ثم مات ، فلم تنتطح فى ذاك شاتان . — وفى عقيب ذلك ضرب الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدّمين شخصا من النواتيّة فمات تحت الضرب ،
٩ وسبب ذلك أن هــذا النوتى حمل للأمير أرزمك مغلا فنقص فضربه بسبب (٤ ب) ذلك ، فلما مات النوتى وقف أولاده للسلطان ، فلما علم بهذه الواقعة تغافل عن ذلك وقال للأمير أرزمك : ارضِ أولاد هذا المقتول ، وانفضّ المجلس
١٢ على ذلك وراحت على من راح .

وفى صفر كان ختام ضرب الكرة ، ثم إن السلطان أضاف الأمراء بالبحرة ، ومدّ لهم أسمطة حافلة ، وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . — وفيه طلع ابن أبى
١٥ الردّاد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة سبعة أذرع ، وكانت الزيادة فى أول يوم من المناداة خمسة أصابع . — ومن الحوادث أن فى يوم الخميس ثالث عشره تسحّب من سجن القاعة وقت الظهر نحــو سبعين إنسانا من المحابيس ما بين
١٨ مشايخ عربان وفلاحين وغير ذلك ، فاضطربت القاهرة بسبب ذلك ، فمضوا ولم تنتطح فى ذاك شاتان . — وفيه جاءت الأخبار [أن عربان الشرقية هاجوا] ونهبوا الضياع ، فعيّن لهم السلطان فى ذلك اليوم تجريدة وعيّن بهــا من
٢١ الأمراء سودون العجمى أمير مجلس وأنصباى حاجب الحجّاب وتمر الزردكاش أحد المقدّمين ودولات باى قرموط ، ومن المــماليك السلطانية نحوا من خمسمائة مملوك فخرجوا من يومهم وقد تقدم القول بأن الأتابكى قرقماس

خرج قبل ذلك إلى نحو الشرقية والغربية . فلما سمع بمجىء العسكر لاقاهم من هناك (٥ آ) .

وفى ربيع الأول رسم السلطان للقاضى علاى الدين ناظر الخاصّ بأن يتوجّه ٣ إلى جدّة ، وقد بلغ السلطان أنه قد وقع تشاجر بين حسين باش العسكر الذى هناك وبين على المسلاتى المغربى . فخرج ناظر الخاصّ ليكشف عن حقيقة ذلك ، وعيّن معه السلطان نحوا من خمسين مملوكا تقويةً للعسكر الذى هناك . — ٦ وفيه كان رجوع الأمراء والعسكر الذين توجهوا للشرقية بسبب فساد العربان فرجعوا بغير طائل من ذلك . — وفيه رسم السلطان بشنق أحمد بن مهنا شيخ بنى وائل ، فسمّروه هو وأقاربه وطافوا بهم القاهرة ، ثم شنقوا أحمد بن مهنا على ٩ باب النصر . وكان ذنبه أنه هرب من السجن وقتل السجّان وكسر القيد ، وكان من شرار العربان فلما ظفر به شنقه . — وفى يوم الثلاثاء عاشره كان دخول العسكر المتوجه إلى الحجاز بسبب محاربة يحيى بن سبع ، فدخل الأمير خاير بك باش ١٢ العسكر وقنبك رأس نوبة ثانى المتوجّه صحبته وبقيّة الأمراء والعسكر . فكان لهم يوم مشهود ، ودخل المحمل صحبتهم فزيّنت لهم القاهرة ودقّت لهم الكوسات بالقلعة ، ودخل صحبتهم ثمانمائة رأس من رؤوس العربان من بنى إبراهيم الذين ١٥ قُتلوا فى المعركة ، فأشهروهم على رماح والمشاعليّة تنادى عليهم . فلما طلع الأمراء إلى القلعة أخلع عليهم السلطان (٥ ب) ونزلوا إلى دورهم ، فكانت مدة غيبتهم فى هذه التجريدة ثمانية أشهر وأيام وقد بيّضوا وجههم بهذه النصرة التى ١٨ وقعت لهم ، وفتحوا درب الحجاز فتحا ثانيا فى الإسلام بعد ما كاد الحجّ أن ينقطع ، فللّه الحمد على ذلك ، وقد شقّ على السلطان مجىء العسكر وكان قصده أن يتبعوا يحيى بن سبع حيث توجّه حتى يقطعوا جادرة بنى إبراهيم عن آخرهم . ٢١ وكان العليق هناك ما يوجد والموت فى الجمال كثيرا فتقلّق العسكر وطلب المجىء . — وفى يوم الأربعاء حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى واجتمع

---

(٤) تشاجر : جاءت فى الأصل بعد كلمة « حسين » .

القضاة الأربعة والأمراء المقدّمون على العادة ، ونصب الخيمة الكبيرة المدوّرة
التي صنعها الأشرف قايتباى وأصرف عليها نحوا من ثلاثين ألف دينار ، وكان
٣ مولدا حافلا . — وفى رابع عشره جاءت الأخبار من عند الأمير أزدمر
الدوادار أنه لما توجّه إلى الكرك ونابلس قاتل عربان بنى لام الذين كانوا من
عصبة يحيى بن سبع ، فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر من كبارهم
٦ نحو عشرة أنفار ، وملك منهم مدينة الكرك ، فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بدقّ
الكوسات بالقلعة ، وكانت القاهرة مزيّنة من حين دخل العسكر فصارت الفرحة
فرحتان . — وفى يوم (٦ آ) الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على الأمير
٩ طراباى رأس نوبة النوب وقرّره فى أمرة ركب المحمل ، وقرّر قانصوه أبا سنّة
والى القاهرة بالركب الأول . — وفى ذلك اليوم نادى السلطان فى القاهرة بأن
الناس تحجّ فى هذه السنة مطلقا من رجال ونساء على العادة ، فارتفعت الأصوات
١٢ له بالدعاء وكان من أعظم فرحات الإسلام . — وفيه تغيّر خاطر السلطان على
القاضى فخر الدين بن العفيف كاتب المماليك فعزله ورسم عليه وقرّر عليه ألفى
دينار يوردها للخزائن الشريفة ، وكان هذا آخر عزل القاضى فخر الدين
١٥ وولاياته . — وفيه كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك عاشر مسرى . وفتح
السدّ اليوم الحادى عشر من مسرى ، ووقع فى زيادة هذا النيل أمور غريبة
وهو أنه سلسل فى أول الزيادة ، فلما كان سادس مسرى زاد الله ثلاثين أصبعا
١٨ فى يوم واحد ، ثم فى اليوم السابع منها زاد الله فيه عشرين أصبعا ، ثم فى اليوم
الثامن منها زاد الله فيه أيضا عشرين أصبعا وكانت زيادته سبعون أصبعا فى
ثلاثة أيام . واستمرّت الزيادة عمّالة مترادفة حتى أوفى الله فتوجّه الأتابكى قرقماس
٢١ وفتح السدّ على العادة ، وكان له يوم مشهود . كما يقال فى المعنى :

سدُّ الخليج بكسْره(٦ب)جبَّرالورى طرًا فكلٌّ قد غدا مسرورا
البحرُ سلطانٌ فكيف تواترتْ عنه الأشائر إذ غدا مكسورا

(٢٣) الأشائر : البشائر .

وفيه توفى شرف الدين بن أبى الخير كاتب الجرّافة مباشر الأمير طراباى ، وكان من وسائط السوء عنده .

وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على القاضى شرف الدين الصُغير وقُرّر فى كتابة المماليك عوضا عن فخر الدين بن العفيف بحكم صرفه عنها ، فتضاعفت عظمة شرف الدين الصُغير وصار ناظر الدولة كاتب المماليك مستوفيا على الدواوين وغير ذلك من الوظائف . — وفيه جاءت الأخبار من عند نائب حلب بأن إسمعيل شاه بن حيدر الصوفى المقدم ذكره قد تحرك على بلاد السلطان ووصل أوائل عسكره إلى ملطية ، وحكوا عنه أموراً شنيعة فى أفعاله ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وجمع الأمراء وضربوا مشورة فى أمر الصوفى ، فأشار الأمراء على السلطان بأن يرسل إليه تجريدة فنادى للعسكر بالعرض ، فطلع العسكر قاطبة إلى القلعة فعرضهم ، وكان قاصد ابن عثمان حاضرا وخليل بيك بن رمضان أمير التركمان ، فكتب من العسكر نحوا من ألف وخمسمائة مملوك ، وعيّن من الأمراء المقدّمين فى ذلك اليوم خمسة وهم قانى باى قرا أمير آخور كبير وجعله باشا على العسكر ، وصحبته أرزمك الناشف أحد المقدّمين ودولات باى قرموط وقانصوه كُرت وتانى بيك (٧ آ) الخازندار ، وعيّن من الأمراء الطبلخانات والعشرات نحوا من عشرين أميرا ، ثم عيّن بيبرس أمير آخور ثانى قرابته بأن يتوجّه إلى حلب ويعلم النوّاب بمجىء العسكر وليجتهدوا فى عمل البرق ، وأن نائب حلب يجمع عساكر حلب ويخرج ليحرس أطراف البلاد ويكشف الأخبار ، ثم بطل ذلك جميعه فيما بعد كما يأتى الكلام على ذلك فى موضعه .

وفى جمادى الأولى فى ثامنه حضر أبرك نائب قلعة حلب وقد انفصـــل عنها ووقع بينه وبين نائب حلب تشاجر ، وأصله من مماليك السلطان فطاش وفتك بحلب ، ولم يستتش لنائب حلب بشأن . — وفيه جاءت الأخبار بأن عساكر الصوفى عدّت من الفراة ووصل جاليشهم إلى أطراف بلاد السلطان ،

وأن على دولات جمع التركمان وخرج إليهم وتحارب معهم .

فلما جاءت هذه الأخبار اضطربت القاهرة وماجت ونادى السلطان للعسكر
٣ بأن أول النفقة يوم الاثنين ، وكان قد أشيع بين الناس بأن التجريدة بطالة فأهمل العسكر ذلك حتى طرقتهم هذه الأخبار ، فعند ذلك شرع المماليك يكبسون على الطواحين والاسطبلات بسبب النعال والأكاديش ، وكان السلطان أخّر أمر النفقة إلى أن يحضر
٦ الأمير أزدمر الدوادار وكان توجّه إلى الكرك ونابلس بسبب عربان بنى لام ، فلما جاءت هذه (٧ ب) الأخبار نفق السلطان على العسكر المعيّن للتجريدة ، فأعطى لكل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر معجّلا وثمن جمل سبعة أشرفية ،
٩ فكان ما خصّ كل مملوك نفقة وجامكية وثمن جمل مائة دينار وثلاثون دينارا ، ثم شرعوا فى عمل البرق . — وفى يوم الأربعاء رابع عشره عزم السلطان على قاصد ابن عثمان فى قاعة البحرة ، فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة فى الفُرش
١٢ وفى الأسمطة والفواكه والحلوى ، وملأ صحن فرعون الذى تحت شباك قاعة البحرة سكّرا بماء الليمون برسم جماعة القاصد ، وعند الانصراف أخلع على القاصد كاملية مخملا أحمر بصمور فاخر ، وكان يوما حافلا جدّا . — وفى تاسع عشره حضر
١٥ إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان ، وقد ترجموا هذا كمال بتراجم عظيمة بأنه لا يكلّ ولا يملّ من الجهاد فى الفرنج ليلا ونهارا حتى أعيى الفرنج أمره ، وأنه رأس المجاهدين المرابطين فى الإسلام ، فلما حضر أكرمه
١٨ السلطان وبالغ فى إكرامه وأخلع عليه ، فأقام بمصر مدّة يسيرة ورجع إلى بلاده . — وفى العشرين من هذا الشهر جاءت الأخبار من غزّة صحبة هجّان بوفاة الأمير (٨ آ) أزدمر من على باى الأشرفى أمير دوادار كبير ، توفى بغزّة يوم الخميس
٢١ خامس عشر هذا الشهر ، وقد مرض مُدّة ثلاثة أيام ومات ، فلما جاء هذا الخبر تأسّف عليه الكثير من الأمراء ممن كان من عصبته ، وكان موته بغتة على حين غفلة ، وأشيع بين الناس [أنه مات] مشغولا ، وكان أميرا جليلا رئيسا حشما لين الجانب
٢٤ قليل الأذى ، وكان فى عنفوان شبوبيته ، وكان موموقا بالشجاعة والفروسية ، وهو من

مشتراوات الأشرف قايتباى ، وولى عدّة وظائف سنية منها شادية الشراب خاناه
ثم بقى مقدّم ألف ثم ولى الدوادارية الكبرى بعد الأمير مصر باى فى سنة سبع
وتسعمائة ، فكانت مدّته فى الدوادارية الكبرى نحوا من ست سنين وخمسة أشهر ٣
إلا أياما ، فلما تحقق السلطان موته ضرب الحَوْطة على موجوده ، ورسّم على جماعته
وغلمانه ومباشريه وقرّر عليهم مالا له صورة . — وفيه حضر تغرى بردى
الترجمان ، وكان توجّه إلى بلاد الفرنج وأقام بها نحوا من سنتين ، فلما حضر أخلع ٦
عليه السلطان وأقرّه على وظيفته . — وفيه ثبت النيل المبارك على ثمانية عشر
أصبعا من تسعة عشر ذراعا ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك (٨ ب)
بثمانية أصابع . — وفيه توفى القاضى جمال الدين الأنميدى أحد نوّاب الحكم ٩
الشافعى ، وكان لا بأس به .

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن شخصا يقال له عمر بن علاى الدين النقيب
الحنفى المحلى ، وكان خطيبا ببعض الجوامع ، فقيل عنه أنه وقع فى حقّ سيّدنا إبراهيم ١٢
الخليل عليه السلام بكلام فاحش لا ينبغى أن يذكر فضبطوا عليه ذلك ، ثم إن بعض
القضاة استتوبه وحكم شمس الدين الحلبى بحقن دمه ، فلما بلغ السلطان ذلك تعصّب
لإبراهيم الخليل عليه السلام وقال ما أرجع حتى أضرب عنق هذا القائل لهذا الكلام ، ١٥
فأمر بعقد مجلس بحضرته وجلس فى الدهيشة وأرسل خلف القضاة الأربعة ، فحضر
جمال الدين القلقشندى الشافعى وسرىّ الدين عبد البرّ بن الشحنة الحنفى وبرهان الدين
الدميرى المالكى والشهاب أحمد بن الشيشينى الحنبلى ، ثم أمر السلطان بإحضار ١٨
القضاة المنفصلين فحضر شيخ الإسلام زين الدين زكريا الشافعى وحضر برهان الدين
ابن أبى شريف الشافعى وبرهان الدين بن الكركى الحنفى وجماعة من مشايخ العلم
منهم الشيخ نور الدين المحلى والشيخ عبد الحق السنباطى الشافعى وغير ذلك ٢١
من المشايخ والعلماء ، فلما تكامل (٩ آ) المجلس تباحثوا فى هذه المسألة ، فقال
الشيخ زكريا مذهبنا أن هذا القائل إذا تاب إلى الله تعالى واستغفر تقبل توبته ،

---

(٥) وقرر : وقدر . (١٨) بن الشيشينى : أبو الشيشينى .

ووافقه على ذلك أبى شريف . فحصل فى ذلك المجلس بعض تشاجر بين قاضى القضاة عبد البرّ بن الشحنة وبين الشيخ نور الدين المحلى ، وأحضر كل من العلماء

٣ النُّقول فى هذه المسألة ، وانفصل المجلس مانعا على أن هذا القائل يُسجن مدّة طويلة حتى يتوب ، ثم انفضّ المجلس على ذلك والسلطان قد صمّم على ضرب عنق هذا القائل ، فتوجّهوا به إلى السجن فسجن، وهذا ما كان من ملخّص هذه الواقعة . —

٦ وفيه حضر الأمراء الذين كانوا توجّهوا صحبة الأمير أزدمر الدوادار إلى نابلس ، وأحضروا صحبتهم جثّة الأمير أزدمر وهى فى سحلية ، فدفن فى تربته التى أنشأها بالقرب من باب الزغلة ، وانطوى أمره ، وخلا منه المكان ، ودخل فى خبر كان .

٩ وفى جمادى الآخرة فى يوم السبت ثانيه رسم السلطان بتوسيط شخص من العربان المفسدين يسمّى عبيد بن أبى الشوارب ، فوسّطه عند قنطرة الحاجب ، ووسّط معه أيضا شخصا يسمى قاسم الغُريب ،وكانا من كبار المفسدين بالشرقية . —

١٢ وفى يوم الاثنين رابعه أخلع السلطان (٩ ب) على الأمير طومان باى بن أخيه وقُرّر فى الدوادارية الكبرى عوضا عن الأمير أزدمر من على باى بحكم وفاته ، فنزل من القلعة فى موكب حفل ، وسكن فى دار الأمير أزدمر فيما بعد ، ورسم

١٥ السلطان للأمير يشبك الفقيه الذى كان دوادارا عند الأمير أزدمر أن يستمرّ دوادارا عند الأمير طومان باى على عادته ، فامتثل ذلك . — وفيه أخلع السلطان على شيخ العرب عبد الدايم بن أبى الشوارب وقُرّر فى مشيخة العرب

١٨ بالقليوبية . — وفيه أخلع السلطان على مملوكه أبرك الذى كان نائب قلعة حلب وحضر إلى مصر . فقرّره فى شادية الشراب خاناه عوضا عن الأمير طومان باى بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى . — وفى يوم الثلاثاء سادسه حضر قاصد

٢١ من عند على دولات وأخبر أنه لمـا توجّه إلى عسكر الصوفى تحارب معهم فكسرهم كسرة قوية فانهزموا نحو بلادهم مكسورين وقُتل منهم جماعة كثيرة ، وأرسل على دولات عدّة رؤوس ممن قتل من عسكر الصوفى وفيهم شخص من

---

(١٣) وقرر : وقدر . (١٨) بالقليوبية : بالقليوبى .

أمرائه بالحياة وعلى رأسه طرطور أحمر ، فلما عُرضوا على السلطان سُرَّ بهذه
الواقعة وأمر بأن تُعلَّق (١٠ آ) تلك الرؤوس على باب زويلة ، فلما تحقّق صحّة
هذه الواقعة بطل أمر تلك التجريدة التى كان عيّنها إلى الصوفى ورسم بإعادة ٣
النفقة التى كان نفقها على العسكر بسبب التجريدة ، فتوجّهت إليهم الطواشية
واستعادوا منهم النفقة فشقّ ذلك على المماليك وكانوا قد تصرّفوا فى غالبها ، فلما
بلغ السلطان ذلك رسم بأن يترك لهم ثمن الجمل الذى كان أعطاه لهم وقدره سبعة ٦
دنانير ويعيدوا الباقى ، فامتثلوا ذلك وأعادوا ما أخذوه والذى تأخّر عليه من
ذلك شىء قُطع من جامكيته . — وفى يوم الاثنين حادى عشره أخلع السلطان
على قاصد أبى يزيد بن عثمان خلعة سنيّة ، وألبس جماعته سلاريات وشقا وصمورا ٩
وأذن لهم بالعود إلى بلادهم . فمضوا وهم شاكرون من السلطان . — وفى يوم
الخميس رابع عشره أخلع السلطان على الأمير طومان باى الدوادار خلعة
الأنظار ، فنزل من القلعة فى موكب حفل . — وفيه قلع السلطان البياض ولبس ١٢
الصوف ، ووافق ذلك عاشر هاتور . — وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن
الشريف بركات أمير مكة توجّه إلى مالك بن الرومى أمير خُليص وكبس عليه
على حين غفلة . فظفر به وحزّ رأسه وحزّ رؤوس جماعة من أقاربه ، وأنّ (١٠ب) ١٥
ناظر الخاصّ علاى الدين واصل بذلك عن قريب فسُرّ السلطان لهذا الخبر . —
ومن الحوادث فى أواخر هذا الشهر وقعت فتنة مهولة ببولاق حتى كادت أن
تخرب عن آخرها . وسبب ذلك أن جماعة من الجوابر الذين ببولاق وقع بينهم ١٨
وبين جماعة من النفر بسبب ضائع ضاع لهم ، فتعصّب الجوابر على النفر وضربوهم
وجرحوا منهم جماعة واستخلصوا منهم الضائع ، فلما بلغ ذلك طائفة النفر اجتمع
منهم السواد الأعظم وتوجّهوا إلى بولاق ووثبوا على الجوابر ونهبوا ما فى ٢١
مراكبهم من الغلال ، ونهبوا دكاكين بولاق وخطفوا عمائم الناس ، فلما تزايد
الأمر من النفر ثاروا عليهم الجوابر والنواتية الذين ببولاق وأتوا إليهم بالسيوف

(١٠) فمضوا : فيضوا .

والمقاليع فســقط بينهم ساقط ، فاتسعت الفتنة واستمرّت على ما ذكرناه
ثلاثة أيام متوالية ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد وكانت الجوابر فى حماية
٣ الأتابكى قرقماس والنفر فى حماية قانى باى قرا أمير آخور كبير ، فتعصّب كل
منهما لجماعته فتحير بينهما السلطان ، وراح على الناس ما نهب لهم فى هذه الحركة ،
انتهى ذلك .

٦ وفى رجب كان انتهاء العمل مما جدّده السلطان من العمارة بالقصر الكبير ،
فلما تمّ ذلك صنع به (١١ آ) وليمة حافلة وعزم على القضاة الأربعة والأمراء
المقدّمين وأرباب الوظائف من المباشرين ، وأحضر قُرّاء البلد قاطبة والوعّاظ ،
٩ ومدّ به أسمطة حافلة وبات تلك الليلة هناك . — وفيه نزل السلطان إلى خلف القلعة
عند قبّة الهوى وجرّبوا قدّامه مكاحل نحاسية كان سبكها ، فأقام هناك ساعة
يسيرة ثم عاد إلى القلعة . — وفيه تغيّر خاطر السلطان على عبد العظيم الصيرفى
١٢ فضربه ووكل به ثلاثة من المماليك الخاصكية ، وسبب ذلك أن العسكر تضرّر من
كثرة الفضّة النحاس التى يجدونها فى الجامكية فشكوه إلى السلطان ، فقبض عليه
وقرّر عليه مالا له صورة بسبب ذلك .

١٥ وفى شعبان حضر قاصد من عند إسمعيل شاه الصوفى وعلى يده مكاتبة يذكر
فيها أن الذى وقع من عسكره فى دخولهم إلى أطراف بلاد السلطان لم يكن ذلك عن إذنه
ولا علم بذلك ، فأكرم السلطان ذلك القاصد وأوكب له بالحوش موكبا حافلا ، وكان هذا
١٨ القاصد هو وجماعته فى غاية الغلاسة ، وعلى رؤوسهم طراطير حُمر ليس عليهم رونق
بخلاف قصاد ابن عثمان . — وفيه وقعت فتنة مهولة بين مماليك السلطان وبين مماليك
الأمير خاير بك الخازندار بسبب حمير (١١ ب) النُقارة ، فقُتل من مماليك السلطان
٢١ مملوك فتعصّب له خشداشينه ونزلوا من الطباق مُشاة وتوجهوا إلى بيت خايربك
ونهبوا ما فيه وأحرقوا بابه ، فهرب منهم واختفى وطلع إلى السلطان وقد اتسعت
هذه الفتنة ، فلما جرى ذلك أرسل السلطان قبض على مملوك خايربيك الذى

(١٤) وقرر : وقدر .

فعل هذه الفعلة فوسّطه فى الرملة حتى خمدت هذه الفتنة قليلا . — وفى يوم
الاثنين سادس عشره دخل القاضى علاى الدين ناظر الخاصّ . وقد تقدّم أنه توجّه
إلى جدّة بسبب تجهيز المراكب صحبة العسكر الذى توجّه إلى عدن بسبب تعبّث ٣
الفرنج هناك . فلما تمّ أمره من جدّة وقصد الرجوع إلى مصر أرسل صحبته
الشريف بركات أمير مكة رأس مالك بن الرومى أمير خنيص ، وعدة رؤوس ممن
قتل معه من العربان فى المعركة كما تقدّم ، فكان عدّتهم نحوا من تسع وعشرين ٦
رأسا . فارتجّت لهم القاهرة وأشهروا على رماح ، فلما عُرضوا على السلطان وهو
بالميدان أخلع على ناظر الخاصّ كاملية مخملا أحمر بصمور وأركبه فرسا بسرج مغرق
وكنبوش ، وتوجّه إلى داره فى موكب حافل وصحبته قضاة السلطان ، ورسم ٩
بأن تعلّق تلك الرؤوس على أبواب القاهرة . — وفى يوم السبت سابع عشرينه
نزل السلطان إلى الميدان وعزم على قاصد (١٢ آ) الصوفى هناك ، وأحضر قدّامه
مماليكا يرمون بالنشّاب على الخيل وهم بآلة السلاح فأظهروا فى فنون النشّاب أشياء ١٢
غريبة . وأحرق قدّام القاصد إحراقة نفط بالنهار ، ثم مدّ له أسمطة حافلة وأخلع عليه
وعلى جماعته . وأذن لهم بالعود إلى بلادهم فسافروا فيما بعد . — وفيه كانت واقعة
الناصرى محمد بن بنت جمال الدين الأستادار مع الناصرى محمد بن قجق نديم السلطان ، ١٥
وملخّص هذه الواقعة أن محمد بن بنت جمال الدين كان له عبد حبشى فأفسد
جارية لمحمد بن قجق فشكاه للسلطان ، فطلب ابن بنت جمال الدين وقصد الصلح
بينه وبين ابن قجق وأن يرضيه فى جاريته ، فتواحش ابن بنت جمال الدين فى حقّ ١٨
ابن قجق وسبّه فى مجلس السلطان ، وكان ابن بنت جمال الدين أهوج أحمق رهاجا ،
فلما جرى ذلك تغير خاطر السلطان عليه ورسم بتسليمه إلى نقيب الجيش ،
فاتّسعت هذه الواقعة على ابن بنت جمال الدين وقرّر عليه السلطان عشرة آلاف ٢١
دينار . فاستمرّ (١٢ ب) فى الترسيم وضرب فى بيت الوالى وباع جميع موجوده
ولم يف بهذا القدر ، وآخر الأمر رسم السلطان بنفيه إلى الواح فنفى وجرى

---

(٢١) وقرر : وقدر .

عليه شدائد ومحنا ، وكان قليل الدربة فلو سدّ هذه القضية بدون الخمسين دينارا
كانت تستدّ ولا كان يجرى عليه هذا كله ، وهذه الواقعة تقرب من واقعة الزينى
٣ فرج الحاجب وقد تقدّم ذكر ذلك فيما جرى عليه ، ويقرب من هذه الكائنة
ما وقع لشخص من أبناء الناس يقال له محمد بن سودون السودونى وقد تغيّر
خاطر السلطان عليه وحصل له منه ما لا خير فيه وسجنه وقاسى شدائد ومحنا
٦ وأمره مشهور . — وفى سلخ هذا الشهر حضر الأتابكى قرقماس وكان مسافرا
فى إقطاعه بالمنزلة ، ودخل صحبته بعدّة رؤوس من العربان العصاة فعُرضوا على
السلطان بالميدان ، فأخلع عليه ونزل إلى داره فى موكب حافل .

٩ وفى رمضان فى يوم مستهلّه عرض القاضى شرف الدين الصُغير ناظر الدولة
والزينى بركات بن موسى المحتسب اللحم والغنم والدقيق والسكر على السلطان
وهو بالميدان ، فطلعا به مزفوفا على العادة فأخلع عليهما . — وفى يوم الخميس
١٢ ثالثه عرض السلطان المحابيس بالميدان فأطلق منهم جماعة من رجال ونساء وأبقى منهم
أصحاب الجرائم والفلاّحين . — وفيــه وقف شخص من الغلمان للسلطان وهو
مقطوع اليد ، وأنهى فى قصّته أن الأمير طراباى قطع يده لأجل بغلة ماتت منه
١٥ فى الربيع ، فلم يُنصفه السلطان من طراباى . — وفى يوم الجمعة (١٣ آ) خامسه
أفرج عن عبد العظيم الصيرفى وقد أورد نحوا من عشرة آلاف دينار وقرّر
عليه باقى المال . — وفيه توفى أحمد بن إسمعيل رأس نوبة الأمير طراباى ، وكان
١٨ على عوج فيه خير من غيره من الظلمة . — وفيه رسم السلطان بالإفراج عن
جمال الدين السلمونى الشاعر ، وكان فى السجن من حين وقع له مع قاضى القضاة
عبد البرّ بن الشحنة ما تقدّم ذكره ، وكان السلطان له عناية بالسلمونى فى الباطن .—
٢١ وفيه أخلع السلطان على مملوكه الأمير أبرك وأعاده إلى نيابة قلعة حلب كما كان
أولا ، مع استمراره على شادية الشراب خاناه بمصر ، وصار يُحمل إليه معلومها
وخراج الإقطاع وهو بحلب ، فعدّ ذلك من النوادر ، ثم خرج فى أثناء هذا الشهر

(٢٢) معلومها : معلموها .

إلى حلب متكلما على نيابة القلعة بها ومتوليا شادية الشراب خاناه بمصر ، وأعجب
من هذا أن السلطان أنعم عليه فيما بعد بتقدمة ألف بمصر وصار يُحمل إليه
خراج إقطاع التقدمة وهو بحلب . — ومن الحوادث فى هذا الشهر أن جماعة ٣
من السرّاق نقبوا قاعة الذهب وذبحوا البوّاب وأخذوا من القاعة سبائك ذهب
وفضّة بنحو عشرة آلاف دينار ، فراحت (١٣ ب) ولم تنتطح فى ذلك شاتان . —
وفى هذه الليلة نقبوا من سوق مرجوش أربعة دكاكين . — وفى ليلة الثلاثاء ثانى ٦
عشرينه هجم ذلك المنسر على شخص أعجمى تاجر ، وكان فى سعة من المال وكان
ساكنا عند باب سرّ المدرسة الصالحية ، فذبحوه وذبحوا عبده معه وأخذوا كلما فى
داره من مال وقماش ، فتتبّع الوالى أمر هؤلاء السراق حتى ظفر بجماعة منهم فشُنقوا ٩
على باب ذلك التاجر الذى قتل . — وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه كانت وفاة
قاضى القضاة المالكى برهان الدين إبراهيم الدميرى ، وكان عالما فاضلا ديّنا خيرا
رئيسا حشما ليّن الجانب كثير التواضع ، وانتهت إليه رياسة المالكية [فى] عصره ، ١٢
ولم يكن يومئذ فى المالكية أعلا طبقة منه على الإطلاق ، ومات وهو فى عشر الثمانين ،
وكانت مدّته فى منصب القضاء إلى حين توفى رحمة الله عليه ست سنين وستة
أشهر إلا أياما ، وكان نادرة عصره فى الخطّ الجيّد والعبارة الحسنة ، وكان ١٥
عارفا بالأحكام الشرعيّة ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل من القلعة ليصلّى عليه
فتبيّن أنهم توجّهوا به إلى الجامع الأزهر فصلّوا عليه هناك . — فلما تحقق السلطان
ذلك توجّه إلى نحو القرافة وزار الإمام (١٤ آ) الشافعى والإمام الليث رضى الله ١٨
عنهما ، فنزل عن فرسه ودخل زارهما بتواضع وتصدّق فى ذلك اليوم بمبلغ له صورة ،
وكان ذلك أول نزوله فى حال السلطنة . — وفيه توفّى ابن سلطان العلايا الذى
كان مقيما بمصر . — وفى سلخ هذا الشهر نزل السلطان على حين غفلة وتوجّه ٢١
إلى المجراة التى أنشأها فكشف عن بنائها ، وكان معه الأمير طومان باى الدوادار

(٩) فتتبع : فتبع . (١٤ — ١٦) وكانت . . . الشرعية : جاءت فى الأصل بعد « أنهم »
فى سطر ١٧ .

وبعض أمراء عشرات ومن مماليكه نحوا من خمسمائة مملوك ، وأول ما نزل من القلعة
خرج من باب القرافة وتوجّه إلى تربة الأمير أزدمر الدوادار ونزل عن فرسه
٣ وزار قبره ، ثم ركب من هناك وتوجّه إلى نحو كوم الجارح وزار الشيخ أبا
السعود الذى كان هناك مقيما ، ثم توجّه من هناك إلى المجراة وكشف عليها وغسل
وجهه من ماء النيل . فلما رجع إلى القلعة رجع من على مشهد السيّدة نفيسة
٦ رضى الله عنها وزار وهو راكب على فرسه ورسم لخدّام السيّدة بعشرة دنانير ،
ثم خرج من باب القرافة وطلع إلى القلعة وتصدق فى ذلك اليوم بمال له صورة ،
وأنعم على البنّائين والمهندسين فى ذلك اليوم بمائة دينار .

٩ وفى شوال عمل السلطان موكب العيد وكان حافلا وفرّق الخلع (١٤ ب)
على العادة . — وفى يوم الخميس ثامنه عُرضت كسوة الكعبة على السلطان ومقام
إبراهيم عليه السلام ، وقد شقّوا من القاهرة وهى على رؤوس الحمّالين مزفوفة ، فلبس
١٢ القاضى ناظر الجيش عبد القادر القصروى فى ذلك اليوم خلعة كونه كان ناظر
الكسوة أيضا . — [ومن الحوادث] فى هذا الشهر أن المماليك الجلبان وثبوا
على السلطان بالقلعة ونزلوا من الطباق بكباشيات مقلوبة ، فعطعطوا بالقلعة وأظهروا
١٥ العصيان وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الفساد وقصدوا أن يهجموا على السلطان
وهو جالس فى الدُهيشة ، فخرج إليهم جماعة من الأمراء العشرات وتكلّموا معهم
فلم يسمعوا لهم وقالوا ما نرجع حتى ينفق علينا لكل واحد مائة دينار ، فباتوا
١٨ وأصبحوا على ذلك ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، فلم يخرج السلطان
فى ذلك اليوم ولا قعد على السماط وقصد أن ينزل من القلعة ويختفى من قهره
من المماليك فلم يمكّنه الأمير طومان باى الدوادار من ذلك ، فاستمرّت هذه
٢١ الفتنة قائمة ثلاثة أيام والقلعة مائجة ، ثم سكن الحال قليلا عن غير رضا من
المماليك . — وفى يوم السبت سابع عشره أخلع السلطان على الشيخ محيى الدين
يحيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميرى (١٥ آ) المالكى وقُرّر قاضى قضاة

---

(٢٢) المماليك : المماليك أبى البقا .

المالكية عوضا عن أبيه بحكم وفاته، وقد ولى منصب القضاء وهو شابّ، وكان حسن
السيرة وله اشتغال بالعلم فما استكثر عليه أحد ذلك وخضعت له المالكية
قاطبة . ومما وقع لوالده قاضى القضاة برهان الدين الدميرى أن السلطان رسم ٣
لقضاة القضاة بأن يخطب به كل واحد منهم جمعة ، وكان قاضى القضاة الشافعى
جمال الدين القلقشندى غير ماهر فى الخطبة فرسم له السلطان أن لا يخطب به ،
فخطب به قاضى القضاة الحنفى سرى الدين عبد البر بن الشحنة عدّة مرار ، ٦
فلما جاءت نوبة قاضى القضاة برهان الدين الدميرى المالكى صعد المنبر بجامع القلعة
فأرتج عليه أمر الخطبة ، وانجبه من ذلك وتعفّش ووقع عند نزوله من المنبر ،
فلما صلّى ونزل من القلعة مرض ولزم الفراش واستمرّ عليلا إلى أن مات عقيب ٩
ذلك بمدة يسيرة . — وفى يوم الاثنين تاسع عشره خرج المحمل من القاهرة
فى تجمّل زائد ، ولا سيما قد أذن السلطان للناس فى الحجّ بالتوجّه إلى الحجاز على
العادة ويكون ذلك مطلقا من نساء ورجال . فحجّ فى هذه السنة من الناس ما لا ١٢
يحصى ، وكان أمير ركب المحمل (١٥ ب) طراباى رأس نوبة النوب ، وبالركب الأول
قانصوه أبو سِنّة والى القاهرة ، فكان لهما يوم مشهود ، وحجّ فى هذه السنة من
الأعيان جماعة كثيرة منهم القاضى صلاح الدين بن الجيعان والقاضى شمس الدين ١٥
التتاى المالكى وكان قاضى المحمل ، وحجّ جماعة من الأمراء العشرات ، وحجّت خوند
أصل باى أم الملك الناصر سرية الأشرف قايتباى ، وحجّت خوند جان كلدى زوجة
الظاهر قانصوه خال الملك الناصر . وحجّت زوجة الأمير تانى بك قرا وهى ابنة ١٨
الأمير برد بيك صهر الأشرف أينال . وحجّ غير ذلك من الأعيان جماعة كثيرة . —
وفى الثلاثاء سادس عشرينه توفى الركنى عمر بن أمير المؤمنين المتوكّل
على الله عبد العزيز . أخو أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب ، وكان شابا رئيسا ٢١
حشما أسمر اللون جدا أمّه جارية حبشيّة ، وكان لا بأس به . — وفى يوم
الأربعاء ثامن عشرينه توفى الشيخ أبو الفضل بن المحرق وكان من خيار

---

(٢) اشتغال : اشغال . (٨) أمر الخطبة : أمراء الخطبة . (٢٣) بن المحرق : بن المحرق وغيره عن الجوامع .

الناس لا بأس به . — وفى يوم الخميس تاسع عشرينه حضر الأمير بيبرس
قريب السلطان ، وكان مسافرا نحو البلاد الشامية بسبب الكشف على القلاع : —
٣ وفى ذلك اليوم حضر الأمير علان الدوادار الثانى ، وكان توجّه إلى نحو عجرود
بسبب إصلاح السواقى التى فى مناهل الحاجّ ، فعمّر ما فسد منها ورجع : — وفى
هذا الشهر لم ينزل السلطان إلى (١٦ آ) الميدان ولا جلس به ، وسبب ذلك أنه
٦ قد تخيّل من المماليك الجلبان ، وقد تقدّم ما وقع له معهم وطلبوا منه نفقة
فلم يعط لهم شيئا واستمرّ مصمّما على عدم ذلك ، فلم ينزل إلى الميدان حتى يرى
ما يكون من أمر المماليك .

٩ وفى ذى القعدة عين السلطان تجريدة إلى بلاد الفرنج وقد تزايد منهم الأذى
والتعبّث بالناس فى البحر الملح ، وكان الباش على هذه التجريدة الأمير محمد بيك
قريب السلطان ، وصحبته جماعة من المماليك السلطانية وأولاد الناس وغير ذلك : —
١٢ وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك ثالث بشنس القبطى . —
وفى يوم الاثنين حادى عشره توفى الشهاب أحمد بن الشيخ على المقرى ، وكان
علامة فى عصره شيخاً عارفا بطريقة القراءة ، وكان رئيسا حشماعشير الناس ، وكان
١٥ لا بأس به . — وفيه أنعم السلطان على الأمير بيبرس قرابته بتقدمة ألف ، وأخلع
على أقباى الطويل وقرّره أمير آخور ثانى. عوضاً عن بيبرس بحكم انتقاله
إلى التقدمة .

١٨ ومن الحوادث أن جماعة من عبيد السلطان تحاسدوا فى بعضهم فقتلوا منهم
واحدا كان مقرّبا عند السلطان من بينهم ؛ فلما قتلوه رموه فى سراب من أسربة
القلعة ، فلما فحص السلطان عن أمره طُلع به من ذلك السراب ، ثم قبض على من
٢١ (١٦ ب) فعل ذلك من العبيد فوسّط منهم أربعة فى الرملة وهرب منهم جماعة . —
وفيه وجدت امرأة موسّطة نصفين كل نصف منها مرمى فى حارة فلا يعلم من فعل
ذلك بها . — وفيه غُمز على فرّان قتل صبيّا كان عنده ورماه فى جورة الفرن

---

(٦) تخيل : تحيل . (١٢) وفيه ... القبطى : كتبت فى الأصل بعد كلمة « الباش » فى سطر ١٠ .

فاحترق وهرب الفرّان ، ولم تنتطح فى ذلك شاتان . — وفيه قتل بعض الغلمان
بيّاع لبن [لأجل] شقفة لبن لم يبعها له اللبّان فقتله ، فلما بلغ السلطان ذلك
وسّط الغلام الذى قتل اللبّان ، فراح هذان الرجلين لأجل شقفة لبن ، فلا حول ٣
ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم . — وفى أثناء هذه السنة توفى الأستاذ على بن غانم ،
وكان علامة فى ضرب الطنبورة ومعرفة الأنغام ، وهو الذى أظهر الخفائف
النجديّة بمصر ولحنها فى التلاحين الغريبة حتى أبطل بها فنّ الموسيقة . ٦

وفى ذى الحجّة فرّق السلطان الأضحية على العسكر ، وقطع أضحية كثيرة
لجماعة من المباشرين والفقهاء وغير ذلك . — وفيه توفيت امرأة يقال لها خديجة
الكُلُيباتية وكانت تدّعى الصلاح وتدخل بيوت الأكابر ، فوُجد لها ذهب عين ٩
ثلاثة آلاف دينار وأثاث البيت بنحو من خمسمائة دينار فعدّ ذلك من النوادر ،
ومع ذلك كانت تأخذ من الناس الصدقة . — وفى يوم الخميس تاسع عشره توجّه
(١٧ آ) ناظر الخاص علاى الدين إلى نحو الإسكندرية ورشيد بسبب تجهيز ١٢
المراكب التى عيّنها السلطان للتجريدة صحبة محمد بيك . — وفى رابع عشرينه حضر
مبشّر الحاجّ وأخبر عن الحجّاج بالأمن والسلامة والرخاء . — انتهى ما أوردناه
من أخبار سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وذلك على سبيل الاختصار . ١٥

ثم دخلت سنة أربع عشرة وتسعمائة

فيها [فى] المحرم ابتدأ السلطان بضرب الكرة ، وكان أكثر ضربه للكرة
فى الميدان ويعمل به المواكب الحافلة . — وفيه رسم السلطان بشنق ثلاثة أنفار ١٨
ممن كان سرق السبائك الذهب من قاعة الذهب ، وكان منهم شخص يسمّى يوسف
المصارع وكان مقرّبا عند السلطان فظهر أنه كان موالسا مع السراق ، فمات تحت
العقوبة بالمقشرة ولم يشنق معهم . — وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة ابن يحيى ٢١
ابن سبع الذى جرى من أبيه على الحجّاج ماجرى ، فحضر بالأمان من السلطان ،
فلما قابله أخلع عليه وقال : له على أبيك يحضر وعليه منى أمان الله تعالى . —

---

(٢٣) أبيك : أبوك .

وفيه جاءت الأخبار من غزة بأن قد ظهر بساحل البحر الملح سمكة عظيمة الخلقة ، قيل أن طولها سبعة وعشرون ذراعاً وعرضها عشرة أذرع ، فأرسل السلطان ٣ يقول لنائب غزة إن كان يمكن إحضارها (١٧ ب) إلى القاهرة فيحضرها ، فتعذّر ذلك عليه ، ثم أرسل نائب غزة فيما بعد عظمتين من أضلاعها حتى شاهدها السلطان ، وقد وضعهما عند باب القلعة تجاه السبيل الذى هناك وهما باقيتان إلى ٦ الآن ، وهما عظمتان من أضلاعها على ما قيل : — وفيه تزايدت عظمة الأمير طومان باى الدوادار واجتمعت فيه الكلمة ، ومما عدّ من محاسنه أنه حجر على النقباء والرسل الذين على بابه ، ورسم لهم بأن لا يأخذوا من الغرماء الذين ٩ يطلبون من بابه أكثر من نصفين فضّة ومن يأخذ أكثر من ذلك لا يقف له على باب وضيّق عليهم أياما بسبب ذلك ، [وبالجملة] فعنده لين جانب وقلّة أذى بخلاف من تقدّمه من الدوادارية . — وفى يوم السبت عشرينه دخل ١٢ الحاجّ إلى القاهرة مع السلامة فطلع الأمير طراباى أمير ركب المحمل وقانصوه أبو سنّة أمير ركب الأول ، فأخلع عليهما السلطان ونزلا فى موكب حافل ، ثم شاعت الأخبار بأن السلطان ردّ خوند أصل باى أمّ الملك الناصر مع الينبع ورسم ١٥ لها بأن تقيم بمكة وقد تغيّر خاطره عليها ، فرجعت من الينبع إلى مكة واستمرّت هناك حتى كان من أمرها (١٨ آ) ما سنذكره فى موضعه . — وفيه قبض السلطان على عبد العظيم الصيرفى ثانياً بعد ما أفرج عنه ، فتسلّمه الزينى بركات ١٨ ابن موسى فعاقبه وقرّر عليه مالا له صورة . — وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه توفّى نور الدين على المسلاتى المغربى ، وقد قاسى شدائد ومحنا ، وكان توجّه صحبة العسكر الذى خرج إلى التجريدة نحو بلاد الهند ورجع مع ناظر الخاصّ ٢١ وهو فى الحديد ، وجرى عليه ما لا خير فيه . — وفى تاسع عشرينه جاءت الأخبار بوفاة جانبلاط نائب غزة ، وكان من نواب طقطباى نائب القلعة ، فأقام

---

(١٠) [وبالجملة] : وباكاه . (١٨) وقرر : وقدر . (١٩) المسلاتى : المسلاق .
(٢٢) نواب : أنياب .

فى نيابة غزة مدّة يسيرة ومات . — وفى سلخه وقعت زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نحواً من ربع درجة والأرض تضطرب .

وفى صفر كانت ليلة سيّدى إسمعيل الإنبابى ، ونصبت الخيام فى الجزيرة التى ٣ تجاه بولاق ، وخرجت الناس فى تلك الليلة عن الحدّ فى القصف والفرجة ، وكانت ليلة حافلة . — وفيه طلع ابن أبي الردّاد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة ستة أذرع وعشرة أصابع ، وكان فى العام الماضى أرجح من ذلك . — وفى يوم السبت ٦ خامس عشرينه كان ختام ضرب الكرة ، وعزم السلطان على الأمراء بقاعة البحرة ومدّ لهم أسمطة حافلة وأقاموا بالقلعة إلى بعد العصر . — وفى يوم الخميس سلخه عزل السلطان قاضى القضاة الشافعى جمال الدين القلقشندى ، وأخلع على ٩ الشيخ كمال الدين محمّد الطويل المعروف بالقادرى وقرّره فى قضاء الشافعية بمصر عوضا عن جمال الدين القلقشندى بحكم صرفه عنها ؛ وقد اجتمع مع الشيخ كمال الدين مشيخة الخانقة البيبرسيّة وقضاية القضاة الشافعية ، ولم يتفق مثل ذلك سوى للعلاّمة ١٢ شهاب الدين بن حجر وشمس الدين القاياتى ، أقول وكان أصل قاضى القضاة كمال الدين هذا من أبناء الأتراك ، وهو كمال الدين أبو الفضل محمد بن (١٨ ب) نور الدين على بن الناصرى محمد بن السيفى بهادر العمرى القادرى . ١٥

وفى ربيع الأول كان مستهلّه بالجمعة ، فطلع قاضى القضاة كمال الدين فى ذلك اليوم وخطب بالسلطان خطبة بليغة فأعجب السلطان والأمراء ، وقد جاء فى القضاء على الوضع . — وفى سادسه توفى الأمير على باى السيفى يشبك أحد الأمراء ١٨ المقدّمين ، وكان لا بأس به . — وفيه أظلم الجوّ وأمطرت السماء مطراً غزيراً وكان ذلك فى أبيب من الشهور القبطية ، وكان النيل فى قوة الزيادة فلم يتأثّر البحر لذلك حتى عدّ من النوادر (١٩ آ) . — وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة ٢١ وكان حافلا ، واجتمع القضاة الأربعة والأمراء ، وكان يوماً مشهودا . — وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو المجراة وكشف على عمارتها ، ثم عاد إلى القلعة .

(١٣ — ١٥) أقول . . . القادرى : كتبت فى الأصل بعد « أرجح من ذلك » فى سطر ٦ .

وفى ربيع الآخر جاءت الأخبار بأنه وقع خسف بجزيرة تجاه مدينة إقريطش ، فهلك به من الناس والبهائم ما لا يحصى . — وفيه غرق شخص من
٣ الخاصكية يقال له أقباى ، وكان دوادار سكين ، توجّه إلى نحو الجزيرة الوسطى ونزل وعام فى البحر وهو سكران فغرق تحت الساقية التى بالجزيرة ، وكان غير محمود السيرة فى أفعاله . — وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى القرافة وزار الإمام
٦ الشافعى والإمام الليث رضى الله عنهما ، ثم توجّه إلى نحو المجراة كشف عليها وعاد إلى القلعة . — وفيه أمطرت السماء أيضاً بعد العشاء مطراً غزيراً ، ووافق ذلك فى ثالث مسرى والنيل فى قوة الزيادة فلم يتأثّر البحر لذلك ، وقد وقع أمر هذا
٩ المطر فى هذه السنة مرّتين والنيل فى الزيادة فتعجّب الناس من ذلك . — وفيه أخلع على ماماى جوشن وقُرّر أمير الحاج بركب المحمل ، وقرّر قانصوه أستادار الصحبة بالركب الأول (١٩ ب) . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان لخاير بك المعمار بأن
١٢ يتوجه إلى عقبة أيلة ويأخذ معه جماعة من البنّائين والمهندسين ، وقد شرع السلطان فى بناء خان بالعقبة والبروج وفساقى برسم ملاقاة الحجّاج ، وعمّر رصيفاً على البحر عند العقبة ، ورسم بإصلاح العراقيب التى بالعقبة وكانت تتضرّر
١٥ منها الحجّاج ، فقيل أصلح ذلك وجاء من أحسن المبانى فى ذلك المكان . — وفيه أنعم السلطان على جان بردى تاجر المماليك بتقدمة ألف ، وهى تقدمة على باى المقدّم ذكر وفاته . — وفيه فى حادى عشر مسرى زاد الله فى النيل المبارك
١٨ خمسين أصبعا فى دفعة واحدة ، وكان قبل ذلك توقّف أياما فرسم السلطان لقضاة القضاة بأن يتوجّهوا إلى المقياس ويبيتوا به ، فتوجّهوا إلى هناك ، واجتمع قرّاء البلد ، ومدّ السلطان بالمقياس أسمطة فاخرة وكانت ليلة حافلة ، ثم فى اليوم الثانى
٢١ وهو ثانى عشر مسرى زاد الله فيه عشرين أصبعا ، ثم فى ثالث عشر مسرى زاد الله فيه عشرين أصبعا ، فكانت زيادته فى ثلاثة أيام تسعين أصبعا ، ولم تقع مثل هذه الزيادة من مبتدأ الإسلام سوى مرّتين مرّة فى دولة الظاهر برقوق سنة سبع وتسعين

(١٣-١٤) وعمّر . . . عند العقبة : كتبت فى الأصل بعد « المجراة » فى سطر ٦ .

وسبعمائة ، فإنه زاد فى أول يوم من مسرى اثنين وستين أصبعا فى يوم (٢٠ آ)
واحد ، ثم فى ثالث يوم من مسرى زاد خمسين أصبعا ، فكانت زيادته فى أربعة أيام
سبعة أذرع ونصف وأصبعين ، ولم يسمع بمثل ذلك من مبتدأ الإسلام وإلى هلمّ ، ٣
والمرّة الثانية فى دولة الأشرف برسباى سنة خمس وعشرين وثمانمائة فإنه زاد
فى يوم واحد خمسين أصبعا فى دفعة واحدة وكان الوفاء فى تاسع عشرين أبيب ،
ثم فى هذه السنة فى دولة قانصوه الغورى زاد تسعين أصبعا فى ثلاثة أيام كما تقدّم ، ٦
وكان الوفاء فى رابع عشر مسرى ، فلما أوفى توجّه الأتابكى قرقماس وفتح السدّ
على العادة ، وكان يوما مشهودا ، كما يقال :

لله درّ الخليج إنّ له تفضّلاً لا نطيق نشكُره ٩
حسبك منه بأنّ عادته يجبر من لا يزال يكسره

وفيه رسم السلطان بنقل عبد العظيم الصيرفى من بيت الزينى بركات بن موسى
إلى بيت الوالى ليعاقبه ، فتسلّمه الوالى وعاقبه أشدّ العقوبة وعصره فى رأسه ١٢
وأكعابه ، واستمرّ فى العقوبة مدّة أيام حتى كان من أمره ما سنذكره فى
موضعه . — وفيه نادى السلطان فى القاهرة بأن أحدا من الناس لا يرافع فى أحد
ولا يأخذ منه شيئا بغير حقّ وأنّ من ظُلم فعليه بالأبواب الشريفة ، فارتفعت ١٥
الأصوات له بالدعاء ، فكان سبب ذلك أن بعض (٢٠ ب) التجّار وقف للسلطان
وشكا فى بركات بن موسى بحضرة الأمراء وكان ذلك التاجر مظلوما ، فاستحى
السلطان من الأمراء ونادى فى القاهرة بما ذكرناه ولم يتمّ ذلك وعاد كل شىء ١٨
على حاله . — وفيه رسم السلطان بنفى إبراهيم والى مصر العتيقة فنفى إلى الواح وكان
مستحقّا لذلك ، وهو الذى كان متوليا عقاب بدر الدين بن مزهر الذى كان
كاتب السرّ فعذّبه بأنواع العذاب . — وفيه تغيّر خاطر السلطان على مغلباى ٢١
الزردكاش ومباشرى الزردخاناه وقرّر عليهم عشرة آلاف دينار ، فرسم على
عبد الباسط بن تقى الدين ووضعه فى الحديد وجرى عليه ما لا خير فيه .

وفى جمادى الأولى فى يوم مستهلّه كان يوم النوروز وهو أول السنة القبطيّة . - وفى يوم الأربعاء ثانيه توفى الإمام العالم العامل الورع التقى الشيخ
٣ بدر الدين محمد بن عبد الرحمن الديرى الحنفى شيخ الجامع المؤيدى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من أعيان علماء الحنفية ، ومات فى عشر السبعين ، وكان لا بأس به ؛ رحمة الله عليه ، فلما مات أخلع السلطان على شخص من أبناء العجم يقال له
٦ الشريف حُسين وقرّره فى مشيخة الجامع المؤيدى عوضا عن (٢١ آ) الشيخ بدر الدين الديرى بحكم وفاته ، وأخلع على قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة وقرّره فى مشيخة المدرسة الصرغتمشية عوضا عن القاضى نور الدين على
٩ الدمياطى الحنفى بحكم انفصاله عنها . - وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن بعض الفلاحين كان معه جملان محملين كتّانا ، فدخل بهما وقت العشاء وشقّ بهما من السويقة التى عند بيت الخليفة ، فتعلق فى ذلك الكتان الذى على ظهورهما
١٢ نار من مسارج البيّاعين الذين هناك ، فلما أحسّ الجملان بالنار طفشا فى الناس فمات بعض صغار وداسا الناس فتعطب جماعة كثيرة ، ودهكت بضائع الناس وكانت ساعة مهولة ، فلم يقدر أحد من الناس على مسك تلك الجملين واستمرّا طافشين حتى
١٥ وصلا إلى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فوقع هناك أحد الجملين فمات ، انتهى ذلك

وفى جمادى الآخرة فى يوم الخميس ثانيه توفى الشيخ بدر الدين محمد بن جمعة الحنفى ؛ [ودفن فى] قبّة يشبك الدوادار التى بالمطرية ، وكان من أهل العلم
١٨ والفضل وله شعر جيّد ونظم رقيق ، ومن مخترعاته وهو قوله :

وربَّ غزالٍ بالقرافة شِمْتُهُ مُجاور قبر الليث (٢١ ب) بارقة الغيث
فلم أر قبل اليوم خُشَّعًا من الظبى تأنّس حتى فى مجاورة الليث

٢١ ومات وهو عن ستين سنة ، وكان يقول فيه الشهاب المنصورى :

بدرُ تمّ مُذْ قرّ طرفى منه بطلوع شاهَدتُ أحسن طلعه

---

(٨) الصرغتمشية : الصرغقمشية .

عجبا كيف فاق أهل المعانى   فى فنون العلوم وهو بن جمعه

وفيه يقول الشهاب بن صالح :

لا يُشَبَّهُ بالبدر بدرى سناءً   وسناً فهو منه أكمل طلعة ٣

ذاك تم ابن جمعتين سناءً   وحبيبى أتمّ وهو ابن جُمعة

ومن الحوادث الشنيعة فى هذا الشهر أن السلطان شرع يخرج إقطاعات أولاد الناس من أجناد الحلقة ، وغير ذلك من النساء اللاتى لهن الرزق وربما ٦ تعرّض للرزق الأحباسية والأوقاف ، فأخرج نحوا من ثلثمائة إقطاع ورزقة من غير جنحة ولا سبب ، وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات ، وهذا الأمر ما سبقه به أحد من الملوك السالفة ، فحصل للناس الضرر الشامل ولا سيما أولاد الناس ٩ صارت المماليك يهجمون عليهم ويأخذون منهم مناشيرهم غصبا عنهم ويبهدلونهم بالضرب ، وكانت حادثة مهولة لم يسمع بمثلها ، (٢٢ آ) وأنا من جملة من وقع له ذلك وخرج إقطاعى لأربعة من المماليك ، ولكن أعان الله تعالى ورجع إلىّ ١٢ إقطاعى ولله الحمد ، وقد قلت هذين البيتين المواليا فى المعنى :

يا مالك الملك يا من بالعباد ألطَفْ   دبّرْ عبيدك وأصْلحْ دولة الأشرف

كم من أقاطيع أخرجها وما أنْصَفْ   وأطغى المماليك ذا يهجم وذا يَخطفْ ١٥

وفى ذلك يقول محمد بن قانصوه من صادق :

أيا بنى الأتراك أرزاقكم   ما قُطِعَتْ إلا لأمرٍ عجيب

لا تضجروا من قطعها واصبروا   ستكشف الغُمّةُ عنكم قريب ١٨

[لا تضجروا] ترجعُ فادعوا بنا   فى السر والجهر السميعَ المُجيب

واحتسبوا من رموا سهام الدعا   فكلُّ سهم حيث يُرمَى مُصيبْ

ومن الحوادث أنّ عبد العظيم الصيرفى رافع صلاح الدين بن الجيعان ، وقال : ٢١

---

(٨) بمكاتبات : بيكتبات . (١٣–١٥) المواليا . . . يخطف : كتبت فى الأصل بعد « مصيب » فى سطر ٢٠ . (١٨) لا تضجروا : فيا لا تضجروا . (٢٠) مصيب : معيب .

أنا أثبت فى جهته أربعمائة ألف دينار أخـذها من الخزانة أيام الملك الناصر
محمد بن قايتباى ، فمال السلطان إلى هذا الكلام ورسم على صلاح الدين بن الجيعان
٣ وعلى علم الدين كاتب الخزانة وبانوب النصرانى وقرّر عليهم مائة ألف دينار ، ثم
قبض على تاج الدين بن (٢٢ ب) كاتب الدواليب وقرّر عليه عشرة آلاف
دينار ، واستمرّوا على ذلك وهم فى الترسيم حتى يكون من أمرهم ما يكون . —
٦ وفيه ثبت النيل المبارك على تسعة عشر ذراعا وثبت إلى العشرين من بابة ثم
انهبط ، وكان نيلا عظيما قوىّ العزم مباركا وحصل به غاية النفع . فكان كما
يقال فى المعنى لبعضهم :

٩ كأنّ النيل ذو فهم ولُبّ ... لِما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم إليه ... ويمضى حين يستغنون عنه

وفى النيل يقول محمد بن قانصوه :

١٢ اضمُرْ على النيل فانظر ما تُسرُّ به ... إذا ضَمَرْت فما فى الفالِ إشكال
لفالك المـاءُ رملٌ والنسيم به ... مُبدى ضميرك والتجعيد أشكال

ومن الحوادث أن فى هذا الشهر وقع غالب البيوت التى بالروضة من قوة
١٥ عزم الماء ، وقد هرى البحر الجانب الغربى فرمى البيوت المحكمة البناء وهذا قطّ
ما اتفق سوى فى هذه السنة . — وفيه كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها
السلطان كما تقدّم ، فدارت هناك الدواليب وجرى الماء فى المجراة حتى وصل
١٨ إلى الميدان الذى تحت القلعة ، ثم إن السلطان صنع هناك سواقى نقّالة ، وبنى ثلاثة
صهاريج تمتلئ من ماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح فى الميدان ،
(٢٣ آ) وشرع فى بناء بحرة فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان فكان طول
٢١ تلك البحرة نحوا من أربعين ذراعا وقيل أكثر من ذلك ، وبنى هناك عدّة مقاعد
ومناظر مطلاّت على ذلك البستان ، وفكّ رخام قاعات الأتابكى أزبك التى أنشأها

---

(١٥) هرى : هوى . (١٩) تمتلئ : يمتلئوا .

بالأزبكية ونقل ذلك إلى الأماكن التى أنشأها بالميدان ، وصارت هذه البحرة تمتلئ كل يوم بماء النيل وفائضها يشق البستان ، فجاءت كما يقال فى المعنى :

تَهَنَّأْ بها يا أيّها البحرُ بَحرةً حكَتْكَ فما تنفكّ باسطةً يدا ٣
لها فى هبوب الريح تجعيدُ مِبْرَدٍ فمن أجل ذا تجلو عن المُهَجِ الصَّدا

وقال آخر :

عجبتُ منها بحرةً بيَّضتْ بخافقٍ كسَنَا البارق ٦
كيف غدا الماء بها ساكنًا يرهو وقلبُ الماء فى خافق

وفى رجب حضر يحيى بن سبع الذى كان أمير الينبع وجرى منه فى حقّ الحجّاج ما تقدّم ذكره ، فأرسل إليه السلطان منديل الأمان فحضر وقابل وكان ٩ قد أظهر العصيان مدّة طويلة ، فطلع وعلى رأسه منديل الأمان فأخلع عليه السلطان ، فلما نزل من القلعة كادت العوامّ أن ترجمه وسبّوه سبًّا فاحشا ولولا كان صحبة الأمير الدوادار لرجموه لا محالة ، فلما بلغ السلطان ذلك نادى فى القاهرة بأن ١٢ لا أحد من (٢٣ ب) الناس لا يتعرّض لابن سبع ولا يسبّه ومن فعل ذلك شنق من غير معاودة ، فتكلّم الناس فى حقّ السلطان بأنه أخذ من ابن سبع مالا له صورة وضيّع حقوق الحجّاج فيما فعل بهم . — وفى يوم الجمعة الموافق ١٥ لثامن هاتور القبطى قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، وكان أشيع بين الناس أن السلطان ينزل إلى المطعم ويلبس الأمراء الصوف هناك ويوكب ويشقّ القاهرة ، فلم يتمّ ذلك وبطل هذا الأمر فلبس الصوف يوم الجمعة وخرج إلى الجامع . ١٨

وفى هذه السنة كبّرت الأمراء تخافيفهم وطوّلوا قرونهم حتى خرجوا فى ذلك عن الحدّ ، وقد قال القائل فى المعنى :

قد لبس الصوف كل كبش قرونه يا لها قرونُ ٢١
فرحتُ من ذاك مستريحا لا صوف عندى ولا قرونُ

(٣) تهنأ : تهن . (٤) الصدا : الصيدا .

وفيه أخلع السلطان على شمس الدين بن عوض واستقرّ به مستوفى الدواوين . –
وفيه تغيّر خاطر السلطان على شرف الدين يونس النابلسى الأستادار ، فرسّم عليه
٣ ووضعه فى الحديد وسجنه بالعرقانة هو وأخاه زين الدين . – وفيه حضر
علاى الدين ناظر الخاص ، وكان مسافراً نحو الرشيد بسبب أمر المراكب التى
عمّرها (٢٤ آ) السلطان لأجل التجريدة ، فلما قابل السلطان أخلع عليه ونزل
٦ إلى داره فى موكب حافل ، وفى ذلك اليوم حضر الأمير محمّد بيك وكان توجّه
بسبب عرض المراكب المعيّنة للتجريدة . – وفى هذا الشهر وقع تشحيطه بالقاهرة
وعزّ وجود الخبز من الأسواق ، وبلغ سعر القمح كل أردب خمسمائة درهم ،
٩ وعزّ وجود التبن أيضا وتناهى سعره كل حمل بدينار .

وفى شعبان طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وطلع الخليفة المستمسك بالله
يعقوب . فوقع بينه وبين ابن عمّ أبيه خليل تشاجر فاحش بمجلس السلطان ،
١٢ فقال خليل للخليفة يعقوب أنت ولايتك ما تصحّ فإنك أعمى ، وكان الخليفة
يعقوب بعينيه ضعف ، فقام إليه الناصرى محمد بن الخليفة وقال له وأنت ما تصحّ
خلفك صلاة لأنك ما تُحسن قراءة الفاتحة ، وكان خليل ألثغ لم ينطق بحرف الراء ،
١٥ ثم ألزمه السلطان بأن يقرأ بحضرة القضاة فلما قرأ تعفّش فى القراءة بين الناس
ثم سكت ولم يكمل قراءة الفاتحة ، وانفض المجلس مانعا وكان مجلسا مهولا ،
فقال السلطان يوم الاثنين نعقد مجلسا فى أمر من يصلح للخلافة فقام الخليفة يعقوب
١٨ والقضاة على أن الميعاد يوم الاثنين ، وقد ترشّح أمر الناصرى محمد بن (٢٤ ب)
الخليفة يعقوب لیلى الخلافة عوضا عن أبيه ، وكان السلطان محطّا على الخليفة
يعقوب رائما منه مالا كما سيأتى الكلام على ذلك . – وفى يوم السبت ثانيه توفّى
٢١ الأمير أزبك اليوسفى المعروف بفستق ، وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق ،
وقُرّر فى تقدمة ألف فى دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، وكان شاخ وكبر ومات
وهو فى عشر الثمانين ، ومات وهو طرخان ، وكان له مرتب على الذخيرة حتى مات ،

(١٧) أمر : أمير . (٢٣) مرتب : مرتبة .

وكان لا بأس به . — وفى يوم الاثنين رابعه حضر القضاة الأربعة والخليفة يعقوب
وولده محمد وابن عمهم خليل ، وكان الخليفة يعقوب عهد لولده محمد بالخلافة
عند ما حصل له ذلك [فى] المجلس المقدّم ذكره ، فعرض ذلك العهد على ٣
قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، وكان الخليفة عبد العزيز عهد بالخلافة
من بعده لولده يعقوب ثم من بعده لولد ولده محمد ، فلما وقف قاضى القضاة
على هذين العهدين قال الحقّ للناصرى محمد بن الخليفة يعقوب ، ثم إن الخليفة ٦
قال للسلطان أنا قد شخت وكبر سنّى وقد عزلت نفسى من الخلافة وعهدت إلى
ولدى بالخلافة فإن شاء السلطان يولّيه أو لا ، فقال السلطان قد ولّيت ولدك
وساعدته الأمراء على ذلك ، فتقدّم كاتب السرّ محمود بن أجا واسترعى (٢٥ آ) ٩
الشهادة على السلطان بولاية الناصرى محمد بن يعقوب ، ثم خطب خطبة بليغة وقال
يا مولانا السلطان نشهد عليك أنك ولّيت الخلافة للناصرى محمد بن الخليفة
يعقوب ، فقال نعم ، فشهدوا القضاة عليه بذلك ، فقام الخليفة يعقوب وودع ١٢
السلطان فأكرمه وعظّمه ونزل إلى داره وهو فى غاية العزّ والعظمة ، وألبسه
السلطان سلارى صوف أبيض بصمور من ملابيسه ، وألبس سيدى خليل أيضا
سلارى من ملابيسه ، وألبس ولديه أيضا سلارين بسنجاب ، ثم أحضروا للناصرى ١٥
محمد شعار الخلافة فأفيض عليه وتلقّب بأبى عبد الله المتوكّل على الله ، فولاّه
السلطان الخلافة على أتمّ وجه جميل ، ولم يراع من الأنام خليل ، فكان السادس
عشر من خلفاء بنى العباس بمصر ، فلما لبس الشعار جلس بين يدى السلطان ، ١٨
ثم إن القضـــاة شهدوا عليه بأنه فوّض للســـلطان الملك الأشرف قانصوه
الغورى ما فوضه إليه والده المستمسك بالله يعقوب ، فقال نعم ، ثم قام وقد
ارتفعت الأصوات للسلطان بالدعاء كون أنه لم يخرج الخلافة عنهما ، وكان ٢١
ابن عمّهم خليل ، سعى على الخلافة بمال جزيل ، فلم ينل من ذلك مناه ، فما كان

---

(١٧) وجه : وجهه .

عن ذلك (٢٥ ب) السعى أغناه ، فولى خليل بوجه طويل ، ونزل من القلعة وقد اشتعل قلبه بنار الخليل ، فكان كما يقال فى المعنى :

٣ ألا قُلْ لمن كان لى حاسدا أتدرى على من أسأت الأدبْ
أسأت على الله فى فعله لأنك لم ترض لى ما وهبْ
فجازاك عنه بأن زادنى وسد عليك وجوه الطلبْ

٦ ثم إن المجلس انفضّ وقام الخليفة المتوكّل على الله وقد تلقّب بلقب جدّه عبد العزيز ، ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته القضاة الأربعة وأعيان الناس وزيّنوا له حارته وأوقدوا له الشموع بالصليبة ، وكان له يوم مشهود ، وولى
٩ الخلافة وهو شاب وكان مولده سنة سبعين وثمانمائة ، ولم يتفق لأحد من خلفاء مصر بأنه ولى الخلافة ووالده فى قيد الحياة مقيما معه فى بيت واحد سواه : — وكانت مدة خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب اثنتى عشرة سنة إلا ثلاثة
١٢ أشهر ، فإنه ولى الخلافة يوم السبت ثالث صفرسنة ثلاث وتسعمائة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ، وخلع نفسه من الخلافة رابع شعبان سنة أربع عشرة وتسعمائة ، وقيل أنه تكلّف فى هذه الحركة إلى اثنى عشر ألف دينار ، ولولا فعل ذلك كان
١٥ نُفى إلى دمياط أو إلى القدس ، فكان ما فعله عين الصواب كما يقال :

يُعوِّضُ اللهُ مالاً أنت مُتْلِفُهُ وما عن النفس إن أتلفتها عِوَضُ

وهذا ما كان (٢٦ آ) من ملخّص أخبار الخليفة يعقوب وولاية ولده
١٨ الناصرى محمد . — وفى يوم الجمعة ثامنه نزل السلطان إلى الميدان ورسم بجمع الحرافيش فاجتمع هناك السواد الأعظم من رجال ونساء ، ففرق على كل واحد منهم نصفين فضّة ، فقيل أنه فرّق فى ذلك اليوم نحوا من أربعمائة دينار : —
٢١ وفيه نزل السلطان من الدهيشة وتمشى ودخل إلى الزردخاناه وعرض الأسلحة التى كانت فى الزردخاناه من قديم الزمان ، فرأى أشياء كثيرة منها تلفت من الصدأ ،

---

(١٧) أنت . . . أتلفتها : جاءت فى الأصل بعد « الناصرى محمد » فى سطر ١٩

فطلب عبد الباسط ناظر الزردخاناه ووبخه بالكلام ثم قصد شنقه فى ذلك اليوم
على باب الزردخاناه ، فألزم بإصلاح ما فسد من الأسلحة ، واستمرّ فى الترسيم بعد
ذلك مدة طويلة وهو فى الحديد . — وفى يوم الاثنين حادى عشره عزل السلطان ٣
شرف الدين النابلسى الأستادار ، وأخلع على الأمير طومان باى الدوادار وقرّره
فى الأستادارية عوضا عن شرف الدين النابلسى ، فصار الأمير طومان باى أمير
دوادار كبير وأستادار العالية وكاشف الكشّاف كما كان الأمير أقبردى ، وأخلع ٦
على شمس الدين بن عوض وقرّره ناظر ديوان المفرد (٢٦ ب) . — وفيه جاءت
الأخبار بأن العسكر الذى توجّه إلى نحو بلاد الهند صحبة الأمير حسين قد انتصر
على الفرنج الذين كانوا يتعبّثون فى البحر وغنم منهم العسكر غنائم كثيرة ، فسُرّ ٩
السلطان لهذا الخبر وأمر بدقّ الكوسات فدُقّت ثلاثة أيام متوالية ، ثم إن حسين
أرسل يطلب عسكرا ثانيا حتى يتقوّى به على من بقى من الفرنج . — وفيه نزل
السلطان إلى الميدان وعرض المحابيس فأطلق منهم جماعة من رجال ونساء وأبقى ١٢
الفلاحين وأصحاب الجرائم . — وفى يوم السبت ثالث عشرينه حضر مراكب
أغربة عدّتها ست ، وهى التى كان ناظر الخاصّ توجّه إلى رشيد بسبب عمارتها ،
فلما وصلت أرسى بها عند رأس الجزيرة الوسطى ، فخرج الناس يتفرّجون عليها ١٥
وقد زيّنت بالصناجق والشطفات ودقت فيها الطبول وزعقت الزمور ، واجتمع
هناك الناس أفواجا أفواجا ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشرينه نزل السلطان من
القلعة وصحبته الآمراء قاطبة والمباشرون وتوجّه إلى نحو طُرا وضربت له هناك الخيام ١٨
ثم أحضر بين يديه تلك المراكب الأغربة ، فلعبوا قدّامه فى البحر ذهابا وإيابا
والطبول والنفوط (٢٧ آ) عمّالة ، وأرموا قدّامه فى البحر عدة مدافع ، وكان له
يوم مشهود ، واجتمع هناك الجمّ الغفير من الناس ، وأقام السلطان هناك إلى بعد ٢١

---

(٢) الصدأ : الصدى . (٤) بإصلاح : بلا صلاح . (٩) وقرره : وقرر . (١٦) عدتها ست وهى ... عمارتها : عدتها ستة وهم ... عمارتهم . (١٧) وصلت بها ... عليها : وصلوا ... بهم ... عليهم . (١٨) زينت .. فيها : زينوا . . فيهم . (٢١) بين : من .

العصر ومدّ له هناك ناظر الخاصّ أسمطة حافلة ، ولم يقع للسلطان من حين تسلطن
يوما مثل ذلك اليوم فى القصف والفرجة ، فلما ركب من هناك أخلع على ناظر
٣ الخاصّ كاملية بصمور ، وأخلع على رئيس المراكب وجماعته الخلع السنيّة ، ثم
عاد إلى القلعة .

وفى رمضان فى يوم مستهلّه نزل السلطان إلى الميدان وطلع إليه الخليفة محمد
٦ المتوكل على الله بن يعقوب وهنأ(٧) بالشهر وهو لابس العمامة البغداديّة ، وهذا
أول مواكبه فى الخلافة ، فقام إليه السلطان وعظّمه إلى الغاية ، فلما قام دخل بعده
قضاة القضاة . — وفى ذلك اليوم طلع شرف الدين الصغير ناظر الدولة والزينى
٩ بركات بن موسى المحتسب ، وعرضوا عليه اللحم والغنم والخبز والدقيق والسكّر وهو
فوق على رؤوس الحمّالين ، فأخلع عليهما السلطان وأخلع على تغرى برمش الوزير ،
وكان يوما مشهودا . — وفى يوم الأحد تاسع شهر رمضان حضر إلى الأبواب
١٢ الشريفة قاصد صاحب (٢٧ ب) بغداد ، وهو شخص يسمّى بيرك ، فلما بلغ السلطان
حضوره أنزله بدار الأشرف جان بلاط التى بحارة عبد الباسط ورتّب له ما
يكفيه . — فلما كان يوم الخميس ثالث عشر رمضان أوكب السلطان بالحوش
١٥ بغير شاش ولا قماش ، واجتمع بالحوش سائر الأمراء ، ورسم بأن يزيّنوا باب
الزردخاناه الذى عند الجامع ، فزيّنوه باللبوس وآلة السلاح والصناجق السلطانية ،
ثم طلب السلطان القاصد فطلع صحبة المهمندار وقابل السلطان وقرأ كتابه الذى
١٨ حضر على يده ، وكان سبب حضور هذا القاصد أن متملّك بغداد مراد خان
ابن يعقوب بن حسن الطويل كان متولّيا على بغداد ، فزحف عليه شاه إسمعيل
ابن حيدر الصوفى فتغلّب عليه عسكره ومال إلى الصوفى ، فلما رأى ذلك هرب ودخل
٢١ إلى بلاد السلطان وأرسل قاصده إلى السلطان بأن يمدّه بعسكر حتى تحارب الصوفى ،
فأكرم السلطان ذلك القاصد وأحسن إليه ، وهذه الواقعة تقرب من واقعة القان أحمد
ابن أويس متملّك بغداد وقد زحف عليه تمرلنك فهرب منه والتجأ إلى الملك

(٧) وهنأ : وهنى .

الظاهر برقوق ، وقد تقدّم القول على ذلك فى موضعه . — وفيه ترافع شمس الدين
ابن عوض والمعلّم يعقوب اليهودى ، فقال ابن عوض أنا أثبت (٢٨ آ) فى جهة
يعقوب ستين ألف دينار بطريق شرعى ، فمال السلطان إلى كلام ابن عوض ٣
واعتدل على يعقوب اليهودى وأودعه فى الترسيم على مال يرده . — وفيه أرسل
خاير بيك المعمار الذى توجّه إلى عقبة أيلة بسبب عمارة الأبراج التى أنشأها هناك
والخان والحواصل وإصلاح طريق العقبة ، فأرسل للسلطان حجارة زعم أن داخلها ٦
معدن النحاس الأصفر وأنه وجد تلك الأحجار فى واد بالقرب من العقبة ، فرسم
السلطان بسبك تلك الأحجار فظهر منها بعض شىء من النحاس لا يساوى تعبه
فرجع عن ذلك . — وفى سابع عشره أخلع السلطان على الجمالى يوسف ٩
البدرى وقرّره فى الحسبة عوضا عن الزينى بركات بن موسى بحكم انفصاله عنها ،
وأخلع على أحمد بن العكام وقرّر فى برددارية السلطان عوضا عن بركات بن موسى ،
وكان السلطان تغيّر خاطره على بركات بن موسى وأخذ فى أسباب الهبوط حتى ١٢
أخرج عنه التحدّث على خانقاه سرياقوس والتحدّث على جهات البرلس
وجعلها لناظر الخاص ، وغير ذلك من الجهات التى كان يتحدّث عليها ، فإنه كان
متحدّثا على ست عشرة جهة . — وفيه أخلع السلطان على معين الدين بن شمس ١٥
وقرّره نائب كاتب السرّ (٢٨ ب) عوضا عن الشهابى أحمد بن الجيعان بحكم
انفصاله عنها ، وقد اجتمع مع معين الدين هذا وكالة بيت المال ونيابة كتابة السرّ
وغير ذلك من الوظائف ، وكان هذا من أكبر أسباب الفساد فى حقّه كما يأتى ١٨
الكلام على ذلك فى موضعه ، وقد سعى معين الدين بن شمس بمال له صورة حتى
استقرّ فى نيابة كتابة السرّ ، وكان معين هذا شنيع المنظر بشع الوجه ، فكان إذا
وقف وقرأ القصص بين يدى السلطان يقول السلطان : والله تعالى إنى لأستحى ٢١
من العسكر لما يقف ابن شمس يقرأ علىّ القصص قدامهم . — وفيه نفق السلطان
الكسوة على العسكر فجلس بالميدان وكان يوما ماطرا . — وفيه قويت الإشاعات

(١٥) ست عشرة جهة : ستة عشرة جهات . (٢١) إنى لأستحى : بلغ ابن لا ستحى .

بأن الصوفى زاحف على بلاد السلطان ثم خمدت تلك الإشاعات عن قريب . —
وفى ثامن عشرينه جاءت الأخبار من دمياط بوفاة الأمير أصطمر من ولىّ الدين
٣ الذى كان أمير مجلس ونفى إلى دمياط بسبب واقعة الحجّاج وقد تقدّم ذكر ذلك ،
وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان أميرا جليلا رئيسا حشما وكان عنده
لين جانب ، وكان لا بأس به . — وفيه عُرض على السلطان خلع العيد وهو
٦ بالميدان ، وكان يوما مشهودا . — وفى سلخه حضر كاشف الشرقية وصحبته
شيخ العرب (٢٩ آ) عبد الدايم بن الأمير أحمد بن بقر وقد قبض عليه
بحيلة عملها حتى مسكه ، وكان له مدّة طويلة وهو عاصى يفسد فى البلاد ، فلما قابل
٩ السلطان رسم بتقييده وإيداعه فى البرج .

وفى شوال كان موكب العيد خافلا ، وكان ببرك قاصد صاحب بغداد حاضرا
فألبسه السلطان سلارى صوف بصمور من ملابيسه ونزل صحبة الأمراء . —
١٢ وفى يوم الخميس رابعه نزل السلطان إلى الميدان وجلس بالمقعد الذى به واجتمع
حوله الأمراء ، ثم حضر قاصد صاحب بغداد ، وفى ذلك اليوم ساقوا الرمّاحة
بالميدان قدّام السلطان ، ودخل المحمل وكسوة الكعبة وطافوا بها فى الميدان ،
١٥ واجتمع هناك الجمّ الغفير من الناس بسبب الفرجة ، وكان يوما مشهودا ، ولاسيما
كان ذلك بحضور قاصد صاحب بغداد . — ثم بعد أيام عزم السلطان على القاصد بالميدان
وأحضر قدّامه جماعة من المماليك وهم لابسون آلة السلاح ، فأرموا فى ذلك اليوم
١٨ رماية نشّاب على الخيول وأظهروا أنواعا غريبة فى فنّ النشاب أدهشوا ذلك القاصد ،
وأحرق السلطان فى ذلك اليوم إحراقة نفط بالنهار فى الميدان ، وقد فعل مثل
ذلك مرتين بحضرة القاصد وهو بالميدان . — وفيه جاءت الأخبار من مكة (٢٩ ب)
٢١ بوفاة قرقماس الشريفى باش المجاورين ، فلما تحقق السلطان موته عيّن باشيّة مكة
إلى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له جان بردى من قانم . — وفى يوم الخميس
ثامن عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمّل زائد ، وكان أمير ركب المحمل

(٤) رئيسا حشما : حشما رئيسا .

ماماى جوشن ، وبالركب الأول قانصوه من دولات بردى أستادار الصحبة أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان يوما مشهودا .

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار من الطينة بأن الأمير تمر باى الهندى لما ٣ توجّه إلى هناك بسبب عمارة الأبراج التى أنشأها السلطان هناك على ساحل البحر المالح ،فبينما هو هناك فجاءت إليهم مركب فيها فرنج فتعبّثوا بالسواحل ، فجمع الأمير تمرباى جماعة من الخفراء الذين هناك ، وممن كان معه من المماليك ، وتحارب مع تلك ٦ الفرنج ، فانتصر عليهم وأسر منهم نحوا من سبعة وعشرين نفرا وملك مركبهم وما كان فيها ، وأرسل الفرنج الأسرى ومركبهم إلى السلطان فسرّه بذلك . — وفيه حضر قاصد من عند صاحب قبرس وعلى يده تقدمة حافلة للسلطان ، فأكرمه وأخلع عليه. — ٩ وفيه أخلع السلطان على الزينى بركات بن موسى وأعاده إلى الحسبة وعزل يوسف البدرى عنها ، وكان (٣٠ آ) قد وقع فى تلك الأيام تشحيطة فى القمح وارتفع الخبز من الأسواق وكادت العوامّ أن ترجم يوسف البدرى ، فلما أخلع على ابن موسى ١٢ وأعاده إلى الحسبة فرح به الناس قاطبة وسكن ذلك الاضطراب . — وفيه أخلع السلطان على قاصد صاحب بغداد وأذن له بالسفر ، وكان يروم أن السلطان يمدّ صاحب بغداد بعساكر من مصر حتى يحارب الصوفى فما طاوع السلطان على ١٥ ذلك . — وفيه جلس السلطان فى الدهيشة وعرض الأستادار شرف الدين النابلسى ، وكان له مدّة وهو مسجون بالعرقانة فى قيد وزنجير وقاسى ما لا خير فيه ، فشفع فيه بعض الأمراء فأفرج عنه ، وقد ضمنه الزينى بركات فيما بقى عليه ١٨ من المال ، وفيه يقول محمد بن قانصوه :

يا ربّ نجّ الخلق من ذى حِسْبَة فى كعبه التعسير لا التيسير
إن سعّر الأشياء غلتْ من كعبه وغلتْ وزاد بكعبه التسعير ٢١

وفى ذلك اليوم عرض السلطان عبد الباسط بن تقى الدّين ناظر الزردخاناه ، وكان له مدّة طويلة وهو فى الترسيم بجامع القلعة وهو فى الحديد ، وكان السلطان

---

(٨) الأسرى : الأمراء .

أوعده بالشنق فأفرج عنه فى ذلك اليوم وأورد بعض ما قرّر عليه من المال وضمنه (٣٠ ب) فى الباقى الأمير مغلباى الزردكاش ، وكان السلطان قد قرّر على
٣ مغلباى الزردكاش وعبد الباسط الناظر وعبد الكريم بن اللاذنى المستوفى ويحيى ابن يونس أحد الزردكاشية فقرّر عليهم السلطان عشرة آلاف دينار ، فأوردوا منها شيئاً وتأخّر عليهم باقى ذلك حتى يغلقوه ، وكان قد ر فعهم أحمد بن قراكز
٦ أحد الزردكاشية ومحمود وعلى باى وغير ذلك من الزردكاشية ، فأخلع السلطان على مغلباى الزردكاش وعلى عبد الباسط وعلى عبـــد الكريم اللاذنى . ونزلوا إلى دورهم بعد ما قاسوا شدائد ومحنا . — وفيه قبض السلطان على يوسف
٩ ابن أبى أصبع الحلبى وكان من خواصّه ، فقاسى غاية الضرر والأنكاد ، وأمره قد شهر بين الناس بما جرى عليه من الضرر البالغ . — واستمرّ المعلّم يعقوب اليهودى فى الترسيم وعلم الدين المتحدّث فى الخزانة وبانوب النصرانى حتى يغلقوا ما قرّر
١٢ عليهم من الأموال الجزيلة ، وكذلك صلاح الدين بن الجيعان ، وقد تقدّم القول على ذلك بما قرّر عليهم من المال . — وفيه أفرج السـلطان عن عبد العظيم الصيرفى ، وكان له مدّة طويلة وهو فى الحديد موكّل به فى جامع القلعة ، فأورد مما
١٥ قرّر عليه من المال شيئاً وبقى عليه (٣١ آ) من ذلك المال بعض شىء ، فضمنه بعض الأمراء وتكلم له مع السلطان بأن يُطلقه حتى يسعى فى بقيّة المال ، وقد قاسى عبد العظيم من الشدّة ما لا خير فيه ، وضرب وعصر غير ما مرّة فى أكعابه
١٨ وأصداغه وأضلاعه وغير ذلك من أنواع العذاب .

وفى ذى الحجّة خرج الأمير طومان باى الدوادار وسافر إلى جهة الصعيد ، فنزل من القلعة فى موكب حافل . — وفيه فرّق السلطان الأضحية على العسكر
٢١ ومن له عادة . — ومن النوادر أن شخصاً من الناس ، قيل هو بوّاب جامع الحاكم ، طلع إلى السلطان وذكر له أنه رأى فى المنام قائلا يقول له قل للسلطان إن فى جامع الحاكم فى بعض دعائمه دعامة تحتها دنانير ذهبا لاينحصر عددها ،

---

(١) فأفرج : فأخرج . (٢) قرر : قدر .

فلما سمع السلطان ذلك مال لكلامه وظنّ أنه حقّا ؛ فأرسل الأمير خاير بيك الخازندار وبركات بن موسى وجماعة آخرين من أخصّائه ، وأخذوا معهم جماعة من المهندسين والبنّائين ، وأحضروا ذلك الرجل القائل وقالوا له أرنا الدعامة التى تحتها الذهب ، فقال لا أعلم أيها الدعامة التى تحتها الذهب ، فقال المهندسون ما يظهر ذلك حتى نهدم جميع الدعائم التى هنا ، فاجتمع فى ذلك اليوم (٣١ ب) الجمّ الغفير من الناس بالجامع وكثر القال والقيل فى ذلك وكذّبوا ذلك الرجل ، ثم شاوروا السلطان على هدم دعائم الجامع فلم يوافق على ذلك ورجع عن هذا الأمر من قريب ، وقد وقع مثل ذلك فى دولة الملك الأشرف بُرسباى وفى أيام الظاهر جقمق والظاهر خُشقدم ، ونزل الأمير خاير بيك الخازندار إلى هناك ، ثم وقع مثل ذلك فى دولة الأشرف قايتباى ، ولم يظهر من هذه القضيّة نتيجة قطّ ولم يفد من هذا الكلام شىء . — وفى ثالث عشرينه حضر مبشّر الحاجّ وأخبر بالأمن والسلامة ، وقد جدّ فى السير حتى وصل فى هذه المدّة اليسيرة . — وفيه وقع تشاجر بين أنصباى حاجب الحجّاب وبين الأمير نوروز أحد الأمراء المقدّمين ، فوصل أمرهما إلى السلطان فأنصف السلطان أنصباى على نوروز ، وكان سبب ذلك أن ربعا بجوار قنطرة الموسكى وهو بالقرب من بيت نوروز وكان يسكن به بنات الخطأ يعملن الفاحشة ، فقصد أنصباى حاجب الحجّاب كبس ذلك الربع وكان الربع للأتابكى أزبك ، فتوجه إليه دوادار أنصباى وجماعة من النقباء ، فلما وصلوا إلى هناك ثارت عليهم غلمان نوروز وعبيده فضربوا جماعة حاجب الحجّاب ومنعوهم من كبس ذلك الربع ، فلما بلغ أنصباى ذلك ركب بنفسه وكبس ذلك الربع وضرب النساء التى كنّ به (٣٢ آ) وأشهرهن فى القاهرة على حمير ، فطلع نوروز وشكى أنصباى إلى السلطان ، فحطّ السلطان على نوروز وقصد الإخراق به وانتصف عليه أنصباى . — وفيه وقعت زلزلة خفيفة بعد العشاء ولم يشعر بها أحد من الناس إلا القليل .

---

(١٦) يعملن : يعملون .

وفى هذه السنة صار السلطان يعمل غالب المواكب بالميدان ، وأبطل لبس الشاش والقماش فى المواكب وصار لا يُلبَس إلاّ فى يوم الجمعة فقط عند صلاة الجمعة وفى الأعياد وعند خروج الحاجّ أو عند حضور قاصد ؛ وقد أبطل أشياء كثيرة كانت من شعار المملكة مما كان يعمل من النظام القديم . — وفى هذه السنة كثُر الموت فى الدّجاج حتى شحّ جماعة من الفلاّحين من ذلك ، وصار يموت منهم فى كل يوم ما لا يحصى عددهم . — وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه حصل للسلطان توعك فى جسده وإسهال مفرط ، وامتنع عن الخروج إلى الأمراء أياماً ، ثم عوفى من ذلك وأخلع على الحكماء . — ومن النوادر أن البلسان ، وهو الذى يسمّونه الناس البلسم ، كان قد انقطع زرّيعته من أرض المطريّة من أوائل سنة تسعمائة من القرن التاسع ، وكانت مصر تفخر بذلك على سائر البلاد . وكانت ملوك الفرنج تتغالى فى دهن هذا البلسم ويشترونه (٣٢ ب) بثقله ذهباً ، ولا يتم عندهم التنصّر حتى يضعون من دهنه شيئاً فى ماء المعموديّة وينغمسون فيه ، وكان يُستخرج دهنه شيئاً فى فصل الربيع فى برمهات ، فلما انقطعت زرّيعته من أرض المطرية تنكد السلطان لذلك ، ولا زال يفحص عن أمره حتى أحضر إليه بلسان برّى من بعض أماكن بالحجاز وهو فى طينه فزرعه بالمطرية فى مكانه المشهور به ، فنتج وطلع لما سقى من ماء تلك البئر التى هناك ، فنتج فى هذه السنة وطلع ما كان قد بطل أمره من مصر ، فعُدّ ذلك من محاسن الملك الأشرف قانصوه الغورى ، انتهى ذلك .

وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة كثيرة الحوادث وقد وقع فيها عزل وولاية ومصادرات ، فمن ذلك عزل الخليفة المستمسك بالله يعقوب وولاية ولده محمد المتوكل على الله . — ومنها عزل قاضى القضاة الشافعى برهان الدين القلقشندى وولاية الشيخ كمال الدين الطويل . — ومنها عزل شرف الدين يونس النابلسى الأستادار وولاية الأمير طومان باى الدوادار واستقراره فى الأستادارية مع ما بيده من الدوادارية الكبرى . — ومنها عزل الشهابى أحمد بن

الجيعان عن نيابة كتابة السرّ وولاية معين الدين بن شمس . – ومنها (٣٣ آ) عزل الزيني بركات بن موسى عن الحسبة وولاية الجمالى يوسف البدرى . – وكانت سنة شديدة البرد حتى عدم أشياء كثيرة من الفواكه والقثاء وغير ذلك ، ووقع ٣ فيها أيضاً تشحيطة فى القمح حتى بلغ سعره إلى أشرفيين كل أردب ، وعزّ وجود التبن والدريس ، انتهى . – ومنها عزل فخر الدين بن العفيف عن كتابة المماليك وولاية شرف الدين الصغير لها . – ومنها مرافعة عبد العظيم الصيرفى لصلاح ٦ الدين بن الجيعان وعلم الدين المتحدث فى الخزانة الشريفة وبانوب النصرانى ، وقد صودروا وأخذ منهم مال له صورة بسبب مرافعة عبد العظيم الصيرفى لهم . – ومنها مصادرة مغلباى الزردكاش ومباشرى الزردخاناه وجماعة من الزردكاشية . – ٩ ومنها مصادرة يوسف بن أبى أصبع الحلبى وكان من أخصّاء السلطان . – ومنها مصادرة المعلم يعقوب اليهودى ، وصودر تاج الدين بن كاتب الدواليب وقرّر عليه نحو عشرة آلاف دينار ، وصودر فى هذه السنة جماعة كثيرة من أعيان ١٢ الناس . – ومنها ما وقع لأولاد الناس من أجناد الحلقة وغيرها فى خروج إقطاعاتهم من غير سبب ولا موجب لذلك ، فأخرج السلطان فى هذه السنة نحواً من (٣٣ ب) أربعمائة إقطاع ورزقة ، حتى الرزق التى كانت بيد النساء ، ١٥ وربما تعدلوا إلى الجهات التى هى موقوفة على جهات برّ وصدقة ورواج الصالح ، وقاست أولاد الناس من المماليك ما لا خير فيه وصاروا يهجمون عليهم فى بيوتهم ويضربونهم ويبهدلونهم أشدّ البهدلة ، والأمر لله ، وجرى فى هذه السنة من ١٨ الحوادث ما لا يحصى ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وتسعمائة

فيها فى المحرم فى رابعه ، الموافق لأول يوم من بشنس القبطى ، اظلمّ الجوّ ٢١ وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى أوحلت منه الأسواق واستمرّت تمطر يومين متوالية ، حتى عُدّ ذلك من النوادر حيث أمطرت فى بشنس . – وفى حادى عشره خرج

(١١) الدواليب : الدولاليب .

علاى الدين ناظر الخاصّ وتوجّه إلى نحو الطور لأجل عمارة المراكب التى أنشأها السلطان هناك بسبب تجريدة الهند . — ومن الوقائع اللطيفة أن فى يوم
٣ الخميس ليلة الجمعة خامس عشره نزل السلطان إلى الميدان ونصب به خيمة كبيرة مدوّرة وملأ البحرة التى أنشأها هناك من ماء النيل من المجراة التى أنشأها ، ثم رسم بجمع كل ورد فى القاهرة ووضعه فى تلك البحرة ، وجمع قراء البلد قاطبة
٦ والوعاظ ، وعلّق أحمالاً بها قناديل ، وفرش حول البحرة الفُرُش الفاخرة ، وعزم على القضاة الأربعة وسائر الأمراء (٣٤ آ) من كبير وصغير وأرباب الوظائف من المباشرين وأعيان الناس قاطبة ، وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده
٩ الأتابكى قرقماس وجماعة من الأمراء ، ومدّ تلك الليلة أسمطة حافلة أعظم من سماط المولد ، فمدّ فى السماط أربعمائة صحن صينى ، ورسم بأن تعمل المأمونية الحموية وكل قطعة نصف رطل ، وكان من الأوزّ والدجاج والعم ما لا ينحصر ،
١٢ ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل ، ومن الدجاج ألف طير ، ومن الأوز خمسمائة طير ، ومن الغنم المعاليف خمسين معلوفاً ، ومن الرُمسان الرضع أربعين رميساً ، حتى قيل صرف على ذلك السماط فوق الألف دينار بما فيه من حلوى وفاكهة وسكّر
١٥ وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهودة . — وفيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك تاسع بشنس القبطى ، ثم فى عقيب ذلك ابتدأ يضرب الكرة . — وفيه نزل السلطان إلى الميدان وأحضر جماعة من المماليك يرمون بالنشّاب على
١٨ الخيل وهم بآلة السلاح ، وأحرق فى ذلك اليوم إحراقة نفط بالنهار ، وكان له يوم مشهود . — وفيه فى ثانى عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة ، وكانت سنة رخيّة مباركة ، ولما رجع الحجّاج أخبروا بما فعله السلطان من وجوه
٢١ الخير من (٣٤ ب) العمارة بالعقبة ، وقد أنشأ هناك خاناً وفيه عدّة حواصل برسم الودائع ، وأبراجا ، وجعل بها جماعة من الأتراك قاطنين هناك يقيمون بها سنة ثم يعودون إلى مصر ويتوجه جماعة غيرهم إلى هناك ، وأصلح طريق العقبة

(٢١) حواصل : حواصلة . (٢٣) ويتوجه : ويتوجهون .

وقطع الأماكن الصعبة التى كانت بها العراقيب ؛ وأنشأ برجا بعجرود وبرجا
بنخل ، وأصلح عدّة مناهل بطريق مكة وبنى هناك أشياء كثيرة من هذا النمط
وحصل بها غاية النفع ، وأنشأ بالأزنم برجا أيضاً وجعل به جماعة من المماليك ٣
يقيمون به وكلما مضت سنة يحضرون ثم يتوجه غيرهم . — وفيه عيّن السلطان
الأمير علان الدوادار الثانى بأن يتوجّه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، وكان قد
أشيع فى تلك الأيام بأن ابن عثمان قد مات ، وربما صلّوا عليه صلاة الغيبة فى جامع ٦
الأزهر ، ثم ظهر بأن هذا الكلام كذب ، وأسفرت هذه الإشاعة على أنه كان مريضاً
وشفى ، فعين السلطان علان بأن يتوجّه إليه ويهنّئه بالعافية . — وفيه حصل للسلطان
بعض قولنج فامتنع أياماً عن ضرب الكرة ، ثم شفى من هذا العارض وضرب ٩
الكرة فى الميدان ، وهذا بخلاف العادة القديمة أن الكرة تضرب فى الميدان .

وفى صفر جاءت الأخبار من دمياط بأن شخصاً (٣٥ آ) من أولاد ابن عثمان
يقال له قُرْقُد بيك قد وصل إلى دمياط ، فلما تحقّق السلطان ذلك عيّن إلى ١٢
ملاقاته الأمير أقباى أمير آخور ثانى وأزدمر المهمندار ونانق الخازن ، وأرسل
صحبتهم ملاقاة حافلة من كلّ نوع فاخر ، وجهّز المراكب حتى الحراقة الكبيرة التى
يكسر فيها السدّ برسم ابن عثمان ليجىء فيها فى البحر ، وجهّز له إحراقة نفط ١٥
تحرق قدّامه فى البحر لما أن يقلع ، وما بقى من إكرامه ممكن ، فتوجّهوا إلى دمياط
بسبب الملاقاة . — وفى يوم السبت سابعه قبض السلطان على الشهابى أحمد بن
الجيعان ووكّل به وقرّر عليه خمسة آلاف دينار ، وكان فى هذه المصادرة مظلوماً . — ١٨
وفيه أفرج السلطان عن شرف الدين يونس النابلسى الأستادار وقرّر عليه
عشرة آلاف دينار ، وقد قاسى شدائد ومحناً وأقام فى السجن بالعرقانة نحوا من
عشرة أشهر وهو فى زنجير وقيد مخشّب اليدين . — وفى يوم الأربعاء حادى ٢١
عشره كانت ليلة سيّدى إسمعيل الإنبابى ، وكانت ليلة حافلة ، وضرب فى الجزيرة التى
تجاه بولاق نحوٌ من خمسمائة خيمة ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن

(١٠) فى الميدان : كذا فى الأصل . (١٤) الحراقة : الحزاقة .

الحدّ . — وفيه فى ليلة الأحد خامس عشره خسف جرم القمر وأقام فى الخسوف
نحو أحد وأربعين درجة (٣٥ ب) . — وفى يوم الاثنين سادس عشره تسحّب
٣ جمال الدين الزغلى من المقشرة وهرب ، وكان التزم بدار الضرب وقُرّر عليه
للسلطان فى كل شهر مال له صورة ، فأتلف سائر المعاملة من الذهب والفضّة وظهر
بها الزغل كالشمس حتى ضجّ من ذلك سائر الناس والأمراء ، وصارت معاملة
٦ السلطان لا تمشى فى غالب البلاد ، وامتنع الذهب البرسبية والجقمقى والأينالى
والخشقدمى والقايتبية ، وصار الذهب الغورى والفضّة هى التى عليها العمل مع ما
بها من الغشّ الفاحش ، فلما تزايد الأمر فى ذلك شكا بعض الأمراء هذا الحال
٩ إلى السلطان ، فقبض على جمال الدين الزغلى وضربه ضربا مبرحا وسجنه بالمقشرة
فأقام بها أيّاما وهرب ، فلما هرب مقت السلطان قانصوه أبو سنّة الوالى بسبب
ذلك وقصد الإخراق به ثم قرّر عليه خمسة عشر ألف دينار ، وهربوا معلمين
١٢ المقشرة واختفوا ، وضرب بسبب ذلك يحيى بن نوكار دوادار الوالى ، وحصل على
جماعة من الناس بسبب جمال الدين الزغلى ما لا خير فيه كما سيأتى الكلام على
ذلك فى موضعه . — وفى يوم الأربعاء ثامن عشر صفر وصل قُرقُد بيك بن
١٥ عثمان إلى شبرا ، وهو قرقد بن أبى يزيد بن محمّد بن مراد بيك المتصل النسب إلى
جدهم عثمان ، فلما وصل (٣٦ آ) إلى شبرا أخلى له السلطان قاعات البرانخية
التى ببولاق ورسم لناظر الخاص بأن يُحضر إليه جميع ما يحتاج له من فرش وأوان
١٨ وصينى وغير ذلك من الاحتياج ، فخرج جماعة من الأمراء إلى ملاقاته ، وكان
السلطان رسم للكشّاف ومشايخ العربان بأن يلاقوه بطول الطريق ويصنعوا له
الأسمطة والمدّات الحافلة ، فأرموا على بلاد المقطعين أشياء كثيرة من أغنام وأوز
٢١ ودجاج وغير ذلك ، فاستمرّ على ذلك حتى وصل إلى قاعات البرانخية وهو
فى الحراقة التى يكسر فيها السدّ ، فلما دخل البرانخيّة مدّ له السلطان هناك مدّة
حافلة ، ثم توجّه إليه الأتابكى قرقماس والأمراء المقدمين قاطبة فسلّموا عليه ، ثم

---

(١١) وهربوا معلمين : كذا فى الأصل ، وهو باللغة الدارجة .

توجّه إليه القضاة الأربعة وأعيان المباشرين من أرباب الوظائف ، فشرع يقوم
لكل من يجيء إليه من الناس . — واستمرّ على ذلك إلى يوم الاثنين ثالث عشرين
صفر فأرسل إليه السلطان عشرين فرسا له ولمن معه ، فمنهم أربع جنائب بالسروج ٣
الذهب والكنابيش الزركش والغواشي الحرير الأصفر . — ثم إن السلطان رسم لنقيب
الجيش بأن يدور على الأمراء قاطبة ويعلمهم بأن الموكب فى الحوش بالشاش
والقماش ، ثم إن السلطان نصب السحابة الزركش (٣٦ ب) على الدكّة وغشى ٦
الدكّة بالأطلس الأصفر ، ورسم بأن تزيّن القلعة عند باب الزردخاناه بالصناجق
السلطانية وآلة السلاح ، وأن تُصفّ المكاحل الكبار على باب الزردخاناه ، ثم رسم
للمهمندار ورؤوس النوب بأن يتوجّهوا إلى ابن عثمان وهم بالشاش والقماش ٩
ويطلعوا قدّامه إلى القلعة ، فتوجّهوا إلى بولاق وأركبوه من البرابخية على فرس
بسرج ذهب وكنبوش وقدّامه الجنائب السلطانية ، فطلعوا به من على المقس وأتوا به
من على سوق مرجوش وشقّوا به القاهرة ، فكان له يوم مشهود ، وخرج الناس ١٢
أفواجا أفواجا لرؤيته ، واستمرّ فى ذلك الموكب الحافل حتى وصل إلى القلعة ،
فطلع وهو راكب إلى عند الحوش السلطانى ، فنزل على مصطبة باب الدهيشة ،
ففرشوا له هناك مقعداً حريراً فاستراح ساعة نحو درجة ، ثم دخل الحوش ، فلما ١٥
وصل إلى أوائل البساط نزل السلطان من على الدكّة واستمرّ واقفا حتى وصل
إليه ابن عثمان فتعانقا ، وقيل أن ابن عثمان باس يد السلطان ووضعها على عينه ،
ثم تحدّث معه السلطان ساعة وهو واقف على أقدامه ، فلما أخلع عليه السلطان ١٨
وخرج من الحوش ركب من على مصطبة شاد الحوش . — وكان سبب مجيء قرقد بن
عثمان إلى (٣٧ آ) مصر قيل حصل بينه وبين أبيه حظّ نفس فأتى إلى السلطان ليصلح
بينهما . — وكان صفة قرقد بيك بن عثمان رجلا شابّا فى عشر الأربعين ، معتدل القامة ٢١
عربى الوجه يميل إلى الصفرة ، نحيف الجسد أسود اللحية جميل الهيئة ، وعلى رأسه
عمامة تركمانى وهى صغيرة دون عمائم جماعته ، وقيل إنه كان أكبر أولاد أبى
يزيد بن عثمان . — ثم إن السلطان طلب خلعة فأحضر إليه خلعة جرّ ذهب منسوجة ٢٤

شغل القاعة تلمع كالبرق ؛ فأفيضت على قرقد بيك بن عثمان ، وكان عليه لما طلع
إلى القلعة دُلامة حرير أصفر وفوقها جندة صوف أخضر مفتوحة ؛ فنزع ذلك
٣ من عليه ولبس خلعة السلطان ، وقد بالغ السلطان فى إكرامه جدّاً ؛ بخلاف
ما وقع لجمجمة بن عثمان مع الأشرف قايتباى ؛ فإنه لما دخل عليه لم يقم له ولا وصل
إلى الحوش وهو راكب ولا أنعم عليه بأشياء حافلة كما فعل الغورى مع قرقد
٦ هذا . — وفى ذلك نكتة لطيفة وهو أن الجمجمة لعلها لقب لُقّب بها بعض أولاد
آل عثمان وليس علماً لواحد منهم . ومع ذلك ما اشتهر بها رجل منهم فى بلاد
الروم وغيرها اللّهمّ إلا فى مصر ، ثم أخى يعتقد أن المراد به هو السلطان جم ابن
٩ السلطان أبى الفتح محمد خان ، هرب إلى مصر لما تسلطن أخوه السلطان (٣٧ ب)
بايزيد خوفا منه على نفسه ، وقضيّته مشهورة لم يل مُلك الروم ، وقرقد ولى على
إسطنبول كرسى مملكة الروم مدّة يسيرة لما مرض أبوه وأشرف على الموت فولى
١٢ على الروم عوضه حتى شفى . وكان أكبر أولاده . — ثم إن السلطان رسم للأمراء
بأن ينزلوا صحبة قرقد بن عثمان ، فنزلوا معه إلى الصليبة فحلف عليهم بالرجوع
إلى دورهم ؛ وتوجهوا به إلى بولاق من على الجزيرة الوسطى وصحبته الرؤوس
١٥ النوب بالشاش والقماش حتى وصل إلى البرابخة ؛ ثم انفض ذلك الموكب ؛ ومدّ
له السلطان هنا مدّة حافلة ، ثم فى أثناء ذلك أرسل إليه السلطان تقدمة حافلة ؛
قيل بعث إليه بعشرين ألف دينار عشرة فضة وعشرة ذهب ، وعدة بقج فيها قماش
١٨ مفتخر ما بين سكندرى ومنزلاوى وغير ذلك ، ثم قدّم ابن عثمان للسلطان فيما
بعد تقدمة حافلة ما يحضرنى قدرها . — وفى هذا الشهر توفى الأمير مغلباى دجاج
أحد الأمراء الطبلخانات . — وتوفى أيدكى دوادار علان الدوادار الثانى . وكان غير
٢١ مشكور السيرة فى أفعاله . — ومن الحوادث أن فى يوم الخميس سادس عشرينه
توفى أحمد بن العكام برددار السلطان وقد مات قتيلا ، وسبب ذلك أن بعض أعدائه
سلّط عليه من قتله (٣٨ آ) بخنجر فى البندقانيّين وهو طالع إلى القلعة بعد

(٨) إلا فى مصر . . . المراد : إلا مصر فى ثم أخى يتعنت ابن المراد .

صلاة الصبح ، كما جرى لأبى البقا بن الجيعان وقد تقدّم ذكر ذلك . — وفيه توجّهت طائفة من المماليك إلى بيت شخص من الأمراء الرؤوس النوب يقال له أينال باى ، فأحرقوا بيته ونهبوا ما فيه ، وكان سبب ذلك أن صبياً أمرد كان ٣ بجمقدارا عند بعض المماليك فهرب من عنده واحتمى بهذا الأمير ، فدخل إليه المملوك يطلب الصبىّ من عنده وادّعى أنه سرق من عنده شيئاً ، فأغلظ المملوك على ذلك الأمير فى القول فأدّبه وضربه ، فتعصّبت له خشداشينه وأتوا إلى بيت ٦ أينال باى المذكور ونهبوه وقصدوا حرقه ، فشكاهم إلى السلطان فلم يلتفت إلى كلامه وراح النهب فى كيسه . — وفيه جاءت الأخبار بأن العسكر الذى توجّه إلى الهند صحبة حسين المشرف قد كسروهم الفرنج كسرة فاحشة ، وقتلوا العسكر ٩ عن آخره ونهبوا ما فى مراكبهم أجمعين ، فتنكّد السلطان لهذا الخبر . — وفيه سافر ناظر الخاصّ والأمير محمد بيك قريب السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، بسبب تجهيز المراكب التى يتوجّه فيها الأمير علان إلى بلاد ابن عثمان . — وفيه أفرج ١٢ السلطان عن الشهابى أحمد بن الجيعان ، وكان له مدّة وهو فى الترسيم حتى غلّق (٣٨ ب) ما قرّر عليه من المال .

وفى ربيع الأول طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة ستة ١٥ أذرع وثمانية عشر أصبعا ، وكانت أزيد من العام الماضى بثمانية أصابع . — ومن النوادر اللطيفة أن بركة الرطلى زرعت فى هذه السنة حشيشاً ، وهذا لم يتّفق قطّ وكان الذى زرع الحشيش كمال الدين بن قوسان وقد استأجر أرض بركة الرطلى ، ١٨ فكان كل من دخل إليها يبتهج بذلك ولاسيما أصحاب الكنبة من الحشّاشين ، فجاءت إليها الناس أفواجا يتفرّجون على ذلك الحشيش ، وقد وضع من أهله فى محلّه ، حتى عُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وفيه يقول بعض شعراء العصر : ٢١

تناهت بركة الرطلى حسنا … وصارت جنّةً فيها عُروشُ
ومذ زرعوا الشدانق فى ثراها … يبدْو نسيمها طلع الحشيش

(٢) المماليك : المماليك الجيعان . (١٩) ولا سيما : وسيما . || الكنبة : الكتبة .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه عزم السلطان على قرقد بيك بن عثمان فى الميدان ،
ولعب السلطان والأمراء قدامه بالكرة ، ومد له أسمطة حافلة بالبحرة التى بالميدان ،
٣ ولم يحضر فى ذلك المجلس سوى ابن عثمان وجماعته . ثم إن ابن عثمان تكلم مع
السلطان فى أمر الأمير أزبك المكحل الذى نُفى إلى دمياط بسبب الأتابكى قيت
الرجبى كما تقدم ، فلما قدم ابن عثمان إلى دمياط ترامى عليه أزبك المكحل (٣٩ آ)
٦ بأن يشفع فيه عند السلطان أن يعود إلى مصر ويقيم بها بطالا . فشفع فيه ابن عثمان
فى ذلك المجلس وباس يد السلطان ، فرسم بإحضاره إلى مصر ، فلما أراد ابن عثمان
الانصراف أخلع عليه السلطان كاملية تماسيح على أحمر وأركبه فرس بوز
٩ بسرج ذهب وكنبوش . — وفى يوم الجمعة حادى عشره عمل السلطان المولد
النبوى ، واجتمع الأمراء والقضاة الأربعة على العادة ، وحضر قرقد بيك بن عثمان .
فلما طلع قام له السلطان وأجلسه عن ميمنته فوق المرتبة التى هو جالس عليها
١٢ فوق القاضى الشافعى ، وفى ذلك اليوم لبس السلطان الشاش والقماش ، ولم يكن
عادة أن السلطان يلبس الشاش والقماش فى المولد وإنما فعل ذلك لأجل ابن
عثمان ، وأظهر السلطان فى ذلك اليوم غاية العظمة بخلاف كل سنة . — وفى يوم
١٥ الخميس سابع عشره أخلع السلطان على الأمير طُقطباى نائب القلعة أحد الأمراء
المقدمين وقرره أمير حاج بركب المحمل ، وقرر مغلباى الزردكاش بالركب
الأول . — وفيه عرض السلطان جماعة من المماليك وأولاد الناس وعين
١٨ منهم جماعة إلى الطينة يقيمون بها سنة فى الأبراج التى أنشأها هناك ، ويصيرون
بالنوبة كلما مضت سنة يأتى تلك (٣٩ ب) الجماعة ويتوجه خلافهم إلى هناك
ويقيمون بها سنة كاملة . — وفى يوم السبت تاسع عشره حضر أزبك المكحل من
٢١ دمياط ، وكان منفيا بها فشفع فيه قرقد بيك بن عثمان كما تقدم ذكر ذلك ، فلما
حضر أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره ، ورتب له ما يكفيه من الذخيرة بغير
إقطاع واستمر طرخانا . — وفيه أخلع السلطان على على البرماوى وقرره

(٨) أحمر : أحمد . (١٩) يأتى . . . ويتوجه : يأتوا . . . ويتوجهون .

فى بردداريّة السلطان عوضاً عن أحمد بن العكام بحكم موته ، وصار البرماوى من تحت يد الزينى بركات بن موسى . — وفيه كان ختم ضرب الكرة ، وحضر ابن عثمان عند السلطان ، ومدّ فى ذلك اليوم أسمطة حافلة ، ووقع خصمانية فى لعب الرمح ٣ فى ذلك اليوم قدّام السلطان والأمراء ، وكان يوما مشهوداً .

وفى ربيع الآخر قبض على جمال الدين الزغلى الذى تسحّب من المقشرة ، فرسم السلطان بشنقه ، فأشهروه وهو عريان على حمار والمشاعلية تنادى عليه ٦ حتى أتوا به إلى بيت شخص من الأمراء العشرات يقال له تمرباى ، وكان ساكنا فى مصر العتيقة على البحر ، فشنق هناك على بابه ، وشنق معه خمسة أنفار كانوا يعملون الزغل معه ، وسبب ذلك أن تمرباى المذكور كان هو الذى عرّف بين ٩ السلطان وبين جمال الدين وقال (٤٠ آ) للسلطان أن جمال الدين يعرف صنعة الكيمياء ، فظهر أن ذلك كذب . — وفيه فى ليالى وفاء النيل وقع ببركة الرطلى حريق فى بعض بيوت الجسر التى بها ، فاحترق نحو سبعة أماكن ولا يعلم من فعل ١٢ ذلك ، وكان الجسر خالياً بغير سكان . — وفيه تغير خاطر السلطان على علاى الدين ناظر الخاص بسبب العجمى الذى كان عند السلطان الشنقشى ، وهذه الواقعة مشهورة بين الناس بما كان سببها ، فكادت دينار ناظر الخاصّ أن تخرب فى هذه ١٥ الحركة وألزمه السلطان بأن يعتق عبيده وجواريه قاطبة . — وفيه وقع تشاجر بين قاضى القضاة الحنفى وبين كاتب السرّ البدرى محمود بن أجا بسبب وقف كان بينهما بحلب ، فرسم السلطان بعقد مجلس بينهما بالمدرسة الصالحية ، فلما توجها إلى ١٨ هناك انتصف كاتب السر على قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة واستخلص منه الوقف الذى بحلب ، وكان السلطان قائما مع كاتب السرّ ومحطّا على عبد البر بن الشحنة . — وفيه تغير خاطر السلطان على سودون نائب دمياط بسبب ما وقع ٢١ منه فى حقّ ابن عثمان لما دخل إلى دمياط ، فلما حضر سودون المذكور ضربه بين يديه وقرّر عليه مالا له صورة . — وفيه حضر تمرباى الهندى أحد الأمراء

(١٦) وجواريه : وجواره .

العشرات الذى كان توجه إلى الطينة بسبب عمارة الأبراج (٤٠ ب) التى أنشأها
السلطان هناك ، فلما انتهى منها العمل وحضر أخلع عليه بسبب ذلك . — وفيه
٣ انقطع جسر أم دينار الذى بالجيزة ، وكان ليالى وفاء النيل فاضطربت الأحوال
لذلك ، وخرج قانى باى قرا أمير آخور كبير على جرائد الخيل وعدّى إلى الجيزة
فأعياه سدّه ، فأرسل يطلب من السلطان عونة على ذلك فرسم السلطان لجماعة
٦ من الأمراء المقدّمين بأن يتوجّهوا إلى هناك ويتعاونوا على سدّه ، فتوجّه الأمير
دولات باى أمير سلاح والأمير طرا باى رأس نوبة النوب والأمير تمر الحسنى
أحد المقدّمين والأمير ماماى جوشن وجماعة آخرون من الأمراء العشرات ، فلما
٩ توجّهوا إلى هناك فأعياهم سدّ ذلك الجسر ، وحصل للناس بسببه الضرر الشامل ،
وصاروا يمسكون الناس من الطرقات ويرمونهم فى الحديد ويتوجّهون بهم إلى
جسر أم دينار ، وحوّلوا إليه بأخشاب كثيرة وسلب ، ومع هذا أعياهم سدّه
١٢ حتى عُدّ ذلك من الوقائع الغريبة ، وفيه يقول محمد بن قانصوه :

مذ نقص النيل ليالى الوفا وأمتع السبرّ من البرّ
رأى لقلبى البرّ فى كسره فخصّه بالجبر فى الكسر

١٥ وفيه جاءت الأخبار من مكة بوفاة خوند أصل باى أمّ الملك (٤١ آ)
الناصر وسرية الملك الأشرف قايتباى وأخت الملك الظاهر قانصوه وزوجة
الملك الأشرف جان بلاط ، توفّيت بمكة ودُفنت هناك ، وقد تقدّم القول بأن
١٨ خاطر السلطان قد تغيّر عليها ، فلما حجّت وقصدت العود إلى مصر فأرسل
السلطان مراسيم بعودها إلى مكة ، فعادت إليها من أثناء الطريق ، واستمرّت مقيمة
بمكة إلى أن ماتت بها بعد مضىّ سنين . — وفيه كان وفاء النيل المبارك الموافق
٢١ ذلك لرابع عشر مسرى ، فلما أوفى توجّه الأتابكى قرقماس وفتح السدّ على العادة ،
وكان له يوم مشهود . — وفيه شرع السلطان يقبض على جماعة خوند أمّ الناصر ،
وقد ظهر لها أشياء كثيرة من أموال وتحف فى عدّة حواصل ، وقد حصل على جماعة

(٣) بالجيزة : بالجزية . .

من النساء بسببها ما لا خير فيه وضُربوا وعُصروا غير ما مرّة ، وما قاسوا خيرا
فى جرّتها ، واستمرّوا فى التراسيم مدّة طويلة وهم إلى الآن على ذلك . — وفيه
كان انتهاء العمل من الجامع الذى أنشأه السلطان خلف الميدان عند حوش العرب ٣
وخُطب به ، وقد جاء فى غاية الحسن .

وفى جمادى الأولى حضر الأمير طومان باى الدوادار وكان قد سافر إلى جهة
بلاد الصعيد ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب ٦
حافل . — (٤١ ب) وفى يوم الخميس سادسه توجّه الأمير علان الدوادار الثانى
إلى السفر ، وقد تقدّم أن السلطان عيّنه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكان تقرّر الحال
أولا على أنه يسافر من البحر الملح فما تمّ له ذلك وسافر من البلاد الشامية ، فخرج ٩
فى ذلك اليوم فى مركب حافل . — وفيه طلع الأمير طومان باى الدوادار الكبير
بتقدمة حافلة إلى السلطان كون أنه جاء من الصعيد ، فكان من جملة التقدمة عشرة
آلاف دينار ومائة فرس ومائة بقرة وخمسمائة رأس غنم وثلاثون رأس رقيق ١٢
وغير ذلك أشياء كثيرة . — وفيه رسم السلطان بشنق شخص زغلى فشنق على
باب زويلة . — ومن الحوادث أن شخصاً شابّا يقال له سُكيكر أشيع عنه أنه
قد قتل أباه ، فلما عرض على السلطان فلم يقرّ بشىء ، فرسم بتسليمه إلى الوالى ١٥
فعاقبه فلم يقرّ بشىء ، فسجن بالمقشرة حتى يكون من أمره ما يكون . — وفيه
حضر علاى الدين ناظر الخاصّ وكان توجّه إلى ثغر الإسكندرية بسبب تجهيز
المراكب المعيّنة صحبة الأمير محمد قريب السلطان . — وفى هذا الشهر وقعت زلزلة ١٨
خفيفة بعد العصر فلم يشعر بها إلا القليل من الناس .

وفى جمادى الآخرة فى يوم تاسعه نزل السلطان إلى الميدان وحضر إلى
عنـــده ابن عثمان ، (٤٢ آ) ووقع فى ذلك اليوم خصمانية فى لعب الرمح ، ٢١
وأحرق السلطان قدّامه إحراقة نفط بالنهار فى الميدان ، وكان يوماً مشهودا . —
وفيه ثبت النيل المبارك على اثنين وعشرين أصبعا من تسعة عشر ذراعا ،
وقد ثبت إلى أواخر بابه . — وفيه ظهرت امرأة غريقة عند قناطر الأوزّ ، ٤

وَوُجد عليها ثياب فاخرة وفى آذانها حلق بلخش وفى يدها سوار ذهب ، فطلع
بها والى القاهرة ووضعها فى تابوت عند جامع الظاهر ، فأقامت يوماً وليلة ولم يظهر
٣ لها معرفة فدُفنت بعد ذلك . — وفيه وقع ربع فى الكداشين وكان مُطلاً على الخليج ،
فقتل تحت الردم شخص يقال له شمس الدين البهواشى أحد نوّاب الحكم من
الشافعية ، وكان لا بأس به ، وقُتل شخص معلّم صاجاتى ، وقتل جماعة آخرون
٦ ممن كان ساكناً فى ذلك الربع ، وكانت حادثة مهولة .

وفى رجب نادى السلطان بأن لا يتجاهروا الناس بالمعاصى ، ولا يُمشى بسلاح
من بعد المغرب ، وأن الناس يواظبون على الصلوات الخمس فى الجوامع ، فسمعوا
٩ من أذنٍ وخرج من أخرى . — وفيه قبض السلطان على الشمسى محمد بن
فخر الدين (٤٢ ب) كاتب المماليك الذى قرّر فى نظر الاسطبل السلطانى كما
تقدّم ، فلما قُبض عليه قُرّر عليه مال ووكّل به ، وكان مظلوماً فى هذه الواقعة . —
١٢ وفيه قبض السلطان على جلال الطنبدى أحد نواب الحنابلة ، وقد كذب عليه
بعض أعدائه وأوحى للسلطان بأن قانصوه خمسمائة الذى تسلطن قد أودع عنده
مالا فطلبه السلطان ورسّم عليه ، وقاسى شدائد ومحنا وصودر غير ما مرّة بسبب
١٥ قانصوه خمسمائة فإنّه كان من جملة أصحابه . — وفيه توفّى والد معين الدين بن
شمس وكيل السلطان ، مات بغتة ، قيل طلب منه السلطان مالا فابتلع فصّا من الماس
فمات فى ليلته ، فكانت هذه الواقعة تقرب من واقعة ناصر الدين الصفدى وكيل
١٨ بيت المال وقد تقدّم ذكر ذلك . — وفيه قبض الوالى على امرأة تُسمّى أنَسْ
وكانت قبيحة السيرة تجمع عندها بنات الخطاء ، وكانت ساكنة بالأزبكية فلما
تولّى الأتابكى قرقماس توجّهت إلى قليوب ، فأرسل السلطان بالقبض عليها ، فلما
٢١ قبضوا عليها رسم السلطان بتغريقها ، فيقال أنها أفدت نفسها بخمسمائة دينار
ورسم بنفيها . — وفيه أخلع السلطان على أقباى وأعاده إلى كشف الشرقية كما كان
قبل ذلك ، وصُرف عن كشف الشرقية (٤٣ آ) كرتباى مملوك السلطان . — وفى

(٧) يتجاهروا : يتجاهدوا . (١١) قرر : قدر .

هذه السنة أرسل السلطان تقليدا إلى يوسف الناصرى وقرّره فى نيابة حماة عوضا
عن جانم الذى كان بها ، وقرّر جان بردى الغزالى فى نيابة صفد عوضا عن سودون
الدوادارى ، وقرّر سودون الدوادارى فى نيابة طرابلس ، وقرّر فى نيابة الكرك ٣
يوسف دوادار ملاج نائب القدس . — ومن الحوادث فى هذا الشهر أن قرقماس
المُقرى أحد الأمراء العشرات كان ساكنا فى زقاق الكحل ، فسرق من بيته عملة
بألف دينار ، فقبض على جيران الحارة أجمعين وسلّمهم إلى الوالى فعاقبهم أشدّ ٦
العقوبة وغرّمهم أضعاف ما سُرق له ، وكانوا فى هذه الواقعة ليس لهم ذنب ، وقد
ظهرت هذه العملة فيما بعد عند جماعة قرقماس المقرى ، بعد ما عاقب جماعة من
مشاهير الناس منهم أولاد ابن البقرى وغير ذلك من جيران الحارة من أعيان ٩
الناس . — وفى يوم الخميس حادى عشره جاءت الأخبار بأن سيباى نائب الشام
قد وصل إلى خانقة سرياقوس وقد حضر ليزور السلطان ، وكان قد وقع بينه وبين
حاجب دمشق حظ نفس فحضر إلى السلطان يشكو له من ذلك ، فلما حضر دخل ١٢
إلى القاهرة ليلة الجمعة ونزل فى مدرسة السلطان التى أنشأها فى الشرابشيين فبات
بها ، فلما أصبح (٤٣ ب) يوم الجمعة ودخل وقت صلاة الجمعة أرسل السلطان
خلفه فطلع إلى القلعة وهو بالشاش والقماش ، وأرسل إليه السلطان جنائب ١٥
بسروج ذهب وكنابيش ، فركب من المدرسة وطلع إلى القلعة وصلّى مع السلطان
صلاة الجمعة وجلس معه فى المقصورة ، فلما انقضى أمر الصلاة أخلع عليه السلطان
ونزل من القلعة وصحبته الأمراء المقدّمون وهم بالشاش والقماش وقدّامه تلك ١٨
الجنائب ، واستمرّ فى هذا الموكب الحافل حتى أنزله فى بيت قرقماس الجلب الذى
بالتبّانة ، وقد أخلع عليه السلطان كاملية مخمل أحمر بصمور ، وكان له يوم
مشهود ؛ وقيل وصل من الشام إلى القاهرة فى سبعة أيام وقد جاء على جرائد ٢١
الخيل ، وكان قد بلغه أن أركماس يسعى عليه فى نيابة الشام فاضطربت أحواله فجدّ
فى السير حتى أتى إلى مصر فى سبعة أيام . — وفيه قبض السلطان على أصيل
بردار الأتابكى قيت الرجبى وسلّمه إلى الوالى ، فعاقبه وضربه كسارات حتى ٢٤

مات تحت العقوبة ، وكان سبب ذلك أن قد وُشى به عند السلطان أنه يعانى صنعة
الزغل وقد اشتهر بذلك بين الناس ، وكان أصيل هذا من وسائط السوء ظالما غاشما
٣ يستحقّ كل (٤٤ آ) أذى . — وفيه عزم السلطان على سيباى نائب الشام فى
الميدان ، وجلس هو وإياه على البحرة التى به ومدّ له أسمطة حافلة وأقام عنده
إلى أواخر النهار ، ثم ألبسه كاملية بصمور وتوجّه إلى المكان الذى نزل به ، ولما
٦ حضر سيباى نائب الشام لم يحضر مواكب السلطان بالقلعة ، وسبب ذلك أن الأمير
دولات باى أمير سلاح لم يوافق أن سيباى نائب الشام يجلس فوقا منه ، وقد تقدّم
أن الأمير دولات باى ولى نيابة حلب ونيابة الشام قبل سيباى ، فبموجب ذلك
٩ لم يوافق الأمير دولات باى بأن سيباى يجلس فوقا منه . — وفيه أخلع السلطان
على أبى البقا بن إبراهيم مستوفى الخاصّ وقرّره فى نظر الإسطبل السلطانى
عوضا عن محمد بن فخر الدين كاتب المماليك بحكم صرفه عنها ، وقد جمع أبو البقا
١٢ بين استيفاء الخاص ونظر الإسطبل . — وفى يوم الجمعة لبس السلطان الصوف
وقلع البياض ، ووافق ذلك سادس هاتور القبطى . — وفيه عاد خاير بيك المعمار
من بناء الخان والأبراج التى أنشأها السلطان فى العقبة ، فلما عاد أقام مدّة يسيرة
١٥ ورسم له السلطان بأن يتوجّه إلى مكة من (٤٤ ب) البحر الملح ويأخذ صحبته
جماعة من البنّائين والنجّارين والمهندسين ، وقد أمر السلطان ببناء مارستان ورباط
فى مكة وأن يبلّط الحرمّ ويجرى عين ماء بازان إلى مكة ، فخرج فى أثناء هذا
١٨ الشهر وتوجّه إلى الطور . — وفيه وقعت فتنة بين العبيد وصاروا يقتلون بعضهم
بعضا حتى أعيى الوالى أمرهم . — وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن
الأمير محمد بيك لما توجّه إلى الجون بسبب إحضار الأخشاب صادف مراكب
٢١ فيها فرنج يعبثون فى البحر على التجّار ، فتحارب معهم فانتصر عليهم وقتل منهم
جماعة كثيرة وأسر الذى بقى منهم وغنم ما كان معهم فى المراكب وهو أشياء
كثيرة بنحو من مائة ألف دينار ، فسُرّ السلطان لهذا الخبر . — وفيه نزل السلطان

---

(٦) الأمير : الأمير الأمير . (٧) لم يوافق : لم وافق .

إلى الميدان ، وحضر إلى عنده قرقد بيك بن عثمان ، ورسم للرمّاحة الذين يسوقون
فى أيام المحمل بأن يسوقوا فى الميدان قدام ابن عثمان حتى يتفرّج عليهم ، فساقوا
وهم لابسون آلة السلاح ، وكان يوما مشهودا . — وفيه أفرد السلطان على طائفة ٣
المغاربة اثنين وثلاثين ألف دينار ، وكان سبب ذلك أن تغرى بردى الترجمان
لما توجّه إلى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الإفرنج عدّة أسرى من المغاربة بنحو
من خمسين ألف دينار ، فلما خلصوا أراد السلطان أن يوزّع ما غرمه من المال ٦
على طائفة المغاربة (٤٥ آ) التى بمصر وبالإسكندرية فى نظير ما غرمه . — وفيه
ظهر بالسماء من جهة القبلة نور ساطع مثل قاع المركب ، يظهر وقت طلوع الفجر
ثم يختفى ، فأقام على ذلك مدّة ثم اختفى ولم يعلم ما سبب ذلك . — وفيه لما قوى ٩
البرد رسم السلطان لابن عثمان بأن يتحوّل من بولاق ويسكن فى بيت الأشرف
جان بلاط الذى فى حارة القاضى عبد الباسط ، فأقام به مدّة يسيرة ثم عاد إلى
بولاق كما كان . ١٢

وفى شعبان أخلع السلطان على سيباى نائب الشام وأذن له بالعود إلى محل نيابته ،
فسافر فى أثناء ذلك . — وفى رابع عشره توفّى الطواشى عنبر التكرورى مقدّم المماليك
وكان ديّنا خيرا ليّن الجانب ، وكان أصله من طواشية الأمير جانى بيك المرتد . — ١٥
وفى يوم الخميس سادس عشره حضر الأمير محمد بيك الذى كان قد توجّه إلى الجون
بسبب إحضار الأخشاب وحضر صحبته تلك الفرنج الذين أسرهم كما تقدّم ، فكانوا
نحواً من خمسين نفرا ، فشقّ بهم من القاهرة وهم فى زناجير ، وكان لهم يوم مشهود ، ١٨
فلما عرضوا على السلطان وهو بالميدان أخلع على الأمير محمد بيك ، ورسم بسجن
الفرنج فسُجنوا بالمقشرة ، وقيل أسلم منهم خمسة أنفار . — وفى ذلك اليوم كان قدّام
السلطان رماية نشّاب (٤٥ ب) على الخيل ، وأحرق قدّامه فى ذلك اليوم إحراقة ٢١
نفط بالميدان بالنهار ، وكانت نوبة أنياب الأمير بهادر الغورى ، وكان ابن عثمان حاضرا

---

(٧) فى نظير : فى نظير فكان . (٢٢) أنياب : أنيات .

والأمراء المقدّمون ، وكان يوماً مشهودا . — ومن الحوادث أن الأمير طومان
باى الدوادار خرج يسير نحو المطرية وصحبته الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد
٣ المقدّمين ، فساقوا فى الرمل فتقنطر الفرس بالأمير خاير بيك فانكسر بعض أعضائه ،
وردّ وهو محمول وقد أشرف على الموت ، وأقام أياما وهو فى الفراش منقطع
حتّى شنى بعد مدّة طويلة .

٦ وفى رمضان كان مستهلّه يوم الخميس فنزل السلطان إلى الميدان ، وعرضوا
عليه اللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين
على جارى العادة ، وأخلع فى ذلك اليوم على تغرى برمش الوزير وعلى شرف الدين
٩ الصغير ناظر الدولة وعلى الزينى بركات بن موسى المحتسب . — وفيه كان انتهاء
العمل من المقعد الذى أنشأه السلطان خلف جنينة البحرة ، المطلّ على الحوش
السلطانى ، وقد جعل طوله ستين ذراعا وعرضه نحو عشرين ذراعا ، وجعل له
١٢ شبابيك على الحوش وشبابيك على جنينة البحرة ، وجعله مقعداً قبطياً (٤٦ آ)
بغير أعمدة ، ورخّمه وَزْرَة عالية ، فلما كان أول ليلة من شهر رمضان فطر فيه
واجتمع عنده الأمراء ومدّ السماط به ، وأظهر غاية العظمة فى تلك الليلة . —
١٥ وفيه أخلع السلطان على الأمير شاهين الجمالى وقرّره فى مشيخة الحرم النبوى
كما كان أوّلا . — وفيه ظهرت بقليوب ، وقيل بقلمة ، ابنة صغيرة دون البلوغ ،
قيل أنها رأت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فى المنام مرارا عديدة ، وظهر لها كرامات
١٨ خارقة ، فتوجهوا إليها الناس أفواجا أفواجا ، واشتهر عنها بأنها تقيم المقعد وتردّ
بصر الأعمى ، وحكى عنها من هذا النمط أشياء غريبة ليس لها صحة ، فبلغ كرى كلّ
حمار من القاهرة إلى قليوب أشرفيا ، وتوجه إليها جماعة من الخاصكيّة والأمراء
٢١ العشرات وأعيان الناس ، ووقع لها سمعة زائدة بالقاهرة . — وفى هذا الشهر ، أو
فى الذى قبله ، توفى الشرفى يونس بن الأمير طوخ بونى بازق ، وكان أبوه أمير
مجلس فى دولة الأشرف أينال ، وكان الشرفى يونس من أعيان أولاد الناس ، وكان

لا بأس به . — وفى يوم الخميس خامس عشره أخلع السلطان على الطواشى سنبل العثمانى الهندى (٤٦ ب) وقرّره فى تقدمة المماليك عوضا عن عنبر التكرورى بحكم وفاته ، وأخلع على الطواشى جوهر الرومى وقرّره نائب مقدّم المماليك عوضا عن سنبل بحكم انتقاله إلى تقدمة المماليك ، وأخلع على الطواشى بشير وقرّره رأس نوبة السقاة عوضا عن خشقدم الرومى بحكم وفاته . — وفيه نزل السلطان إلى الميدان فوقف إليه جماعة من المغاربة نحوا من سبعين إنسانا ما بين رجال ونساء ، وقد قصدوا الحجّ فى هذه السنة ، فرسم لهم السلطان بأشرفى لكلّ واحد منهم ثمن بقسماط . — وفيه فى يوم الجمعة ثالث عشرينه طلع قرقد بن عثمان إلى القلعة وفطر عند السلطان تلك الليلة وبات ، فلما أصبح ألبسه السلطان سلارى صوف أبيض بصمّور من ملابيسه . — ومن الحوادث أن فى ليلة الأحد خامس عشرينه وجد اثنان من مماليك السلطان من طبقة الصندلية قتلى عند بركة باب اللوق بالقرب من شاطئ الخليج ولا يعلم من قتلهما ، فلما طلع النهار نزل من القلعة الجمّ الغفير من المماليك من خشداشين أولئك المماليك الذين قتلوا ، فنهبوا عدّة دكاكين من باب اللوق وكادوا أن يحرقوا البيوت التى هناك حتى أدركهم الوالى ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد وألزم الوالى بتحصيل من فعل ذلك ، فنزل الوالى وقبض على جماعة كثيرة من أرباب الأدراك (٤٧ آ) الذين هناك ومن الغيطانية والمرابعين وغير ذلك ممن لا له ذنب فى ذلك ، وربما عوقب من لا جنى ، فلما عرضوا على السلطان أمر بسجنهم فى المقشرة . وفى أثناء هذا الشهر ظهر محمد بن العظمة الذى كان ناظر الأوقاف ، فترامى على بعض الخاصكية بأن يسعى له عند السلطان فى عوده إلى نظر الأوقاف ، فلما ذكر للسلطان مال إليه ، فلما بلغ محمد بن العظمة ذلك طاش وشرع يطلب أعيان الناس بالرسل الغلاظ الشداد ، وكان علاى الدين ناظر الخاصّ متحدّثا فى نظر الأوقاف فلما بلغه ما فعله ابن العظمة طلع إلى السلطان وشكا له من ابن العظمة ، فقال له السلطان : أنت تشكى عندى من هذه الوظيفة

(٧) الحج : الحاج . (١١) قتلى : قتلاء . (١٣) أولئك المماليك الذين : ذلك المماليك الأى .

وتقول باخسر فيها ، فقال ناظر الخاص : أسدّ فيها بسعادة السلطان ، فألبسه كاملية
ونزل إلى داره ، فلما نزل قبض على محمد بن العظمة وضربه وسجنه بالمقشرة واستمرّ
٣ بها مدّة طويلة . — وفى خامس عشرينه كان ختم البخارى بالقلعة ، ونصب
السلطان خيمة بالحوش واجتمع القضاة الأربعة ومشايخ العلم وفرّقت الخلع
والصرر على العادة ، وكان ختما حافلا . — وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه عرض
٦ ناظر الخاصّ خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة على رؤوس الحمّالين ، فأخلع
عليه السلطان . — وفيه وصل إلى السلطان (٤٧ ب) تقدمة حافلة من عند
نائب الشام ، وهى ما بين خيول ومماليك وقماش ومال وغير ذلك . — وفيه توفى
٩ الشيخ ناصر الدين محمد بن جُرَباش ، وكان من أعيان علماء الحنفية ، وكان ديّنا
خيرا لا بأس به .

وفى شوال كان موكب العيد حافلا ، وحضر قرقد بيك بن عثمان وصلّى مع
١٢ السلطان صلاة العيد ودخل معه فى المقصورة وهو بغير كلفتاة ، وكان الجُمجمة
ابن عثمان لما حضر مع الأشرف قايتباى صلاة العيد ألبسه الكلفتاة وصلّى بها
معه ، فلما خرج السلطان من الجامع مشى قدّامه قرقد بيك بن عثمان مع الأمراء
١٥ من الجامع إلى الحوش ، فلما أخلع على الأمراء أخلع على ابن عثمان أيضاً كاملية
تماسيح على أحمر بفرو صمور ، ورسم له بأن يركب من الحوش فركب ونزل مع
الأمراء فى موكب حافل حتى وصل إلى بولاق ونزل بالبرانجية ، ومن جملة ما
١٨ بالغه السلطان فى إكرام قرقد بيك بن عثمان أنه أرسل إليه بكتاب على يد كاتب
السرّ بأن يرتّب له فى كل شهر ألفى دينار برسم نفقته ما دام بمصر ، فكانت
تصرف له من الذخيرة فى مدّة إقامته بمصر . — وفى يوم الاثنين عاشره نزل
٢١ السلطان إلى الميدان وعرضوا عليه كسوة الكعبة والبرقع ومقام (٤٨ آ)
إبراهيم عليه السلام وطافوا بهم فى القاهرة مع المحمل ، وكان لهم يوم مشهود . —
وفيه حضر القاضى محبّ الدين كاتب سرّ دمشق فأكرمه السلطان إلى الغاية ،

---

(١) باخسر : باخصر . (٧) حافلة : حفلة . (١٨) بكتاب : يكتب (١٩) ما دام : ما دامه .

وحضر صحبته تقدمة حافلة للسلطان . — وفيه توفى للأمير طومان باى الدوادار ولد صغير من سرّية ، عمره نحو من ثلاث سنين ، فتأسف عليه ودفن وقت صلاة الفجر على الفوانيس ، فرسم السلطان بأن يدفن فى مدرسته التى بالشرابشيين ٣ فدفن بها . — وفى يوم الاثنين سابع عشره خرج المحمل من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أمير ركب المحمل طُقطباى نائب القلعة أحد المقدّمين ، وبالركب الأول مغلباى الزردكاش أحد الأمراء الطبلخانات ، فكان لهما يوم مشهود ، ٦ وحضر أمير من أمراء ابن عثمان الكبير يروم الحج وصحبته نحو من أربعين ألف دينار أرسلها ابن عثمان على يده ليفرّقها على فقراء مكّة والمدينة ، فسافر صحبة الحجّاج . — ومن الحوادث أن شخصا يسمى بركات من فراشى الأمير ٩ طومان باى الدوادار قتل صبيا من صبيانه وكان شابّا صغيراً جميل الصورة ، فلما عرض بركات المذكور وغرماؤه (٤٨ ب) على السلطان دفعهم إلى قاضى القضاة المالكى ، فحلّ فى أمر بركات لما علم أنه من فراشى الدوادار ، فسجنوه حتى تقام ١٢ عليه البيّنة بأنه قتل ، وفى عقيب ذلك قتل ساعى الدوادار أيضاً قتيلا وهو شخص يعرف بالشقيفاتى وكان شيخا مسنّا ، فلما عرض الساعى على السلطان وعلم أنه من جماعة الدوادار دفعه للشرع أيضاً ، فحلّوا عنه ولم يجىء أحد يشهد عليه بأنه ١٥ قتل ، وكان قتله بالنهار بعد العصر فى وكالة الأشرف برسباى التى بالصليبة ، وراح أمر القتيلين على أقاربهما وأولادهما ، والأمر إلى الله تعالى .

وفى ذى القعدة الشريفة فى يوم الخميس خامسه حضر سودون الدوادارى ١٨ الذى كان نائب طرابلس ، وقد حصل بينه وبين أهل طرابلس تشاجر ، فأرسل السلطان خلفه بأن يقيم بمصر . — وفيه نزل السلطان وسيّر نحو المجراة ، ولما عاد إلى القلعة طلع من الصليبة فى موكب حافل . — ثم فى يوم الأحد ثامنه نزل وسيّر ٢١ نحو بركة الحبش ووصل إلى طرا ، ثم عاد من يومه وشقّ من على ساحل البحر . — ثم فى يوم الأربعاء حادى عشره نزل من القلعة وتوجّه إلى نحو الصحراء

(٧) الحج : الحاج . (٩ و ١٢) فراشى : فراشين .

وزار سيدى عبد الله المنوفى رحمة الله عليه ، ثم (٤٩ آ ١) عاد إلى القلعة . — وفيه ضيّق السلطان على جماعة من المباشرين وأفرد عليهم نحواً من ستمائة ألف
٣ دينار ، وسبب ذلك أن كل من كان عليه مال منكسر فى الديوان من قديم وحديث يرده ، فجلس بنفسه فى الدُهيشة وعمل حسابهم بحضرته فاضطربت أحوال المباشرين قاطبة ، وضيّق عليهم فى سرعة استخراج تلك الأموال على تفرقة
٦ الأضحية ، وكان غالب هذه الأموال بقايا مصادرات قديمة على صلاح الدين بن الجيعان وعلم الدين المتحدّث فى الخزانة وبانوب النصرانى وشمس الدين بن عوض وشرف الدين الصغير ناظر الدولة وشرف الدين النابلسى الأستادار ويوسف بن
٩ أبى أصبع الحلبى وفخر الدين بن العفيف الذى كان كاتب المماليك ، ومنهم ناظر الجيش عبد القادر القصروى وبركات بن موسى وغير ذلك جماعة آخرون ، فنزلوا من القلعة وهم سكارى بغير مدام . — وفى يوم السبت رابع عشره نزل السلطان
١٢ وسيّر وتوجّه إلى نحو تربة الأشرف قايتباى ، فنزل عن فرسه ودخل وزار قبره وبكى هناك وتمرّغ على قبره وقرأ له الفاتحة ، ثم رسم للبوّابين وللصوفة بمائة دينار ، وركب من هناك وتوجّه إلى تربة (٤٩ ب ١) العادل طومان باى
١٥ فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ورسم للصوفة بمائة دينار ، ثم ركب من هناك ورجع إلى تربة الأمير يشبك الدوادار فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ، ثم ركب من هناك ونزل من على سوق الدريس وأتى إلى تربة الأشرف
١٨ جان بلاط التى بباب النصر فنزل عن فرسه وزار قبره وقرأ له الفاتحة ورسم للصوفة بمائة دينار ، ثم ركب من هناك وعاد من الصحراء وطلع إلى القلعة وكان فى نفر قليل من العسكر . — وفيه توفّى جانم كاشف الوجه القبلى ، وكان
٢١ من الأمراء العشرات . — وفيه توفّى القاضى صالح بن طه أحد نوّاب الشافعية ، وكان من قضاة الجاه . — وفيه توفّى الخواجا عطيّة ، وكان فى سعة من المال ، وكان أغلس خلق الله على الإطلاق ، وهو من البخل عن جانب عظيم ، كما قيل :

(٢٠) من العسكر : من التى بها العسكر .

لبستَ ثياب لؤم عنك شُقّتْ ومن يكسى ثياب العار عارى
فلو لبس الحمار ثياب خزّ لقال الناس يا لك من حمار

وفيه توفّى الشيخ عبد القادر الدماصى ، وكان فاضلا ناظما ناثراً فكه ٣
المحاضرة بقيّة السلف عشير الناس ، وكان له شعر جيّد ، ومن نظمه ما ألغزه
فى غزال وبعث به (٤٩ آ) إلى الشهاب المنصورى :

مولاى ما اسمُ لوحش نافر أنس فى مأربى منه أشياء جُمّعت فيه ٦
حروفه أربعٌ لكنّهـا عجبٌ إن زال أوّل حرف زال باقيه

فأجابه الشهاب المنصورى عن ذلك :

مولاى ألغزتَ فيما ناب عن قمرى جيدا وحاكى سوادا فى أماقيه ٩
فالبعض لامٌ حكتْ لامات سالفه وبعضه قد غزا فى الله باقيه

وفى ذى الحجّة قبض السلطان على المعلّم على الصغير أحد معاملى اللحم ، فلما
قبض عليه قرّر عليه ستين ألف دينار واستمرّ فى التوكيل به ، وكان المعلّم على هذا ١٢
من خيار الناس ناتجاً بالسداد وله شُهرة طائلة وبرّ ومعروف ، وكان كثير الحشمة
فى حقّ الناس . — وفيه فرّق السلطان الأضحية على العسكر ، وقطع أضحية
كثيرة لجماعة من المباشرين والفقهاء كانت على الذخيرة ، حتى قطع السكاكين ١٥
التى كانت تفرّق على الناس [فى] عيد النحر من الزردخاناه وكانت من العادات القديمة ،
فأبطلها فى هذه السنة بواسطة شخص من الزردكاشيّة يقال له أحمد بن قراكز . —
وفيه كان الأتابكى قرقماس مسافراً فى بعض جهاته ، وقد فرّ لأجل تفرقة ١٨
الأضحية . — وفيه توفّى الأمير قانصوه جوشن أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان
(٤٩ ب) لا بأس به . — وفيه كان موكب العيد حافلا وأوكب السلطان على
العادة ، فلما انقضى يوم العيد نزل السلطان فى اليوم الثانى من العيد وتوجّه ٢١

(١١) معاملى : معاملين .

إلى قبّة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية وأقام هناك إلى بعد العصر ، ووافق ذلك اليوم عيد النصارى وأول الخماسين ، فانشرح هناك ومدّ أسمطة حافلة
٣ وحضر عنده جماعة من المغانى وأرباب الآلات ، ورسم لبعض الأمراء العشرات بأن يرقص فقام ورقص بين يدى السلطان فرسم له بمائة دينار ، ولما صلّى العصر وركب من هناك أخذ فى جيبه كيساً فيه ذهب وصار يفرّق منه بطول الطريق
٦ على الفقراء ومن يقف له من الناس ، فشرع يعطيهم من يده بغير واسطة بحسب ما يقسم لهم ، واستمرّ على ذلك حتى طلع إلى القلعة وكان يوما بالسلطانى . — ولمّا مضى العيد وأيام التشريف عزل السلطان قاضى القضاة الشافعى كمال الدين
٩ الطويل ، وأخلع على الشيخ بدر الدين محمد بن قاضى القضاة صلاح الدين المكينى وقرّره فى قضاء الشافعية بمصر عوضا عن كمال الدين الطويل بحكم صرفه عنها ، وقد جمع بدر الدين المكينى بين قضاء الشافعيّة ومشيخة الخشابية والشريفية ، وقد
١٢ سعى فى ولاية القضاء بثلاثة (٥٠ آ) آلاف دينار ويا ليته لا سعى فكان سعيه غير مشكور ، فكان كما يقال فى المعنى :

الحمد لله كمْ أسْعَى بغرى فى نَيْل القضا وقضاء الله ينكسه
١٥ كأننى البدر يبغى الشرق والفَلَكُ الـ . . . أعلى يعارض مسراه فيَعْكِسه

وكان غالب الأمراء والعسكر مائلاً إلى قاضى القضاة كمال الدين وسيعود إلى القضاء عن قريب . — وفيه توفّيت الست آمنة والدة أمير المؤمنين المستمسك بالله
١٨ يعقوب ، وهى ابنة أمير المؤمنين أبو الربيع المستكفى بالله سليمان ، وكانت ديّنة خيّرة صالحة ، وقد كُفَّ بصرها فى أواخر عمرها ، وكانت لا بأس بها : — وفيه وصل مبشر الحاجّ فى ثلاثة عشر يوما ، وأخبر بالأمن والسلامة لجميع
٢١ الحجّاج . — وفيه توفّى الرئيس بركات السكندرى رئيس الطبّ ، وكان عارفا بأمر الطبّ لطيف الذات عشير الناس ، وكان لا بأس به . — وتوفّى القاضى

شمس الدين محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث أحد نوّاب الحكم المالكى ، وكان عالما فاضلا شابّا رئيسا حشما لا بأس به . — وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة رخيّة خصبة ، ٣
وكان نيلها (٥٠ ب) نيلا مباركا عاليا وثبت إلى نصف هاتور القبطى وزاد فى هاتور ثمانية أصابع حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ، لكن حصل منه للناس بعض ضرر وغرّق البذار الذى كانوا بذروه فى أراضى الجيزة عند هبوط النيل ، ٦
ثم زاد بعد ذلك هذه الثمانية أصابع ، فرسم السلطان للقضاة الأربعة بأن يتوجهوا إلى المقياس ويدعوا إلى الله تعالى فى هبوطه ، فتوجهوا إلى هناك وباتوا بالمقياس ، وقرأ السلطان تلك الليلة ختمة شريفة ومدّ أسمطة حافلة ، فانهبط فى تلك ٩
الليلة نحوا من نصف ذراع ، فعدّ ذلك من الوقائع الغريبة . — وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان وأخرجت ما شتله به من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة ، ولقد ١٢
عاينت به وردا أبيض ذكىّ الرائحة ، وهو غير أنواع الورد التى بمصر وقد نقل من الشام ، وكان يطرح فى أوان الصيف والنيل فى قوة الزيادة ، وهو نوع غريب لم يوجد بمصر ، فكان السلطان يضع له دكّة كبيرة مطعّمة بالعاج والأبنوس ١٥
ويفرش فوقها مقعدا مخمل بنطع ويجلس عليه ، وتظلّه فروع الياسمين وتقف حوله المماليك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ، (٥١ آ) ويعلّق فى الأشجار أقفاص فيهـــا طيور مسموع ما بين هزارات ومُطوّق وبلابل وشحارير ١٨
وقمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبشى وبطّ صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة ، وتارة يجلس على البحرة التى طولها أربعون ذراعا وتمتلئ كل يوم من ماء النيل بسواقى نقّالة من المجراة ٢١
تجرى ليلا ونهارا ، فيجلس على سرير هناك فى غالب أيام الجمعة ولا يدخل عليه

من الأمراء أحد إلا من يختاره ، وقد وقع له من المحاسن أشياء غريبة لم تقع
لغيره من السلاطين ، وقد صار هذا الميدان جنّة على وجه الأرض ، كما يقال فى المعنى :

٣ وشدتْ على العيدان ورقٌ أطربتْ بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدو والنسيم مُشبِّب والماء يسقى والجداول تشرب
وإذا تكسّر ماؤه أبصرتَه فى الحال بين رياضِه يتشعّب

٦ ومما وقع لى أن السلطان كان قد أخرج[1] إقطاعى فى حركة المماليك لمّا أخرج
إليهم أقاطيع أولاد الناس كما تقدم ذكر ذلك ، فوقفت إليه بقصّة فى الميدان ، فردّ
إلىّ إقطاعى وحصل لى منه غاية الجبر ونصرنى على المماليك الذين كانوا
٩ أخذوا إقطاعى ، فعند ذلك (٥١ ب) امتدحته بهذه القصيدة ، وذكرت فيها
أشياء كثيرة مما وقع له من المحاسن ، وقدّمتها إليه على يد شخص من خواصّه ،
وهى هذه القصيدة :

١٢ بالأشرف الغورى المفدّا أصبح ثغر الزمان باسم
يا قانصوه العلىُّ قدرا فقتَ على من مضى وقادم
فكلّ يوم تراه عيدا به فأوقاتنا مواسم
١٥ تشرّفَ الغورُ باسمه مُذْ رفرف طير السرورِ حائم
اختاره الله من إمامٍ لقمع أهل الفساد صارم
فالشكرُ لله مدّة تولّى على جميع الأنام لازم
١٨ هذا الذى عنه أخبرتنا طوالع النجم والملاحم
يُصيِّرُ الشاة فى حماهُ تمشى مع الذئب والضراغم
قد جاءه السعد عبدَ رقّ والنصر أضحى لديه خادم
٢١ له بقلب الملوك رُعْبٌ أغنى عن السُّمر والصوارم
وسيفه فى الوَغَى طويل له نفوس العدّى غنائم

جيوشه كالأسود أضحت تقتحم الحرب بالهزائم
تاريخه فى الملوك أضحى يحيّر العرب والأعاجم
فاكتبه بالتبر لا بحبرٍ وَاصغ لأخباره العظائم ٣
ليس له فى الملوك ندٌّ فى البأس والجود والمكارم
مظفّرٌ ظاهرٌ عزيز مؤيّدٌ عادلُ الأقالم
بنى بمصر لله بيتا رُخامه قائمٌ ونائم ٦
فجاء فى حسنه فريدٌ من كل عيب يقال سالم
فليس يُبنَى له نظيرٌ فى سائر (٢٥٢ آ) المدْن والأقالم
وقلعة السّعد مذْ حواها جدّد بها سائر المعالم ٩
بعزمه الماء جاء يجرى بمجرةٍ تحتها دعائم
دارت دواليبها فهامت لحسن أصواتها البهائم
فاقت بناء الملوك طُرّا فالمدح فى وصفها يلائم ١٢
تسقى بميدانه رياضٌ ناحت بأغصانه الحمائم
أشجاره بالنسيم مالت وزهرها فاح فى الكمائم
وأنشأ به بحرة تُحاكى كالنيل أمواجها مُلاطم ١٥
وغرّدت حولها القمارى سماعها هيّج العزائم
فعش هنيئًا بملك مصر فى نصْرة دائم الدوائم
ما رقّص الريحُ غصن روض ونقّطت لؤلؤُ الغمائم ١٨
ابن إياسٍ محمد قد أتى بدُرّ المديح ناظم

---

(٨) فى سائر : فسائر . (١١) دواليبها : دولاليبها . (١٣) تسقى : تشق .

عرائسا بالعقود تُجلَى ... تأليفها حير النواظم
ختمتها بالصلاة منّى ... على نبىّ للرسل خاتم
٣ محمدٍ أشرفُ البرايا ... فى الخَلق والخلْق والعزائم
صلى وسلم عليه ربى ... ما دام هذا الوجود قائم
والأول والصَّحْب ماتغنّى ... حادٍ بوادِ العقيق هائم

٦ انتهى ما أوردناه من أخبار سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وقد نظم الشيخ بدر الدين الزيتونى فى معنى ما قلته هذه الأبيات ، وهو قوله من قصيدة مطوّلة (٥٢ ب) :

٩ يا حبّذا الميدان من جنةٍ ... مساكن الولدان والحور
أغصانه هبَّ عليها الهوى ... من كل ممدود ومقصور
أطياره فى دوحها غرّدت ... من كلّ مسموع وعصفور
١٢ وكل سنّ ضاحك مُطرب ... وكل حَسُّونٍ وزرزور
وبلبـل هيّج بلبالنا ... ومن هزار حول شحرور
وبحرةٌ مُذْ هَبّ فيها الهوى ... جعّدها تنقيش تصوير
١٥ فى جمعِ تصحيح نرى ماءَها ... وبالهوى فى جمع تكسير
ومجرةُ الميدان إنشاءه ... عقودها دورٌ على دور
وعمّر الروضة صارت به ... أماكنا عامرة الدور
١٨ وجدّد المقياس حتى غدت ... تزهو بمنظوم ومنثور
وفى طريق الحجّ كم منهلٍ ... عمّره فى غاية الخير
وعينُ بازانٍ جرى ماؤُها ... تجديدُها آمناً من الغور

وأنشأ بمصر جامعا لم يزل بيتا بذكر الله معمور
والقبة الزرقاء وصهريجها والماءُ والكيزان والزير
كأن برد الثلج فى مائِهِ لكل عطشان ومحرور ٣
وكم له قنطرة جُدّدت بأمره من غير مأمور
على الخليج الحاكمى وَضْعها قد شاع فى طول وتقصير
كم ناصبٍ أعربَ فى رفعها لمركب فى الكسر مجرور ٦
أكرمْ به من ملك أشرفٍ مؤيّدٍ بالعزّ منصور
ينصره الله ويجعلْ لنا (٥٣ آ) أيّامه أمناً بلا جور
ما أقبل الصبحُ بأنواره وأدبر الليل بديجور ٩

انتهى ذلك ، ثم قال فى استشهاده منها :

وصلِّ يا ربّ على المصطفى منقذنا من كل محذور
صلاة عوفى يرى نشرها أطيَب من مسك وكافور ١٢
والآلُ والأنصار مع صَحْبِهِ أهل الثنا والفضل والخير
ما ماس من غصن بروض زهى وغرّدت فى دوحه الطير

ثم دخلت سنة ست عشرة وتسعمائة ١٥

فيها فى المحرم نزل السلطان إلى الميدان ، وطلع إليه القضاة الأربعة يهنونه بالعام الجديد ، وحضر قاضى القضاة الشافعى بدر الدين المكينى وهذا أول تهنئته بالشهر ، فلما انفضّ المجلس قام السلطان ودخل إلى البحرة التى أنشأها بالميدان ١٨ وعزم على الأمراء وحضر الأتابكى قرقماس والأمراء المقدّمون ، فلما تكامل المجلس أحضر السلطان فوطة فيها ورد من بستان الميدان فأخذ من ذلك الورد وردة وشمّها ثم دفعها إلى الأتابكى قُرقماس فأخذها وقام وقبّل الأرض ، ثم أخذ وردة ٢١ أخرى وشمّها ثم دفعها إلى دولات باى أمير سلاح فأخذها وقام وقبّل الأرض ،

ثم أخذ وردة أخرى وشمّها ثم دفعها (٥٣ ب) إلى سودون العجمى أمير مجلس
فأخذها وقام وقبّل الأرض ، ثم فرّق على جميع الأمراء المقدّمين لكلّ واحد
٣ وردة فيأخذها ويقوم ويقبّل الأرض ، فقبّلوا له الأرض الأمراء المقدّمون جميعهم
فى ذلك اليوم لأجل الورد حتى عدّ ذلك من النوادر ، ثم مدّ لهم فى ذلك اليوم
أسمطة حافلة وأقاموا عنده إلى بعد الظهر ، وأبطل المحاكمات فى ذلك اليوم . —
٦ وفيه نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطرية وعاد إلى القلعة ، ثم نزل بعد ذلك وسيّر
إلى نحو طُرا وعاد إلى القلعة ، وفى مدّة سلطنته لم يشقّ من القاهرة قط . —
وفى يوم السبت حادى عشره ثاروا جماعة من المماليك الجلبان ورجموا الناس
٩ من الطباق ، فأسفرت هذه الواقعة على أن المماليك يرومون من السلطان نفقة
لكل مملوك مائة دينار ، وكان فى تلك الأيام اللحم معطّل بسبب المعلّم على الصغير
فإنه كان فى الترسيم ، فلما جرت هذه الحركة أراد السلطان أن يوسّط المعلم على
١٢ الصغير فشفع فيه بعض الأمراء ، ثم إن المماليك نزلوا من الطباق وهم مشاة
وتوجّهوا إلى بيت الأتابكى قرقماس فأركبوه غصباً وقالوا له : اطلع إلى السلطان
وقل له ينفق علينا ، ثم توجّهوا إلى سودون (٥٤ آ) العجمى أمير مجلس وأركبوه
١٥ غصبا ، ثم توجّهوا [إلى] الأمير طرا باى رأس نوبة النوب وأركبوه غصبا ، ثم
توجّهوا إلى الأمير طومان باى الدوادار وأركبوه غصبا ، فلما طلعوا بهم إلى القلعة
تكلّموا مع السلطان فى أمر النفقة فامتنع من ذلك غاية الامتناع وكاد أن يخلع نفسه
١٨ من السلطنة ، فلما ردّوا الجواب على المماليك بأن السلطان امتنع من إعطاء النفقة
فاتسعت الفتنة ، ونزلوا المماليك من الطباق أفواجا أفواجا وهم بزموط وكباشيات
ومطارق فى أيديهم ، فتوجّهوا إلى سوق جامع أحمد بن طولون فنهبوا منه عدّة
٢١ دكاكين ، وكذلك دكاكين الصليبية ، ثم توجّهوا إلى سوق تحت الربع فنهبوا منه

---

(٢) الأرض : جاءت فى الأصل بعد « ثم فرق » .

عدة دكاكين ، وكذلك دكاكين البُسْطيّين وغير ذلك من الأسواق حتى كادت مصر
أن تخرب عن آخرها فى ذلك اليوم ، وأغلقت الأمراء أبوابها خوفا من المماليك ،
فاستمرّوا ذلك اليوم على هذا الحال والأمر مضطرب وقد نهب للناس أشـياء ٣
كثيرة بنحو عشرين ألف دينار ، والتفّ على المماليك الجم الغفير من الغلمان
والعبيد ، وباتوا الناس تلك الليلة على وجَل ولم يجدوا من يردّ المماليك عن ذلك ،
وكانت ليلة مهولة وكلّ مفعول فيها جائز ، وقد قلت فى ذلك (٥٤ ب) : ٦

يا رب إنّ المـماليك جاروا علينا بعَسْف
واستفتحوا العام فينـا بوقع نَهبٍ وخطف

ثم أصبحوا يوم الأحد على ما هم فيه من النهب والخطف ، وتزايد الأمر ٩
جدّا ومنعوا الأمراء من الركوب والمرور فى الطرقات ، وغلّقت الأسواق ، ثم إن
السلطان نادى للمماليك بالعرض فى الحوش فلم يطلع منهم أحد ، واستمرّوا على
ذلك إلى يوم الاثنين فلبسوا آلة السلاح وتوجّهوا إلى الأزبكية وهجموا على الأمير ١٢
دولات باى أمير سلاح وأرادوا أن يسلطنوه ففرّ منهم وطلع إلى عند السلطان ، ثم
إن المماليك بلغهم أن الأمراء يقصدون الوثوب عليهم ويقبضون منهم [على] جماعة
فعند ذلك قلعوا آلة السلاح وطلعوا إلى الطباق ، ثم إن الوالى نادى فى القاهرة بأن ١٥
لا مملوك ولا عبد ولا غلام يمشى فى الأسواق من بعد المغرب ، وصار كلّ من
رآه يمشى من بعد المغرب يوسّطه ، فوسّط فى ذلك اليوم من العبيد والغلمان
جماعة كثيرة ، فسكن الحال قليلا ، ثم إن الأمير طومان باى الدوادار صار يركب ١٨
فى عدّة مماليك ويطوف الأسواق والحارات ويكبس على المماليك فى اسطبلاتهم
فمن وجد عنده شيئاً من النهب أخذه وردّه إلى أصحابه ، وصاروا الناس يغمزون
على كل من كان عنده نهب فيكبسون عليه ويأخذون ما عنده من النهب ، فردّوا منه ٢١
لأصحابه بعض (٥٥ آ) شىء ، ثم إن تجّار جامع ابن طولون وتجّار تحت الربع
وقفوا إلى السلطان بقصّة وشكوا له ما أصابهم من المماليك ، فرسم السلطان إلى

---

(٤) عشرين ألف : عشرين آلاف . (١٩) اسطبلاتهم : اسطبلاتها .

بركات بن موسى بأن ينزل ويحرّر عن أمر النهب ، فوجد ما نهب للناس خمسمائة
وسبعون دكّانا وراحت على الناس أموالها ، وقد قدّروا ما نهب للناس فى هذه
٣ الحركة أشياء بنحو من عشرين ألف دينار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .—
وفيه غيّبَ شرف الدين الصغير ناظر الدولة بسبب تعطّل اللحم فى تلك الأيام ،
وهذا كان سببا لإقامة الفتنة المقدّم ذكرها . — وفى يوم الأربعاء خامس عشره
٦ توفّى القاضى صلاح الدين بن الجيعان وهو محمد بن يحيى بن شاكر ، وكان رئيسا
حشما وله اشتغال بالعلم واجتمعت فيه الرياسة دون بنى الجيعان ، وولى من الوظائف
استيفاء الجيش والتكلّم على الخزائن الشريفة ونيابة كتابة السرّ ، ثم ولى كتابة
٩ السرّ فى دولة الأشرف جان بلاط ، وجرى عليه شدائد ومحنا ، وصودر فى دولة
الغورى غير ما مرّة ، ومات وهو فى عشر السبعين . — وفى يوم الجمعة سابع
عشره توفّى الأمير جان بردى أحد الأمراء المقدّمين ، وكان لا بأس به . — وتوفّى
١٢ أسنباى أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . — (٥٥ ب) وفى يوم الخميس
ثالث عشرينه دخل المحمل إلى القاهرة ، وقد تأخّر بعد دخول الركب الأول
بيومين . — وفيه ظهر شرف الدين الصغير ، وكان مختفيا من حين ركبوا المماليك
١٥ بسبب تعطّل اللحم ، فلما قابل السلطان أخلع عليه وأقرّه فى نظر الدولة كما كان . —
وفى يوم الخميس ثالث عشرينه أيضا توفّى الشيخ أبو السعود بن الشيخ الصالح
المسلك سيّدى مَدين رحمة الله عليه ، وكان ديّنا خيرا رئيسا حشما ، وكان لا بأس
١٨ به . — وفيه أشيع أن طومان باى قرا الحاجب الثانى قد قتل دواداره وخنقه بوتر
ودفنه فى الاسطبل ، وقد فعل ذلك وهو سكران ، فلما بلغ السلطان ذلك تغافل
عن هذه الواقعة . — وفيه رسم السلطان بتسليم يوسف بن أبى أصبع إلى الوالى
٢١ يعاقبه ، وكان له مدّة طويلة وهو فى السجن بالعرقانة ، وقرّر عليه نحوا من
أربعين ألف دينار فتراقد عن وزن المال فسلّمه إلى الوالى ، وكان يوسف بن أبى
أصبع من خواصّ السلطان . — وفى يوم الأحد سادس عشرينه أخرج السلطان

(٢١) وقرر : وقدر .

خرجا من المماليك نحوا من خمسمائة مملوك. وفرّق عليهم زرديات وسيوف
وتراكيش . — وفى يوم الاثنين سابع عشرينه خرج الأمير طومان باى (٥٦ آ)
الدوادار وسافر إلى جهة الصعيد ، وقد بلغه أن قد وقعت هناك فتنة مهولة بين ٣
قبيلة بنى عدى وبين بنى كلب وكادت جهات الصعيد أن تخرب عن آخرها ؛
فتوجّه بسبب ذلك وكان أوان ضمّ المغل . — وفيه جلس السلطان على الدكّة
وأحضر المصحف العثمانى وحلّف عليه المماليك الجلبان كل طبقة على انفرادها ، ٦
وحلّف أغواتهم أيضا ، فحلفوا على العثمانى أنهم لا يثيرون فتنة ولا يركبون ولا
يرمون فتنا فى بعضهم ، ثم فرّق عليهم الرماح ورسم بأن يلعبوا الرمح فى الميدان ،
ورسم لكلّ مملوك بثلاثة أشرفية ثمن البعلبكى ، وانفضّ المجلس على ذلك وخمدت ٩
تلك الفتنة قليلا . — وفى يوم الجمعة قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق
ذلك سابع عشر بشنس ، وكان الوقت فى تلك الأيّام رطبا والبرد موجود . —
ومن الوقائع أن الأمير قرقماس المُقرى كان قد سُرق له من داره عملة بنحو ألف ١٢
دينار فاتّهم بها الجيران أضعاف ما سرق له ، وقد تقدم القول على ذلك ، ثم ظهر
بعد ذلك أن الذى سرق العملة مملوكه وهرب وسافر إلى الحجاز من البحر المالح ؛
فلما توجّهوا الحجّاج إلى مكّة قبض أمير الحاجّ على (٥٦ ب) مملوك قرقماس ١٥
المقرى ووضعه فى الحديد وأحضره صحبته إلى القاهرة ، فسلّمه إلى أستاذه فضربه
وقرّره فاعترف أنه هو الذى سرق الذهب ، وقد تصرّف فى غالبه وهو بمكة
وفتك هناك وقد بقى معه البعض من المال ، فلما بلغ الجيران ذلك طلعوا إلى ١٨
السلطان وشكوه بقصّة فيما فعل بهم ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام
وسبّه وألزمه بأن يرضى الجيران فيما تكلّفوه من الغرامة بسبب ذلك ، فلما نزل
أرضاهم فى جميع ما تكلّفوا من الغرامة فعدّ ذلك من النوادر ، واستمرّ قرقماس ٢١
المقرى ممقوتا عند السلطان ، وكان غير محمود السيرة . — ومن الحوادث أن شخصا
يقال له تقى الدين بن الرومى أحد نوّاب الحنفية ، قيل عنه أنه وقع فى حقّ النبىّ

صلى الله عليه وسلم بكلمات غير مشكورة ، فضبطوا عليه ذلك جماعة كثيرة ممن كان حاضرا فبلغ السلطان ذلك .

٣ وفى صفر طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فلما اجتمعوا بين يدى السلطان قال لهم : احصوا عن أمر ابن الرومى فيما قيل عنه ثم راجعونى فيما يثبت عليه ، وكان ابن الرومى قد اختفى بسبب ذلك ، فانفضّ المجلس من قدّام السلطان (٥٧ آ)
٦ على إحضار ابن الرومى ، واستمرّ طلب من السلطان حثيث وأمره فى ذلك إلى الله . — وفيه أخلع السلطان على الشهابى أحمد بن الجيعان وقرّره فى استيفاء الجيش والتكلّم فى الخزانة الشريفة عوضا عن عمّه صلاح الدين بحكم وفاته ،
٩ وأشركوا معه أولاد عمّه صلاح الدين فى الوظيفة ، فتضاعفت عظمة الشهابى أحمد وصار بيده هذه الوظائف مضافاً لما بيده من نيابة كتابة السرّ ، وكان كاتب السرّ البدرى محمود بن أجا حصل له عارض فى جسده وانقطع فى داره عن الركوب
١٢ نحوا من عشرة أشهر ، وصار التكلّم فى هذه المدّة للشهابى أحمد وصار هو كاتب السرّ لا محالة ، واجتمعت فيه الكلمة وكان أهلا لذلك . — وفى يوم الاثنين خامسه أخلع السلطان على الجمالى يوسف البدرى وقرّره فى الوزارة عوضا عن تغرى
١٥ برمش بحكم انفصاله عنها ، واستمرّ شرف الدين الصغير على حاله فى نظر الدولة . — وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على مملوكه كرتباى الذى كان كاشف الشرقية وقرّره فى ولاية القاهرة عوضا عن قانصوه أبى سنّة بحكم انفصاله عنها ، وصار
١٨ قانصوه أبو سنّة (٥٧ ب) من جملة الأمراء المقدّمين وجلس معهم وبقى مقدّم ألف ، ورتّب له فى نظر الإقطاع شيئاً على الذخيرة . — وفى ذلك اليوم قبض على شخص من غلمان الأمير أقبردى الدوادار ، وكان مطلوبا بما يقال عنه أنه
٢١ عنده سروج مغرق وكنابيش للأمير أقبردى ، فقبضوا عليه من المحلة وأحضروه فى الحديد ، فلما عرض على السلطان لم يقرّ بشىء فرسم بتوسيطه فوسّطوه . — وفى يوم السبت تاسعه ابتدأ السلطان بضرب الكرة فى الميدان ، ففى ذلك اليوم تقنطر

من على الفرس الأمير نوروز أخو يشبك الدوادار أحد المقدّمين ، فأغمى عليه وتشوّش لذلك ونزل إلى داره وهو محمول . — وفى حادى عشره كانت ليلة سيدى إسمعيل الإنبابى وكانت ليلة حافلة ، ونصب فى الجزيرة التى تجاه بولاق ٣ نحو من خمسمائة خيمة ، وخرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ . — وفى يوم الاثنين ثالث عشره نفق السلطان على جماعة مخصوصة من الخاصكية الأعيان ، ممن كان يرمى بالنشّاب على الخيل فى الميدان ويلعب الرمح ، لكل واحد منهم ٦ عشرة آلاف درهم ، وأعطى لجماعة منهم ستّة آلاف درهم ، ولم ينفق لبقية المماليك شيئا ، فبلغت هذه النفقة اليسيرة نحوا من (٥٨ آ) أربعين ألف دينار ، وقد تأثرت بقية المماليك لذلك ولكن لم يلتفت السلطان إليهم . —وفيه تغيّر خاطر السلطان ٩ على مهتار الطشتخاناه محمد ومنعه من الطلوع إلى القلعة وأقام بداره أيّاما وهو مختفى ، فتكلم له مع السلطان الأمير طومان باى وباس رجله بسبب ذلك حتى رضى عليه ، ولكن قيل إنّه أورد للخزائن الشريفة خمسة آلاف دينار حتى رضى ١٢ عليه وأعاده كما كان وأخلع عليه ، وكان سبب تغيير خاطر السلطان على المهتار محمد أن شخصا شابّا يقال له محمد بن سُعَيدة كان قد تحشر فى السلطان وصار يتقرب إليه بمرافعة الناس ، فرافع فى محمد المهتار وجماعة آخرين من خواص ١٥ السلطان فوزّع عليهم مالا له صورة بسبب ذلك . — وفيه عين السلطان معين الدين ابن شمس نائب كاتب السرّ بأن يتوجه قاصدا إلى ملك الهند ، ثم بطل سفره إلى بلاد الهند ، وكان غير مقبول الشكل يشبه وجه المصاصة العتيقة ، وقبض عليه ١٨ السلطان عقيب ذلك وسجنه بالعرقانة وقد وشى به عند السلطان بأنه يدعو عليه ويقصد زواله . — وفيه حضر قاصد الملك محمود شاه صاحب كُنباية ، وآخرين من ملوك الهند ، وعلى أيديهم مثالات للسلطان تتضمّن سرعة تجهيز (٥٨ ب) ٢١ تجريدة إلى جهات الهند بسبب تعبّث الفرنج هناك ، وقد تزايد أمرهم وطمعوا فى أخذ البلاد من حين كسروا حسين الذى أرسله السلطان باش

(٦) ممن كان . . . الرمح : جاءت فى الأصل بعد « ثالث عشره » فى سطر ٥ .

التجريدة التى أرسلها إلى هناك . – وفيه فى سلخه أخلع الساطان على الشيخ
حسام الدين محمود بن قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة ، وقرّره فى نظر
٣ البيمارستان المنصورى عوضا عن معين الدين بن شمس بحكم تغيّر خاطر السلطان
عليه ، وقد تقدّم للبدرى محمود هذا أنه ولى قضاء الحنفية بحلب فيما بعد وأقام بها
مدّة يسيرة وعزل عنها .

٦ وفى ربيع الأول فى يوم مستهلّه أخلع السلطان على قاضى القضاة محيي الدين
عبد القادر بن النقيب ، وقرّره فى قضاء الشافعية عوضا عن بدر الدين المكينى
بحكم صرفه عنها فكانت مدّة ولاية بدر الدين المكينى فى وظيفة قضاء الشافعية
٩ شهرين وأربعة عشر يوما ، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار وأقام فيها هذه المدّة
اليسيرة وعزل عنها والناس غير راضية عنه ، كما يقال :

تولاّها وليس له عدوٌّ وفارقها وليس له صديق

١٢ وكان فى هـــذه الولاية فى غاية العكس ومنعه السلطان أن لا يخطب به
فى مدّة ولايته ، وقد سعى عليه ابن النقيب بمال حتى عزله وتولى ، وهذه رابع
ولاية وقعت لابن النقيب فى قضاء الشافعية (٥٩ آ) بمصر ، وقد نفذ منه فى هذه
١٥ الأربع ولايات نحو من سبعة وعشرين ألف دينار وهو غير مشكور ، وكان
عزله عن قريب فى هذه الولاية . – وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على الشهابى
أحمـــد بن الجيعان وأعاده إلى نيابة كتابة السرّ عوضا عن معين الدين بن شمس
١٨ بحكم تغير خاطر السلطان عليه ، ومما قلته فيه من المديح :

وكم حازَ الأكابر من ثناءٍ به حُمدوا ولكن أنت أحمـــد
ففقتَ على بنى الجيعان قدرا وسعدُك فى الورى قد صار أسعد

٢١ وتعيَّنتْ وكالة بيت المال إلى شمس الدين بن عوض . – وفيه عيّن السلطان
تجريدة إلى الجون وكتب بها نحوا من مائتى مملوك ونفق عليهم ، وعيّن الأمير محمد

---

(١٢) الولاية : والولاية .

بيك قريبه باشا على ذلك العسكر . — وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن جماعة
من عسكر الصوفى طرقوا أطراف ضياع البيرة ونهبوا أغنام جماعة من الأكراد ،
فلما بلغ نائب البيرة ذلك ركب واتقع معهم ثم خلت هذه الإشاعة . — وفى يوم ٣
الاثنين عاشره وصل الأمير علان الدوادار الثانى الذى كان السلطان أرسله قاصدا
إلى ابن عثمان ملك الروم ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة سنية
ونزل فى موكب حافل ، وقيل إن ابن عثمان بالغ فى إكرامه وأحسن إليه ، ثم ٦
إن السلطان فى عقيب ذلك (٥٩ ب) أنعم على الأمير علان من قراجا بتقدمة
ألف مضافا لما بيده من الدوادارية الثانية . — وفيه قبض السلطان على عبد العظيم
الصيرفى وسجنه بالعرقانة ، وقرّر عليه مالا له صورة . — وفى حادى عشره ٩
عمل السلطان المولد النبوى على العادة وكان مولدا حافلا ، وحضر ذلك قرقد بيك
ابن عثمان وأجلسه السلطان معه على المرتبة وبالغ فى إكرامه ، وحضر القضاة
الأربعة وسائر الأمراء المقدمين . — وفى يوم الخميس ثالث عشره طلع ابن أبى ١٢
الرداد ببشارة النيل ، وجاءت القاعدة سبعة أذرع زيادة عن العام الماضى بعشرة
أصابع ، وكانت الزيادة فى أول يوم من المناداة خمسة أصابع . — وفى هذا الشهر
ارتفع سعر البصل حتى بلغ سعر كل قنطار اثنين وعشرين نصفا ولا يوجد ، حتى ١٥
عدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم الاثنين سابع عشره خرج الأمير تمرباى الهندى
أحد الأمراء العشرات ، وقد عيّنه السلطان قاصدا إلى إسمعيل شاه الصوفى متملّك
العراق ، فخرج مسافرا فى ذلك اليوم وكان له موكب حافل . — وفيه أخلع ١٨
السلطان على قانصوه بن سلطان جركس أحد الأمراء المقدّمين وعيّنه أمير حاجّ
بركب المحمل ، وأخلع على (٦٠ آ) الأمير نوروز تاجر المماليك وعيّنه أمير
حاجّ بالركب الأول . — وفيه عرض السلطان معين الدين بن شمس الذى تغيّر ٢١
خاطره عليه كما تقدّم ، فضربه بالمقارع بين يديه نحوا من مائة شيب حتى أشرف
على الموت ، وقد أخذ بخطيئة كاتب السرّ بدر الدين بن مزهر فإنه كان

متولّيا عقابه فعذّبه بأنواع العذاب ولم يرث له فيما جرى عليه ، فما عن قريب
حتى أذاقه الله تعالى طعم العذاب ، فكان كما يقال :

٣ جُرّعَ كأسا كان يَسْقِى بها والمرءُ مجزىٌّ بأعماله
ظَنّ بأن الدهر يصفو له فخُيّبتْ من ذاك آماله

وقال القائل :

٦ يا من تولى منصبا قد زانه شطا لذاك على الأنام وتاها
أقصِرْ فذاك العزّ يتبعه أذى عِطْرُ الولاية لا يفى بِفساها

وفى رابع عشره خرج الأمير محمد بيك الذى تعيّن إلى نحو الجون بسبب
٩ قطع الأخشاب لأجل عمارة المراكب المعيّنة إلى تجريدة الهند ، فخرج فى موكب
حافل ، وكان ذلك آخر سعده . — وفيه خرج الطواشى بشير رأس نوبة السقاة
وقد عيّنه السلطان بأن يتوجّه إلى بلادِ الهند ، وقد كاتب السلطان جماعة من
١٢ (٦٠ ب) ملوك الهند بأن يكونوا مع السلطان عونة على قتال الفرنج الذين صاروا
يتعبثون بسواحل بلاد الهند وقد كثر منهم الفساد هناك ، وبلغت عدّة المراكب
التى يعبثون فى السواحل نحوا من خمسين مركبا ، والأمر إلى الله فى ذلك . —
١٥ وفيه تغيّر خاطر السلطان على شرف الدين النابلسى الأستادار بسبب انشحات
الجامكية ، فبطحه بين يديه وضربه نحوا من مائة عصاة . — وفيه تغيّر خاطر
السلطان على محمد بن سُعيدة المقدّم ذكره الذى كان عوانيّا عند السلطان وينقل
١٨ له أخبار الناس ، وكان حظى عنده بحيث أنه كان يجلس معه على المرتبة ويلعب
معه الشطرنج ، واشتهر بين الناس بالمرافعة ، وهو الذى سعى لقاضى القضاة محيي الدين
ابن النقيب فى عوده إلى القضاء ، ثم وقع بينه وبين محمد بن سُعيدة فطلع ابن النقيب
٢١ وشكاه إلى السلطان بأنه سبّه وشتمه ، فحنق السلطان من محمد بن سُعيدة وكان قد
طاش فى تلك الأيام إلى الغاية وعادى الناس بسبب مرافعته لهم ، وكثر الكلام

---

(٢٢) وعادى : وعاد .

فى حقّ السلطان بسببه فإنه كان جميل الصورة ، فلما تغيّر خاطر السلطان عليه
طلبه وبطحه بين يديه وضربه ضربا مبرحا ورسم بنفيه إلى الواح (٦١ آ)
فنفى ، فكان كما يقال فى المعنى : ٣

إيّاك أن تُفرِط فى حق من يُعرف بالجود فقد يحنقُ
ولا تقل ذا حلمهُ واسع فالماءُ إن سخّنته يحرقُ

وفيه تسحّب من البرج الذى بالقلعة أربعة أنفار منهم شيخ العرب ابن مهنا ٦
وآخرون من العربان ، فلما تسحّبوا قبض شيخ العرب ابن بغداد على ابن مهنا
الذى تسحّب من البرج ، فقطع رأسه ورأس آخرين ممن تسحّب معه وأرسل
بهم إلى السلطان . ٩

وفى ربيع الآخر كان ختم ضرب الكرة ، وعزم السلطان على الأمراء ومدّ
لهم أسمطة حافلة وجلس فى المقعد الذى أنشأه بالميدان عن قريب . — وفى يوم
الخميس رابعه طلع قُرقُد بيك بن عثمان إلى القلعة واستأذن السلطان فى عوده ١٢
إلى بلاده فأذن له فى ذلك ، وأخلع عليه خلعة سنيّة وهى منسوجة بالذهب شغل
القاعة ، ونزل من القلعة فى موكب حافل وصحبته الأتابكى قُرقماس وبقية الأمراء
المقدّمين وجماعة من الرؤوس النوب ، فاستمرّوا معه إلى بولاق فقدّموا له الحراقة ١٥
التى يكسر فيها السلطان السدّ ، وجهّز معه عدّة مراكب فيها زوّادة برسم الإقامات ،
وأرسل معه السلطان أزدمر المهمندار ونانق الخازن وغير ذلك من غلمان
السلطان (٦١ ب) يستمرّون فى خدمته حتى يصل إلى رشيد ، وقد بالغ السلطان ١٨
فى إكرام قرقد بن عثمان هذا ووقع له معه أشياء غريبة لم تقع لغيره من الملوك
السالفة فيما تقدم ، ولا وقع قبل ذلك للقان أحمد بن أويس صاحب بغداد لما حضر
إلى مصر فى دولة الظاهر برقوق لما حضر بسبب تمرلنك فى سنة ثمان وثمانين ٢١
وسبعمائة ، فما فعل الظاهر برقوق معه كما فعل الأشرف قانصوه الغورى مع
قرقد بيك بن عثمان ، ولا بالغ فى إكرامه مثله ، فإنه رتّب له فى كل شهر ألفى دينار

---

(١) بسببه : بسبه (٥) سخنته : صخنته (٢٣) ألفى دينار : ألفان دينار .

بسبب نفقته ، وكان كلما طلع إليه يلبسه سلارى بصمور من ملابسه قيمته مائتى دينار ، ويُركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، وذلك غير ما يرسل إليه من ٣ الإنعامات وغير ذلك ، وكان يقوم له كلما طلع إليه ويُجلسه فوق أمير كبير معه على المرتبة ، وقد بالغ فى إكرامه جدّا ، وكذلك الأمراء المقدّمون أرسلوا إليه تقادم حافلة له ولجماعته ، فما خرج من مصر إلا شاكرا ناشرا ، كما يقال فى المعنى :

٦ طوّقتَنى نِعماً فها أنا ساجع   شُكْراً ولا عجبٌ لسجع مُطَوّقِ

وفيه خرج الأتابكى قُرقُماس إلى السّرحة نحو الشرقية والغربية . — وفيه حضر أمير عربان الوجه (٦٢ آ) القبلى عمر من أولاد ابن عمر أمير هوارة ، ٩ فأقام فى الترسيم ببيت الأمير الدوادار الكبير ، وقد قرّر عليه السلطان مالا له صورة . — وفيه غيّب المعلم خضر أحد معاملى اللحم ، وقد قرّر عليه السلطان مالا فما أقام به وفرّ خوفا من السلطان . — وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة ١٢ جان بردى الغزالى نائب صفد ، وقد حضر بطلب من السلطان ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان وأقام بمصر أياما . — وفيه توفى الشرفى يحيى الرشيدى خطيب جامع الأزبكية ، وكان من أهل الفضل ماهرا فى الخُطب . — وفيه حضر إلى ١٥ السلطان فيل من بلاد الزنج ، وكان صغيرا قدر الجاموسة ، عمره نحو من سنة ، فلما طلع إلى السلطان رجّت له القاهرة ، وكانت الأفيال قد انقطعت من مصر نحوا من أربعين سنة حتى نُسى بين الناس هيئته فصاروا يعجبون منه ، ثم بعد مدّة ١٨ حضر فيل آخر وقد أُشيع بين الناس وصوله عن قريب ، ومما وقع لابن المعتزّ فى تشبيه الفيل وأجاد بقوله :

كأنما الفيل الذى يبدو لعجبنا به   ليلٌ قد افترس النهار فبان فى أنيابه

٢١ وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن ثلاثة من المماليك قد خطفوا نسوة من طريق المقس كانوا مع مودنات كعادة النساء فى الأعراس ، فلما قبضوا عليهن خلصت منهنّ واحدة (٦٢ ب) وتوجّهوا بالبقيّة إلى اسطبلاتهم ، فلما بلغ الوالى

(١٠) معاملى : معاملين . (١١) خوفاً : خوفه . (٢٢) مودنات : كذا فى الأصل .

ذلك ركب وهجم على تلك المماليك وقبض عليهم أجمعين ، فلما عُرضوا على السلطان ضرب المماليك ضربا مبرحا حتى أن كادوا يهلكون ورسم بسجنهم فى المقشرة ، وكان عرضهم يوم الجامكيّة فرسم السلطان لكاتب المماليك أن يدفع ٣ جامكية المماليك إلى تلك النسوة فى نظير ما شوّشوا عليهن المماليك ، فدفعوا لكل امرأة ألفى درهم ، فعدّ ذلك من النوادر الغريبة . — وفى يوم الثلاثاء سلخه وقعت طبقة الحوش ، فقتل تحت الردم خمسة من المماليك وتعطّبوا آخرون منهم ، ٦ وكانت حادثة مهولة .

وفى جمادى الأولى فى ثانيه قرأ السلطان ختمة فى المقياس ، ومدّ هناك أسمطة حافلة ، وحضر القضاة وأعيان الناس ، وسبب ذلك أن البحر سلسل فى الزيادة ٩ وقد مضى من مسرى ستة عشر يوما ولم يف ، فلما توجّهوا القضاة إلى هناك زاد النيل تلك الليلة ثمانية أصابع ، ثم فى الليلة الثانية زاد خمسة عشر أصبعا ، واستمرّت الزيادة عمّالة حتى أوفى فى العشرين من مسرى ، وفتح السدّ فى الحادى ١٢ والعشرين من مسرى الموافق لثامن جمادى الأولى ، وقد تأخر الوفاء عن العام الماضى سبعة أيام ، فلما أوفى توجّه الأتابكى قرقماس وفتح السدّ على العادة ، وكان (٦٣ آ) يوما مشهودا ، وكان هذا آخر فتح الأتابكى قرقماس للسدّ وقد ١٥ مات فى أواخر هذه السنة كما يأتى الكلام على ذلك فى موضعه . — وفى يوم الأحد ثانى عشره توفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن قاضى القضاة صلاح الدين أحمد ابن محمد بن بركوت المكينى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما تولى مشيخة الخشابية ١٨ والشريفية ، ثم سعى فى قضاية القضاة بثلاثة آلاف دينار فأقام بها شهرين وأربعة عشر يوما وسعى عليه محيى الدين بن النقيب فعُزل ، فلما عُزل حصل له غاية القهر فاعتلّ ومات ، فكان بين عزله وموته شهران واثنا عشر يوما فمات قهرا ٢١ لا محالة ، وكان له من العمر نحوا من ستين سنة ،فجاءه القضاء الأكبر وفاته القضاء الأصغر ، كما قيل :

(١٠) القضاة إلى : إلى القضاة . (١٣) جمادى الأولى : جماد الأول .

حضبت عزمى شوقاً إليكم فلم أطقْ مُكثةً بأرْض
وجئت لم أحظَ بالتلاقى فخايتى أن ألُومَ حظّى

٣ وفى يوم الجمعة سابع عشره طلب السلطان قاضى القضاة كمال الدين الطويل وأخلع عليه وأعاده إلى قضاء الشافعية كما كان ، وعزل عنها محي الدين بن النقيب فكانت مدّته فى هذه الولاية شهرين وستة عشر يوما ، ونفذ منه مال له صورة على
٦ هذه المدّة اليسيرة ، فكان كما يقال :

لم أستتمَّ عناقَه لقدومه حتى (٦٣ ب) ابتدأتُ عناقَه لوداعه

ثم وكّل به السلطان وبعثه إلى بيت ناظر الخاصّ وقد بقى عليه ألف دينار
٩ من بقيّة ما سعى به فلم يتركها له السلطان ، فلم يرث له أحد من الناس فيما جرى عليه ، ولم ينطل على أحد منهم ، وقد تعصّبت الأمراء قاطبة لقاضى القضاة كمال الدين حتى أن بعض الأمراء لم يصلّ بالقلعة فى مدّة ولاية ابن النقيب ولم ينطل على أحد
١٢ منهم ، فلما كان يوم الجمعة المذكور طلب السلطان قاضى القضاة كمال الدين وهو بالميدان فأخلع عليه هناك ، وشق من القاهرة فى موكب حافل ، وزينت له الدكاكين بالشموع والأمتعة الفاخرة ولاقته المغانى والطبل والزمر وانطلقت له
١٥ النساء بالزغاريت من الطيقان ، واستمرّ فى هذا الموكب الحافل حتى وصل إلى الخانقاة البيبرسية ، فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم طلع وخطب بالسلطان خطبة بليغة فى معنى عوده إلى القضاء ، وقرأ فى المحراب « هذه بضاعتنا
١٨ رُدّت إلينا » ، فلما انقضى أمر الصلاة أخلع عليه ثانيا وأشيع أنه قرّر فى مشيخة الخشابية والشريفية عوضا عن بدر الدين المكينى ، وقد صار بيده مشيخة الخانقاة البيبرسية ومشيخة الخشابية والشريفية مع قضاية القضاة وهذا لم (٦٤ آ)
٢١ يتفق لغيره من القضاة ، بل وقع لابن حجر والقاياتى أنهما جمعا بين قضاية القضاة وبين مشيخة الخانقاة البيبرسية وهذا عزيز الوقوع جدّا ، وقيل إن قاضى القضاة

---

(١٠) ولم ينطل على أحد منهم : جاءت فى الأصل بعد « وقد تعصبت الأمراء » .

كمال الدين سعى فى قضاية القضاة ومشيخة الخشابية والشريفية بخمسة آلاف
دينار ، وكانت مشيخة الخانقاة البيبرسية بيده من قبل ذلك ، انتهى . — وفى يوم
السبت ثامن عشره رسم السلطان للزينى بركات بن موسى بأن يتسلم جماعة كانوا
فى الترسيم بسبب ما قرّر عليهم من المال فتراقدوا عن إيراد ذلك ، فرسم لابن
موسى بأن يتسلمهم ويعاقبهم على استخراج الأموال ، فتسلم بهاى الدين مباشر
قانصوه خمسمائة وكان له نحو من ست سنين وهو فى الترسيم ، وتسلم معين الدين
ابن شمس الذى كان وكيل السلطان ، وتسلّم علم الدين الذى كان يتحدّث فى الخزانة ،
ومحمد بن فخر الدين كاتب المماليك ، وقاضى حنفى من قضاة الشام ، فلما تسلّمهم
ابن موسى أقاموا عنده أياما ولم يردّوا شيئا من المال فشاور عليهم السلطان ، فرسم
للوالى بأن يتسلّم بهاى الدين وابن شمس وعلم الدين وقاضى الشام وشفع فى محمد بن
فخر الدين كاتب المماليك ، فلما تسلّمهم الوالى عاقب بهاى الدين وابن شمس
وعلم الدين أشدّ العقوبة وبعث بهم إلى المقشرة ، وكان من أمرهم ما سنذكره
فى موضعه . — وفى هذا (٦٤ ب) الشهر كثُرت مصادرات السلطان للمباشرين
حتى أنه صادر عرب اليسار الذين يسكنون تحت القلعة وقرّر عليهم مالا له
صورة ، وقال لهم : إنتوا عملتوا كيمان تراب تحت القلعة من عفشكم ما يشتال ولا
بعشرة آلاف دينار ، وجعل ذلك حجّة عليهم . — وفيه توفى تغرى بردى السيفى
يونس الدوادار ، وكان أمير آخور ثالث وأحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . —
وفيه جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن الفرنج قد ملكوا مدينة طرابلس الغرب ،
وهذه المدينة من أجلّ مداين الغرب وهى مدينة عاصية ولولا أن الفرنج تحايلوا
على أخذها لما قدروا على ذلك ، وقد أحاطوا بها برّا وبحرا فوقع بين الفريقين
واقعة عظيمة وقُتل من المسلمين نحو من أربعين ألف إنسان ، وكانت هذه الحادثة
من معظم الحوادث المهولة ، وقد جاؤوها الفرنج من البحر فى مائة مركب ، ومن
المراكب طلعوا إلى البرّ ووقع بينهما القتال حتى ملكوها ، فلما بلغ السلطان

(١٩) مداين : كذا فى الأصل ، ويعنى « [illegible] » .

ذلك تنكد إلى الغاية وكذلك الناس قاطبة . — وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أنفار من الفرنج دخلوا إلى مكة وهم
٣ فى زىّ الأروام ، فلما قبض عليهم وجدهم بغير ختان فتحقق أنهم فرنج وأنهم دواسيس من (٦٥ آ) عند بعض ملوك الفرنج ، فقبض عليهم ووضعهم فى الحديد وبعث بهم إلى السلطان . — وفيه جاءت الأخبار من عند نائب البيرة بأنه
٦ قبض على جماعة من عند إسمعيل الصوفى وعلى أيديهم كُتُب من عند الصوفى إلى بعض ملوك الفرنج بأن يكونوا معه عونة على سلطان مصر ، وأنهم يجوا إلى مصر من البحر ويجى هو من البرّ ، فقبض نائب البيرة عليهم وبعث بهم إلى
٩ السلطان . — وفيه جاءت الأخبار بأن صاحب تلمسان من بلاد الغرب قد انتصر على الفرنج الذين كانوا قد أخذوا مدينة طرابلس الغرب وطردوهم عنها ، وكانت النصرة للمسلمين عليهم ، فسرّ السلطان والناس قاطبة لهذا الخبر .

١٢ وفى جمادى الآخرة حضر الأمير طومان باى الدوادار ، وكان مسافراً إلى جهة الصعيد وصحبته خاير بيك كاشف الوجه الغربى أحد المقدّمين ، وكان طومان باى الدوادار له نحو من خمسة أشهر وهو مسافر فى الصعيد ، فلما طلع إلى القلعة
١٥ أخلع عليه السلطان وعلى الأمير خاير بيك ونزلا فى موكب حافل . — وفيه جاءت الأخبار بوفاة خليل بيك بن رمضان أمير التركمان ، وكان رئيساً حشما لا بأس به . — وفى يوم الأربعاء سادسه انتهى العمل من مكاحل سبكها السلطان ، فرسم
١٨ بنقلها إلى نحو تربة العادل التى (٦٥ ب) بالريدانية ، فسحبوها على العجل وكانوا نحوا من خمسة عشر مكحلة فقاسوا فى نقلها ما لا خير فيه ، وقتل فى ذلك اليوم شخص من العتالين يقال له المقدّم خطاب وتعطّب منهم جماعة آخرون من
٢١ النجّارين ، وكان يوما مهولا . — وفى يوم الأحد عاشره جاءت الأخبار من عند نائب طرابلس بأن الفرنج خرجوا على الأمير محمد بيك قريب السلطان الذى كان قد توجّه إلى الجون بسبب إحضار الأخشاب ، فخرجوا عليه طائفة من الفرنج

---

(٧) يجوا : كذا فى الأصل ، ويعنى « يجيئون » . وانظر أيضا « يجى » فى السطر التالى .
(١٢) جمادى الآخرة : جماد الآخر .

بالقرب من ساحل قلعة إياس ، فحارب معهم الأمير محمد بنفسه وقد فرّ عنه من كان معه من العسكر ، فقُتل ، وقُتل من كان معه من الجند ، وأخذوا ما كان معه من المراكب المشحونة بالسلاح وآلة الحروب وكانت نحوا من ثمانية عشر مركبا ، ٣
فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية وامتنع عن الأكل يومين ، وقد تزايد شرّ الفرنج فى هذه السنة وكثر تعبّثهم بالناس فى البحر الرومى والبحر الهندى والأمر إلى الله تعالى ، وقد ارتج الأمر على السلطان فى هذا الشهر من جهات ٦
عديدة واضطربت أحواله جدّا ، فكان كما يقال فى المعنى :

لا تَجزَعَنّ فبعد العُسرِ تيسير (٦٦ آ) وكلّ شىء له وقتٌ وتدبير
وللمهيمن فى أحوالنا نَظَرٌ وفوق تدبيرنا لله تدبير ٩

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره نزل السلطان إلى نحو تربة العادل التى بالريدانية وجرّبوا قدّامه تلك المكاحل التى سبكها كما تقدم ، فلما أطلقوا فيهم البارود تفرقعوا أجمعين وبقى نحاسهم طاير مع الهوى ولم تصحّ منهم واحدة ، وكانوا ١٢
نحوا من خمس عشرة مكحلة ، فتزايد نكد السلطان فى ذلك اليوم إلى الغاية ورجع إلى القلعة سريعا ؛ وكان عوّل على أن يمدّ هناك أسمطة للأمراء وينشرح فى ذلك اليوم فلم يتمّ ذلك . — وفيه أرسل السلطان بالقبض على الرهبان الذين بالقيامة ١٥
التى بالقدس ، وكذلك قبض على سائر الفرنج الذين بالإسكندرية ودمياط وغير ذلك من السواحل ، وهذا بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد وأخذوا مراكب السلطان . وفى يوم الاثنين ثامن عشره أخلع السلطان على جان بردى ١٨
الغزالى ، وأقرّه فى نيابة صفد على عادته وأضاف إليه نيابة الكرك أيضا ، فخرج إليها من يومه وتوجّه نحوها ، وأخلع على قانصوه روح لو أحد الأمراء المقدّمين ورسم له بأن يتوجّه (٦٦ ب) إلى قطيا ويقيم بها دائما خوفا ٢١
من الفرنج أن لا يهجمون على من بالطينة ، وجعل قانصوه روح لو باشا على العسكر الذى بالقلعة التى أنشأها السلطان بالطينة ، وأنعم عليه بخراج قطيا ما دام

(١٥) بالقيامة : بالقمامة . (٢٠) روح لو : رحلوا ، وكذلك فى سطر ٢٢ .

هناك وعيّن معه جماعة من المماليك السلطانية . — ومن العجائب أن قانصوه روح لُو الذى ولى نيابة قطية كان قبل ذلك نائب غزّة ، فلما تسلطن العادل قرّره
٣ فى نيابة حلب وأرسل إليها مُتسَلِّمَه فلم يتمّ له ذلك ، ثم بقى مقدّم ألف ، ثم آل أمره إلى أن بقى نائب قطية وهذه سفلى درجة إلى الغاية ، فعدّ ذلك من النوادر الغريبة ، انتهى . — وفيه أخلع السلطان على عمر من أولاد ابن عمر أمير عربان
٦ هوارة وأقرّه على عادته فى أمرة هوارة ، وأخلع على شخص من أولاد ابن رمضان وأقرّه أميرا للتركمان عوضا عن خليل بيك المقدّم ذكر وفاته ، وأخلع على الشيخ أبى بكر الجيوسى وقرّره فى مشيخة جبل نابلس . — وفيه قوى عزم السلطان على
٩ أن يتوجّه إلى ثغر الإسكندرية ليتفقّد الأبراج التى هناك خوفا من طروق الإفرنج لثغر الإسكندرية ، فنزل إلى الميدان وعرض مماليكه وفرّق عليهم عدّة خيول وبغال وسلاح من سيوف وزرديات وغير ذلك ، وأخذ فى أسباب عمل يرق ثقيل
١٢ وأشيع سفره بين الناس (٦٧ آ) حقيقا . — وفيه جاءت الأخبار بأن وقع بإسطنبول زلزلة مهولة حتى أرمت المآذن وأخربت عدّة أماكن وهلك بسببها من الناس ما لا يحصى ، وهذه كرسىّ مملكة ابن عثمان ، وكانت حادثة عظيمة . —
١٥ وفيه ثارت رياح عاصفة وأمطرت السماء مطرا غزيرا وقام الرعد والبرق ، وكان ذلك فى أواخر توت والنيل فى قوة الزيادة ، حتى عدّ ذلك من النوادر . — وفيه قام الأتابكى قرقماس على السلطان ومنعه من السفر إلى ثغر الإسكندرية وقبل
١٨ له الأرض عدة مرار ، وقال له أن الطرقات وحل من ماء النيل وسلوك البرّ صعب فى هذه الأيام ، وكان يقصد السفر من البرّ فبطل ذلك . — وفيه ثبت النيل المبارك على واحد وعشرين أصبعا من ثمانية عشر ذراعا وانهبط فى أواخر توت
٢١ ولم يثبت ، وكان نيلا شحيحا فشرّق غالب البلاد ولولا لطف الله تعالى لوقع غلاء عظيم ، وكان عند جماعة الأقباط عادة أن فى ليلة عيد ميكائيل صبحة نزول النقطة يزنون الطينة وعدّوها على ستة عشر قيراطا فمهما زادت عن القراريط

(١٣) المآذن : المواذن .

يكون بقدرها أذرع فى زيادة النيل ، فوزنوها فى هذه السنة وجاءت قريب عشرين
(٦٧ ب) قيراطا فتفاءلوا الناس بأن النيل يبلغ فى هذه السنة عشرين ذراعا فلم
يكن ذلك ، وهذه القاعدة قط ما أخرمت عند القبط سوى هذه السنة ، فعدّ ذلك ٣
من النوادر ، وكذلك البئر التى فى مَنْيَل أبى شعرة بنواحى البهنسا قيل أن فى ليلة
الخامس والعشرين من بشنس يطفّ ماء تلك البئر فى الليل ، فمهما تغطى من الدرج
التى فى تلك البئر يكون فألا للنيل . فطفّ ماؤها وغطى نحوا من عشرين درجة ٦
من درج البئر ، فتفاءلوا الناس بأن النيل يبلغ فى هذه السنة نحوا من عشرين ذراعا
فلم يكن ذلك وأخرمت هذه القاعدة أيضاً ، وقيل أن امرأة صالحة رأت فى المنام
أن ملكين نزلا من السماء وتوجّها إلى البحر فرفسه أحدهما برجله فانهبط سريعاً ، ٩
ثم قال أحدهما إلى الآخر : إنّ الله تعالى كان أمر النيل أن يزيد إلى عشرين ذراعا
فلما تزايد الظلم بمصر أذن له بالهبوط وهو فى ثمانية عشر ذراعا ، فلما انتبهت من
المنام انهبط النيل فى تلك الليلة دفعة واحدة ، انتهى ذلك . — وفيه توفى خاتم ١٢
الإبراهيمى أحد الأمراء الطبلخانات وكان مسرفا على نفسه ، مات قتيلا وقد
وقع من مكان عال وهو سكران (٦٨ آ) فمات لوقته . — وفيه رسم
السلطان بشنق شخص من العربان المفسدين يقال له عمر بن موسى النفعى من ١٥
عربان ثعلبة ، وكان من شجعان العرب . — وفيه نزل السلطان إلى عند قبّة
الهوى التى تحت القلعة وجرّبوا قدّامه مكاحـــل ، وأقام هناك إلى بعد العصر
ثم طلع إلى القلعة . ١٨

وفى رجب خرج الأتابكى قرقماس وتوجّه إلى ثغر الإسكندرية وصحبته
الأمير علان الدوادار الثانى ، وكان سبب ذلك أن السلطان لما قصد أن يسافر إلى
الإسكندرية ليكشف على الأبراج التى هناك ويصلح ما فسد منها فقال له الأتابكى ٢١
قرقماس أنا أسافر وأكشف عن ذلك عوضا عن السلطان ، فسافر بسبب ذلك . —
وفيه توفى بهاى الدين مباشر قانصوه خمسمائة ، مات وهو بالمقشرة وقاسى شدائد
ومحنا ، وأقام فى الترسيم نحوا من ست سنين ، وآخر الأمر سلّمه السلطان للوالى ٢٤

فعاقبه إلى أن مات . — وفيه توفى الصارمى إبراهيم بن الأمير برد بيك صهر
الملك الأشرف أينال ، وكان لا بأس به . — وفيه طلع إلى السلطان شخص من
٣ ابناء الناس يقال له يونس بن سودون الفقيه ، وكان ساكنا بالقرب من زقاق حلب
على بركة الفيل ، فأنشأ عنده جنينة وزرع فيها (٦٨ ب) شجرة جوز شامى
فنتجت وطلع فيها الجوز بعد ثلاثين سنة حتى طرحت ، فجمع من ذلك الجوز ستين
٦ جوزة وطلع بها إلى السلطان فابتهج بها ولم يصدّق بأن هذا الجوز يطرح بمصر ،
فكشف عن حقيقة ذلك حتى ظهر له مصداق ذلك ، فأنعم على يونس المذكور
بعشرة دنانير وبالغ فى إكرامه . — وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة رهبان
٩ القيامة التى بالقدس ، وكان السلطان أرسل خلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير
محمد بيك قريب السلطان ونهبوا ما فى المراكب التى جهزها السلطان صحبته ، فلما
وقفوا بين يدى السلطان وبّخهم بالكلام على لسان تغرى بردى الترجمان ، وقال
١٢ لهم : كاتبوا ملوك الفرنج بأن يردّوا ما أخذوه الفرنج من المراكب والسلاح وإن
لم يردّوا ذلك هدمت القيامة وأشنق الرهبان ، فتسلّمهم ناظر الخاصّ على ما يحرّر
من أمرهم ، وكانوا نحوا من عشرين راهبا ، وفى عقيب ذلك قبض نائب الإسكندرية
١٥ على جماعة من تجّار الفرنج الذين كانوا بثغر الإسكندرية وبعث بهم إلى السلطان ،
وكانوا نحوا من خمسين إنسانا . — وفيه توفى القاضى تقى الدين محمد بن بدر الدين
محمد الزجاجى أحد نوّاب الحنفية ، وكان فاضلا رئيسا (٦٩ آ) حشما ، وكان
١٨ لا بأس به . — وفيه أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت الأسواق وحصل
للناس وقوف حال بسبب ذلك وتعطلت الأسباب عن البيع والشراء ، واستمرّت
تمطر ثلاثة أيام متوالية حتى انخسف غالب القبور التى بالصحراء ، وكان ذلك
٢١ فى أوائل هاتور . — وفيه توفيت زوجة الأتابكى قانم التاجر ، وكانت جركسية ،
وكانت فى سعة من المال ، فاحتاط السلطان على موجودها قاطبة . — وفيه أخلع
السلطان على مهتاره محمد مهتار الطشتخاناه وأعاده على ما كان عليه ، وكان تغيّر

(٩ و ١٣) القيامة : القيامة . (١٩) والشراء : والشرى .

خاطره عليه وصادره كما تقدم ذكر ذلك ، فشفع فيه الأمير طومان باى الدوادار
وباس رِجْل السلطان بسبب ذلك حتى رضى عليه . وفيه عيّن السلطان الأمير
أقباى الطويل أمير آخور ثانى بأن يتوجه إلى القدس ويحتاط على مال الفرنج ٣
الذى فى القيامة ، فخرج وسافر من يومه . — وفيه حضر يونس العادلى وكان
السلطان أرسله إلى بلاد ابن عثمان ليشترى له أخشابا وحديدا وبارودا ، فلما بلغ
ابن عثمان ذلك ردّ المال الذى كان مع يونس العادلى وقال : أنا أجهّز من عندى ٦
زردخاناه للسلطان ، فحضرت فيما بعد . — وفيه أخلع السلطان على أقباى كاشف
الشرقية (٦٩ ب) وأعاده إلى كشف الشرقيه عوضا عن كرتباى الذى كان بها ،
وأخلع على يخشباى قرا أخي الوالى وقرّره فى شادية الشون عوضا عن تانى بيك ٩
الأبح بحكم صرفه عنها ، وأشرك معه فى الشادية شخصا من الأمراء العشرات يقال
له خُشقدم . — وفيه حضر الأتابكى قرقماس والأمير علان الدوادار الثانى وكانا
قد توجّها إلى ثغر الإسكندرية . بسبب الكشف على الأبراج التى هناك ، فأخلع ١٢
عليهما السلطان ونزلا من القلعة فى موكب حافل .

وفى شعبان قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك حادى عشر هاتور
القبطى . — وفى ليلة الجمعة ثانى عشره كان دخول الأمير أنصباى حاجب الحجّاب ١٥
على ابنة الأشرف قانصوه خمسمائة ، فكانت له زفّة حافلة مشى فيها الأتابكى
قرقماس وبقية الأمراء المقدّمين وهم بالشاش والقماش وبأيديهم الشموع الموقدة ،
وشقّ من الصليبة فى هذا الموكب الحافل حتى دخل إلى قاعة الفرح ببيت يشبك ١٨
الدوادار الذى بحدرة البقر . — وفى يوم الأربعاء تاسع عشره نزل السلطان
وتوجّه إلى نحو المطرية عند تربة العادل ، وكان المعلّم حسن بن الصيّاد المهندس خطّ
له بالجبس فى الأرض صفة مدينة (٧٠ آ) ثغر الإسكندرية وعدد أبراجها وأبوابها ٢١
وهيئة صورها والمنار التى كان بها وقدر عرضها وطولها ، فنزل السلطان بسبب
ذلك حتى تأملها وتفرّج عليها ثم عاد إلى القلعة من يومه . — وفى هذا الشهر

---

(٤) القيامة : القمامة . (١٦) الأتابكى : الأبكى .

كثرت الأمراض بالناس وحدث لهم السعال وذات صدر حتى صاروا يتساقطون
على بعضهم ، ولكن كان الغالب فيه السلامة . — وفيه توفى القاضى نور الدين على
٣ الدمياطى أحد نوّاب الحنفية ، وكان لا بأس به ، وقاسى شدائد ومحنا ، وصودر
وأخذ منه مال له صورة .

وفى رمضان فى يوم مستهلّه عرض الوزير الجمالى يوسف البدرى اللحم
٦ والخبز والسكر والدقيق والغنم ، فطلع بذلك وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ،
وكان السلطان فى الميدان فأخلع عليه وعلى الزينى بركات بن موسى ناظر الحسبة
الشريفة . — وفى يوم الأربعاء عاشره توفى القاضى إبراهيم بن البابا المعروف
٩ بالشرابيشى ناظر الذخيرة والمتحدّث على أوقاف الزماميّة ، وكان رئيساً حشما ليّن
الجانب ، ومات وهو فى عشر الثمانين وزيادة ، وكان لا بأس به ، فلما توفى أخلع
السلطان على ولده الشمسى شمس الدين محمد وقرره فى تلك الجهات كما كان
١٢ (٧٠ ب) والده . — وفى يوم الجمعة تاسع عشره توفى القاضى كمال الدين محمد بن
القاضى خير الدين الشنشى أحد نوّاب الحنفية ، وكان رئيساً حشما لا بأس به . —
وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشرينه كانت وفاة الأتابكى قرقماس من ولى الدين أتابيك
١٥ العساكر بالديار المصرية ، فرجّت لموته القاهرة وكانت جنازته مشهودة ومشى فيها
القضاة الأربعة وسائر الأمراء من كبير وصغير وكذلك أعيان المباشرين ومشاهير
الناس بحيث لم يتأخر منهم أحد ، وكانت جنازته حافلة وأخرجوا قدامه كفّارة
١٨ ما بين خبز وتمر وغنم ، فلما وصلوا به إلى مدرسة السلطان حسن نهبوا العوامّ
تلك الكفّارة عن آخرها ، ثم نثروا على نعشه الفضّة فى عدّة أماكن ، وكثر عليه
الحزن والبكاء من الناس فإنّه كان ليّن الجانب وعنده تواضع ، فلما وصل إلى
٢١ سبيل المؤمنى خرج السلطان من الميـــدان وهو راكب وأتى إلى سبيل المؤمنى
فنزل عن فرسه ودخل المصلاة ، فلما وضعوا نعشه بين يديه قبّلة وهو فى النعش
وبكى عليه بكاء كثيرا ، فلما صلّوا عليه حمل نعشه ومشى به خطوات حتى أخذوه
٢٤ منه الأمراء وتوجّهوا به وهم قدّامه مشاة إلى تربته التى أنشأها بالصحراء بجوار

تربة الأشرف أينال ، فدُفن بها داخل القبّة رحمة الله عليه ، وقد رثيته وهو قولى :

يا عين جُودى (٧١ آ) بفيض دمع وأكثرى فى البكا انتحابيكْ
على قُرقُماس قد رُزينـا واستوحشت مصر للأتابيك ٣

وكان الأتابكى قرقماس أميرا جليلا مبجّلا معظّما ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى وأعتقه فهو من معاتيقه ، وولى من الوظائف أمرة آخورية الثانية ثم بقى مقدّم ألف ثم بقى رأس نوبه النوب وقُرّر فى نيابة حلب فى دولة الأشرف ٦ جان بلاط ولم يتمّ ذلك ، ثم سُجّن بقلعة الشام لما توجّه مع الأمير طومان باى الدوادار فلما تسلطن هناك سجنه مع جملة من سجن من الأمراء بقلعة دمشق ، فلما تسلطن قانصوه الغورى أفرج عنه من سجن قلعة دمشق ، فلما حضر ٩ قرّره فى أمرة السلاح ثم بقى أتابيك العساكر بمصر عوضا عن قيت الرجبى لما نفى إلى ثغر الإسكندرية سنة عشر وتسعمائة ، فأقام فى الأتابكة ست سنين وشهرين إلاّ سبعة أيام ومات وهو فى عشر الستين وزيادة ، وكان مدّة توعكه أربعة ١٢ أيام ، وخلف أولاداً صغارا ما بين ذكور وإناث عدّتهم أربعة ، وظهر له من الموجود نحو من سبعين ألف دينار خارجا عن بركه ، وأعتق جميع من عنده من مماليك وعبيد (٧١ ب) وجوار ، فلمّا مات استمرّت الأتابكية بعده شاغرة لم يليها أحد ١٥ من الأمراء ، ورسم السلطان للزينى بركات بن موسى أن يتحدّث فى جهات الأتابكية إلى أن يليها من يختاره السلطان . — وفيه فى ثامن عشرينه كان ختم البخارىَ بالقلعة على العادة وحضر القضاة الأربعة ، ونصب السلطان خيمة كبيرة ١٨ بالحوش وحضر بين القضاة فى ذلك اليوم ، وأخلع على من له عادة من الفقهاء وفُرقت الصّرر ، وكان ختما حافلا . — وفى تاسع عشرينه عرض ناظر الخاصّ خلع العيد على السلطان ، وطلع بها إلى القلعة وهى مزفوفة على رؤوس الحمّالين . — ٢١ وفى ليالى العيد اشتدّ البرد وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى أوحلت منه الأسواق ، وجاءت الأخبار من الشرقية والمنوفية بأن قد وقع فى تلك الأيام بَرَدٌ كل

---

(٨) سجن : سجن بلغ .

واحدة قدر أحد عشر رطلا فقتلت عدّة بهائم وتعطّب منها أولاد الفلاّحين ، وأفسدت بعض الزروع ، وكانت حادثة مهولة .

٣ وفى شوال فى يوم سابعه حضر الأمير أقباى الطويل أمير آخور ثانى الذى كان قد توجّه إلى القدس بسبب القيامة ، وأشيع بين الناس أنه احتاط على ما فى القيامة من مال الفرنج ، وربّ (٧٢ آ) ما يحصل من هذه الحادثة مفسدة

٦ كبيرة [من] قبل الفرنج . — وفى يوم الخميس تاسعه حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفى خاير بيك من ملباى نائب حلب ، وقد حضر ليرى وجه السلطان ويزوره ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان مُتمَّر وفوقه فوقانى بطُرز

٩ يلبغاوى عريض مثل خلعة الأتابكية ، ونزل من القلعة فى موكب حافل وتوجّه إلى بيت الأمير قرقماس الجلب الذى بالتبانة فنزل به ، وقد عظّمه السلطان إلى الغاية وأوكب بالقصر ولبس الأمراء الشاش والقماش بسببه . — وفى يوم السبت

١٢ ثامن عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمّل زائد ، وكان أمير ركب المحمل قانصوه بن سلطان جركس ، وبالركب الأول نوروز تاجر المماليك أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان لهما بالقاهرة يوم مشهود . — وفيه تغيّر خاطر السلطان

١٥ على جماعة من الزردكاشية فقبض على شخص يسمّى أحمد بن قراكز وعلى شخص يسمى محمود الأعور ، وغيّب عبد الكريم بن اللاذقى مستوفى الزردخاناه ، ورسّم على عبد الباسط بن تقى الدين الناظر ، فسلّمهم السلطان إلى الأمير مغلباى

١٨ الشريفى الزردكاش ، ووضع أحمد بن قراكز فى الحديد ثم ضربه فيما بعد هو وابنه ، وقد (٧٢ ب) قرّر عليهم السلطان عشرة آلاف دينار ، وكان أحمد بن قراكز هذا سبباً لمصادرة مغلباى الزردكاش وعبد الباسط الناظر وغرموا مالا

٢١ له صورة وقد تقدم ذكر ذلك ، وكان أحمد بن قراكز ما أبقى ممكنا فى مرافعة مغلباى الزردكاش وعبد الباسط الناظر ومباشرى الزردخاناه ويحيى بن يونس أحد الزردكاشية ، وكان حظى عند السلطان بسبب المرافعة وداخله فى أمور شتّى ،

(٤و٥) القيامة : القمامة . (١٨) ووضع : ووضعه .

فما عن قريب حتى تغيّر خاطر السلطان عليه ورافعوه جماعة وأثخنوا جراحاته
عند السلطان ، فغضب عليه وسلّمه إلى الأمير مغلباى الزردكاش فظفر به واشتفى
منه ، فكان كما يقال فى المعنى : ٣

قل للعَذول يَرْعوى وينتهى عن عَتَبِهْ
ولا يكون فى الهوى يَشمت بى أشمتُ بهْ

وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصا من المماليك السلطانية يقال له ٦
شاهين ، وهو فى سنّ الشيخوخة ، قصد الحجّ فى هذه السنة ، فخرج هو وزوجته
إلى بركة الحاجّ ، ثم عرض له حاجة فى بيته فرجع تحت الليل ، فخرج عليه جماعة
من العربان فقتلوه عند سبيل علان ، فحملوه وأتوا به إلى داره حتى غسلوه ٩
وكفنوه ودفنوه ، فرجعت زوجته من بركة الحاجّ ولم يقسم لها الحج فى هذه
السنة ، حتى عدّ ذلك من النوادر . — (٧٣ آ) وفيه طلعت إلى السلطان تقدمة
حافلة من عند نائب حلب وهى أطباق فيها ذهب عين ومماليك جراكسة نحوا من ثلاثة ١٢
وأربعين مملوكا ، ومن الخيول خمسين فرسا منهم فرس بسرج بلور وكنبوش ذهب
وأنعاله من الذهب قيل أن مشتراه ألف دينار ، وعدّة حمّالين عليها زرديات
وصوف وصمّور ووشق وسنجاب وغير ذلك من الأصناف الفاخرة . — وفيه ١٥
نفق السلطان الجامكية على العسكر ، وجعل للمماليك الذين استجدّهم طبقة جامكية
خامسة فى أواخر الجوامك تصرف لهم على انفرادهم . — وفيه غيّب المعلّم على
الصُغَيّر ، وكان السلطان قرّر عليه مالا لم يقدر عليه فهرب ، وقُرّر عوضه المعلّم ١٨
خضر ، وقد تعطّل اللحم فى هذه الأيام إلى الغاية . — وفيه توعّك جسد السلطان
وأفصد واحتجب عن الناس ولم يخرج إلى صلاة الجمعة ، فكثر القيل والقال
بسبب ذلك ، واستمرّ منحجبا أيّاما فطلع إليه الخليفة المتوكل على الله وعاده ، ثم ٢١
طلع إليه القضاة الأربعة وعادوه ، ثم بعد أيّام شفى وخرج إلى صلاة الجمعة وهو

---

(٢٠) القيل : القليل .

راكب ، فخطب قاضي القضاة الشافعي خطبة بليغة مختصرة ، ثم انقضى أمر الصلاة وعاد السلطان إلى القبّة (٧٣ ب) التي أنشأها الأشرف جان بلاط بجوار الدُهيشة ٣ فأقام بها . — وفيه توفى قاضي قضاة غزّة شمس الدين محمد بن النحّاس الشافعي ، وكان من خواصّ السلطان ، وكان لطيف الذات عشير الناس رئيسا حشما ، وكان لا بأس به . — وفيه وصلت عدّة مراكب من عند ابن عثمان ملك الروم فيها ٦ زرد خاناه للسلطان ، فوصلت إلى بولاق عند الرصيف وشرعوا يحوّلون ما فيها إلى القلعة ، فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدّة ثلاثمائة ، ونُشّاب ثلاثين ألف سهم ،وبارود مطيّب أربعون قنطارا ، ومقاذيف خشب العدّة ألفى مقذاف ، وغير ٩ ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب ، فشكره السلطان على ذلك ، وكان السلطان أرسل مالا على يد يونس العادلى إلى بلاد ابن عثمان ليشترى له بها أخشابا ونحاسا وحديدا ، فلما بلغ ابن عثمان ١٢ ذلك ردّ عليه المال وجهّز ما ذكرناه من عنده تقدمة للسلطان .

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن صاحب تلمسان تحارب مع الفرنج وقتل منهم نحوا من عشرين ألف إنسان ، واستخلص منهم ما كان قد ١٥ استولوا عليه من جهات الأندلس وغيرها ، فسُرّوا الناس قاطبة (٧٤ آ) لهذا الخبر . — وفيه فى يوم الاثنين حادى عشره نزل السلطان إلى الميدان وعزم على خايربيك نائب حلب واجتمعوا الأمراء المقدّمون ، وساقوا قدّامهم فى ذلك اليوم ١٨ الرمّاحة وهم لابسون الأحمر وآلة السلاح كما يفعلون فى أيام دوران المحمل ، وكان معلّم الرماحة الأمير تمر الحسنى أحد المقدّمين المعروف بالزردكاش ومعه أربعة باشات ، فساقوا أحسن سوق ونزلوا عن خيولهم وباسوا الأرض للسلطان على ٢١ جارى العادة ، فأخلع على المعلّم وأركبه فرس بسرج ذهب وكنبوش ، وأخلع على الأربعة باشات ، ثم أخلع فى ذلك اليوم على الأمراء المقدّمين كوامل الشتاء ، ثم

---

(١٥) الأندلس : الأندليس .

تحوّل ودخل إلى البحرة التى بالميدان ومدّ إلى نائب حلب هناك أسمطة حافلة . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان بشنق ثلاث جوار وغلام قد قتلوا سيّدتهم ، وهى أم كسباى الذى كان دوادارا ثانيا وقتل فى معركة قانصوه خمسمائة كما تقدم ذكر ذلك ، فشُنقوا على باب سيّدتهم فى مكان قتلوها فيه . — وفيه نزل السلطان من القلعة وصحبته الأمراء المقدّمون قاطبة وعليهم كوامل الشتاء التى ألبسها لهم السلطان ، وصحبته أيضاً أعيان المباشرين ، فشقّ من الصليبة وتوجّه من على قناطر السباع (٧٤ ب) إلى الجزيرة الوسطى ، ثم أتى إلى بولاق ومرّ من على الرصيف ووقف عند مدرسة ابن الزمن وزار سيّدى سُوَيْدان الذى هناك مقيما بالمدرسة ، ثم عرّج من على جزيرة الفيل وأتى إلى شبرا ، واستمرّ على ذلك حتى وصل إلى قناطر أبى المنجا حتى كشف على الأخشاب التى أرسلها ابن عثمان وكانت هناك فى حاصل ، ثم رجع من على المنية وطلع من على قنطرة الحاجب ودخل من باب الشعرية ، فزيّنوا له الخشابين وارتفعت له الأصوات بالدعاء وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، ثم خرج من باب القنطرة وعرّج من بين الصورين وطلع من باب الخرق وشقّ من سوق تحت الربع ، ثم طلع من على البُسطين واستمرّ على ذلك حتى طلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود ، ومن حين سلطنته إلى ذلك اليوم لم يقع له موكب مثل ذلك . — وفى هذه السنة تعطّبت سائر الفواكه ، حتى البطيخ والثوم والبصل وغير ذلك من الفواكه والخُضَر ، حتى الرياحين والأزهار والغلال وكانت غالب الأراضى مُجدبة . — وفيه قبض السلطان على شرف الدين الصُغيّر كاتب المماليك وعلى شرف الدين النابلسى الأستادار ، وقرّر (٧٥ آ) عليهما مالا له صورة ووضعهما فى الحديد وسجنهما بالعرقانة ، واستمرّوا على ذلك حتى يكون من أمرهما ما يكون . — وفى يوم السبت سادس عشره حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة للسلطان ، فلما ناولها له قبّلها السلطان ووضعها على عينيه ، ثم ناولها إلى كاتب السرّ فقرأها بحضرة السلطان والأمراء ،

(١٦ — ١٨) وفى هذه السنة ... الأراضى مجدبة : جاءت بعد قوله « وكانت هناك » فى سطر ١٠ .

وكان ألفاظ هذه المكاتبة مرجّزة ، صنعة البديع ، وقد نعت فيها السلطان نعتا عظيما ،
وكان من مضمونها أنه أرسل للسلطان عدّة مراكب فيها زردخاناه فما يدرى هل
٣ وصلت إلى السلطان أم لا ، وأخبر فيها أن الرئيس كمال المجاهد قد غرق ولا
يُعلم له خبر ، فأقام القاصد بمصر أياما قلائل وكتب له الجواب عن مكاتبته
وأذن له بالسفر إلى بلاده . — وفى هذا الشهر أنعم السلطان على الأمير خاير بيك
٦ الخازندار بتقدمة ألف ، وصار من جملة الأمراء المقــدّمين . — وفيه توفى
شمس الدين محمد الصالحى وكيل الشرع الشريف ، وكان علامة فى صنعة التوكيل
عارفا بأمور الشرع ، وكان لا بأس به . — ومن النوادر اللطيفة ما وقع فى هذا
٩ الشهر وهو أن السلطان رسم بشيل الدكّة التى (٧٥ ب) كانت بالحوش يجلس
فوقها السلاطين للمحاكمات ، وقد جلس فوق هذه الدكّة جماعة كثيرة من
الملوك ونفّذوا عليها الأحكام السلطانيّة وكانت عوضا عن كرسى المملكة ، فعزّ
١٢ على الناس تغييرها ولم يتفاءلوا بذلك ، ثم إنه بنى مكان هذه الدكّة مصطبة
بالحجر الفصّ وزخرفها بالرخام السماقى والزرزورى والمرسينى وغير ذلك من
أصناف الرخام الملوّن الفاخر ، ونقش بروزها وألبسها بالذهب وجعل لها إفريزا
١٥ من الرخام الأبيض وله رمانتان رخام أبيض ، وكسى هذا الإفريز بالذهب ونقش
عليه اسمه ، وصنع فوق هذه المصطبة وزرة من الرخام الملوّن طولها أربعة أذرع ،
فجاءت هذه المصطبة غاية فى الحسن بحيث لم يُعمل مثلها قط ولا سبقه أحد من
١٨ الملوك إلى ذلك ، وقد قلت فى هذه الواقعة هذه الأبيات وهو قولى :

قد جدّد الأشرفُ سلطاننا ... مصطبة أوصافُها تحكه
رخامُها شبّهت ألوانه ... جواهر فى عقد مشتبكه
٢١ ألبسها الحُسْن لباس البها ... حتى غدت تزهو على الدكّه
يجلس للموكب من فوقها ... يُظهر فى أحكامه فتكه
فاق ملوكَ الترك فيما مضى ... ولم يضاه ملكهم (٧٦ آ) مُلكه

---

(١٤) وجعل لها : وجعلها .

بخدمة البيت وما حـــوله وفارس البيداء فى العركه
قد خصّه الرحمن بالمُلك فى مصرٍ ومن عاداه فى هلكه
أيّده الله بطول البقـــا ما طافت الحجّاج فى مكّه ٣

وقولى أيضا :

بنى الأشرف الغورى فى الحوش بَسْطة ليُغنِى بها عن دكّة الحُـكم بالأمس
فجاءت من الآيات كرسىّ مُلكه وطَلْعَتُه فاقت على البدر والشمس ٦
فحصّنته لـــا استوى بجلوسه عليها بربّ الناس مع آية الكرسى

انتهى ذلك . — وفيه جاء إلى السلطان شخص شريف وأخبره أنه وجد معدن البارود فى بلد خراب بالقرب من الكرك ، وترابها كلّه من ذلك البارود ، فطبخوه ٩ فوجدوه بارودا جيّدا ، ففرح السلطان بذلك وأنعم على ذلك الرجل الذى أحضره بعشرة دنانير وأرسل يحضر منه أشياء كثيرة ، وقبل ذلك بمدّة ظهر معدن الرخام السماقى والزرزورى فى جبل بالقرب من البدرشين ، فأرسل السلطان وقطع ١٢ منه فوجده رخاما جيّدا ففرح بذلك وعُدّ من النوادر . — ومن الوقائع أن الأمير أركماس الذى كان نائب الشام طلع إلى السلطان بقطعة فولاذ هيئة الكرة وزعم أنها صاعقة نزلت ببعض الجبال وأن أعرابيا أهداها إليه ، ففرح السلطان ١٥ بذلك (٧٦ ب) وجمع السبّاكين فقالوا إنها صاعقة لا محالة ، فنظر إليها بعض الزردكاشية فأنكر ذلك وقال : هذه حجر مرقشيتة وهو حجر صلب ، فلما سمع السلطان ذلك شقّ عليه ونزل إلى الميدان وجمع السبّاكين وحضر الأمير أركماس ، ١٨ ووضعوا ذلك الحجر الذى [على] هيئة الفولاذ فى النار ، فمجرّد ما وضعوه فى النار صار مثل الخرنفش وتفتّت ، فخجل الأمير أركماس من ذلك وانتصف عليه ذلك الزردكاش ، وهو الجمالى يوسف أخو مؤلّفه ، وعدّ ذلك من النوادر . ومما حكى ٢١ عن أمر الصاعقة الحقيقة أن سنة ست وتسعين وثلاثمائة وقعت صاعقة عظيمة بجُرْجَان ، فرجّت لها الأرض وسقطت من هولها الحوامل ، فخرج الناس إلى

مكان سقطت فيه فوجدوها قد ساخت فى الأرض على قدر قامة ، فنبشوا عليها
فوجدوها قد بقيت قطعة حديد قدر مائة وخمسين منا ، وهى أجزاء جاروشيّة صغار
٣ مستديرة قد التصق بعضها ببعض ، فسمع بذلك السلطان محمود بن سبكتكين صاحب
خراسان ، وهو أول من تلقّب بالسلطان ، فكتب إلى عامل جُرجان بنقل هذه
القطعة الحديد فتعذّر عليهم نقلها ، فحاولوا كسر قطعة منها (٧٧ آ) فلم تعمل فيها
٦ الآلات ، فعولج كسر قطعة منها بعد جهد كبير فحُملت إليه ، فرام أن يصنع
منها سيفا له فتعذّر عليه ذلك ولم يتمّ له ما أراد ، انتهى ذلك : — وفى يوم السبت
ثالث عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعرضوا عليه قناصلة الفرنج ، منهم القنصل
٩ الذى بثغر الإسكندريّة ، والقنصل الذى بدمشق ، والقنصل الذى بطرابلس ،
فلما وقفوا بين يديه وبّخهم بالكلام ووعدهم بالشنق ، وسبب ذلك أن نائب البيرة
[قبض] على دواسيس من عند إسمعيل الصوفى وعلى أيديهم مكاتبات إلى القناصل
١٢ بأن يكاتبوا ملوك الفرنج بأن يأتوا فى مراكب من البحر ، وأن يزحف هو ومن
معه من العساكر من البرّ على سلطان مصر وعلى ابن عثمان ملك الروم ، فانكشف
رخهم وافتضحوا فى هذه الواقعة ، فرسم السلطان بتسليمهم إلى ناظر الخاصّ
١٥ ليقرّرهم عن حقيقة ذلك وإن لم يقرّوا يسلّمهم إلى الوالى ، فانفضّوا على
ذلك . — وفى ذلك اليوم عرض السلطان الدنوشرى مباشر الأتابكى قرقماس
وقد غمز عليه بأن عنده مالا لأمير كبير ، فلما عرضه لم يقرّ بشىء فرسم بتسليمه
١٨ إلى نقيب الجيش فقبض عليه وعلى الخازندار أيضا ، واستمرّوا فى الترسيم
لما تقتضيه الآراء الشريفة (٧٧ ب) فى أمرهما . — وفى ذلك اليوم توفيت خوند
جان كلدى زوجة الملك الظاهر قانصوه المسجون بثغر الإسكندرية ، فأخرجت
٢١ وعلى نعشها بشخانة زركش ، وكانت ذات عقل ودين لا بأس بها ، ولكن قاست

---

(١٥) ليقرّرهم : ليقدرهم . (٢٠ – ٢١) فأخرجت ... زركش : جاءت بعد « وعصرت »
فى ص ٢٠٦ س ١ .

شدائد ومحنا ، وعُصرت فى أكعابها وأكتافها حتى أشرفت على الموت ، وسبب
ذلك أن زوجها الظاهر قانصوه لما وثبوا عليه وانكسر نزل من القلعة واختفى أيّاما
فلم تقرّ بمكانه ، فعوقبت بسبب ذلك . — وفى أواخر هذا الشهر نفق السلطان ٣
الجامكية الخامسة التى استجدّها بسبب المماليك الذين استجدّهم ما بين تراكمة
وأعجام وأولاد ناس وغير ذلك من الطوائف ، فجعل لهم جامكية خامسة تصرف
لهم على انفرادهم دون جوامك العسكر ، وقد تزايد أمر هذه المماليك الأراذل ٦
الذين صار يستكثر منهم فى الديوان ، ففيهم من لا يعرف يجذب القوس ولا يمسك
الرمح ، وهـــذا أمر عجيب ، يشُحّ فيمن يستحقّ الجامكية ، ويعطيها لغير
مستحقّيها ، كما قيل : ٩

إنى أشـــحُّ بدرهم متصدّقا وأجود فى قدَحٍ بما ملكت يدى

وفيه وصل إلى السلطان فيل صغير غير ذلك الفيل المقدم خبره لما وصل . —
وفيه توفى تانى بيك النجمى المعروف بالأبح الذى كان شاد الشون (٧٨ آ) ١٢
وصُرف عنها ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وكان لا بأس به . — وفى عقيب
ذلك توفى أيضا شخص من الأمراء العشرات يسمّى تمراز الشهابى .

وفى ذى الحجّة كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فعمل السلطان الموكب ١٥
بالشاش والقماش وجلس على المصطبة التى أنشأها بالحوش مكان الدكّة ، وقد تقدم
ذكر ذلك ، وكان سبب هذا الموكب أن السلطان أخلع على خاير بيك نائب حلب
وأذن له بالسفر إلى محلّ ولايته بحلب على عادته ، وأخلع فى ذلك اليوم على الأمير ١٨
طومان باى الدوادار وخرج إلى السفر نحو الشرقية والغربية ، وقد غيّب لأجل
أمر الأضحية ولعله يغيب فى هذه السفرة نحوا من شهرين . — وفى ذلك اليوم طلع
الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان موكبا حافلا ، ولا سيّما كان أول ٢١
جلوس السلطان على هذه المصطبة فكان لها موقع عظيم . — وفيه أمطرت
السماء مطرا غزيرا حتى أوحلت منه الأسواق والشوارع ، وكان ذلك ليلة الأحد
ثانيه ، ولم يقع فى هذه السنة من الأمطار أعظم من هذه المطرة . — وفيه عيّن ٢٤

السلطان شادية الشراب خاناه إلى ولده الصغير ، عوضاً عن أخيه المقدم ذكر وفاته . — وفيه فى يوم الثلاثاء رابعه فرّق السـلطان (٧٨ ب) الأضحية على العسكر ومن له عادة . وفيه كانت الأضحية غالية ومشحوتة بسبب تشويش المماليك على المتسبّبين ، وقد صاروا يخرجون إلى المطرّية ويقطعون الطريق على ضيافات الأمراء حتى صارت الأمراء يرسلون مماليكهم يلاقون ضيافاتهم ، وقد خرجوا المماليك عن الحدّ فى الأذى للناس فى هذه السنة إلى الغاية ، وحصل منهم غاية الضرر والفساد فى حقّ الناس ، والأمر لله . — وفيه فى يوم الجمعة سابعه وقعت زلزلة خفيفة بعد العصر وارتجّت منها الأرض ، ولم يشعر بها من الناس إلا القليل . — وفيه كان موكب العيد حافلا ، وجلس السلطان بالحوش على المصطبة التى أنشأها وضحّى بالإيوان الكبير على العادة . — وفيه فى يوم عيد النحر وقعت حادثة مهولة ، وهو أن شخصاً من أبناء الأتراك صغير السنّ دخل إلى اسـطبل أبيه فرفسه بغل على قلبه فمات فى ذلك اليوم ، فحصل على أهله من الأنكاد ما لا خير فيه بسبب فقد ولدهم ولا سيما فى يوم العيد . — وفيه أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له أزدمر ، وهو أخىّ الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير ، وقرّره فى نيابة عينتاب . — وفيه جلس السلطان على المصطبة التى أنشأها (٧٩ آ) مكان الدكّة ونفق الجامكية على العسكر ، فقام له الأمراء المقدمون وقبّلوا له الأرض وهنّوه بجلوسه على تلك المصطبة حيث كملت ، ومن العسكر من لم ينطل عليه ذلك وقال : الدكّة كانت أعظم حرمة من هذه المصطبة . — وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن الصوفى قد انتصر على أزبيك خان ملك التتر وقتله وقطع رأسه ، فتنكّد السلطان لهـذا الخبر وأقاموا عنده الأمراء إلى قريب الظهر وهم فى ضرب مشورة بسبب ذلك ، وكان أزبك خان ضدّ الصوفى وكان مشغولا بمحاربته عن ابن عثمان وسلطان مصر ، فلما أشيع قتل أزبك خان خشى السلطان من أمر الصوفى أن لا يزحف على البلاد .

---

(٣) تشويش : تشوش . (١١) فرفسه : فرسه .

وفى أواخر هذه السنة توفى الشيخ أبو النجا القمنى ، وكان شاعراً لطيف الذات عشير الناس ، وقد ناف عن السبعين . — وفيه ترفى رضىّ الدين حسن بن عبد القادر بن حسين المقرئ ، وكان لا بأس به . — وفى عقيب موت رضىّ الدين ٣ توفى أيضاً الناصرى محمد بن عبد العزيز المقرئ ، وكان علاّمة فى فن القراءات حسن الصوت عارفاً بطريقة القراءات ، وكان لا بأس به . — وفيه نادى السلطان بأن لا يمشى أحد من الناس من بعــد العشاء فى الطرقات ومن وجدوه يمشى ٦ ومعه (٧٩ ب) سلاح يُشنق من غير معاودة ، فسكن الأمر قليلا وكان قد فسدت الأحوال فى تلك الأيام إلى الغاية . — انتهى ما أوردناه من أخبار سنة ست عشرة وتسعمائة ، وقد خرجت هذه السنة عن الناس على خير وسلامة . ٩

ثم دخلت سنة سبع عشرة وتسعمائة

فيها فى المحرم كان مستهلّ الشهر بالأحد : — ففيه فى يوم الجمعة سادسه كانت وفاة الأمير طرا باى الشريفى رأس نوبة النوب وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ١٢ فهو من معاتيقه ، وولى من الوظائف الســنية الدوادارية الثانية ، ثم بقى رأس نوبة النوب فى دولة الأشرف جان بلاط عوضا عن قرقماس من ولىّ الدين الذى ولى الأتابكية فيما بعد ، وكانت وفاة الأمير طرا باى فى ليلة الجمعة ودُفن صبيحة يوم ١٥ الجمعة ، وكانت جنازته مشهودة ، ونزل السلطان وصلّى عليه فى سبيل المؤمنى ، وأخرجت قدّامه كفّارة و نُهبت من على بابه ، ودقّت عليه زوجته بالطارات فى العزاء ، وكانت مدّة انقطاعه بهذا العارض نحو شهر ، وقد اعتراه ورم فى رجله ١٨ وركبته ، وكان له بمصر حرمة وافرة وكلمة نافذة وسطوة زائدة لم تقع لأحد من الأمراء فى عصرنا غــيره ، (٨٠ آ) فرجّت لموته القاهرة وفرح بذلك غالب الناس ، فإنه كان صارما عسوفا شديد البأس زائد القسوة ، وقع منه أشياء ٢١

---

(٨) أوردناه : أمرناه . (١٨–١٩) شهر . . . وركبته : جاءت قبل كلمة « فرجت » فى سطر ٢٠ .

كثيرة من أنواع المظالم بالديار المصرية لم تقع من غيره من الأمراء فيما تقدم ،
وحصل منه الضرر الشامل لجماعة كثيرة من الناس من مصادرات وأخذ بيوت
٣ ورزق وحلّ أوقاف وغير ذلك من مفاسده ، وقد قلت فيه هذه الأبيات :

بموت طُراباىْ أفرجَ الله كربةً ... عن الناس من خلق السموات والأرض
فهذا فتوحٌ عاد فى مصر ثانيا ... وعَمَّتْ به الأقطار فى الطول والعرض
٦ وقد كان جبّاراً عنيداً معاندا ... فكم جار فى الأحكام بالبرْم والنقض
ويُبطل حقّ الناس من كلّ واجب ... ويقضى خلاف الشرع فى النَدْب والفرض
ولما طغى ظلماً وزاد تجبّراً ... فعجّل عزرائيل للروح بالقبض
٩ وأسكنه ضيق اللحود معذّبًا ... وأخلى المنازل منه فى طرفة الغمض
وقد جاء يسعى للجحيم برجله ... وأجزم بعد الرفع بالنصب والخفض
ومذ شاع بين الناس أخبار موته ... فصار يُهنّى بعض من سُرّ للبعض
١٢ فيا ربّ قابله بما يستحقّه ... وأودِعْهُ فى الأغلال للبحث والعرض

(٨٠ ب) وكان الأمير طُراباى من مبتدأ أمره وهو فى عزّ وشهامة لم يُنْكب
ولم يُنفَ قط ، واستمرّ فى سعده إلى أن مات ، ومات وهو فى عشر السبعين ، فلما كان
١٥ يوم السبت صبيحة موته عُرِض على السلطان مماليكه فوزّعهم فى الطباق ، وأشيع
بين الناس بأن ظهر له من الموجود ما لا ينحصر من أموال وخيول وجمال
وسلاح وبرك وغير ذلك ، فكان موجوده أعظم من موجود الأتابكى قُرقماس
١٨ بأشياء كثيرة ، وكان بين موت الأتابكى قُرقماس وبين موت الأمير طُراباى ثلاثة
أشهر واثنى عشر يوما ، حتى عُدّ ذلك من جملة سعد السلطان قانصوه الغورى
الذى ورث هذين الأميرين فى هذه المدّة اليسيرة واحتاط على موجودهما من
٢١ صامت وناطق . — وفى يوم الاثنين تاسعه حضر الطواشى بشير الذى كان توجّه
إلى بلاد اليمن قاصدا إلى بعض ملوكها ، فلما حضر أخلع عليه السلطان خلعة
سنيّة ونزل إلى داره ، ثم بعد أيام أهدى إلى السلطان هدية حافلة . — وفى يوم

الأربعاء حادى عشره قبض السلطان على تغرى بردى الترجمان ووضعه فى الحديد
ووكّل به ، وأرسل ختم على بيته واحتاط على موجوده ورسّم على عياله ، وسبب
ذلك قد بلغ (٨١ آ) السلطان أن تغرى بردى كاتب ملوك الفرنج بأحوال ٣
مملكة مصر ، وأن السلطان ليس له همة إلى إرسال تجريدة ، وأن السواحل خالية
ليس بها مانع ، [وقد] أحضروا إلى السلطان مكاتبات بخط تغرى بردى بمعنى ذلك ،
فأحضر السلطان تغرى بردى وأوقفه على تلك المطالعات فأنكر ذلك ، فغضب عليه ٦
وشكّه فى الحديد ووكّل به وأُحضر خيوله وقماشه ، واستمرّ فى الترسيم إلى الآن . —
وفى يوم الاثنين سادس عشره أخلع السلطان على شخص من الخاصكية يسمّى
طومان باى ، وهو خازندار كيس ، ورسم له بأن يتوجّه إلى الشام ليصلح بين سيباى ٩
نائب الشام وبين جان بردى الغزالى نائب صفد ، وكان قد بلغ السلطان بأن
قد حصل بينهما تشاجر مفرط حتى خرجا فيه عن الحدّ ، فرسم السلطان لطومان باى
بأن يتوجّه ويُصلح بينهما ، ورسم له بخمسة آلاف دينار تسفيرا عليهما . — وفى ١٢
يوم الثلاثاء سابع عشره توفيت الستّ زينب ابنة أمير المؤمنين المتوكل على الله
أبى العزّ عبد العزيز ، وهى أخت أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب وعمّة ولَده
المتوكل على الله محمد خليفة الوقت الآن ، وكانت (٨١ ب) لا بأس بها — وفى ١٥
يوم الاثنين ثالث عشرينه حضر الأمير طومان باى الدوادار الكبير ، وكان مسافرا
نحو الشرقية والغربية فأهلك الحرث والنسل وأفرد على سائر البلاد التى بالشرقية
والغربية الأموال الجزيلة ، حتى أفرد على بلاد الأوقاف التى على الجوامع والمدارس ، ١٨
فضجّ من ذلك المقطعين ، وما حصل على الناس بنزوله إلى البلاد خيرا . — وفى
يوم الخميس سادس عشرينه دخل الحاجّ إلى القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل
قانصوه بن سلطان جركس ، وبالركب الأول نوروز تاجر المماليك ، وقد قاست ٢١
الحجّاج فى هذه السنة مشقّة زائدة من الوخم وموت الجمال ، وقد ضُبط من مات

(٥) أحضروا : حضروا

من الحجّاج فى هذه السنة فكان جملة ذلك ألف وثمانمائة إنسان ، وكانت سنة شديدة صعبة على الحجّاج والذين سلموا ردّوا ضعاف ، حتى قانصوه أمير ركب المحمل ردّ وهو عليل . — وفيه نادى السلطان بأن أصحاب الأملاك التى على الخلجان يقطعون أراضى الخلجان قدر ثلاثة أذرع ونصف ، فامتثلوا ذلك ، ولكن حصل للناس غاية الضرر من الغرامة والبهدلة من جماعة حاجب الحجّاب بسبب شيل التراب ، وكان السلطان نادى بأن الذى يعجز عن القطع يكون بيته للسلطان ، فقاست (٨٢ آ) أصحاب الأملاك التى بالجزيرة الوسطى ما لا خير فيه بسبب ذلك . — وفيه جاءت الأخبار صحبة الحجّاج بوفاة هيجار أمير الينبع الذى كان السلطان ولاّه أمرة الينبع عوضا عن يحيى بن سبع ، وحضر جماعة من أقاربه يسعون فى أمرة الينبع ، فتمّ الأمر « مبنىّ على السكون » . — وفى يوم الجمعة سابع عشرينه توفى شاهين معلم الدبّوس ، وكان أحد الأمراء العشرات ، وكان علاّمة فى فنّ الدبّوس . — وفيه توفى معين الدين بن شمس الذى كان وكيل بيت المال ونائب كاتب السرّ ، مات بالمقشرة وقد قاسى شدائد ومحنا ، وضرب بالمقارع غير ما مرّة وعُصر فى أكعابه وأخذ منه جملة مال ، وكان غير مشكور فما رثى له أحد من الناس فيما جرى عليه . — وفى يوم الاثنين سلخ المحرّم حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير يوسف الناصرى الذى كان نائب حماة وعُزل عنها ، فنقل السلطان نائب طرابلس إلى حماة عوضا عن يوسف الناصرى ، وقُرّر فى نيابة طرابلس أبرك مملوك السلطان الذى كان نائب قلعة حلب ، وقُرّر فى نيابة قلعة حلب شخص من مماليك السلطان ، ولما حضر يوسف الناصرى أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره واستمرّ طرخانا .

وفى صفر صعد الخليفة (٨٢ ب) إلى القلعة ليهنّئ بالشهر ، وكذلك القضاة الأربعة ، فحصل فى ذلك اليوم للقاضى شمس الدين الحلبى غاية المقت من السلطان وكاد يبطش به ، وسبب ذلك أنه حكم فى بعض الوقائع بما اعترض عليه فى ذلك

فتغير خاطر السلطان عليه ولم يقبل له فى ذلك عذرا ، وحطّ على قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل بسببه ، وكان مجلسا مهولا . — وفى يوم الخميس ثالثه نزل السلطان وشقّ من الصليبة وتوجّه إلى المنشية فكشف عن مراكب عمّرها ٣ هناك ، ثم توجّه إلى الجزيرة الوسطى وكشف عن قطع الخليج ، ودخل من تحت قنطرة قُديدار ، وشقّ من بطن الخليج وكشف على القطع واستحثّ الناس على ذلك ، فبينما هو شاقق من بطن الخليج كبا به الفرس فى جورة من القطع التى ٦ هناك ، فلم يتأثّر إلى ذلك واستمرّ شاقّا من بطن الخليج حتى وصل إلى قناطر الأوز ، فطلع من هناك وشقّ من الحسينية ثم دخل من باب النصر أو باب الفتوح وشقّ من القاهرة على حين غفلة ، فوُقدت له الشموع على الدكاكين ، ٩ وانطلقت له الزغاريت من النساء فى الطيقان ، ثم ارتفعت له الأصوات بالدعاء من العوام ، وكان له موكب حافل وقدّامه جماعة (٨٣ آ) من الأمراء والمباشرين ، ولكن شقّ من القاهرة وهو لابس تخفيفة صغيرة مُمَلّسة ، وسبب ذلك كان قد طلع له ١٢ دُمَّل فى رأسه فلم يستطع لبس التخفيفة الكبيرة التى بالقرون الطوال ، واستمرّ فى هذا الموكب حتى خرج من باب زويلة وقد زُيّنت له ، ثم طلع من البسطين وشقّ من على بيت الظاهر تمر بغا وطلع من هناك إلى الرملة ودخل الميدان ، ولم ١٥ يشق من القاهرة منذ تسلطن سوى فى ذلك اليوم فقط ، ومما أحدثه عند دخوله من القاهرة فى ذلك اليوم أنه أمر المشاعلية تنادى قدّامه بالأمان والاطمان والبيع والشراء ، وأن أحدا لا يشوّش على أحد ، وكان ذلك غاية الخفّة منه وترك هذا ١٨ كان أوجب . — وفى يوم الثلاثاء ثامنه نزل السلطان من القلعة أيضا وسيّر من على ساحل البحر حتى وصل إلى البَهْطَلة ، فقُدّمت له الحراقة التى يُكسر فيها السدّ ، فنزل بها وعدّى إلى المقياس ، فطلع من السلّم التى تجاه برّ الجيزة ، وتمشّى ودخل ٢١ إلى المقياس ونزل إلى الفسقية التى يقاس بها النيل فتوضأ منها وطلع وصلّى هناك ركعتين ، ثم تحوّل ودخل إلى قاعة المقياس (٨٣ ب) فمدّ له هناك علاى الدين ناظر الخاص وبركات بن موسى المحتسب أسمطة حافلة ولم يبقوا فى ذلك ممكنا . ٢٤

وكان مع السلطان من الأمراء المقدّمين الأمير طومان باى الدوادار الكبير والأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد المقدّمين والأمير خاير بيك الخازندار
٣ أحد المقدّمين ، وجماعة من الأمراء العشرات ، والجمّ الغفير من الخاصكية ، وكان معه من المباشرين القاضى عبد القادر القصروى ناظر الجيش وعلاى الدين ناظر الخاصّ والشهابى أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرّ وغير ذلك من الأعيان ،
٦ فلما فرغ من الأكل أمر بإصلاح ما فسد من عمارة المقياس وأمر ببناء جامع بجوار المقياس تجاه دار النجاس فأخذوا فى أسباب ذلك ، ثم نزل فى الحراقة ونُصب له سحابة حرير أصفر ، وأحضرت حوله مراكب كثيرة برسم العسكر ،
٩ وفيهم غراب قد زُيّن بالصناجق والشطفات ، ثم شقّ من على برّ الروضة فانطلقت له النساء بالزغاريت ، واستمرّ على ذلك حتى طلع من عند قصر ابن العينى الذى بالمنشية ، ثم شقّ من بطن الخليج ،وطلع من الناصرية من على بيت قانصوه خمسمائة ،
١٢ وطلع من على قناطر السباع ، (٨٤ آ) وشقّ من الصليبة وقدّامه المشاعلية تنادى بالأمان والاطمان كما فعل لما شقّ من القاهرة . — وفى يوم الخميس عاشره عمل السلطان الموكب بالقصر الكبير وأمر الأمراء والعسكر بلبس الشاش والقماش ،
١٥ فلما تكامل الموكب اخلع على المقرّ السيفى دولات باى من أركماس المعروف بالساق أمير سلاح فقرّره أتابيك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأتابكى قُرقماس من ولىّ الدين بحكم وفاته ، وكانت الأتابكيّة شاغرة نحو أربعة أشهر ونصف
١٨ شهر من حين توفى الأتابكى قرقماس فى ثالث عشرين شهر رمضان سنة ست عشرة وتسعمائة ، وأخلع فى ذلك اليوم على المقرّ السيفى سودون العجمى وقرّره فى أمرة السلاح عوضا عن دولات باى بحكم انتقاله إلى الأتابكية ، وأخلع على المقرّ
٢١ السيفى أركماس من طراباى ، وهو الذى ولى نيابة الشام قبل ذلك ، فقرّره فى أمرة مجلس عوضا عن سودون العجمى بحكم انتقاله إلى أمرة السلاح ، وأخلع

(٧) دار النجاس : كذا فى الأصل ، ولعله يقصد : دير النحاس . (٨) سحابة : سحاية
وأحضرت : وأحذرت .

على المقرّ السيفى سودون الدوادارى الذى كان نائب طرابلس وقرّره رأس نوبة النوب عوضا عن طراباى الشريفى بحكم وفاته ، فلبسوا هؤلاء الأربعة أمراء هذه
(٨٤ ب) الوظائف السنية فى يوم واحد ، وكان لهم يوم مشهود وموكب ٣
حافل . — وفى ذلك اليوم توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له يبسق اليوسفى ، وأصله من مماليك الأشرف أينال فيما يقال ، وكان لا بأس به . — وفى
يوم الجمعة قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، ووافق ذلك سابع بشنس القبطى . — ٦
وفى يوم الجمعه حادى عشره كانت ليلة سيّدى إسمعيل الإنبابى ببولاق ، وكانت من الليالى المشهودة فى القصف والفرجة وخرج الناس فيها عن الحدّ ، وضُربت
نحو من خمسمائة خيمة فى الجزيرة التى طلعت تجاه بولاق ، وصنعوا هناك سوقا ٩
بدكاكين مبنية ونقلوا إليه من سائر البضائع الفاخرة ، وكانت ليلة هادئة من الفتن والشرور . — وفى يوم السبت ثانى عشره ابتدأ السلطان بضرب الكرة فى الميدان
واجتمع سائر الأمراء المقدمين وهم بالشاش والقماش ، والأوزان عمال والمغانى ١٢
على جارى العادة . — وفى يوم الأحد ثالث عشره جاءت الأخبار من الغربية بقتل شيخ العرب عيسى بن يوسف المعروف بابن جُميل ، وكان من أعيان مشايخ
الغربية وكان فى سعة من المال ، فقتلوه أشرّ قتلة وقتلوا ولده معه وجماعة من ١٥
حاشيته ونهبوا أمواله وأغنامه ، ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، (٨٥ آ) وكان فى تلك الأيّام الفتن قائمة بالشرقية والغربية وإقليم الصعيد ، والامر لله . — وفى يوم
الاثنين رابع عشره أخلع السلطان على شخص يقال له أجْوَد بن مسقْار وهو ١٨
ابن عمّ هِجاّر فقرّره فى أمرة الينبع عوضا عن هجار بحكم وفاته ، وقد سعى يحيى بن سبع بأن يعاد إلى أمرة الينبع كما كان فلم يوافق السلطان على ذلك . —
وفى يوم الأربعاء سادس عشره جاءت الأخبار من الغربية بأن الجُوَيْلى قبض على ٢١
جماعة من العربان الذين قتلوا عيسى بن جُميل ، فحاشهم فى مكان مضيق وأرسل يُعلم السلطان بذلك ، فرسم السلطان للأمير طومان باى الدوادار بأن يخرج من

---

(٨) القصف : القطف .

يومه على جرائد الخيل ويتوجّه إلى الغربية . فخرج تحت الليل وصحبته خاير بيك الكاشف أحد المقدّمين وآخرين من الأمراء والعسكر . — وفى يوم الخميس ٣ سادس عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر وشرع كل من أخذ جامكيته يقول له : عبئ يرقك للسفر ، وأشيع بين الناس أنه يعيّن أربع تجاريد ، وانفضّ الموكب على ذلك . — وفى هذا الشهر رسم السلطان بعمارة قنطرة الخروبى ٦ وعلاّها مقدار ثلاثة أذرع ، وكذلك قناطر السباع ، فإن قد كان حصل لها تشعث (٨٥ ب) وآل أمرها إلى السقوط . — وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه ضرب السلطان الكرة بالميدان ، ففى ذلك اليوم تقنطر من على الفرس بهادُر الغورى ٩ أحد الأمراء الطبلخانات وكان من خواصّ السلطان ، فلما تقنطر أغمى عليه فنزل إلى داره وهو محمول على بغل وقد انقطع نخاعه ، فلما وصل إلى داره مات من وقته ، وكان من المتكبرين وعنده الشمم الزائد فعدّ موته من الغرائب ، فكان كما ١٢ يقال فى المعنى :

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينا من الدهر

وكم من فتى يُمسى ويُصبح آمنا ... وقد نُسِجَت أكفانه وهو لايدرى

١٥ وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو طُرا ونصب له هناك وِطَاقا عظيما ، وكان معه بعض أمراء مقدّمين ، فإن الأتابكى دولات باى كان مريضا على خطّة ، وكذلك سودون العجمى أمير سلاح ، وكان ١٨ الأمير طومان باى الدوادار مسافرا نحو الغربية بسبب فساد العربان ممّا تقدّم ذكره من قتل عيسى بن جُميل ، وكان سبب نزول السلطان إلى هناك قيل إنه عرض المركب الكبير الغليون الذى عمّره فى بولاق عند الرصيف ، فلما كمل ٢١ زيّنوه (٨٦ آ) بالصناجق والطوارق والمكاحل وتوجّهوا به إلى طُرا وعرضوه على السلطان فى البحر ، وأرموا قدّامه بالمدافع ذهابا وإيابا كما فعل قبل ذلك لما عرض المراكب الأغربة ، وقد تقدم ذكر ذلك فمدّ هناك أسمطة حافلة وابتهج

(٢٢) واايابا : وإيابا .

فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشهودا ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، فلما رجع من طُرا
رجع من البحر فأحضروا له الحراقة التى يكسر فيها السدّ فنزل بها ، ونزل الأمراء
والعسكر فى عدّة مراكب ، واستمرّ حادرا فى البحر حتى طلع من رأس الجزيرة ٣
الوسطى من تحت قصر ابن العينى ، ثم طلع من هناك إلى القلعة وشقّ من سوق
جامع ابن طولون ، وكان يوما بالسلطانى . — وفى يوم الجمعة خامس عشرينه كانت
وفاة الأتابكى دولات باى من أركماس المعروف بالساقى ، وكان أصله من مماليك ٦
الأشرف قايتباى ، وقد ساعدته الأيام حتى ولى عدة وظائف سنية منها نيابة حلب
ونيابة الشام ونيابة طرابلس ، ثم حضر إلى مصر وولى أمرة السلاح فى دولة
الأشرف قانصوه الغورى وأقام بها مدّة طويلة ، ثم بقى أتابيك العساكر بالديار ٩
المصرية بعد وفاة الأتابكى قرقماس من ولىّ الدين ، فأقام فى الأتابكية (٨٦ ب)
خمسة عشرة يوما ومات ، فإنه ولى يوم الخميس عاشر صفر ومات ليلة الجمعة خامس
عشرينه ، فكانت مدّته فى الأتابكية خمسة عشر يوما لا غير ، وقد قلت فى معنى ذلك : ١٢

إنّ دولاتْ باىْ لما أنْ رَقَا أمْرَةَ الكُبَرَاء وَلّى مُسْرِعا
جاء للمنصب يحكى زائراً ثمّ ما سلّم حتى ودّعا

وكانت جنازته حافلة ونزل السلطان وصلى عليه ، ثم توجّهوا به إلى تربة ١٥
العادل طومان باى فدُفن بها فإنه كان قرابته ، وكان الأتابكى دولات باى أميرا
جليلا جميل الصورة مليح الهيئة طويل القامة أبيض اللون مستدير اللحية
أسود الشعر شابّا فى عنفوان شبابه ، مات وله من العمر نحو من أربعين سنة ، ١٨
فكثر عليه الأسف والحزن من الناس فإنه كان ليّن الجانب قليل الأذى لا يُنسب
إليه خير ولا شرّ ، وكان مشغولا بملاذّ نفسه ، وكان مدّة توعّكه خمسة أيّام حتى
أشيع بين الناس أنه [مات] مشغولا ، وكان موته فجأة ، وخلف من الأولاد صبيّين ، قيل ٢١
وبنات أيضا ، وظهر له من الموجود أشياء كثيرة ما بين مال وقماش وبرك وغير
ذلك مما لا ينحصر ، فكان بينه وبين موت الأمير طراباى دون الشهرين ، وقد توفى

فى مدّة يسيرة (٨٧ آ) من الأمراء المقدّمين ثلاثة كانوا نوابغ الأمراء وهم :
الأتابكى قرقماس من ولىّ الدين وطراباى رأس نوبة النوب والأتابكى دولات باى ،
٣ هذا غير ما توفى من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، انتهى ذلك . — وفى يوم
السبت سادس عشرينه ظهر المعلّم على الصغير أحد معاملى اللحم ، وكان له
مدّة وهو مختفيا ، فقابل السلطان فى ذلك اليوم وقيل أخلع عليه كامليّة
٦ بصمور . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه حضر الأمير طومان باى الدوادار ،
وكان توجّه إلى نحو الغربية بسبب فساد العربان ، وقد خرج إليهم على جرائد
الخيل ثانيا ، فلما وصل إلى هناك هربت العرب من وجهه فتبعهم إلى قريب
٩ السبّاح ، فلم يظفر بأحد منهم وقاسى من المشقّة ما لا خير فيه ، فلما رجع وطلع
إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة حافلة ونزل إلى داره فى موكب عظيم . —
وفى أثناء هذا الشهر وقع حريق مهول عند قنطرة الأمير حسين ، وكانت ليلة
١٢ شعث قام فيها ريح عاصف ، فاحترق تلك الليلة نحو من أربعين دارا ، وكان
ذلك وقت المغرب ، فلعبت النار فى البيوت وأعيى الناس طفيها ، واستمرّت على
ذلك أياما ، وذهب للناس جملة أموال وقماش (٨٧ ب) وبضائع وغير ذلك . —
١٥ وفى أواخر هذا الشهر تشحّط القمح وارتفع سعره إلى أشرفى كل أردب
بعد ما كان كل أردبين بأشرفى ، وسبب ذلك أن النيل كان فى العام الماضى
خسيسا وشرّق غالب البلاد ، ثم حدث أمر الفأر تسلّط على الجرون وصار
١٨ يقرض القمح والشعير وهو فى سنبله ، وهذا الفأر أمرٌ من الله تعالى لا يقدر
أحد على ردّه ولا يطاق لكثرته . — ووقع فى هذا الشهر من الحوادث أشياء
كثيرة ، انتهى ذلك .

٢١ وفى ربيع الأول فى يوم الاثنين سادسه أخلع السلطان على جانى بيك
دوادار الأمير طراباى رأس نوبة النوب ، وقرّره فى نظر الديوان الشريف

---

(٩) السّباح : كذا فى الأصل . (١٨) يقرض : يقرط .

المفرد لمشاركة الأمير طومان باى الدوادار الكبير فى الأستادارية ؛ وهذه مصادرة
لجانى بيك فى أخذ ماله بحسن عبارة وأقرب طريقة . — وفى يوم السبت حادى
عشره عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ، واجتمع به القضـاة الأربعة ٣
والأمراء ، ولم يكن تقرّر أحد فى الأتابكية من بعد الأمير دولات باى إلى يوم
تاريخه . — وفى ذلك اليوم توفى القاضى تاج الدين بن القـاضى شمس الدين
نصر الله المعروف (٨٨ آ) بابن النجّار ، وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت، ٦
تولى والده القاضى شمس الدين الوزارة فى دولة الأشرف أينال سنـة تسع
وخمسين وثمانمائة فأقام بها مدّة يسيرة وعُزل عنها ، ومات القاضى تاج الدين
وهو فى عشر السبعين ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الثلاثاء رابع عشره جاءت ٩
الأخبار من بلاد الغرب بأن صاحب جِربْة انتصر على الفرنج نصرة عظيمة ،
وغنم منهم غنائم كثيرة ، وقتل منهم نحوا من سبعة آلاف إنسان ، وأسر منهم
جماعة كثيرة ، ثم بعثوا للسلطان مكحلة نحاس كبيرة وأشياء كثيرة من أنواع ١٢
الهديّة وشخصين من أسرى الفرنج وعليهم آلة السلاح ، فشكر لهم السلطان ذلك
وسُرّ بهذه النصرة التى وقعت لهم . — وفى يوم الأربعاء خامس عشره توفى
الشهاب أحمد المحلاّوى مؤذّن السلطان ، وكان حسن الصوت مطبوعا فى فنّه ١٥
مقاتلا على الدخول ، وكان لا بأس به ، ومات وقد ناف عن الأربعين سنة من
العمر ، وقيل جاوز الخمسين ، ومما يُحكَى عنه أنه كان عبيلا لا يطقنه النساء،
وقد تزوّج نحوا من مائة امرأة ، وقد قلت فى ذلك مداعبة لطيفة : ١٨

قالت نساء المحلّى (٨٨ ب)... ... ...
مُؤذّن لا يصلّى كأنما هو ديكُ

وفى يوم الجمعة سابع عشره فى ليله توفى الرئيس شمس الدين محمد القوصونى ، ٢١
وكان علاّمة فى فنّ الطب ، فريد عصره فى ذلك ، وكان رئيسا حشما فى سعة
من المال ، وكان لا بأس به . — وفى يوم السبت ثامن عشره دخل قاصد

(١٢) أسرى : أسراء . (١٩) . . . : ثلاث كلمات رأى المحقق إهمالها ، ويمكن الرجوع
إليها فى طبعة إستانبول .

إسمعيل شاه الصوفى فأنزلوه فى بيت قانى باى سُلّق الذى فى رأس الرملة عند
سوق الجُلاّق ، فاستقرّ هناك إلى أن يطلع إلى القلعة ويقابل السلطان ، وفى
٣ ذلك اليوم رسم السلطان للأمراء والعسكر بأن يخرجوا إلى المطرية ويلاقوا
القاصد ففعلوا ذلك ، وخرج الجمّ الغفير من العسكر حتى ضاق بهم رحب
الفضاء ، ولكن وقع من السلطان فى ذلك اليوم غاية الخفّة وهو أنه نزل وسيّر
٦ إلى نحو المطرية فوقف عند تربة الملك العادل طومان باى ليرى القاصد والعسكر
عن بُعد ، فانعقد هناك الغبار فلم يتمكن السلطان من رؤية القاصد والعسكر
فرجع إلى القلعة ، فعدّ هذا من النوادر الغريبة ، فلما طلع إلى القلعة دخل إلى
٩ القصر الكبير ليرى القاصد من الرملة وهو داخل إلى بيت قانى باى سُلّق ، وكان
ذلك غاية الخفّة من السلطان .

وفى يوم الاثنين (٨٩ آ) عشرينه عمل السلطان الموكب بالحوش بغير شاش ولا
١٢ قماش ، وجلس على المصطبة الجديدة التى أنشأها بالحوش ونصب على رأسه
السحابة الزركش ، ورسم بتزيين باب الزردخاناه فزيّنوه بالصناجق السلطانية
والشطفات وآلة السلاح من بركستوانات وزرديات وأطبار وسيوف وغير
١٥ ذلك ، فلما تكامل الموكب واجتمعت الأمراء أذن إلى قاصد إسمعيل شاه الصوفى
بالطلوع إلى القلعة فطلع من بيت قانى باى سُلّق الذى بالرملة ، وطلع صحبته
المهمندار ووالى القاهرة ، فلما مثل بين يدى السلطان قبّل الأرض وباس رجل
١٨ السلطان ، ثم قرئت مُكاتبته بين يدى السلطان ، ثم إن القاصد قدم للسلطان
مصحفا شريفا وسجادة برسم الصلاة ، فقبّل السلطان ذلك المصحف وأخذه ،
ثم أحضر القاصد صندوقا لطيفا ففُتح بين يدى السلطان فوجد به رأس شخص
٢١ من ملوك التتار يسمّى أزبك خان وهو الذى قتله الصوفى وأخذ بلاده ، فرسم
السلطان بدفن تلك الرأس ، ثم أحضر القاصد صحبته قوسا عريضا عرضه نحو شبر ،
فندب السلطان شخصا من الزردكاشية ، وهو الزردكاش الثانى ، يقال له الأمير
٢٤ يوسف ، فجذب القوس بحضرة (٨٩ ب) السلطان فكسره وذلك بعد نزول

القاصد ، وكان ذلك الموكب حافلا من المواكب المشهودة . — وفى ذلك اليوم
أخلع السلطان على المقرّ السيفى طوْمان باى الدوادار الكبير وقُرّر أمير الحاجّ
بركب المحمل ، وأخلع على شخص من الأمراء العشرات يقال له بَكْ بَاى وقُرّر ٣
أمير الحاجّ بالركب الأول ، وكان هذا بَكْ بَاى أصله من مماليك الأتابكى أزبك
ووَلِىَ نيابة القدس وصار من الأمراء العشرات . — وفى يوم الجمعة رابع عشرينه طلع
ابن أبى الرداد ببشارة النيل وجاءت القاعدة ستة أذرع سَوى ، وكانت فى العام ٦
الماضى أرجح من ذلك . — وفى يوم الاثنين سابع عشرينه عمل السلطان الموكب
بالشاش والقماش ، وأخلع على المقرّ السيفى سودون العجمى واستقرّ به أتابك العساكر
بالديار المصرية عوضا عن دولات باى من أركماس بحكم وفاته كما تقدم ، فنزل ٩
من القلعة فى موكب حافل وكان له يوم (٩٠ آ) مشهود ، وكانت الأتابكية شاغرة
من حين توفى دولات باى . ولما قرّر سودون العجمى فى الأتابكيّة قلت فى ذلك :

أميرُنا الأكبر المشهورُ بالعجمى وجوده فى الورى قد آل للعدَمِ ١٢
تقول مصر لأنْ ولّوه سلطنة يا ضَعّة الناس بين العرب والعجمى

وفى ذلك اليوم حضر الرئيس حامد المغربى وصحبته جماعة من الفرنج
نحو من مائتى إنسان وجدهم يتعبّثون بسواحل البُرلس فقبض عليهم وشكّهم ١٥
فى زناجير ، وشقّ بهم من القاهرة وطلع بهم إلى القلعة ، فلما عُرضوا على
السلطان أمر بسجنهم حتى يحرّر أمرهم فيما يكون . — وفى يوم الثلاثاء ثامن
عشرينه عزم السلطان على قاصد الصوفى فى الميدان وضرب الكرة هو والأمراء ١٨
المقدّمين قدّامه ، فلما انتهى ضرب الكرة دخل السلطان إلى البحرة التى أنشأها
بالميدان ، فلما جلس عليها طلب قاصد الصوفى وأضافه هناك ضيافة حافلة وألبسه
سلارى صوف فستقى بصمور من ملابيسه ، ثم عاد إلى المكان الذى أنزلوه به . — ٢١

(١١ — ١٣) ولما قرر ... والعجمى : جاءت بعد « وأخلع » فى سطر ٨ .

وكان السلطان وكّل به جماعة من الخاصكية يمنعون من يدخل إليه من الناس قاطبة ، ولا يمكنون أحدا من جماعة القاصد يخرج إلى الأسواق ولا يجتمع بأحد من الناس ،
٣ ثم إنه فى هذه المدّة ركب مرّة وصحبته أزدمر المهمندار فزار الإمام الشافعى والإمام الليث رضى الله عنهما (٩٠ ب) ثم عاد إلى المكان الذى عُدّ له . — ومن النكت اللطيفة ما أشيع بين الناس أن القاصد لما قابل السلطان أول مرّة
٦ وصحبته رأس أزبك خان ملك التتار والقوس العريض المقدّم ذكر ذلك ، فلما قُرئت مطالعة الصوفى بين يدى السلطان وجدوها مكتوبة باللغات الأعجمية فأحضروا من قرأها وهو شخص شريف يقال له الشيخ حسين من ابناء العجم ، ثم
٩ وجدوا ضمن تلك المطالعة هذين البيتين : الحمد لله ، ولما أرسل الصوفى فى كتابه بهذين البيتين إلى السلطان أرسل إلى سليم شاه بن عثمان أيضا بهذين البيتين وهو يقول :

١٢ نحن أناس قد غدا شأننا حُبّ علىّ بن أبى طالب
يعيبنا الناس على حبّه فلعنة الله على العائب

فاجابه ابن عثمان عن ذلك :

١٥ ما عَيْبكم هــذا ولكنّه بُغْض الذى لُقّبَ بالصاحب
كذبتموا عنه وعن ابنته فلعنة الله على الكاذب

وأرسل يهدّد أهل مصر لما قتل أزبك خان ملك التتار بهذين البيتين وهما :

١٨ السيف والخنجر ريحاننا أفٍّ على النرجس والآس
مُدامنا من دم أعدائنا وكأسُنا جُمْجُمة الرأس

وكان لما حزّ رأس أزبك خان ملك التتار جعل جمجمة (٩١ آ) رأسه كأسا
٢١ يشرب فيها الخمر فى المقامات كما قيل عنه ، انتهى ذلك .

---

(٢١) بعد « انتهى ذلك » تكرر فى الأصل ذكر البيتين السابقين .

وقد أشيع فى بلاد الصوفى بأن السلطان قد اشتغل بما أنشأه فى الميدان من غرس الأشجار وشتول أنواع الأزهار والرياحين ، فقصدوا يُنكتوا عليه بذلك ، وهذا من نوع التهكّم على السلطان ، فأجبت عن ذلك بقولى : ٣

بالسيف والخنجر نُفْنى العدى   وكم لنا فى الحرب من بأس
نَسْلِب بالرُعْب عقول الورى   وعقلُنا وافر فى الرأس

وقد عمل فى ذلك جماعة كثيرة من الشعراء عِدّة مقاطيع على أنواع مختلفة ، ٦ وقد قلت أيضا :

ندفع بالصديق كيد العدى   ونرفض الباغى الذى يأسى
ومن نراه زاغ عن شرعنا   جوابه بالسيف فى الرأس ٩

وقيل أن السلطان لم يعجبه شيئا من هذه الأجوبة التى أجابت بها الشعراء وإنما أعجبه قول صفى الدين الحلّى فكتبه عن جواب الصوفى ، وهو قوله :

ولى فرس للخير بالخير مُلجمٌ   ولى فرس للشرّ بالشرّ مُسرج ١٢
فمن رام تقويمى فإنى مُقوّمٌ   ومن رام تعويجى فإنى مُعوج

وقلت (٩١ ب) أيضا بخلاف ما تقدّم من المعنى من زيادة فيها :

بالسيف والخنجر نُفْنى العدى   وكم لنا فى الحرب من بأس ١٥
وليس شُرْب الدم فى شرعنا   بجائز والـذَمّ للأسى
من يبغض الصِدّيق أو صَحْبَهُ   فذاك أشقى الخلق فى الناس
إن كان قد ضَلّتْ عقولٌ لكم   فعقلنا الوافر فى الرأس ١٨

ومن مخترعاتى قولى فى أشكال الشطرنج ملتزما القافية على المعنى بما تقدّم :

عساكر الصوفى إن فُرْزِنَتْ   فرختهم مكشوف للناس
ونفسهم قد أوجزت خيفةً   من عزمنا مع شدّة الباس ٢١

وفيلهم قد صار ناموسةً مذ قابل الأسْدَ بأفــراس
ودِسْتهم نَصبًا على رُقعةٍ إن دَيدبوا مِرْمَادُهم خاسى
٣ فإن مشى من جيشنا بَيْدق يموت شــاه طايح الراس

وقولى أيضا فى مديح السلطان :

سلطان مصر لم يزل شأنه على ملوك الأرض ذو باس
٦ أعيذُهُ من شرّ أعــدائه بسورة الفتح وبالناس
عسكره يوم الوغى طعنهم فاق على طاعونَ عمواس
وإن أتاه الخارج المعتدى يجعــله جسما بلا راس
٩ يُنسِى الورى طاعون عمواس

وقال الأشمونى :

يَراعُنا الرمح وقرطاسنا صدر عـــدو منكــرُ الباس
١٢ مدادنا مِن دَمّهِ خطُّنا تاريخ(٩٢٦)طعن مُذْكِرُ الناس

وقال ابن الحجّار :

يا قائلا أفٌّ على نرجس أفٌّ على الباغى على الناس
١٥ فإن خير الناس من لا يرى شُرب دم المسلم فى الكاس

وللناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

العدل والحِلم لنــا حُلّةٌ حيكَتْ مع القوّة والباس
١٨ وسُنّة المختار طرز لهــا وذِكرنا تاج على الراس

وقوله أيضاً :

نحن نجــوم والسما مِلْكُنا يُهدَى بنا من ضلّ فى الناس

(٩) كذا فى الأصل .

كم من مُريدٍ صار من شُهْبنا شبه مُريد وهو ذو باس

وقال الشربيني :

مغارس السُّنَّة بستاننا نقطع منه هامة الراس ٣
والدم لا يُشرَبُ فى شرعنا لكنّ فينا قوة الباس
والعلم ثم الحلم من شأننا كذا الحجى كالجبل الراس
وفى ميادين الوغى عزمنا يَعْجب منه سائر الناس ٦

وقوله أيضا :

السبّ لا يُنْسَبُ من شأننا لكل سُنِّى من الناس
وجيشنا كالرمل تعداده ولم يُرِعْنا بعْثة الراس ٩

وقال على الغزى :

نحن أسود الحرب غاباتها رماحنا للطعن والباس
وخيلُنا تُسرع فى سَوْقها شُدّت لحرب المعتدى القاسى ١٢
وسيفنا الهندى رقا للوغى يَمْسحُ للكفّ مع الراس
فدأبُنا يوم لِقتل العدى ويوم للنرجس والآس
والمجد لا ينسب إلاّ لنا مقامُنا(٩٢ب)الأشرف عباسى ١٥
من خالف السُّنّة فى شرعنا رُدَّ على أعقابه خاسى

لابن العاقل :

تِلاوة القرآن ريحاننا ننشق منه خير أنفاسى ١٨
شرابنا الذكر به يرتوى سنّاء قلب غافل قاسى
والعدل والإنصاف من دأبنا من أجل ذا سُدنا على الناس

ثناؤنا بين الورى نشرهُ أذكى من النرجس والآس
والحمـــد لله على أنّنا أهل العُلا والأيْدِ والباس
٣ من أظهر الغدر لنا فالجفا منـــا له والسيف للراس
ومن أتانا مُخْلِصا ودّه له لدينـــا كُلّ إيناس

وقال آخر :

٦ صحـــابة المختار ســـاداتُنا وما على المحسن من باسى
نزهتنا وصل طُراد العدى وســـيفُنا يقطع للراس
ومن أسى يَيْأسُ من عفوِنا أفٌّ على الأيس والآسِي

٩ وقال الشريف العباسى :

وسنة المختار خير الورى جنّتنا من كل وَسْواس
العدل والإنصاف ريحاننا خَلّ شذى النرجس والآس
١٢ وشُرْبُنا من صَفْو توحيدنا ليس من الجرّة والكاس
وشأننا الحلم على من جنى ودِيننا صَوْنُ دم النـــاس

وقال شهاب الدين البُحيرى المالكى :

١٥ السيف والخنجر ريحان مَن يخشى من الضراء والباس
والعادل المُنْصفُ يا ذا الحجا (٩٣ آ) ريحانه الإحسان للناس
شرابنا الذِكْرُ بكاس الهنا أفٌّ على جمجمة الراس

١٨ وقال الشيخ ناصر الدين بن الطحان :

أُسْدُ الوغى فرساننا كم سقت كأس المنايا باغيا آسى
ومن يَزُغْ عن أمرنا طاغيا نُذِقه مُرّ الباس والكاس

(تاريخ ابن إياس ج ٤ – ١٥)

وقوله أيضا :

شجعانُ مصر هم أسود الوغى بقوّة السطوة والباس
وفخرهم بالسيف والرمح قد خُصَّ بهم عن سائر الناس ٣

وقوله أيضا :

شَمُّ الرياحين يزيد القُوَى وشدّة البَطشة والباس
والفتك فى الحرب هو الفخر لا لَعقُ الدما كالكلب فى الراس ٦

وقال الفقيه موسى بن بقسماطة :

إن كان جَبْد السيف ريحانكم وكأسكم جمجمة الراس
وشُربكم من دمّ أعدائكم أفٌّ عليكم أرذَل الناس ٩
نحن تشرّفنا على غيرنا بخدْمة البيت فلا باسى
أعداؤنا من تحت أقدامنا وليس نخشى قطّ من خاسى

وقال الشيخ جمال الدين السلمونى : ١٢

أُفٌّ على أفلك يا خارجًا حِجَاك محتاجٌ إلى الآس
ما أنت إلاّ جُعَلٌ على رفضك شَمَّ الورد والآس

لنور الدين بن حشيش : ١٥

إن كان ضرب السيف ريحانكم وكأسكم جمجمة الراس
وشُربكم من دمّ أعدائكم أفّ عليكم أرذل الناس

(٩٣ ب) وللناصرى محمد بن قانصوه من صادق : ١٨

السمر والبيض غِرَاس لنا فى وَسَط النَمام والآس
وحِلمنا سترٌ لمن قد جنَى إن لم يكن فى الناس ذا باس

---

(٢٠) ستر لمن قد جنى : ستر من جنى .

محمود الحليلى :

العزّ والسطوة ريحاننـــا لا مِنْ شَذَى النرجس والآس

٣ شرابنا التوحيد لا من دَمٍ يُشرَب من جمجمة الراس

وقال إسمعيل :

خدمة بيت الله والمصطفى كلاهما لى نورُهُ كاسى

٦ ومِلء ذاك الكاس توحيد من شرّفنا بالملك فى الناس

وصرتُ فى مصر عزيز بها لا أختشى من كيد خنّاس

كنانة الله فمن شأنها أهلكهُ ذا الأيْدِ والباس

٩ وقد نظم فى هـــذا المعنى جماعة كثيرة من فضلاء العصر فوق المائتى إنسان ، وقد جمعوا بين الغث والسمين ، وهذا ما وقع عليه اختيارى من هذا المعنى بحسبما تيسّر لى من المقاطيع الرقيقة من هذه الأجوبة والخنجر المقدم ذكر ذلك

١٢ فى أول المقاطيع من هذا المعنى ، فمن ذلك قولى :

من عاب للنرجس والآس أفٍّ عليه فى الورى آسى

ومن يكون السيف ريحانَه لا رأفة فى قلبه القاسى

١٥ من كان شرب الدم من شأنه وكأسه جمجمـــة الراس

فذاك كالكلب العَقور الذى لا يختشى فى الناس من باس

انتهى ما أوردناه من هذا المعنى و (٩٤ آ) يقرب من واقعة هذين البيتين اللذين

١٨ أرسلهما الصوفى فى معنى : السيف والخنجر ريحاننا ، فقد تقدم أن هلاكو ملك التتار لما استولى على بغداد وأخربها وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل سائر أمرائه ، فلما فعل ذلك ببغداد طمع فى أخذ مصر فأرسل كتابا إلى سلطان مصر

---

(٩) فضلاء : الفضلاء .

وإلى أمرائه وذكر فيه ألفاظا فاحشة من وعد ووعيد وتهديد لهم بالقتل ، وذكر فى ذيل كتابه هذين البيتين وهما :

أين المفرّ ولا مفرّ لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء ٣

ذلّت لهيبتنا الأسود وأصبحت فى يدنا الأمراء والخلفاء

وقال بعد ذلك :

ستعلمُ لَيلَى أىَّ دَيْنٍ تداينت وأىّ غريم بالتقاضى غريمها ٦

وكان سلطان مصر يومئذ المظفّر قُطز المعزّى ، فلما سمع ذلك جمع العساكر وخرج إلى هلاكو بعد أن وصل إلى أطراف البلاد الشاميّة فتحارب معه ، فانكسر هلاكو كسرة مهولة وغنم منه عسكر مصر أشياء كثيرة من سلاح ٩ ودوابّ وغير ذلك ، وقد أوضحنا ذلك فى أوائل ابتداء الدولة التركيّة فى الجزء الرابع من التاريخ انتهى ذلك ، فالصوفى بالنسبة إلى هلاكو لا شىء ، وقد قال القائل :

لو كلُّ من قال ناراً أحرقَتْ فمه لمّا تفوّه باسم النار مخلوق ١٢

انتهى ذلك .

وفى ربيع الآخر (٩٤ ب) أمر السلطان بحفر الخليج ثانى مرة ورسم للأمير أنصباى حاجب الحجاب بأن يتوجه إلى قناطر الأوز ويباشر حفر هذا الخليج بنفسه ، ١٥ فتوجه إلى هناك وأقام به وضرب له الخيام واهتمّ بحفر الخليج من القنطرة الجديدة إلى قناطر الأوز إلى سد الخشب الذى عند ناى وطنان ، فاحتفل بحفره إلى أن كاد أن ينبع الماء من أرضه وأحضر الجراريف والأبقار ، ولكن حصل من هذه الحركة غاية ١٨ الضرر وهو أن السلطان رسم بأخذ خراج الحصص والرزق قاطبة التى تُروى من هذا الخليج ، فأخذوا منهم خراج سنة كاملة وتحصّل من هذه الجهة نحو من خمسين ألف دينار على ما قيل ، فصُرِف منها البعض على حفر الخليج وحُمل ٢١ الباقى إلى الخزائن الشريفة وحصل للمقطعين الضرر الشامل . — وفيه أمر السلطان بعمل جسر فى خليج الزربيّة ، فوضعوه عند قنطرة مَوْردة الجبس ،

فامتنعت المراكب من الدخول إلى الزربيّة ، وحصل لسكان الجزيرة الوسطى غاية
الضرر ولم يُسكن من بيوتها فى هذه السنة إلا القليل وبارت من الكرى الذى
٣ جرت به العادة ، وكانت تتزاحم الناس على كِراها ولا تُلحق . وكان القائم فى عمل
هذا الجسر ابن فَرْو شيخ جهات المطرية ، وقد حسّن للسلطان بأن يسدّ خليج
الزربيّة من جهة بولاق ، ويصير الماء (٩٥ آ) يدخل بعزم من تحت قصر ابن
٦ العينى الذى بالمنشية ويدخل إلى الخليج الناصرى ليمكث الماء فى الخليج حتى
تروى منه أراضى المطرية والبلاد التى تحتها . — وفى يوم الثلاثاء خامسه كان
ختام ضرب الكرة بالميدان ، فلما انتهى ذلك أحضر السلطان ثيران وكباش
٩ يتناطحون قدّامه ، ووقع فى ذلك اليوم خصمانية بين المماليك فى لعب الرمح وكان
قاصد الصوفى حاضرا ، فلما انقضى أمر الكرة طلع السلطان من الميدان إلى الحوش
وجلس بالمقعد الذى أنشأه هناك ومدّ به أسمطة حافلة ، وكانت الأمراء حاضرين ،
١٢ وانشرح السلطان فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشهودا . — وفى يوم الأربعاء ثالث
عشره نزل السلطان وتوجّه إلى نحو خليج الزعفران وكشف على حفر الخليج
الذى رسم به ، وكان معه جماعة من الأمراء المقدّمين وبعض خاصكية ، فلما نظر
١٥ إلى ما حفروه من الخليج لم يُعجبه ومقت الأمير أنصباى حاجب الحجّاب فيما
صنعه ، ثم توجّه من هناك إلى تربة العادل التى بالريدانية فأقام بها إلى بعد العصر ،
وجرّب هناك مكاحل ، ومدّ له بركات بن موسى المحتسب هناك مدّة حافلة ، ثم ركب
١٨ بعد العصر وطلع إلى القلعة . — وفى يوم الخميس رابع عشره قبض نائب الغيبة
بالشرقية على شخص من العربان العصاة يقال له (٩٥ ب) أحمد بن شُكُر وكان
من شرار المفسدين ، فلما قبض عليه سلخ جلده وحشاه تبنا وأرسله إلى السلطان ،
٢١ فسرّوا الناس لذلك فإنه كان من كبار المؤذيين وكان يشوش على المسافرين
ففرح به كلّ أحد من الناس ، فكان كما يقال : مصائب قوم عند قوم فوائد .

وفى يوم الأحد سابع عشره نزل السلطان أيضا وتوجّه إلى تربة العادل

وجرّبوا قدّامه مكاحل غير تلك المقدّم ذكرها . — وفى ذلك اليوم توفى أينْدِكى
دوادار سكين ، وقد بقى من الأمراء العشرات ، وكان لين الجانب قليل الأذى وكان
لابأس به . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره جلس السلطان فى المقعد الذى بالميدان ٣
وساقت الرّماحة قدّامه وهم لابسون الأحمر والخوذ كما يفعلون عند دوران المحمل
فى رجب ، ففعلوا ذلك ثلاثة أيام متوالية ، وكان المعلّم تمر الحسنى أحد المقدّمين
الألوف فساقوا أحسن سوق ، وكان قاصد الصوفى حاضرا فتعجّب من ذلك غاية ٦
العجب . — وفى هذا الشهر أمر السلطان بهدم خان الخليلى وقد ملكه بطريق
شرعى ، فلما هدمه أنشأه إنشاء جديدًا وجعل به الحواصل والدكاكين ، وزاد
فى تزخرفه جدّا . — وفى أواخر هذا الشهر (٩٦ آ) توفيت الريّسة إنعام ٩
ريّسة خوند الخاصبكيّة ، وكانت من أعيان مغانى البلد ، وكانت لا بأس بها ،
انتهى ذلك :

وفى جمادى الأولى فى يوم الاثنين ثانيه كان ختام سوق الرمّاحة ، وأخلع ١٢
السلطان على المعلّم والأربعة باشات على جارى العادة ، وكان يوما مشهودا . —
وفى يوم الجمعة سادسه أخلع السلطان على قاصد الصوفى وأذن له بالعود إلى بلاده ،
فسافر فى باكر النهار ، ولم يُعلم ما أجابه به السلطان عن جواب تلك البيتين التى ١٥
تقدم ذكرها فى معنى : السيف والخنجر ريحاننا ، ولم يكتب له شيئا مما أجابوا به
الشعراء ، وفى مدّة إقامته بمصر وكّل به السلطان جماعة من الخاصكيّة ومنعوه
من الاجتماع بالناس قاطبة . — وفيه قبض السلطان على المعلم على الصُغير وأخيه ١٨
المعلّم أحمد والمعلّم خِضر المعاملين فى اللحم ، فلما قبض عليهم وضعوهم فى الحديد
وسجنهم بالعرقانة ، وسبب ذلك أن ديوان الدولة كان فى غاية الانشحات واللحوم
معطلة وانكسر للعسكر نحو من ثلاثة أشهر لم يصرف فيها لهم لحوم ، وقد جرى ٢١
بسبب ذلك ما لا خير فيه ، وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . — وفى يوم

---

(١) تلك المقدم ذكرها : هولاى المقدم ذكرهم . (٨) أنشأه : أنشاء .

الأربعاء حادى عشره تسلسل النيل فى الزيادة بعد (٩٦ ب) ما كان قد أشرف على الوفاء ، فرسم السلطان لحاجب الحجّاب والوالى بأن يتوجّها ويكبسا على
٣ المتفرّجين الذين فى الخيام بالروضة ، فتوجّها إلى الروضة أنسباى حاجب الحجّاب ووالى القاهرة ، فلم يشوّشوا على أحدٍ من المتفرجين ونادوا بالأمان والاطمان وأنّ أحدا لا يتجاهر بالمعاصى ، وخرقوا بعض خيام ، وكان يوما مهولا ، وسبب ذلك
٦ أن النيل كان قد أشرف على الوفاء وبقى عليه من الوفاء خمسة أصابع فزاد فى تلك الليلة أصبُعَين وتأخّر عن الوفاء ثلاثة أصابع ، ثم زاد من بعد ذلك أصبُعَين وتأخّر عن الوفاء يومئذ أصبعا واحدا فضجّ الناس من ذلك ، وأشيع بين الناس
٩ أن الروضة كثر فيها الفسق والمعاصى ، فعند ذلك رسم السلطان لحاجب الحجّاب والوالى بكبس الروضة ، فتوجهوا إلى هناك وكبسوا على الناس الذين بالخيام ولم يفحشوا كل الإفحاش فى ذلك ، وكان السلطان قبل ذلك توجّه إلى المقياس وصلى
١٢ هناك ودعا إلى الله تعالى بالوفاء ، ثم إنه رسم للقضاة الأربعة بأن يتوجّهوا إلى المقياس ويباتوا به ، وقرؤوا هناك ختمة ، ومدّ أسمطة حافلة ، واجتمع هناك أعيان الناس من العلماء والفقهاء وغير ذلك من مشاهير الناس . — ثم فى يوم (٩٧ آ)
١٥ الخميس ثانى عشره نزل السلطان إلى المقياس ، فقدّموا له الحُراقة المعدة لكسر السدّ فنزل بها وتوجّه إلى المقياس ، فطلع من على القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، فأقام هناك إلى بعد الظهر ومدّ هناك مدّة حافلة ، ثم نزل من المقياس
١٨ فى الحُراقة وشقّ من برّ الروضة ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت ، ولا سيما كانت ليلة وفاء النيل وكانت الروضة فى غاية البهجة وهى محتبكة بالخيام ، فكان له يوم مشهود ، فاستمرّ شاققا فى البحر
٢١ حتى طلع من عند قصر ابن العينى ، فلما طلع إلى القلعة أوفى النيل فى تلك الليلة ، وكسر فى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى الموافق لخامس عشر مسرى ، فاستبشر الناس بنزول السلطان إلى المقياس وكونه أوفى النيل تلك الليلة بقدومه إلى

المقياس . — وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو قناطر الأوز وكشف على الحفر الذى حفره أنسباى حاجب الحجّاب ، وشقّ من بطن الخليج فلم يُعجبه القطع فأمر بإعادته ثانيا ففعلوا ذلك . — فكان كما قيل فى المعنى : ٣

مولاى إن النيلَ لما زرتَه حيّاك وهو أبو الوفا بالأصبَع
أرْخَى عليه الستر لمّا جئتَه خجلا ومدَّ تَضَرُّعًا بالأذرع

(٩٧ ب) وكان النيل قد توقّف عن الوفاء على أصبع واحد فأوفى تلك الليلة ٦ وزاد عن الوفاء أصبُعَين ، وكان مع السلطان لما نزل إلى المقياس الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس والأمير طومان باى الدوادار الكبير ، وغير ذلك من الأمراء المقدمين والعشرات ، فلما وفّى النيل علّقوا الستر فى شبّاك ٩ القصر الذى أنشأه السلطان على بسطة المقياس ، ثم رسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجّه ويفتح السدّ على العادة ، فنزل فى الحراقة وأتى للمقياس وخلّق العمود ثم توجّه إلى فتح السدّ ، وكان له يوم مشهود ، وهذا أول فتحه للسد وهو ١٢ فى الأتابكية فأظهر فى ذلك اليوم أنواع العظمة ولكن لم يصل فى ذلك إلى من تقدّمه من الأتابكيّة ، فلما فتح السد قدّموا له فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، ثم طلع إلى القلعة وأخلع عليه السلطان خلعة حافلة على العادة ، وقد سُرَّ الناس ١٥ بوفاء النيل قاطبة بعد ما كان قد تسلسل فى الانكسار وتشحّطت الغلال فجاء الفرج من عند الله تعالى ، فكان كما قيل فى المعنى :

إنَّ بَحْرَ النيل قد وفّى لنا ما عليه من قديم قُرِّرا ١٨
وقضـانا الدَّين إلاّ أنه حين (٩٨ آ) وفّى ماعليه انكسرا

ومما وقع فى يوم فتح السدّ من الوقائع المهولة أن الناصرى محمد بن العلاى على بن خاص بيك توجه إلى دار عند قنطرة سنقر ليتفرج هناك على قتال الزُعر ، ٢١ فلما قعـد فى تلك الدار اجتمع فوق سطحها نحو من مائتى إنسان بسبب الفُرجة ، فهجم عليهم طائفة من المماليك وطلعوا فوق السطح فوقع بهم على من

فى الدار فقُتل من المماليك سبعة أنفس وقُتلت امرأة صاحبة الدار وجاريتها ومن كان عندها من العيال ، ثم وقع سقف الدار على الناصرى محمد بن خاص بيك
٣ فتصلّب عليه الخشب هو وولده فلم يضرّه ذلك لكن حصل له تشويش فى بعض أعضائه و انزعاج وكانت سلامته على غير القياس هو وولده ؛ ومات من جماعته شخص يسمّى أحمد كُنَيْنُوا وكان من أولاد الناس وهو حواليه يتقاضى أشغاله
٦ وكان لا بأس به فرجع ابن خاص بيك إلى بيته وهو محمول ودفن أحمد كنينوا فى ذلك اليوم ، وكان عدّة من قتل فى ذلك اليوم تحت الردم سبعة عشر إنساناً ما بين رجال ونساء ، وكانت حادثة مهولة لم تكن لأحد فى اكتلاء (٩٨ب)
٩ والمقدّر كائن ، كما يقال فى أمثال الصادح والباغم حيث يقول :

والمرء لا يدرى متى يمتحنُ فإنه فى دَهْره مُرْتهَنُ

وقوله أيضاً :

١٢ وليس فى العالم ظُلمٌ جارى إذ كان ما يَجْرى بِحُكم البارى

وفيه أفرج السلطان عن أبى البقا ناظر الاسطبل بعد ما قاسى شدائد ومحناً وضُرب بين يدى السلطان وصودر ، فطلع علاى الدين ناظر الخاص وتسلّمه من
١٥ قدّام السلطان وضمنه فى ثمانية آلاف دينار ، فأخلع عليه السلطان ونزل إلى داره واستمرّ يورد ما قُرّر عليه من المال . — ومن الوقائع أن السلطان قبل وفاء النيل أمر بعمل جسر على خليج الزربية من عند قنطرة مَوْرَدَة الجبس حتى
١٨ يحوش الماء ويدخل إلى الخليج الناصرى وتُروَى منه جهات المطرية ، فلما صنع هذا الجسر حصل لسكّان الزربية غاية الضرر وامتنعت عنها المراكب من نحو بولاق وصار ماء الخليج راكداً ، فلم يسكن بالزربية بيت فى هذه السنة ولا عُمل
٢١ بها مقصف ولا فُتح بها دكان وآل أمرها إلى الخراب ، وكان القائم فى عمل هذا الجسر ابن فَرْو شيخ جهات المطرية حتى يحوش الماء من الخليج (٩٩آ)

---

(٨) اكتلاء : كذا فى الأصل . (٢٠) راكدا : راكض . (٢٢) المطرية : الأميرية .

الناصرى ، وكان النيل فى هذه السنة عالياً فلم يحتاج إلى عمل هذا الجسر. — وفى هذا الشهر منع السلطان جماعة من المباشرين أن لا يسكنوا فى بركة الرَّطْلى وضيّق عليهم فى ذلك ، وقال لهم : أنتم تضيّعون مالى فى بركة الرطلى فلا يسكن أحد ٣
منكم بها ، فلم يسكن بها أحد من المباشرين فى هذه السنة حتى ولا القضاة فكانت بركة الرطلى فى هذه السنة فى غاية الانهمال وقلّة البهجة ، حتى ولا بيوت الجسر لم يسكن بها إلا القليل ، وقد أشيع بين الناس أن السلطان يقصد سدّ فم البركة ٦
ويمنع المراكب من الدخول إليها فحصل للناس غاية المشقّة بسبب هذه الإشاعات ، فلم يكن لهذا الكلام صحّة ولكن لم يسكن بها أحد من المباشرين فى هذه النيلية ، وقد تقدّم ما هو أشيع من ذلك أن الملك الظاهر جقمق أمر بسدّ خوخة باب ٩
الجسر ومنع الناس من سكنته ، فسُدّت خوخة باب الجسر وأقامت وهى مسدودة أيّاماً حتى تكلم ناظر الخاص يوسف مع السلطان فى أمرها فرسم بفتحها على العادة . — وفى يوم الخميس تاسع عشره حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ملك ١٢
الكرج ، فأكرمه السلطان وقرأ مطالعته وأوكب له فى الحوش ، وجلس على المصطبة التى أنشأها (٩٩ب) عوضاً عن الدكّة بالحوش . — وفى يوم الأحد رابع عشرين مسرى زاد الله فى النيل المبارك بعد الوفاء ثمانية أصابع دفعة واحدة ١٥
فعُدّ ذلك من النوادر ، وقد بلغ إلى ثمانية عشر ذراعاً قبل مُضى مُسرى. — وفى ليلة الثلاثاء رابع عشرينه أشيع بين الناس أن المعلّم على الصُغير معامل اللحم قد تسحّب من السجن المسمّى بالعرقانة التى هى من داخل الحوش السلطانى ، ١٨
قيل أنهم نقبوا حائط السجن ونزلوا فى حبال إلى تحت القلعة ، وكان بالعرقانة جماعة من المعاملين وهم المعلّم على الصُغير وأخوه المعلّم أحمد والمعلّم خضر وأخوه المعلّم محمد ، فأما المعلّم على الصُغير لما تدلّى فى الحبل انقطع به فنزل على ضلعه ٢١
فانكسر فأغمى عليه واستمرّ باركاً مكانه حتى قبضوا عليه ، ثم فى صبيحة ذلك قبضوا على المعلّم خضر والمعلّم أحمد أخى على الصُغير وآخرين منهم ، فلما عُرضوا

على السلطان وبخهم بالكلام واشتد غضبه عليهم ورسم بتسليمهم إلى الوالى . — ومما وقع للسلطان فى أمر المصادرات من الغرائب أنه فى أوائل دولته قبض على ٣ شموال اليهودى الصيرفى وعاقبه وعصره هو وزوجته ، واستخرج منه فوق الخمسمائة ألف (١٠٠ آ) دينار ، حتى أخذ رخام بيته الذى فى حارة زويلة فوضعه فى مدرسته ، واستمر يعاقب شموال هو وزوجته حتى ماتا تحت العقوبة ، ٦ انتهى ذلك . — وفى يوم الثلاثاء المذكور قبض السلطان على شمس الدين بن عوض وعلى ولده ووكل بهما فى الجامع الذى بالحوش ، وكان شمس الدين بن عوض رأس المرافعين فى المباشرين قاطبة وهو غير متحبب للناس . — وفى يوم ٩ السبت ثامن عشرينه فيه ثارت فتنة كبيرة من المماليك الجلبان وركبوا وطلعوا إلى الرملة وهم بزموط وكبورة ، وكان سبب ذلك أن اللحم الذى كان يصرف للمماليك فى كل يوم تعطل بواسطة المعلم على الصغير والمعلم خضر بسبب ما تقدم ١٢ لهما ، وكان العليق أيضا معطلا ، فما طاقوا المماليك ذلك فثارت الفتنة من كل جانب وركبوا على السلطان ، وقصدوا قتل الوزير يوسف البدرى فهرب وغيب من بيته ، ثم إن المماليك طلبوا من السلطان نفقة لكل مملوك مائة دينار ، وكان للمماليك ١٥ مدة يقصدون الوثوب على السلطان فما صدقوا بأمر اللحم والعليق فجعلوا ذلك حجة ، فلما ثارت هذه الفتنة اضطربت أحوال القاهرة وزنع الناس قماشهم (١٠٠ ب) وغلقت الأسواق والدكاكين خوفا من النهب كما فعلوا المماليك قبل ١٨ ذلك من أمر النهب كما تقدم لهم ، فبات الناس على وجل . — فلما كان يوم الأحد صبيحة ذلك خشى السلطان من اتساع الفتنة فنادى للمماليك بأن ينفق عليهم لكل مملوك مائة دينار فى أول شهر رجب ، فلما سمع المماليك ذلك خمدت الفتنة ٢١ قليلا وسكن الحال بعد ذلك الاضطراب . — وفى هذا الشهر أفرج السلطان عن القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة وكاتب المماليك وكان له مدة وهو فى الترسيم بجامع القلعة ، وأفرج عن عبد الكريم بن الجيعان وابن عمه محمد بن

(٣) الصيرفى : الصرفى .

صلاح الدين وكانا فى الحديد وهما فى الترسيم بجامع القلعة . وأفرج [عن]
علم الدين المتحدث فى الخزائن الشريفة ، وأفرج عن المعلّم يعقوب اليهودى وبانوب
النصرانى الكاتب فى الخزانة ، فلما أفرج عن هؤلاء وزّع عليهم أربعمائة ألف ٣
دينار ، فقرّر على عبد الكريم بن الجيعان وابن عمّه محمد خمسين ألف دينار ، وقرّر
على شرف الدين الصغير عشرين ألف دينار ، وقرّر على علم الدين خمسين ألف
دينار ، وقرّر على المعلّم يعقوب اليهودى مائة وأربعين ألف دينار ، (١٠١ آ) ٦
وأفرج عن شمس الدين بن عوض وعن ولده وقرّر على شمس الدين بن عوض
مائة ألف دينار ، وقرّر على بانوب النصرانى عشرين ألف دينار ، وهذا على ما
أشيع بين الناس إن كان صحيحا ، فقيل كتبوا خطوط أيديهم بذلك . ٩

وفى جمادى الآخرة فى يوم الخميس ثالثه نزل السلطان من القلعة وشق من
القاهرة وقدّامه ولده ، فزيّنت له القاهرة . واستمرّ حتى نزل فى جامعه الذى أنشأه
فى الشرابشيين فكشف عليه وعلى المدرسة ، فمدّ له هناك الأمير خاير بيك مدّة ١٢
حافلة ، وأنعم فى ذلك اليوم على صوفيـــة المدرسة لكل واحد منهم وأنعم على
البوّابين والفرّاشين وأيتام المكتب ، ففرّق فى ذلك اليوم نحوا من خمسمائة
دينار بأشرفى ، وأنعم على مشايخ الدروس لكل واحد بعشرة أشرفية ، وحضر قدّامه ١٥
قرّاء البلد والوعّاظ ، وكان له موكب حافل ومشت قدّامه الأمراء الرؤوس النوب
بالعصى من باب زويلة إلى الجامع ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء وانطلقت له
الزغاريت من الطيقان ، ولم يقع له من حين عمّر الجامع والمدرسة أنه نزل وكشف ١٨
على عمارتهما سوى هذه المرة ، وكان له يوم مشهود . — ومن الحوادث فى ذلك
اليوم أن السلطان لما طلع إلى المدرسة تزاحمت الناس (١٠١ ب) على سلم
المدرسة فوقع الإفريز الرخام الذى كان على السلم فانعطب من تحته شخص كان ٢١

---

(٦) ألف دينار : جاءت بعد « وعن ولده » فى سطر ٧ .

تحت السُلّم فانكسرت رجله ، وحصل لجماعة آخرين الضرر الشامل بسبب ذلك ، وكان معه من الأمراء الأتابكى سودون العجمى وأركماس أمير مجلس والأمير ٣ سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والأمير طومان باى الدوادار قريب السلطان ، وآخرين من الأمراء المقدّمين والعشرات ، والجم الغفير من الخاصكيّة والجمدارية ، انتهى ذلك . — . . .

٦ وفيه توفى شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له أزبك الشريفى وكان يعرف بأزبك اليهودى ، وكان غير مشكور السيرة . — وفى يوم السبت خامسه (١٠٢ آ) نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو المطرية ، ثم رجع ودخل من ٩ باب النصر وأتى إلى خان الخليلى وكشف عن العمارة التى أنشأها هناك ، وقد ملك خان الخليلى وهدمه وأنشأه عمارة جديدة . — وفى يوم الاثنين رابع عشره عمل السلطان الموكب فى الحوش بالشاش والقماش وأخلع على الأتابكى سودون ١٢ العجمى خلعة الأنظار ، وكذلك سودون الدوادارى رأس نوبة النوب . — وفى يوم الخميس سابع عشره عرض السلطان المعلّم على الصُغير وأخاه المعلّم أحمد والمعلّم خضر وكانوا فى الترسيم مدّة ، فلما عرضوا على السلطان قرّر عليهم اثنى عشر ١٥ ألف دينار وألزمهم بأن يحضروا ذلك فى تلك الساعة وكان يوم الجامكية ، فقالوا ما نقدر على ذلك ، فحنق السلطان منهم فأمر بضربهم بالمقارع فضربوا ضربا مبرحا حتى أشرفوا على الموت ، ولم يقدر أحد من الأمراء يشفع فيهم ، وقد ١٨ قيل فى المعنى :

ومن خدم السلطان أكرم نفسه ولكنه عما قليـــل أهانها
كمن عبد النيران لم ينتفع بها ولم يلقَ إلا حرّها ودخانها

---

(٥) . . . : أورد ناسخ المخطوط هنا خبرا رأى المحقق إهماله ، ويمكن الرجوع إليـه فى طبعة إستانبول .

وفى يوم الأحد عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى نحو المطعم السلطانى ، فجرّبوا هناك قدّامه عدّة مكاحل (١٠٢ ب) فصحّ منها بعض شىء ، ثم عاد إلى القلعة . — وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه توجّه السلطان إلى سدّ أبى المنجا ٣ ففُتح بحضرته ، وكان يوما مشهودا ، ثم توجّه من هناك ونزل فى الحراقة إلى نحو المقياس فمدّ له هناك الزينى بركات بن موسى المحتسب مدّة حافلة ، فأقام هناك إلى بعد الظهر ، ثم نزل فى الحراقة وأتى إلى بولاق فكشف عن المراكب التى أنشأها ٦ هناك ، ثم عزم عليه الأمير خاير بيك الخازندار فى السُبُكية التى ببولاق فمدّ له هناك مدّة حافلة ، فأقام هناك إلى بعد العصر فركب وشق من على جزيرة الفيل من بين الغيطان ، واستمر شاققاً حتى طلع من على قنطرة باب البحر وشق من ٩ المقس ، ثم أتى إلى باب القنطرة وكشف على الربعين اللذين أنشأهما هناك ، ثم شق من سوق مرجوش إلى القاهرة وخرج من باب زويلة وطلع من هناك إلى القلعة ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية . — وفى يوم السبت سادس عشرينه رسم ١٢ السلطان بتوسيط تسعة أنفار ، منهم مشايخ عربان ومنهم جماعة كانوا نقبوا حائط المقشرة وقصدوا التسحّب من هناك فأدركوهم وقبضوا عليهم ، ثم وسطوهم فى أماكن شتّى . — وفى هذا الشهر عمّ النيل أراضى الديار المصرية وتطنّبت ١٥ منه (١٠٣ آ) الخلجان ، وكانت البهجة فى هــذه السنة للخليج الحاكمى لكون أن السلطان علاّ قنطرة الحروبى وقنطرة باب القنطرة وصار يدخل من تحتهما المراكب الكبار المستّرة بالدلّور ، فصار الناس ينزلون فى المراكب ويشقّون ١٨ الخليج الحاكمى إلى عند قنطرة السدّ ويرجعون ، فحصل للمتفرّجين بهجة ثانية ، ونظم الشيخ بدر الدين الزيتونى فى هذه الواقعة بديعيّة كلها غُرَر وذكر فيها ما جدّده السلطان من قناطر وعمائر وغيطان وغير ذلك من التذكار الحسن ٢١

بالديار المصرية وغيرها من الجهات ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى القصيدة التى نوردها هنا وهى هذه :

٣	قد جدّد الغورىّ سلطاننا	قناطر للأجر والخير
	أكرِمْ به من ملك أشرف	مؤيّد بالعزّ منصور
	على الخليج الحاكمى وَضْعُها	قد شاع فى طول وتقصير
٦	قناطرُ الوزّ لقد أقبلت	تزهو ببشنين وفرفور
	كذا بنى وايل معمورة	بأمره من غير مأمور
	وجُدّدت قنطرةٌ بعدها	بالكحل قد ضاءت من النور
٩	قنطرة الحاجب تجديدَه	والعين للحاجب ذو نور
	فاق على الحروب فيما بنى	من ضيق بُنيان وتحقير
	وكان فى تجددها حكمة	لم يحتكمها صاحب السور
١٢	قنطرة الباب ترى فوقها	بابًا بها يسمى بتقدير
	خلاّ(١٠٣ب)بناهاصار فى وُسعة	يدخل فيها كلّ شَخْتور
	بعُدّة القَلع وإن شاء فى	مستَّرٍ فيها بِدَلُّور
١٥	لا يقطع الموصول مع مُنْشِدٍ	غَنَّى على دُفّ وطنبور
	وكل عوّاد نرى عُودَه	صُحْبَةَ جَنْكلىّ وسنطير
	ناصِبها أعْرَبَ فى رفعها	لمركب فى الكسر مجرور
١٨	والموسِكى صلّح بنيانها	بسُرْعة منه على الفور
	كذا حسين صار مع سنقر	بناهما فى مصر كالطّور
	وباب خرْقٍ حار لمّا رأى	قنطرة فاقت على السور

---

(١٢) قنطرة : جاءت فى الأصل بعد « وتحقير » فى سطر ١٠

طُقَزْ دَمُرْ شَيَّدَ بنيانه كذا عُمَرْ شاه بعد تأخير
وكم سباع قادها نَصْرهُ تسلسلت من غير تنكير
ومن بكى فى السُد يوم الوفا يجبر قلب غير منكور ٣
فهو نهار الكسر مع جبره ما بين مكسور ومجبور
وجَسَّرَ البحر بِزَرْبِيَّة فجاء جِسْرٌ غير مشكور
وانقطعت لذاتِ سكانها من مُقلع يأتى ومحدور ٦
وجدّد المقياس حتى غدا يزهو بمنظـوم ومنثور
ومجرةُ الميـدان انشاءه عقودها دور على دور
ميدانه يحكى لنا جنـة مساكن الولدان والحور ٩
أغصانه هبّ عليها الهوى من كل ممدود ومقصور
أطياره فى دوحها غرّدت من كلّ مسموع وعَصْفُور
وكلّ سنّ ضاحكٍ مُطْرِبٍ وكلّ حَسُّونٍ وزَرْزُور ١٢
وبلبل هيّج بلبالنـا وكل قُمرىّ وشحرور
ومن هزار بات مع ألفهِ مطوّقا(١٠٤ آ)بالوصل مسرور
وفاخت فى شُكْره دائما فى ضيقة الأقفاص مأسور ١٥
وبحرة هبّ عليها الهوى جعّدها تنقيش تصوير
فى جمع تصحيح نَرَى ماءها وبالهـوى فى جمع تكسير
وعَمَّرَ القلعة صارت به أماكنًا عامرةَ الدور ١٨
وقد حوى فى مصر من جامع فَرْدٍ بذكر الله معمور
والقبة الزرقاء وصهريجها والمـاء والكيزان والزير
كأن برد الثلج فى مائه لكلّ عطشان ومحرور ٢١
وفى طريق الحجّ كم منْهلٍ عمّره قصداً إلى الخير

---

(٧) ومنثور : ومنشور .

وعين بازان جرى ماؤها تجديدها أمنا من الغور
فالله ينصره ويُبقى لنــا أيّامه أمنا بلا جور
٣ وصلّ يا ربّ على المصطفى مُنْقِذُنا من كلّ محذور
صلاةُ زيتونٍ يُرى نشرها أطيب من مسك وكافور
والآل والأنصار مع صحبه أهل الثنا والفضل والخير
٦ ما أقبل الصـبح بأنواره وأدبر الليــلُ بديجور

انتهى ذلك . —

وفى رجب فى يوم مستهلّه توجهت طائفــة من المماليك الجلبان إلى
٩ شونة السلطان ونهبوا أشياء كثيرة من الشعير ، فعزّ ذلك على السلطان ، وكانت المماليك مُتَقَحِّمة على الشرّ وأشيع أمر الركوب وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك . — وفى يوم الجمعة (١٠٤ ب) ثالثه ، الموافق لسابع عشرين
١٢ توت القبطى ، ثبت النيل المبارك على تسعة أصابع من عشرين ذراعا ، وكان نيلا جيّدا لكن كان حبّ البرسيم غاليا وتناهى سعره إلى خمسة أشرفية كل أردب ، وارتفع سعر سائر الغلال ، واستمرّ النيل ثابتا إلى أواخر بابه . — وفى يوم الأحد
١٥ خامسه قوى أمر الإشاعة بركوب المماليك ووزع التجّار ما كان عندهم من القماش وغلقت الأسواق قاطبة ، وسبب ذلك أن السلطان رجع عن أمر النفقة بعد أن نادى فى القاهرة للعسكر بأن النفقة مع جامكية شهر رجب ، فلما رجع
١٨ عن ذلك أشيع أمر الركوب . — وفى يوم الأحد خامسه عرض السلطان المماليك فى الحوش وهم مماليكه الجلبان فقط ، فلما عرضهم وبّخهم بالكلام وقال : أنا أخلع نفسى من السلطنة وولّوا من تختاروه ، فأقام يعرض المماليك إلى بعد العصر فآل
٢١ الأمر إلى أن وقع الاتفاق على أنه ينفق على مماليكه المشتراوات فقط وأن النفقة تكون أربعين ديناراً فامتنعوا المماليك من ذلك . فتكلم بعض الأمراء مع السلطان

---

(٩) الشعير : الشعيرة . (١٠) والقيل : والقليل .

بأن تكون النفقة خمسين دينارا وهو يقول : ما أقدر على ذلك ، فانفصل المجلس
على أنه ينفق عليهم لكل مملوك خمسين ديناراً ، ثم إن السلطان شرع فى بيع أملاك
ورزق مما كان أوقفهم على مدرسته (١٠٥ آ) بسبب تحصيل المال لأجل النفقة ، ٣
وأظهر أن الخزائن مشحوتة من المال وأنه عاجز عن تحصيل المال . — وفى ليلة
الثلاثاء رابع عشره فيها خسف جرم القمر خسوفا فاحشا ، وأقام فى الخسوف
نحوا من خمسين درجة حتى اظلمت الدنيا ، ولم ينجل إلى قريب التسبيح ، وفى ٦
واقعة حال الخسوف يقول بعض الشعراء :

كأنما البدر وقد شانَهُ خُسُوفه فى ليلة البــدر
وجهُ مليح حَسَن وجهه جارت عليه ظلمة الشَّعر ٩

ثم إن السلطان أرمى على التجار قاطبة شاشات وأُزُرا وأثوابا صوفا ، وأرمى
على السوقة زيتا وعسلا وزبيبا وأصناف بضائع يخسرون فيها الثلث ، وصاروا
يستحثونهم فى سرعة الثمن لأجل النفقة ، فغُلِّقت الأسواق بسبب ذلك وأقامت وهى ١٢
مغلوقة أيّاما ، ثم إن السلطان أرمىَ على بعض جماعة من الأمراء المقدّمين رزق
مشتراواته وحثهم فى سرعة قَبْض ثمن ذلك ، وأرمى على جماعة من أعيان أولاد
الناس مثل ذلك وحثهم فى سرعة قَبْض ثمن ذلك ، ومن جملة أولاد الناس الناصرى ١٥
محمد بن خاص بك ، وغيره من أولاد الناس أيضاً ، وحصل للناس الضرر الشامل
بسبب هذه النفقة ، ثم إن السلطان نفق على مماليكه المشتراوات فقط ولم يعط
المماليك القرانصة شيئا ولا مماليك الأشرف قايتباى ولا المماليك السيفية . فنفق ١٨
على مماليكه لكل (١٠٥ ب) مملوك خمسين دينارا . فعزّ ذلك على المماليك القرانصة
وكثُر القال والقيل فى ذلك ، وأشيع أمر الركوب على السلطان بسبب ذلك ، فلم
يطلع من يدى المماليك القرانصة شيئا وراحت على من راحت . وأكمل السلطان ٢١
النفقة على مماليكه ولم يعط القرانصة شيئا . — وفى يوم الأحد سادس عشرينه

(١٠) الشعر : الشفر . (١١) زيتا وعسلا وزبيبا ... يخسرون فيها : زيت وعسل وزبيب ... يخسروا فيهم .

تشحّط اللحم من القلعة وأقام أياما لم يُصرف للعسكر لحم سوى للمماليك الذين
فى الطباق فقط ، فنهبوا المماليك القرانصة اللحم وهو طالع إلى القلعة ففعلوا
٣ ذلك مرّتين فى هذا الشهر ، انتهى ذلك .

وفى شعبان فى يوم الخميس مستهلّه أخلع السلطان على الأمير يوسف الناصرى ، الذى
كان نائب حماة وولى نيابة ملطية وحماة ونيابة قلعة حلب ثم حضر إلى الديار المصرية ،
٦ فقرّره فى شادية الشراب خاناه ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين توجّه الأمير
أبرك مملوك السلطان إلى حلب وأُعيد إلى نيابة قلعتها كما كان وذلك قبل أن يلى نيابة
طرابلس . — وفى هذا الشهر تشحّط اللحم البقرى والضانى أيضا واضطربت أحوال القاهرة ،
٩ وكان سبب ذلك أن السلطان قد أرمى على الجزارين ثيران الأكرة وأقامهم عليهم
كل ثور بأربعين دينارا ، فهربوا الجزّارون من هذه الرماية وتعطّل بيع اللحم
(١٠٦ آ) البقرى والضانى ، فأقامت المدينة معطّلة أيّاما حتى تراجع الأمر قليلا ،
١٢ وكانت لحوم العسكر معطّلة نحوا من أربعة أشهر لم تُصرف بسبب ما جرى للمعلّم
على الصُغير والمعلّم خضر كما تقدم . — وفى يوم السبت عاشره نزل السلطان
من القلعة وتوجّه إلى نحو تربة العادل وجرّب هناك مكاحل . ثم عاد إلى القلعة
١٥ مِنْ يَوْمِه . — وفى يوم الأحد ثامن عشره نزل السلطان وشقّ من القاهرة وتوجّه
إلى خان الخليلى وكشف عن عمارته التى أنشأها هناك ، ثم توجّه إلى باب الفتوح
وكشف عن عمارة الأتابكى قرقماس التى أنشأها هناك . ثم عاد إلى القلعة . —
١٨ وفى يوم الثلاثاء عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو بولاق وكشف على
المراكب التى عمّرها هناك . ثم نزل فى الحراقة وتوجّه إلى المقياس وجلس
فى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس وأقام هناك إلى بعد العصر ، ومدّ له هناك
٢١ الزينى بركات بن موسى المحتسب مَدّة حافلة . ثم صلّى العصر وعدّى من المقياس
إلى برّ مصر وطلع إلى القلعة وشقّ من الصليبية فى موكب حافل . — وفى يوم
الجمعة ثالث عشرينه . الموافق لسابع عشر هاتور القبطى . فيه قلع السلطان البياض

(٥) نائب حماة : جاءت فى الأصل بعد « المصرية » فى نفس السطر . ‖ ملطية : ملاطية .

ولبس (١٠٦ب) الصوف . – ثم فى يوم السبت صبيحة ذلك نزل السلطان وتوجّه إلى نحو مدرسته التى بالشرابشيّين ، فمدّ له هناك الأمير خايربيك الخازندار مدّة حافلة فأكل منها ، ثم ركب وطلع إلى القلعة . – وفيه أنعم السلطان على الأمير أزبك المكحل بتقدمة ألف كما كان أولا ، وكان من حين شفع فيه قرقد بيك بن عثمان وحضر من دمياط وهو طرّخان ، وأنعم على قانصوه الفاجر بتقدمة ألف أيضا . – وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى المقياس وقرأ هناك ختمة ومدّ سماطا حافلا ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، وعدّى من هناك إلى نحو بولاق فكشف على المراكب ثم عاد إلى القلعة .

وفى رمضان كان مستهلّه يوم السبت فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وطلع الوزير يوسف البدرى إلى القلعة والزينى بركات بن موسى المحتسب ، وطلعوا باللحم والخبز والدقيق والسكر وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ، وكان السلطان فى الميدان فأخلع عليهما ، وكان يوما مشهودا . – وفيه وزّع السلطان على اليهود السمرة نحوا من سبعين ألف دينار فتشكّوا من ذلك ، وسبب توزيع هذا المال (١٠٧آ) أن المعلم يعقوب اليهودى لما صادره السلطان قرّر عليه مائة ألف دينار فشكا من ذلك وأظهر العجز ، فرسم السلطان بأن طائفة اليهود السمرة والرُبّان تساعد المعلم يعقوب فى هذه المصادرة ، فتوزّعوا ذلك [على] السمرة والرُبّان والقرّاء وجماعة من التجّار اليهود ، فحصل لهم الضرر الشامل قاطبة ، وقيل تضاعفت هذه المصادرة إلى دون المائة ألف دينار . – وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من البلاد الحلبية والشامية بأن الموت قد كثر فى الأبقار فمات منها ما لا يحصى ، وقد وقع مثل ذلك بالديار المصرية فى أيام الخلفاء الفاطميين . – وفى يوم الأحد تاسعه نزل السلطان من القلعة وصحبته ولده ، فتوجّه إلى نحو المطعم السلطانى وجلس على المصطبة التى هناك ، فأرموا قدّامه رماية بالطيور والكلاب والشرح فى ذلك اليوم . وَسَيَّرَ إلى قبّة الأمير يشبك التى بالمطرية ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . – وفى يوم الخميس ثالث عشره حضر إلى الأبواب الشريفة قانصوه خزندار

الأمير أزدمر الدوادار الكبير كان ، وكان السلطان قرّر قانصوه هذا فى نيابة عينتاب فسعوا عليه حتى عُزل ورجع إلى مصر وهو (١٠٧ ب) معزول ، بعد
٣ أن سعى فى ذلك بمال له صورة فأقام مدّة يسيرة وعُزل عنها . — وفيه تغيّر خاطر السلطان على الرئيس كمال الدين بن شمس المزين وكان من خواصّه ، فمنعه من الطلوع إلى القلعة ورسم له بأن يتوجّه إلى بلاده ويقيم بها . — وفى يوم
٦ الأحد سابع عشره توفى الأمير عبد اللطيف الزمام ، وكان أصله من خُدّام الأشرف أينال ، وكان ديّناً خيرا ليّن الجانب قليل الأذى ، وكان قد كبُر سنّه وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر ، وكان روميّ الجنس أبيضٌ اللون طويل
٩ القامة نحيف الجسد . — وفى يوم الأربعاء تاسع عشره تغيّر خاطر السلطان على القاضى أبى البقاء ناظر الاسطبل ومستوفى الخاصّ ، فوضعه فى الحديد وعرّاه من أثوابه وكشف رأسه وكان ذلك فى قوّة البرد ، فسلّمه إلى الوالى فى ذلك
١٢ اليوم ونزل من القلعة وهو ماشى عريان مكشوف الرأس فى الحديد ، وحلف السلطان بحياة رأسه أنه لا يلبس أثوابه ولا عمامته حتى يُغلق ما قرّره عليه من المال ، ورسم للوالى بأن يُقعده على البلاط من غير فرش ، وهذه ثانى نكبة وقعت
١٥ لأبى البقا مع السلطان وكان مظلوماً مع السلطان فى هذه الواقعة ، فإن أمره كان رائجاً وله (١٠٨ آ) دواليب قصب بدمياط تسدّ ما عليه فوضع السلطان يده على الدواليب وطلب منه بعد ذلك المال الذى قرّره عليه ، فحصل له الضرر الشامل
١٨ بسبب ذلك ، فكان كما يقال فى المعنى :

يا من يرى خِدْمة السلطان عمدته — هل أرش ذلك إلاّ الهمّ والهرم
فقلبه وَجِلٌ والنفس خائفةٌ — وعِرْضه عَرَضٌ والدين مُلتثم
٢١ هذا إذا كان فى أيام دولته — فكيف بالمرء إن زَلّتْ به القدم

وفيه نفق السلطان الكسوة على العسكر وكانت فى غاية الانشحات من تعطيل المباشرين . — وفى يوم السبت ثانى عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة شخص من

---

(٢) عينتاب : عنتاب . (١٢) عريان : عران .

أمراء عربان الشام يقال له محمد بن ساعد ، وكان من العصاة لم يدخل قط تحت
طاعة السلاطين ولا نواب الشام ، وكانوا يخشون من بأسه ، فحضر فى دولة
الغورى إلى الديار المصرية وصحبته تقدمة حافلة إلى السلطان ما بين مال وخيول ٣
وسلاح وغير ذلك ، فعدّ حضور ابن ساعد إلى مصر من جملة سعد السلطان
قانصوه الغورى وكيف دخل تحت طاعته ، وقد قيل فى المعنى :

أيا مليك العصر لا زلتَ فى عزّ وتأييد ونصرٍ وَفِى ٦
صارمك المشهور ماضى الشبا ونوركّ بالسعد لا ينطفى

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه نزل السلطان من القلعة (١٠٨ب) وصحبته
ولده ، فتوجّه إلى المقياس وأقام به ساعة ، ثم نزل فى الحُراقة وأتى إلى بولاق ٩
وكشف على المراكب التى عمّرها هناك ، ثم ركب من هناك وأتى إلى قنطرة
الحاجب فطلع من عليها ودخل من باب الشعرية ، ثم أتى إلى باب القنطرة وكشف
على الربع الذى عمّره على القنطرة من الجهتين ، وخرج من باب القنطرة وشقّ ١٢
من سوق مرجوش ، ثم شقّ من القاهرة وطلع من بابى زويلة إلى القلعة ، وكان
فى نفر قليل من العسكر ، ومشى الوالى ورؤوس النوب قدّامه بالعصىّ والزينى
بركات بن موسى المحتسب من بولاق إلى القلعة . — وفى يوم الأربعاء سادس ١٥
عشرينه نزل السلطان وسيّر إلى جهة المطرية ثم عاد إلى القلعة . — وفى ذلك اليوم
كان ختم البخارى بالحوش السلطانى فى خيمة كبيرة وحضر القضاة الأربعة ومشايخ
العلم ، وفُرقت الصرر على من له عادة من الفقهاء ، وأخلع على القضاة الأربعة ومن ١٨
له عادة من العلماء ، وكان ختما حافلا . — وفى هذا الشهر كان سعر الحلوى المشبك
والمنفوش فى غاية الارتفاع بموجب غلوّ السكّر والفستق فرفعتُ هذه القصيدة
إلى القاضى بركات بن موسى المحتسب بمعنى أنواع الحلوى وذكرتُ فيها (١٠٩آ) ٢١
أشياء لطيفة فمن ذلك قولى :

---

(٢) نواب : نياب .

لقد جاد بالبركات فضل زماننا بأنواع حلوى نَشْرُها يتَضَوَّعُ
حكتها شفاه الغانيات حلاوةً ألم ترنى من طعمها لست أشبعُ
٣ فلا عيب فيها غير أنّ مُحبّها يُبدِّدُ فيها ماله ويُضَيِّعُ
فكم سِتِّ حسن مع أصابع زبيب بها كلّ ما تهوى النفوسُ مجمَّعُ
وكم كعكعة تحكى أساورَ فضّة وكم عُقْدة حلّتْ بها البسط أجمعُ
٦ كفوف من الحلوى غدتْ مبسوطة لكم بدعاء صالح تتَضرَّعُ
وكم قد حلا فى مصر من قاهرية كذاك المشبّك وصلُه ليس يُقطعُ
وفى ثَوْبِهِ المنفوشِ جاء برَونق فيا حبّذا أنوارَهُ حين تَسْطَعُ
٩ وقد صرتُ فى وصف القطايف هائماً ترانى لأبواب الكنافة أقْرَعُ
فيا قاضياً بالله محتسباً عسى تُرخِّص لنا الحلوى نطيب ونرتَعُ

انتهى ذلك . — وفى يوم السبت تاسع عشرينه أعرض ناظر الخاص خلع العيد
١٢ على السلطان وهى مزفوفة على رُؤوسِ الحمّالين ، وكانت فى هذه السنة فى غاية
الوَحاشة . وهى من القماش القطنيات الملوّن التى مثل العنكبوت وغالبها بلا طرز ،
ولم يعطوا لأحد عادته غير أصحاب الوظائف فقط ، فحل (١٠٩ ب) عند الناس
١٥ كسر خاطر وراحت على من كان له عادة بخلعة فى العيد ، وكان ناظر الخاص
فى هـذه السنة فى غاية الانشحات والمطل للناس . — وفى يوم الأحد ، وهو
الثلاثون ، غمى الهلال ولم يُرَ ، وكان فى أوائل رمضان جاءت الأخبار بأن أهل
١٨ الإسكندرية ودمياط والمحلة قد صاموا يوم الجمعة ، فكان يمكن أن يجىء رمضان
ناقصا بناء على أن غالب البلاد قد صاموا يوم الجمعة ، وكان الصيام فى مصر
يوم السبت ، وكان ذكر فى التقاويم على أن رمضان يجىء ناقصا فجاء تماما ، فقامت
٢١ الأشلة على قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، وقالوا : قدفطّرنا فى أول
رمضان وصوّمنا فى يوم العيد ، وقال :

يا قاضياً بات أعمى عن الهـلال السعيد

---

(١٧) جاءت : جاء .

أفطرت في رمضان وصُمت في يوم عيد

وقال آخر :

إن قاضينا لأعمى أم على عمدٍ تعامى ٣

سرق العيد كأنّ الـ . . عيد من مال اليتامى

وقد وقع مثل ذلك فى أيام الهروى وكان سببا لعزله من القضاء .

وفى شوال كان مستهلّ الشهر يوم الاثنين ، وكان موكب العيد حافلا ، فأخلع ٦ على الأمراء وأرباب الوظائف وكانت الخلع سُبّة من السُّبَب . — وكان القاضى كاتب (١١٠ آ) السر محمود بن أجا متوعكا فى جسده وكان له مدّة وهو منقطع فى داره فحصل له الشفاء ، فدخلتُ إليه فى يوم العيد وسلّمْتُ عليه وهنّيْته بالعيد وبالشفاء ٩ وقدّمت إليه هذين البيتين ، وهما :

قد عمّ بالعيدين فرّحات الورى بشفائكم وبعيد فطر أشرفا

فالشكر لله الذى عافاكموا لما توسّلنا بآيات الشفا ١٢

وكان حاضرا فى المجلس جماعة من الأعيان فطربوا لذلك ، ولى فيه قبل ذلك من المديح وقد صرّحتُ باسمه بما وافق التورية فى المعنى ، وهو قولى :

يا قاضيا شأنه الأسرار يكتمها لا يعدم الناس جوداً فيك موجودُ ١٥

فالناس تُحْمَد من فعل تسود به وأنت فى سائر الأفعال محمودُ

وفى يوم السبت سادسه نزل السلطان وتوجّه إلى المقياس ، وصنع له الزينى بركات بن موسى المحتسب طواجن بورى ومأمونية وحلوى وأشياء مؤنّقة ، فأقام ١٨ هناك إلى بعد العصر ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية . — وفى يوم الثلاثاء تاسعه نزل السلطان وتوجه إلى خان الخليلى وكشف على عمارته التى أنشأها هناك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه ، وقد أضرّ الناس كثرة نزول السلطان وتعطّلت ٢١ أحوال الرعيّة من عدم المحاكمات فى (١١٠ ب) أشغال الناس وقد قلّت العلامة

---

(١٨) مؤنّقة : ماه نقة .

على المراسيم ، فكان السلطان يقعد نحوا من أربعين يوما لا يمسك فيها قلما ،
ولا يُعلّم على مرسوم ، حتى عزّت العلامة جدّا وأبيعت ، وكان السلطان يكره
٣ المحاكمات ويكره العلامات على المراسيم ، وكان دأبه الركوب فى كل يوم والاشتغال
برؤية التنزّه والرياضات دائما . — وفى يوم الاثنين ثامنه حضر إلى الأبواب
الشريفة أبرك نائب طرابلس ، وهو من مماليك السلطان ، وكان ولى نيابة قلعة
٦ حلب ، ثم حضر إلى القاهرة فى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، فلما حضر قرّره
السلطان فى شادية الشرابخاناه عوضا عن ولده لما تُوفّى ، فأقام بمصر نحوا من شهر
وعاد إلى حلب وقُرّر فى نيابة قلعتها ، ثم ولى نيابة طرابلس فتغيّر خاطر السلطان
٩ عليه فأرسل خلفه فحضر ، فلما قابل السلطان لم يخاطبه ولا أخلع عليه ، ثم نزل
فى مكان عُدّ له . — وفى يوم الاثنين خامس عشره جلس السلطان فى الميدان
جلوسا عامّا ، ثم عرض كسوة الكعبة الشريفة والبُرقع ومقام إبراهيم عليه السلام
١٢ والمحمل الشريف ، فشقوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود . — وفيه ظهر
بالقبّة التى أنشأها السلطان فى مدرسته تشقّقا فاحشا حتى آلت إلى السقوط ،
فأمر بهدمها (١١١ آ) فهُدمت من سُفْلها ، ثم علّقوها ورمّوها رمّا حافلا ، وقد
١٥ تقدّم أن المئذنة التى بالجامع هدمت قبل ذلك وأعيدت ثانيا . — وفى يوم الخميس
ثامن عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان له يوم مشهود
حتى ارتجت له القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل الأمير طومان باى الدوادار
١٨ الكبير ابن أخى السلطان ، وبالركب الأول الأمير بيك باى أحد الأمراء العشرات
الذى كان نائب القدس قبل ذلك ، وفى هذه السنة حجّ جماعة كثيرة من الأعيان
منهم الأمير خاير بيك أحد المقدّمين الألوف الذى كان كاشف الغربية قبل ذلك ،
٢١ وحجّ الشرفى يونس بن الأقرع نقيب الجيوش المنصورة ، وغير ذلك جماعة
من الرؤساء بالديار المصرية ، وحجّت فى هذه السنة زوجة الأمير طومان باى ابنة

---

(١) يقعد : يقد . (٢) وكان : كل . (١٥) المئذنة : المادنة .

الأمير أقبردى الدوادار ووالدتها بنت خاص بيك ، وحجّت أيضا زوجة الأتابكى
سودون العجمى ، وغير ذلك جماعة من مشاهير الستات . وحجّ شيخ العرب
الأمير أحمد بن بقر ، وحجّ حُسام الدين بن بغداد وجماعة من مشايخ عربان ٣
هوارة . وغير ذلك من الأعيان . — وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه حضر إلى
الأبواب الشريفة يخشباى حاجب حجّاب دمشق ، وكان ولى نيابة صفد (١١١ب)
ونيابة حماة ثم ولى نيابة طرابلس ثم بقى بعد ذلك حاجب حجّاب دمشق ، ٦
وكان صهر الأتابكى دولات باى قرابة العادل ، فحضر إلى الديار المصرية بطّالا ،
فعيّن له السلطان لما حضر تقدمة ألف وصار يقف مع الأمراء المقدّمين . —
وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه رسم السلطان بتوسيط أربعة أنفار قد سرقوا ٩
وقتلوا ووجب عليهم القتل ، فوسّطوهم فى الرملة . انتهى ذلك .

وفى ذى القعدة فى يوم الأربعاء ثانيه نزل السلطان وتوجّه إلى المقياس وأقام
به إلى بعد العصر ، وطلع وشقّ من الصليبة فى موكب حافل . — وفى يوم الخميس ١٢
ثالثه قبض السلطان على شمس الدين بن عوض ووكّل به بجامع القلعة إلى أن
يكون من أمره ما يكون . — وفى يوم الاثنين رابع عشره نزل السلطان وتوجّه
إلى المقياس ، وعزم على الأمراء المقدّمين قاطبة . وجلس هو وإيّاهم فى القصر ١٥
الذى أنشأه على بسطة المقياس . ومدّ لهم فى ذلك اليوم أسمطة حافلة ، ونصبت
الأمراء لهم صواوين على شاطئ البحر الذى تجاه الجيزة ، وأغدق عليهم فى ذلك
اليوم بأشياء كثيرة من حلوى وفاكهة وغير ذلك ، فأقام هناك إلى قريب العصر ١٨
ثم نزل فى الحُراقة وتوجّه إلى بولاق . (١١٢آ) ونُصب له فى الحراقة سحابة
أطلس أصفر . وقيل أنه ألبس الأمراء المقدّمين فى ذلك اليوم لكل واحد منهم
سلارى ما بين وَشَق وصمّور ، وكان ذلك اليوم بالسلطانى . — وفيه أحضروا ٢١
بين يدى السلطان شخصا من الشحّاتين الجعيديّة ، وجدوا معه مائة وسبعين
دينارا وهم ضرب الأشرف برسباى . فقال له السلطان : من أين لك هذا الذهب ،
فقال : ورثتهم من أبى ، فأخذ السلطان منه ذلك الذهب وسلّمه إلى محمد مهتار ٢٤

الطشتخاناه . ورسم بأن يشترى للشحات من ذهبه جوخة وقيصا وعمامة وأن يصرف له فى كلّ يوم نصفين فضة يأكل بها حتى تفرغ فلوسه ، فلم يرض ٣ الشحات بذلك وصار يقول : عيدولى ذهبى وما لى حاجة بكسوتكم ، واستمرّ الذهب تحت يد محمد المهتار .

وفى ذى الحجة فى يوم الاثنين خامسه فرّق السلطان الأضحية على العسكر ، ٦ وقطع لجماعة كثيرة من الفقهاء والأيتام ، وضيّقوا كُتّاب المماليك على الناس فى هذه السنة فى تفرقة الوصولات إلى الغاية . وراحت الأضحية فى هذه السنة على كثير من الناس . – وفى يوم الثلاثاء خامس عشره ركب القاضى (١١٢ ب) ٩ كاتب السرّ محمود بن أجا وطلع إلى القلعة ، وكان له مدّة خمسة أشهر لم يركب وهو منقطع فى داره فركب فى ذلك اليوم ، وأخلع عليه السلطان كاملة مخمل أحمر بصمور ، ونزل إلى داره وهو فى غاية العظمة . وقد قلت فى ذلك :

١٢ سيّدى أنت معدن التشريف بدرُ تمّ منزّه عن خسوف
فابق واسلم ودُم وعش فى شفاء لألوفٍ من كل عصر ألوف

وفى هذا الشهر نادى السلطان على الفلوس الجدد والعتق بأن الرطل منهم ١٥ بثمان عشرة نقرة ، وضرب فلوسا معاددة تخسر فيهم السوقة الثلث . وهم فى غاية الخفة ، فصارت البضائع تباع بسعرين ، سعر بالفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق . – وفى يوم الثلاثاء خامس عشره المذكور أعلاه توفى الشيخ علاى الدين ١٨ المُلَّة على العجمى الشافعى شيخ تربة جانى بك نائب جدّة . وكان من أعيان علماء الشافعية ، وله شهرة فى مصر بين العلماء . وكان لا بأس به . – وفى يوم الخميس سابع عشره رضى السلطان على أبى البقا ناظر الاسطبل . وأخلع عليه واستمرّ ٢١ على وظيفته كما كان بعد أن قاسى شدائد ومحنا . وقد تقدم ذكر ذلك . – وفيه توفى القاضى نور الدين الأشمونى ، وكان من أعيان نوّاب الشافعية بقية الناس

(٨) الثلاثاء : كذا فى الأصل ، ويلاحظ أن الخامس عشر من ذى الحجة سنة ٩١٧ يوافق يوم الخميس ، كما يلاحظ اختلاف التواريخ الواردة فيما يلى لأيام هذا الشهر .

وله شهرة بين النوّاب ، وكان لا بأس به . — (١١٣ آ) وفيــه أذن السلطان للخليفة المنفصل المستمسك بالله يعقوب ، والد المتوكل على الله محمد ، بأن يركب إلى صلاة الجمعة ويسيّر ويزور القرافة ، وكان من حين انفصل من الخلافة وولى ٣ ولده وهو مختفى فى داره لم يركب ولم يجتمع بأحد من النـــاس ، حتى أذن له السلطان فى الركوب . — وفى يوم الخميس عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد على دولات وصحبته تقدمة حافلة للسلطان ، فمن جملتها مماليك وخيل وجمال ٦ بخاتى ، ومن جملة ذلك خيمة كبيرة منقوشة بحرير ملوّن صفة أشجار مزهرة وعليها أطيار ، ومن جملة التقدمة خركاه خشب مدهونة بماء ذهب ولازورد وألوان غريبة وهى منقوشة هيئة وحوش كاسر ومكسور ، ولهذه الخركاه غشى ٩ جوخ أزرق مقصّص ، ولها أطناب وعراوى حرير أحمر ولها باب خشب موشق وعليه ضبّة ، ولتلك الخركاه بساط مدوّر على قدرها منقوش صنعة غريبة لم يعمل مثله ، وكانت هذه الخركاه من تحف حسن بيك الطويل فوصلت إلى اسمعيل ١٢ الصوفى والصوفى أرسلها إلى على دولات وعلى دولات أرسلها إلى السلطان ، فكانت هذه الخركاه والخيمة من جملة التحف الغريبة (١١٣ ب) فأمر السلطان بنصبهما فى الحوش للفرجة ، وأركب فى ذلك اليوم لأجل القاصد موكبا حافلا بغير ١٥ شاش ولا قماش . — وفى أواخر هذه السنة توفى القاضى شمس الدين المتوفى أحد نوّاب الشافعية . — وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه حضر مبشر الحاجّ وأخبر بالأمن والسلامة ، وكان أشيع بين الناس عن الحجّاج أخبار مهولة فبطل ذلك ١٨ حين جاء المبشر وكان من أهل الفضل . — وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه عزم السلطان على قاصد على دولات فى الميدان ، وجلس هو وإيّاه على البحرة التى فى البستان ، ومدّ له هناك مدّة حافلة ، وقد عزم عليه قبل ذلك مرّة أخرى ٢١ فأقام عنده إلى بعد الظهر فى الميدان ، ثم انصرف القاصد وطلع السلطان إلى القلعة ،

(١٦ — ١٧) وفى أواخر ... الشافعية : وردت فى الأصل قبل « فأمر » فى سطر ١٤ . (١٨) فبطل : ويطلب .

وألبس القاصد سلارى بصمور من ملابيسه . — وفى يوم الخميس تاسع عشرينه
رسم السلطان بتسمير ثلاثة أنفار ، قيل أنهم سرقوا حجرة من حجورة السلطان
٣ تسوى نحو مائتى دينار ، فسمّروهم ووسطوهم ، وقيل إن الحجرة سرقت وهى
فى الربيع فى برّ الجيزة . — انتهى ما أوردناه من أخبار هذه السنة ، وقد خرجت
عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة لم يقع فيها طاعون ولا فتن ، غير أن كان
٦ البرد فيها شديدا ووقع فيها عدّة أيام أفرط فيها البرد حتى جمدت المياه (١١٤ آ)
وصارت جليدا ، وأحرق غالب الأشجار ، ووقع فيها تشحيطة فى سائر الغلال
وتناهى سعر القمح إلى أشرفين كل أردب ، وكذلك الشعير والفول وجميع
٩ الحبوبات كانت مشتطة فى أسعارها ووقع الغلاء فيها أيضا ، حتى وقع الغلاء فى أصناف
الخضر أيضا ، [و] فى سائر البضائع من السكر والعسل والزيت والسمن والسيرج حتى
الزيت الحارّ والزبيب والأرز وسائر الأصناف حتى البرسيم وغير ذلك .

١٢ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وتسعمائة

فيها فى المحرم كان مستهلّ الشهر بالجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة يهنّون
السلطان بالعام الجديد . — وفى يوم الأحد ثالثه نزل السلطان من القلعة ، وصحبته
١٥ ولده ، فتوجّه إلى القرافة وزار الصالحين ، ثم توجه من هناك إلى شاطئ البحر
فشقّ من عليه وطلع من على الصليبة إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين رابعه أخلع
السلطان على قاصد على دولات وأذن له بالسفر إلى بلاده . — وفى يوم الثلاثاء
١٨ خامسه نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطرية ، وكان يوما ماطرا مغيّما ، فنزل من
هناك فى قبّة الأمير يشبُك التى بالمطرية ، فأقام (١١٤ ب) بها إلى أواخر النهار ثم
عاد إلى القلعة . — وفى يوم الأربعاء سادسه توفى الشيخ شمس الدين محمد
٢١ الغزّى خطيب جامع السلطان الذى فى الشرابشيين ، وكان من أهل العلم والفضل
وكان علاّمة فى الخطب فصيحا فى عبارته ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الجمعة
ثامنه توفى القاضى عزّ الدين عبد العزيز بن الأمانة أحد نوّاب الشافعية ، وكان

(٢ و ٣) حجرة وحجورة : حجيرة وحجوزة ، وهو نوع من الخيل . (٦) جمدت : جمد

لابأس به . وهو ابن أخى القاضى جلال الدين بن الأمانة . — وفى يوم السبت
تاسعه طلع الرئيس كمال الدين بن شمس المزين وقابل السلطان . وقد تقدم القول
بأنه قد تغيّر خاطره عليه ومنعه من الطلوع إلى القلعة . فاختفى هذه المدّة ولم ٣
يعلم له خبر . فطلع فى ذلك اليوم وصحبته فقراء من مقام سيّدى إبراهيم الدسوقى
رضى الله عنه وهم يذكرون ومعهم أعلام ومصاحف فدخلوا الحوش . وكان
السلطان عرض فى ذلك اليوم مماليك كتابية وأخرج منهم خرجا على جارى ٦
العادة . وكان فى ذلك اليوم فى غاية السودنة . فلما دخلوا تلك الفقراء عليه وهم
على هذه الهيئة فازداد سودنة . فلما وقفوا بين يديه فرأى كمال الدين بن شمس
وعليه إحرام (١١٥ آ) صوف أبيض وهو بطيلسان وعذبة فى عمامته . فلما رأى ٩
ذلك نهر الفقراء الذين معه وشتمهم ، ثم التفتّ إلى كمال الدين بن شمس ووبخه
بالكلام وشتمه وسبّه سبّا فاحشا وقال له : أنا ما قلت لك لا تريني وجهك فأنا
ما شوّشت عليك ولا صادرتك فما تروح عنى بشحم كلاك غبت وجئت إلىّ ١٢
شيخ من المشايخ متى بقى لك سرّ وبرهان ، ثم إن السلطان رسم بتسليمه إلى الوالى
يعاقبه . ثم فى ثانى يوم أشيع بين الناس أن السلطان أرسل كمال الدين إلى المقشرة ،
فما أحد شكر كمال الدين على ذلك ، وكان عدم مقابلته له أصوب . وكان كمال الدين ١٥
من خواصّ السلطان ويكبّسه وقت الظهر إذا نام . ثم تغيّر خاطره عليه . وكان
سبب ذلك أن السلطان حصل له قرو فى محاشمه فقصده كمال الدين فى محاشمه
عدّة مرار . فبلغ السلطان أن كمال الدين قد شرع يقول للأمراء والناس أن السلطان ١٨
بقى قيليط . فتغيّر خاطره عليه بسبب ذلك وقيل كان كمال الدين يبلص الأمراء
والمباشرين على لسان السلطان ، فكثرت فيه المرافعات من كل جانب وسقط
نجمه من السماء . — وفى يوم (١١٥ ب) الأحد ، وهو يوم عاشوراء ، فيه نزل ٢١
السلطان وتوجّه إلى نحو المقياس وجلس فى القصر الذى أنشأه هناك ، وكان معه
جماعة من الأمراء ، فأقام هناك إلى قريب المغرب ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى
الغاية ، ومدّ هناك أسمطة حافلة وأحضر بين يديه مغانى وأرباب الآلات . ثم إن ٢٤

شخصا مُضحكا يقال له على باى الذى يعمل عفريتا فى المحمل ، فقام رقص. ثم
سحب الوالى كرتباى فرقّصه ، ثم سحب أمير آخور ثانى أقباى الطويل فرقّصه ،
٣ ثم سحب بركات بن موسى المحتسب فرقّصه ، ثم سحب عبد العظيم الصيرفى
فرقّصه ، وكان جسيما فضحك عليه السلطان ، ونثروا بين يديه أشياء من أنواع الورد
والزهر والفاكهة ومجامع الحلوى فتخاطف ذلك المماليك ، وابتهج فى ذلك اليوم ،
٦ ثم عدّى أواخر النهار من الروضة وطلع من عند قصر ابن العينى الذى بالمنشية ،
وطلع من هناك إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين حادى عشره حضر إلى الأبواب
الشريفة قُصّاد من عند ملوك الفرنج الفرانسة ، وكانوا هذا القُصّاد من رؤساء
٩ الفرنج ، فأرسل لهم السلطان خيولا يركبونها من بولاق إلى القلعة ، فلما طلعوا
أوكب لهم السلطان (١١٦ آ) بالحوش ، وزيّنوا لهم باب الزردخاناه وباب القلة
بالصناجق واللبوس وآلة السلاح ، فلما طلعوا إلى القلعة فكانوا نحوا من خمسين
١٢ نفرا ، ومن أعيانهم اثنين لابسين ثياب مخمل كفوى ، فى أرقابهما سلاسل من ذهب ،
فلما أن وقفوا بين يدى السلطان أظهروا التعاظم ثم باسوا له الأرض . فلما قرؤوا
كتابهم انصرفوا وأنزلوهم فى بيت كاتب السرّ أبو بكر بن مزهر الذى فى بركة الرطلى ،
١٥ ونزل نائب المهمندار صحبتهم ، وشقّوا من القاهرة ، وكان ذلك يوما مشهودا . —
وفى يوم الخميس رابع عشره توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له تمر
الذى كان كاشف الجيزة فيما بعد . وكان موته فجأة . — وفى هذا الشهر قرر
١٨ السلطان قاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيى بن قاضى القضاة برهان الدين الدميرى
فى خطابة جامعه الذى بالشرابشيين . عوضا عن شمس الدين الغزّى بحكم وفاته ،
فلما سعى الشرفى يحيى فى الخطابة رسم له السلطان بأن يخطب به حتى يسمع
٢١ خطبته ، وكان ذلك فى أول جمعة فى السنة ، وخطب قاضى القضاة الشافعى كمال الدين
فى ذلك اليوم فى جامع السلطان ، فلما خطب الشرفى يحيى بالسلطان أعجبه (١١٦ ب)
خطبته فقرّره فى خطابة جامعه عوضا عن الغزّى . — وفى يوم الخميس

---

(٩) خيولا يركبونها : خيول يركبونهم . (١٧) فيما بعد : فيما بعد تمر . (٢٣) جامعه : جامه .

حادى عشرينه دخل أمير الحاجّ بالركب الأوّل وهو الأمير بكباى ثم فى يوم السبت
ثالث عشرينه دخل المحمل إلى القاهرة صحبته أمير الحاجّ طومان باى الدوادار
الكبير ، فطلع إلى القلعة وأخلع عليه السلطان فوقانى بطرز يلبغاوى عريض ، ٣
وأخلع على من حجّ معه من الأعيان وهم الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد
المقدّمين ، والشرفى يونس نقيب الجيوش المنصورة ، وشيخ العرب أحمد بن بقر ، وغير
ذلك من مشايخ العربان ممن كان فى الحجاز ، ومنهم ابن بغداد وآخرون من ٦
الأعيان ، فنزل الأمير طومان باى فى موكب حافل وقدّامه الأمراء المقدّمين قاطبة ،
وكان له يوم مشهود ، وقد رجع من هذه السفرة والناس عنه راضية ، وأشيع
عنه أخبار حسنة مما فعله فى طريق الحجاز من وجوه البرّ والإحسان وفعل ٩
الخير وحمل المنقطعين والصدقات بطول الطريق على الفقراء والمساكين ، فشكر له
الناس ذلك . — وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه ورد على السلطان (١١٧ آ)
أخبار رديّة من البحيرة بأن العربان قد جالت هناك والقتل بينهم عمّال ، وقد آل ١٢
أمر تلك الجهات إلى الخراب ، وقيل تحالفت سبع طوائف من العربان بأن
يكونوا كلمة واحدة على العصيان ، فلما تحقق السلطان ذلك عيّن جماعة من الأمراء ،
فلم يبادروا بالعزم إلى ذلك ، فحنق منهم وقال : أنا أخرج إلى ذلك بنفسى ، فشرع ١٥
فى ذلك اليوم بعرض السنيح والخيول والجمال والسقايين ، ورسم بعمل إحراقة
نفط على أنه يتوجّه من هناك إلى ثغر الإسكندرية ، فقوى عزمه على ذلك وأقام
يعرض أشياء كثيرة فى الميدان إلى بعد العصر ، وما يُعلَم ما بعد ذلك . — وفى ١٨
يوم الجمعة تاسع عشرينه جاءت الأخبار من البحيرة بأن عرب عزالة وغيرهم
من العربان قد أظهروا العصيان وزحفوا على البلاد وأفسدوا الزروع ونهبوا
المغل ، وأن شيخ العرب الجويلى معهم فى المحاصرة ، وطردوا كاشف المنوفية وغيره ٢١
عن البلاد ، فلما تحقق السلطان ذلك عين لهم تجريدة وبها من الأمراء الأمير

(١٣ — ١٤) وقيل . . . العصيان : جاءت فى الأصل قبل « وفى يوم الثلاثاء » فى سطر ١١ .

طومان باى الدوادار الكبير قريب السلطان الذى كان فى الحجاز ، وعيّن أيضا
الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد المقدّمين ، وعيّن الأمير علاّن الدوادار الثانى
٣ أحد المقدمين ، وآخرين من الأمراء والعسكر ، فصلّوا صلاة الجمعة (١١٧ب)
وخرجوا على جرائد الخيل ، فرجّت لهم القاهرة ، فخرج الدوادار ومن معه من
الأمراء ونزلوا بإنبابة حتى يتكامل خروج بقيـــة العسكر ، وقد كثر الكلام
٦ وزادت الإشاعات بسفر السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، وأنه أرسل يقول للخليفة
والقضاة الأربعة : جهّزوا لكم يرق حتى تخرجوا صحبتى إلى ثغر الإسكندرية ،
وكذلك أعيان المباشرين ، فاضطربت الأحوال بسبب ذلك . — وفى يوم السبت
٩ سلخه جلس السلطان بالميدان ، وعرض جماعة من العسكر فكتب منهم نحوا من
ماتى مملوك ، وأمرهم بسرعة الخروج مع الدوادار إلى البحيرة ، وكتب طائفة
من المماليك إلى جهة الفيوم والبهنسا ، فبينما السلطان يعرض العسكر فورد عليه.
١٢ قصّاد من عند نائب حلب ، وأخبروا بأن أوائل عسكر إسمعيل شاه الصوفى قد
وصل إلى البيرة ، وأن جماعة من عسكر البيرة التفّ على عسكر الصوفى ، فتنكّد
السلطان فى ذلك اليوم لهذه الأخبار واضطربت أحواله بين أمر العربان الذين
١٥ جالت وبين أمر الصوفى ، ولله الأمر فى ذلك . — وفى هذا الشهر طلع قاصد
ملك الفرنج بتقدمة حافلة للسلطان ما بين أوانى بلور مزيكة (١١٨آ) بذهب ،
وحمالين عليهم جوخ ومخمل وتماسيح مذهب ، وقيل وذهب عين ، وغير ذلك أشياء
١٨ حافلة تصلح للملوك . — وفى أواخر هذا الشهر أخلع السلطان على شرف الدين
ابن رَوق وقرّره فى نظر الخزائن الشريفة وجعله مستوفيا على أولاد الجيعان ، وقد
سعى فى ذلك بخمسة آلاف دينار فاستخفوا الناس عقله على ذلك الذى يستوفى
٢١ على أولاد بنى الجيعان وهذه غاية الخفّة ، وأشيع أنه متحدث فى وكالة بيت المال
أيضا ، وغاية الأمر أن كان معه مال فأذهبه فى البطال على شىء لا يظهر له منه
نتيجة ، وكان ساعيا قبل ذلك فى قضاء الشافعية بمصر فما تمّ له ذلك ، وقد خفّ

(٢٢) الأمر : أمر .

وركب الخيل وطاش فى الحال . — وفى أواخر هذا الشهر توفيت الستّ بنت خوند بنت الملك المؤيّد شيخ ، وهى بنت الأمير يشبك الفقيه الذى كان دوادارا كبيرا فيما بعد ، وكانت من أعيان الستات. ٣

وفى صفر بطل سفر السلطان إلى ثغر الإسكندرية بموجب ما ورد عليه من أخبار الصوفى فتنكّد لذلك . — وفى يوم الاثنين ثانيه خرج الأمير قانصوه ابن سلطان جركس أحد المقدّمين والأمير ماماى جوشن ، فتوجها إلى نحو البهنسا ٦ والفيوم ، وخرج صحبتهما (١١٨ ب) نحو من مائتى مملوك . — وفى يوم الخميس خامسه رسم السلطان بشنكلة شخص من الغلمان زعموا أنه أحرق بيت أستاذه لأجل النهب ، فاحترق فى ضميمته عدّة بيوت وربوع ، فلما قبضوا عليه أعرضوه ٩ على السلطان فرسم بأن يشنكل ويعلّق فى مكان أحرقه ، ففعلوا به ذلك . — وفى يوم الاثنين تاسعه توفيت الريّسة خديجة أم خوخة ، وكانت من أعيان مغانى الدكّة ، ولها فى هذا الفنّ اليد الطويلة ، وقبل ذلك بأيّام قلائل توفيت الريّسة ١٢ بدرية بنت جريعة وكانت من أعيان المغانى أيضا ، ولها شهرة بين المغانى بذلك . — وفى يوم الخميس ثانى عشره توفى الأمير طوخ المحمدى أحد الأمراء الطبلخانات ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباى وقيل أن أصله كان من مماليك تنم نائب ١٥ الشام ، وكان لا بأس به عِشرة لطيف الذات . — وفى يوم الاثنين سادس عشره حضر الأمير طومان باى الدوادار ، وكان قد توجّه إلى البحيرة بسبب فساد العربان كما تقــدم ذكر ذلك . — وفى يوم الجمعة عشرينه عرض السلطان ١٨ العسكر فى الميدان باكر النهار ، فعيّن من فرسانهم جماعة يتوجّهون صحبة الجُوَيْلى شيخ جهات البحيرة ، ورسم السلطان إلى العسكر بأن يقيموا بالبحيرة إلى (١١٩ آ) بعد وفاء النيل . — وفى يوم الثلاثاء سابع عشره غيّب القاضى شرف الدين ٢١

(٧) وخرج نحو من مائتى مملوك : خرج نحوا من مائتين مملوكا ‖ الخميس : الاثنين .
(٩) ضميمته : كذا فى الأصل ، ويعنى ما يضم إلى البيت مما يجاوره . (١٤ – ١٥) توفى . . . قايتباى : جاءت فى الأصل بعد « نائب الشام » فى سطر ١٦ .

الصغير كاتب المماليك ، فلمّا غيب اختنى جميع أقاربه حتى غلمانه وحاشيته ، فرسم
السلطان للقاضى بركات بن موسى أن يكبس على داره ويفحص عن أمره ، وقد
٣ اشتدّ الأمر فى طلبه جدا ، وسبب ذلك أن كان عليــه تقاسيط من المال على
الجوامك فى كل شهر فلم يثر بذلك فغيّب واختنى . — وفى يوم الاثنين ثالث
عشرينه فيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد ملك الفرنج البنادقة ، فكان له يوم
٦ مشهود، وأوكب السلطان فى ذلك اليوم وزيّن باب الزردخاناه باللبوس والسلاح ،
ثم طلع القاصد وصحبته تقدمة حافلة نحو من مائة حمّال ما بين أوانى بلور وجوخ
ومخمل وأثواب مخمل تماسيح وشقق وحرير أطلس وغير ذلك أشياء حافلة ، فطلع
٩ القاصد وهو راكب على فرس وقدّامه سبعة أنفس من أخصّائه وهم راكبون
على خيول والباقى مشاة ، فكانوا نحوا من خمسين إنسانا من جماعة القاصد الذين
جاؤوا صحبته ، وكان القاصد رجلا شيخا بذقن بيضاء وهو جسيم وعليه وقار ، وكان
١٢ لابسا خلعة جرّ ذهب على حرير أصفر فطلعوا إلى القلعة (١١٩ ب) وقابلوا
السلطان ثم نزلوا إلى مكان عُدّ لهم ، وأشاعوا أن قاصد ملك الفرنج قد جاء يسعى
عند السلطان فى فتح القيامة التى بالقدس الشريف ، وكان السلطان أغلق بابها
١٥ ومنع الفرنج من الدخول إليها بسبب ما تقدم منهم . — وفى ذلك اليوم أطلق
السلطان شيخ العرب بقر بن الأمير أحمد بن بقر ، وكان له مدّة طويلة وهو
فى البرج بالقلعة ، فأفرج عنه فى ذلك اليوم وكان له نحو من اثنتى عشرة سنة
١٨ وهو فى البرج بالقلعة مقيّد ، فشفع فيه أبوه الأمير أحمد بن بقر وضمنه حتى أطلقه
السلطان . — وفى يوم الجمعة سابع عشرينه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ،
ووافق ذلك ثامن عشر بشنس القبطى ، وقد أبطأ فى قلع الصوف هــذه السنة
٢١ بموجب أن الوقت كان وطبا . — ومن الحوادث فى أواخر هذا الشهر أن قد
سُرق من سوق الباسطية ثلاثة دكاكين ، وكذلك من الصاغة ، فراح على التجّار

---

(٤) فلم يثر بذلك : كذا فى الأصل ، ويعنى لم يقم بذلك . (١٤) القيامة : القمامة .
(١٧) اثنتى عشرة : اثناء عشر .

جملة أموال لها صورة ولا يُعلَم من فعل ذلك ولا نُقب لهم حائط ، وراحت على
من راح . — وفى يوم السبت ثامن عشرينه أرسل الأمير قانصوه بن سلطان
جركس الذى توجه إلى الصعيد فبعث ثمان رؤوس من عرب عزالة (١٢٠ آ) ٣
منهم شخص يسمى خضر بن كروان وكان من كبار المفسدين ، وقيل هو الذى
كان سببا فى قتل ابن جميل ، وقد تقدم ذكر ذلك . — وفى يوم الأحد تاسع
عشرينه رسم السلطان بعرض السادة الأشراف ، وسبب ذلك أن السلطان قصد ٦
أن يخرج عنهم شيئا من الجهات الموقوفة عليهم مثل بركة الحبش وبلقس وغير
ذلك من الجهات ، وكان القائم فى مرافعتهم الشريف بن مُصَبّح دلاّل الأملاك ،
فالتزم بأن يُوفّر للسلطان من هذه الجهات فى كلّ سنة عشرة آلاف دينار ، ٩
فرسم السلطان بعقد مجلس بالقضاة الأربعة بسبب الأشراف ، وقد طعنوا فى
أنساب جماعة منهم ، وهذه من جملة الوقائع الفاحشة فلا حول ولا قوّة إلا
بالله العلى العظيم . ١٢

وفى ربيع الأول طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فكان فى ذلك اليوم
عقد مجلس بين يدى السلطان بسبب بنت يشبك الدوادار زوجة قانى باى قرا
أمير آخور كبير وبنت جانى بيك حبيب زوجة الأمير دولات باى قرموط . — وفى ١٥
ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية الخامسة التى جدّدها لأجل المماليك التراكمة
وأولاد الناس الذين نزّلهم ، فقيل إنه عوّق جوامك جماعة منهم وقطعها . — (١٢٠ ب)
وفى يوم الخميس رابعه ظهر بركات أخو شرف الدين الصغير كاتب المماليك ، وكان ١٨
له مدّة وهو مختفى كما تقدم ذكر ذلك . — وفى يوم الاثنين ثامنه أخلع السلطان
على مملوكه أبرك وأعاده إلى نيابة طرابلس كما كان أولا ، فنزل من القلعة فى موكب
حافل وصحبته الأمراء . — وفى يوم تاريخه رسم السلطان بنقل المكاحل التى ٢١
سبكها فى المسبك الذى بجوار الميدان ، فأمر بأن يتوجّهوا بها إلى نحو تربة العادل
حتّى يجرّبها هناك ، فوضعوهم على عجل وسحبتهم الأبقار فنزلوا بهم من الصليبية ،

---

(٤) خضر : حضر . (٢٣) الأبقار : بالأبقار .

فرجّت لهم الأسواق وصاروا يتصلّبون بين الدكاكين فما خلصوا إلا بعد جهد
كبير ، فلما وصلوا إلى بيت الأمير تانى بيك قرا الذى عند حمام الفارقانى
٣ فانخسف بإحدامهم سراب هناك ، فوقعت تلك المكحلة الكبيرة فى السراب فأعيى
الناس طلوعها ، وأقامت على ذلك إلى قريب المغرب وهى على حالها ، وقيل أن
السلطان سبك نحوا من سبعين مكحلة ما بين كبار وصغار من نحاس وحديد ،
٦ فكان منهم أربعة كبار فقيل وزن كل واحدة منهم ستمائة قنطار شامى ، فكان
طول كلّ واحدة نحوا من عشرة أذرع ، فحصل فى ذلك اليوم غاية المشقّة
بسبب ذلك ، وكان صحبة المكاحل الأمير مُغلباى الشريفى (١٢١ آ) الزردكاش
٩ فما قاسى فى ذلك اليوم خيرا من التعب الزائد والمشقّة . — وفى يوم الثلاثاء تاسعه
توفى الأمير دولات باى قرموط أحد الأمراء المقدّمين ، فنزل السلطان وصلى
عليه وكان له جنازة حافلة ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان
١٢ موصوفا بالشجاعة ، وكان من آعيان المقدمين ، وتولى من الوظائف ولاية القاهرة
ثم بقى مقدم ألف ، وقد توفى من الأمراء المقدّمين خمسة فى مدّة يسيرة ، وكانوا
من أجلّ الأمراء وأعظمهم ، وقد قلت فى ذلك :

١٥ إذا صَفَا الدهرُ يوما عن ذلك الصفو يرجع
هـل من لبيب تراه بأيسر العيش يقنـع
فـكم نرى لأمير من مصرع بعد مصرع

١٨ وفى يوم الخميس حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى ، وصادف ذلك
أنه جاء فى ليلة الجمعة فاجتمع القضاة الأربعة فى ذلك اليوم بالحوش السلطانى ،
وسائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وكان مولداً حافلا على جارى العادة . —
٢١ وفى يوم الأحد رابع عشره نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطريّة وكشف على
المكاحل التى توجهوا بهم إلى هناك حتى يجرّبوهم ، فلما توجّه إلى هناك أقام
ساعة وعاد إلى القلعة سريعا . — وفى يوم الاثنين خامس (١٢١ ب) عشره خرج
٢٤ الأمير طومان باى الدوادار وسافر إلى جهة الصعيد بسبب ضمّ المغل ؛ وسافر

معه جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ، وكان صحبته الأمير خاير بيك الكاشف أحد المقدّمين ممن كان من مضافاته ، فخرج فى موكب حافل وكان له يوم مشهود . — وفى يوم الخميس ثامن عشره أرسل نائب سيس إلى السلطان ٣ عشرة رؤوس وعليهم طراطير حمر ، وزعموا أنهم من عسكر الصوفى كانوا يفسدون فى البلاد ، فقبض عليهم نائب سيس وحزّ رؤوسهم وأرسلهم إلى السلطان ، فلما عرضوا عليه رسم بإشهارهم على رماح فأشهروهم فى القاهرة ثم علّقوهم ٦ على باب النصر وباب الفتوح ، وقد قويت الإشاعات بأن الصوفى متحرك على البلاد ، وأن قاصده واصل إلى السلطان . — وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه أخلع السلطان على الأمير تمر الحسنى المعروف بالزردكاش أحد الأمراء المقدّمين وقرّره ٩ فى أمرة الحاجّ بركب المحمل ، وأخلع على الأمير يوسف الناصرى شاد الشراب خاناه الذى كان نائب حماة فيما تقدم وقرّره فى أمرة الحاجّ بالركب الأوّل فتشكى من ذلك فلم (١٢٢ آ) يُقبَل . — وفيه رسم السلطان لكاشف الشرقية وكاشف ١٢ الغربية بأن ينزلوا على البلاد ويستخرجوا من الفلاحين الحمايات والشياخة وقدوم الكشّاف عن سنة ثمان عشرة وتسعمائة الخراجية قبل أن تدخل ، وقبل أن تنزل النقطة وينادى على النيل ، فحصل للمقطعين غاية الضرر وصارت الكشّاف تنزل ١٥ على البلاد وتكبس على الفلاحين ويستخرجون منهم الأموال بالضرب والذى يهرب يقبضون على نسائهم وعلى أولادهم ، فخرب غالب البلاد ورحلت عنها الفلاحون ، فصار الذى تخرب بلاده من المقطعين يأخذون جامكيته فى نظير الحماية والشياخة ، ١٨ وصارت الكشّاف يستخرجون المال من البلاد ، وجانى بيك يستخرج من المقطعين بالقاهرة ، فضاع الخراج بينهما ، والذى يكون مسافرا من المقطعين يرسمون على زوجته وأولاده ووصيّه حتى يأخذون منهم الحماية ، وكان القائم فى ذلك جانى بيك ٢١ الذى كان دوادار الأمير طراباى رأس نوبة النوب ، وقد بقى الآن ناظر الديوان المفرد ، فنوّع فى أيّامه أنواع المظالم التى [لم] يُسمع بمثلها فيما تقدم ، ومن العجائب

---

(١١) الأول : أول .

(١٢٢ ب) أن المغل كان قائما على أصوله فى الأرض لم يحصد بعد ، والعسكر لم
يقلعوا الصوف ، وصار جانى بيك يكبس على بيوت الأمراء العشرات بالطواشية
٣ ويقبض منهم الحماية بالعسف ، ويرسّم على الخاصكية ويدعهم فى الترسيم بسبب
الحماية والشياخة وقدوم الكشاف ، ولايعرف إن كانت البلاد خرابا أو عامرة ،
فجرى على المقطعين ما لاخير فيه من المغارم والبهدلة . — وفى يوم السبت
٦ فى العشر الثالث من هذا الشهر ابتدأ السلطان بضرب الكرة فلعب هو والأمراء
بالميدان . — وفى يوم الاثنين رابع عشرينه قبض السلطان على المهتار حسن
الشراب دار ، ورسم عليه وختم على بيوته وحواصله ، وقرّر عليه عشرين ألف
٩ دينار فأورد من ذلك نحوا من ثمانية آلاف دينار ، وقسط الباقى عليه فى كل
شهر ألف دينار على الجوامك ، وكتب عليه بذلك التزام ، واستمرّ فى الترسيم حتى
يغلّق ما كتب عليه ، وكان سبب مصادرة المهتار حسن أن شخصا من غلمان
١٢ الشرابخاناه يقال له أبو الخير الأسمر رافع المهتار حسن عند السلطان ، وقال له
أن لما قتل الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى أحضر نجّارا وصنع عدّة
مفاتيح للحواصل التى بالقلعة وأخذ منها ما قدر عليه ، (١٢٣ آ) ومن جملة ذلك
١٥ سكرجة زمرّد وحمل ما أخذه على بغل من بغال الحمّارة ، فلا زال السلطان
يفحص عن حقيقة هذا الأمر ، فأحضر النجّار الذى صنع المفاتيح فاعترف
بذلك وأحضر الحمّار الذى حمّل الحوائج من القلعة فاعترف أيضا بذلك وقال :
١٨ ما أعرف ما كان فى العلب الذى حملتهم ، فعند ذلك قبض السلطان على المهتار
حسن ورسّم عليه وشكّه فى الحديد وقرّر عليه عشرين ألف دينار ، فأورد منها
سبعة آلاف دينار وكسور وحلف أنه لايملك غيرها ، فلم يقبل منه السلطان ذلك
٢١ واستمرّ فى التوكيل به حتى يغلق ما قرّره عليه ، ثم بعد ذلك بمدّة فعل [ذلك]
بمهتاره الحاج على مهتار الخيل وقرّر عليه مالا نحو ذلك ، ورسّم عليه حتى يرد ما
قرّره عليه من المال ، وقيل أنه عرض ما كان فى تسليمه من السروج المغرق

(١٨) العلب : العب .

والكنابيش فوجد ذلك قد نقص منه أشياء كثيرة . — وفى أثناء هذا الشهر قبض السلطان على شرف الدين بن روق الذى كان قد سعى فى استيفاء الخزائن الشريفة ، فلم ينتج أمره فى ذلك ولا عرف يباشر فى مصطلح الخزائن ولا عرف ٣ يكتب وصولات الرجعات ، وكان رجلا أهوج وعنده خفّة ورهج فلم يرثِ له أحد فيما جرى عليه ، فلما قبض عليه السلطان سلّمه (١٢٣ ب) إلى الزينى بركات ابن موسى المحتسب وكان ابن روق هذا زوج أخت علم الدين [الذى] كان ٦ متحدّثا فى الخزانة ، فلما قبض السلطان على علم الدين واختفى فضمنه ابن روق فى عشرين ألف دينار ، فلما قبض السلطان على ابن روق طلب منه ما ضمنه بسبب علم الدين ، وكان ابن روق يُتَّهم بسعة المال ، وكان قصده يسعى فى قضاء الشافعية ٩ فما تمّ له ذلك ولم يساعده الزمان على ذلك ، وكان من أعيان الشافعية ولكن كان أرشل قليل الحظ ، كما يقال :

إذا أذن الله فى حاجة أتاك النجاح بها يركضُ ١٢
فلا رُشدَ إلاّ بتوفيقه وإن مَحّض الرأى من يمحضُ
فمن ذا يدبّرنا غيره ومَن يبرُمُ الأمر أو ينقضُ

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه حضر جماعة من الأمراء الذين كانوا توجهوا ١٥ إلى نحو بلاد الصعيد بسبب فساد العربان ، وكان الذى توجه من الأمراء المقدمين قانصوه بن سلطان جركس والأمير ماماى جوشن ، وغير ذلك من الأمراء العشرات والمماليك السلطانية ، فلما طلعوا إلى القلعة أخلع السلطان على الأمراء ١٨ المقدمين ونزلوا إلى دورهم .

وفى ربيع الآخر فى يوم الأحد سادسه نزل السلطان وتوجه إلى نحو تربة العادل التى بالريدانيّة ، وجلس هناك ونصب له سحابة واجتمع حوله الأمراء ٢١ على المصطبة (١٢٤ آ) وحضر الجمّ الغفير من العسكر ومن الناس المتفرّجين ، ثمّ جرّبوا قدّامه مكاحل كبار وصغار التى كان سبكهم بالميدان ، فكان عدّتهم

سبع وخمسين مكحلة ، فلم يُخطئْ منهم سوى واحــدة وقيل اثنان ، والذى
صحّ من المكاحل فيهم من عدّى حجره إلى قريب بركة الحاجّ ، فانشرح السلطان
٣ فى ذلك اليوم إلى الغاية ، وأقام هناك إلى بعد العصر ونصب له خيمة كبيرة وهى
الخيمة التى أهداها إليه على دولات وقد تقدم ذكر ذلك ، ومدّ هناك أسمطة
حافلة وكان يوما مشهودا . — وفى ذلك اليوم طلع ابن أبى الرداد ببشارة النيل ،
٦ وجاءت القاعدة ستة أذرع ، أنقص من العام الماضى بذراع . — ولما عاد السلطان إلى
القلعة طلع من بين الترب ولم يشقّ من القاهرة . — وفى يوم السبت ثانى عشره
حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير تمر باى المندى أحد الأمراء العشرات ، الذى
٩ كان قد توجه قاصدا إلى الصوفى شاه إسمعيل ملك العراقين ، وكانت مدّة غيبته
فى هذه السفرة نحوا من سنتين ، وقد قاسى شدائد ومحنا ، وماتت خيوله وجماعة
من غلمانه ومن الخاصكية الذين كانوا صحبته ، ولم ينصفه الصوفى ولا أكرمه ، وقيل
١٢ لم يقابله غير مرّة واحدة ولم يكتب له (١٢٤ ب) الجواب عن مطالعة السلطان
التى أرسلها إليه ، وأرسل جوابه صحبة قاصده ، فلما نزل تمر باى إلى خانقة
سرياقوس أرسل عرّف السلطان أن قاصد الصوفى جاء صحبته وقاصد من عند ملك
١٥ الكرج ، فعيّن السلطان الزينى بركات بن موسى المحتسب بأن يلاقيهم ويمدّ لهم
هناك مدّة ، فتوجه إلى الخانكاه ومدّ لهم هناك مدّة حافلة ، فلما دخل قاصد
الصوفى أنزلوه فى بيت قانى باى سُلق الذى فى رأس الرملة عند سُويقة عبدالمنعم ،
١٨ وكان مع هذا القاصد نحو من مائة إنسان من جماعة الصوفى ، وقيل إن هذا
القاصد شديد البأس أغلظ على نائب حلب فى القول لما قدم عليه . — وفى ذلك
اليوم ضرب السلطان الكرة فى الميدان ، فتقنطر فى ذلك اليوم الأمير سودون
٢١ الدوادارى رأس نوبة النوب ، فنزل على كتفه فانصدع فتألم لذلك . — وفى يوم
الاثنين رابع عشره طلع قاصد الصوفى إلى القلعة وقابل السلطان ، فأوكب السلطان
بالحوش من غير شاش ولاقماش ، وجلس على المصطبة التى أنشأها ونصب

(١) مكحلة : مكحة .

السحابة الزركش. وحضر الأمراء المقدمون واجتمع العسكر، وأمر بأن يزيّن باب الزردخاناه فزيّنوه فى ذلك اليوم بآلة السلاح (١٢٥ آ) والصناجق واللبوس، فخرج القاصد من بيت قانى باى سُلق وصحبته أزدمر المهمندار والأمير كرتباى والى القاهرة، فطلع القاصد وصحبته تقدمة إلى السلطان فكانت نحوا من أربعين حمّالا، عليها من الفهودة سبعة وقيل كانوا تسعة فمات منهم اثنان، فلما طلعوا بهم إلى القلعة جعلوا عليهم أجلال حرير، ومن جملة هذه التقدمة طوالة خيل، ومنها حمّال عليه فضيّات ما بين أباريق فضّة وشربات وطاسات ذهب، ومنها حمّالين عليها زرديات وخُوذ خاصّ وأثواب مخمل ملوّن ولبوس خيل مكفتة، ومنها حمّالين عليها أقواس حلقة، وحمّالين عليها شقق حرير برصاوى مقصب، وحمّالين عليها بعلبكى، وغير ذلك أشـياء كثيرة ما بين سجاجيد رومى ومديات وغير ذلك، فلما طلع القاصد بين يدى السلطان وكانوا اثنين، قيل هما من أعيان أمراء الصوفى، فباسوا الأرض للسلطان ثم تقدّموا وباسوا ركبة السلطان، وقدموا إليه مطالعة شاه إسمعيل الصوفى، فلما قرئت بين يدى السلطان بحضرة الأمراء وجد فيها ألفاظ يابسة وكلام فجّ، فلم ينشرح السلطان لذلك وظهر فى وجهه الكظم، ثم نزل القاصد من عند السلطان إلى المكان (١٢٥ ب) الذى عُدّ له، ثم فى عقيب ذلك اليوم طلع قاصد ملك الكرج، وصحبته تقدمة حافلة للسلطان ما بين صمور ووشق وسنجاب وصوف، وغير ذلك أشياء حافلة. — وفيه تغير خاطر السلطان على الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن الأمير أسنبغا الطيارى الكلبكى أمير شكار، فلما تغير خاطره عليه قبض عليه وأودعه فى الترسيم وقرّر عليه ألف دينار فأغلظ على السلطان فى القول، فحنق منه فرسم بنفيه إلى قوص، فلم يجسر أحد من الأمراء أن يشفع فيه، وكان الناصرى محمد عنده شمم زائد ورقاعة فلم يرثِ له أحد من الناس، فكتب وصيته وتوجه إلى نحو الصعيد، والذى أكله كُرْكى تقاياه بَلشون. — وفيه فى يوم الأحد عشرينه نزل السلطان

(٦) طوالة: طوالت. (٧) أباريق: ابرايق. (٨) مكفتة: مكفتية. (٩) أقواس: أقواص. (١٠) سجاجيد: سجاسجيد.

وتوجه إلى نحو تربة العادل ، وجلس على المصطبة التى هناك . وجرّبوا قدّامه
بقية المكاحل المقدّم ذكرهم ، وأقام هناك إلى بعد العصر . ومدّ هناك سماطا
٣ حافلا ، ونصب له هناك وِطاقا ، واجتمع عنده جماعة من الأمراء المقدمين ، ثم
ركب بعد العصر ودخل من باب النصر وشقّ من القاهرة ، وارتفعت له الأصوات
بالدعاء ، وكان له يوم مشهود . — وفيه فى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه حضر إلى
٦ الأبواب (١٢٦ آ) الشريفة طراباى أخو الأتابكى قيت الرجبى ، وكان مسجونا
بقلعة دمشق ، وكان سبب نفيه إلى هناك أنه فى سنة تسع وتسعمائة خلاً الأمير
أزدمر الدوادار طالعا إلى القلعة فلما وصل إلى باب القلعة أرمى عليه من الطبقة
٩ ثلاث فردات نشّاب ، وقد تقدم ذكر ذلك ، فلما بلغ السلطان ذلك نفاه إلى
دمشق وسجنه بقلعتها ، فاستمرّ هناك حتى شفع فيه الأمير طومان باى الدوادار . —
وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له طراباى ، وكان طراباى هذا ولى الأتابكية
١٢ بحلب ، ثم حضر إلى مصر وسعى فى نيابة صفد بمال له صورة حتى تولاها من
يشبك ، واستقر نائبا بصفد عوضا عن جان بردى الغزالى بحكم انتقاله إلى نيابة
حماة ، وكان طراباى هذا من مماليك يشبك من حيدر الذى ولى حماة . — وفيه
١٥ فى يوم الخميس رابع عشرينه نادى السلطان فى القاهرة أن لا أمير ولا جندى
يركب بغدّارة فى سرجه ومن فعل ذلك لا يلوم إلاّ نفسه ، وكان سبب ذلك
أن مملوكا من مماليك السلطان تشاجر مع شخص من المماليك يقال له جانم ، وكان
١٨ أصله من مماليك الأمير طراباى رأس نوبة النوب ثم بقى مملوك سلطان ، فلما
تشاجر معه سلّ عليه الغدّارة وضربه على يده قطعها ، فوقف ذلك المملوك
للسلطان (١٢٦ ب) ويده مقطوعة فشقّ ذلك على السلطان ونادى فى ذلك اليوم
٢١ بأن لا أحد من العسكر يركب بغدّارة قط ، فرجعوا المماليك عن ذلك ، ورسم
للأمير مغلباى الزردكاش بأن يكتب قسائم على الصنّاع أن لا يصنعوا لأحد من
المماليك غدّارة ، وكان بهذه الغدّارات يحصل من المماليك الضرر الشامل . —

(١٥) لا أمير : الأمير .

وفيه فى يوم الجمعة خامس عشرينه رسم السلطان لأزدمر المهمندار بأن يأخذ قاصد الصوفى وجماعته ويتوجه بهم إلى جامع السلطان الذى أنشأه فى الشرابشيين ، فيصلّون الجمعة هناك ، فلما حضروا بالجامع اجتمع به القضاة الأربعة وأعيان ٣
الناس وجماعة من الأمراء ، فخرج قاضى القضاة المالكى يحيى بن الدميرى ، وكان قرّر قبل ذلك فى خطابة جامع السلطان ، فصعد المنبر وهو لابس السواد، وخطب خطبة بليغة ، وذكر فيها مناقب الإمام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان ٦
بالجامع يوم مشهود ، واجتمع به قرّاء البلد والوعّاظ . — ومن النوادر الغريبة أن قاضى القضاة محيى الدين يحيى بن الدميرى لما ولى القضاء لبس له طوقا ، وهذا بخلاف زىّ القضاة ، ولا يُعْلَم حجتّه فى ذلك . — وفيه رسم (١٢٧ آ) ٩
السلطان إلى الزينى بركات بن موسى المحتسب بأن يتسلم شرف الدين بن روَق الذى كان ولى التحدّث على الخزائن الشريفة ، فتسلّمه على عشرين ألف دينار ، فلما تسلّمه شكّه فى الحديد ونزل به من القلعة حتى يكون من أمره ما يكون . — ١٢
وفيه [فى] يوم السبت سادس عشرينه أخلع السلطان على قاصد ملك الفرنج الفرانسة وأذن له بالسفر . — وفيه عزم السلطان على قاصد ملك الكرج ومدّ له سماطا بالبحرة التى بالميدان ، وأخلع عليه وأذن له بالسفر . — وفيه فى يوم الأحد سابع ١٥
عشرينه عزم السلطان على قاصد شاه إسمعيل الصوفى فجلس معه فى المُرَبّع الذى بالميدان وفرّجه على لعب الكرة ، ثم دخل به إلى البحرة التى ببستان الميدان ، وأظهر فى ذلك اليوم أنواع العظمة بحضرة القاصد ، ومدّ له هناك أسمطة حافلة ، ١٨
حتى أدهشه مما رأى فى ذلك اليوم من حُسْنِ النظام وتزايد العظمة . — وفيه فى يوم الاثنين ثامن عشرينه حضر قاصد ابن رمضان أمير التركمان وعلى يده تقدمة حافلة للسلطان . — ومن العجائب أن فى هذا الشهر اجتمع عند السلطان ٢١
نحو من أربعة عشر قاصدا ، وكلّ قاصد من عند (١٢٧ ب) ملك على انفراده ، فمن ذلك قاصد شاه إسمعيل الصوفى ، وقاصد ملك الكرج ، وقاصد ابن رمضان

(١٨) وأظهر : وظهر .

أمير التركمان ، وقاصد من عند ابن عثمان ملك الروم ، وقاصد يوسف بن الصوف خليل أمير التركمان ، وقاصد صاحب تونس ملك الغرب ، وقاصد من مكة ، وقاصد
٣ الملك محمود ، وقاصد ابن دُرْغُل أمير التركمان ، وقاصد من عند نائب حلب ، وقاصد من عند حسين الذى توجه إلى الهند ، وقاصد ملك الفرنج الفرانسة ، وقاصد البنادقة ، وقاصد على دولات ، وغير ذلك قصّاد من عند جماعة من النواب . —
٦ وفيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه كان ختام ضرب الكرة بالميدان ، وكانت جماعة من هؤلاء القُصّاد حاضرين ، فلما انتهى ضرب الكرة قام السلطان وطلع إلى الحوش وجلس بالمقعد ، وأحضروا قدامه ثيران يتناطحون وكباش ، ومدّ فى ذلك اليوم
٩ أسمطة حافلة وعزم على الأمراء المقدّمين قاطبة وكذلك القصّاد ، فلما صلّى الظهر خرج وأحضر مماليك يلعبون بالرمح فوقع بينهم فى ذلك اليوم خصمانية ، حتى تعجّبوا القُصّاد من ذلك ، وكان يوما مشهودا بالحوش ، فاستمرّوا على ذلك
١٢ إلى بعد العصر فنزلت الأمراء وانفضّ (١٢٨ آ) ذلك الجمع . — وفى يوم الأربعاء سلخه نزل السلطان وتوجه إلى نحو المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، وعاد إلى القلعة .

وفى جمادى الأولى طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر . — وفى
١٥ ذلك اليوم طلع قاصد صاحب تونس وصحبته تقدمة حافلة للسلطان ، قيل إنها قُوّمت بعشرة آلاف دينار ، وهى ما بين قماش فاخر وخيول وسلاح وغير ذلك ، فأخلع عليه السلطان كاملية صوف بصمور ونزل من القلعة . — وفيه طلع قاصد
١٨ ابن عثمان ملك الروم وعلى يده مطالعة للسلطان ، فأشيع بين الناس أن ابن عثمان أبا يزيد ضعيف على خطة ، وقد نزل عن الملك إلى ولده الصغير الذى يسمّى سليم شاه وصار متملكا على بلاد الروم عوضا عن أبيه أبى يزيد ، فجاء القاصد
٢١ ببشارة ذلك . — وفى ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية الخامسة التى استجدّها برسم المماليك التراكمة وأولاد الناس ، كما تقدم ذكر ذلك . — وفى يوم الجمعة ثانى هذا الشهر وردت الأخبار بوفاة السلطان المعظّم المفخّم المغازى المجاهد

(٢ و ١٥) تونس : يونس .

المرابط ملك الروم وصاحب مدينة الروم بالقسطنطينية العظمى وما مع ذلك
من الفتوحات ، وهو السلطان أبو يزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد خان
ابن أبي يزيد المعروف بيلدرم بن (١٢٨ ب) أورخان بن أرْدَن على بن عثمان ٣
ابن سليمان بن عثمان الأكبر الذى مات شهيدا بالغزاة ، وكان مولد السلطان أبا يزيد
سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، وولى على ملك الروم وجلس على سرير الملك
يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وأقام فيه إلى ٦
سنة ثمان عشرة وتسعمائة فقدمت الأخبار بوفاته يوم الجمعة ثانى جمادى الأولى
من هذه السنة ، فكانت مدّة ولايته على مملكة الروم نحوا من ثلاث وثلاثين سنة
إلا أشهر ، وفتح فى أيامه عدّة مدن من بلاد الفرنج ، وانتشر ذكره بالعدل فى سائر ٩
الآفاق ، وكان من خيار ملوك بنى عثمان قاطبة ، ولما مات خلف من الأولاد
الذكور ثلاثة وهم قُرْقُد بيك وكان أكبرهم ، وأحمد بيك ، وسليم شاه الذى عهد له
بالملك بعده ، فتولى على ملك الروم فى حياة والده أبي يزيد ، وقد جاءت الأخبار ١٢
بولايته على مملكة الروم قبل وفاة أبيه ، فلما تحقق السلطان وفاته بكى عليه
وأظهر الحزن والأسف ، ثم صلّى عليه صلاة الغيبة بالقلعة ، فلما شاع الخبر بموته
فى ذلك اليوم بين الناس فصلوا عليه صلاة الغيبة بعد صلاة الجمعة فى الجامع ١٥
الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون (١٢٩ آ) وفى جامع السلطان الذى
بالشرابشيين وغير ذلك ، وقد حزنوا عليه الناس فإنه كان قامعا للفرنج لا يفتر
عن الجهاد فيهم ليلا ولا نهارا ، وكان به نفع للمسلمين ، انتهى ذلك . — وفى يوم ١٨
الأحد رابعه أشيع بين الناس بموت أمير مكة الشريف قايتباى ، وبموت الشيخ
عامر صاحب اليمن وكان من خيار ملوك اليمن ، وبموت الخواجا عيسى القارى
وكان من أعيان تجّار مكّة وهو فى سعة من المال وله شهرة زائدة . — وفى يوم ٢١

(٣) أورخان : اورجان . بن أرْدَن على : كذا فى الأصل ، ولعله يقصد « أرطغرل » ،
ويلاحظ أن الترتيب المعروف للاسماء هو : أورخان بن عثمان بن أرطغرل بن سليمان .

الاثنين خامسه طلع الأمير بيبرس بن الأمير أحمــد بن بقر شيخ العرب إلى
السلطان وقابله ، فأخلع عليه ونزل إلى داره ، وكان له مدّة طويلة وهو عاصى على
٣ السلطان فقابله فى ذلك اليوم . — وفيه طلع الأمير خاير بيك الخازندار أحد
الأمراء المقدمين إلى القلعة ، فأخلع عليه السلطان كاملة بصمور ، ونزل إلى داره
فى موكب حافل وصحبته الأمراء ، فزُيّنت له القاهرة ، وسبب ذلك أنه كان قد
٦ مرض مرضا خطرا وأشرف فيه على الموت ثم شُفى من ذلك . — وفى يوم الأربعاء
سابعه نزل السلطان إلى المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، وكان النيل قد قارب
الوفاء فزاد فى تلك الليلة أربعة وعشرين أصبعا فى دفعة واحدة ، فتفاءلوا (١٢٩ب)
٩ الناس بنزول السلطان إلى المقياس . — وفى يوم الخميس ثامنه جلس السلطان
فى الميدان ، وأحضر قصّاد الصوفى وأخلع عليهم كوامل مخمل أحمر كفوى بصمور ،
وعلى بقية جماعته سلاريات صوف مُفرّية ما بين صمور ووشق وسنجاب ، ودفع
١٢ إليهم جواب كتابهم ، ولكن كتب إلى الصوفى فى جوابه عبارة ألفاظها يابسة
فى الكلام ، وكان الصوفى أرسل إلى السلطان فى كتابه ألفاظا فاحشة فأجابه بمثل
ذلك وزيادة ، وهذا أول ابتداء وقوع الوحشة بين السلطان وبين شاه إسمعيل
١٥ الصوفى ، وكان الصوفى قد حصل منه فى حقّ قاصد السلطان الأمير تمر باى الهندى
لما توجه إليه غاية الفُحش به . — وفى هذا الشهر وقعت نادرة وهو أن أشيع بين
الناس أن رودس قد فُتحت على يد المسلمين بحيلة من غير قتال ولا حرب ، فقويت
١٨ الإشاعات بذلك ، وهمّ أن يدقّ السلطان الكوسات فى ذلك اليوم ويزيّن القاهرة ،
وكان سبب ذلك أن شخصا من ابناء الشام جاء إلى شخص من مماليك الأمير خاير
بيك كاشف الغربية أحد الأمراء المقدمين ، وكان هذا المملوك شادا فى بلد تسمّى
٢١ زُفْتَة ، فجاء إليه ذلك (١٣٠ آ) الرجل الشامى ودفع إليه عدّة مطالعات ، وقال له :
هذه من عند الأمير محمد بيك قرابة السلطان الذى أشاعوا قتله ، وقد ظهر أنه

---

(١٨) ويزين القاهرة : كتبت فى الأصل بعد « بحيلة » فى ص ٢٧٢ س ٢ .

فى قيد الحياة وقد تحيّل على أهل رودس حتى أخـــذها منهم وملكها وأسر أهل المدينة بحيلة ، وأن الأمير محمد بيك قد وصل إلى الطينة وأرسل يطلب فرسا وقماشا ، فأخذ المملوك منه المطالعات وحضر إلى عند السلطان ، فلما ٣ قرأ تلك المطالعات انصاغ لذلك الكلام وظنّ أنه حق ، فأخلع على ذلك المملوك خلعة ، وفرّق على الأمراء مطالعاتهم ، وهمّ أن يدقّ الكوسات لهذا الخبر ، وأرسل صحبة ذلك المملوك فرسا وبقجة فيها قماش ، وكذلك الأمير طُقُطباى نائب القلعة ، ٦ والأمير أنُصباى حاجب الحجّاب ، فأخذ المملوك القماش والخيل ومضى ، ثم ظهر فى عقيب ذلك أن هذا الكلام كذب مصنوع ، فعيّن السلطان يحيى بن نُكّار دوادار والى القاهرة بأن يتوجه خلف ذلك المملوك ويُحضره ويُحضر الرجل الشامى ٩ الذى دفع إليه المطالعات ، فغاب أيّاما وأحضر المملوك وما أخذه من الخيول والقماش ، وأحضر ذلك الرجل الشامى الذى جاء (١٣٠ ب) بالمطالعات ، فلما حضر بين يدى السلطان حزق عايه بالكلام فاعترف أنه صنع تلك الكتب ١٢ افتعالا عن الأمير محمد بيك ، وأن شدّة الفقر أحوجته إلى ذلك ، فقال له السلطان : كنت أنت وقفت إلى وطلبت منى شيئا كنت أنعم عليك به ، ثم عرّاه بين يديه ليضربه بالمقارع فوجد فى أجنابه أثر الضرب بالمقارع ، فسأله عن ذلك ، فاعترف ١٥ أنه كذب مرة أخرى على خاير بيك نائب حلب فضربه بالمقارع وقطع أنفه ، ثم إن السلطان ضربه بين يديه وبعثه إلى المقشرة من يومه ، واستعاد الخيول والقماش من ذلك المملوك الذى أتى بالمطالعات ، انتهى ذلك . — وفيه أنعم السلطان على ١٨ تمر باى المندى [الذى] توجه قاصدا إلى الصوفى بأمرة طبلخاناه . وكان قبل أن يسافر أمير عشرة . — وفى يوم الجمعة تاسعه تلاقى ماء النيل ودخل إلى الزربية ، وكان له يوم مشهود ، وكان السلطان فى العام الماضى سدّ خليج الزربية وعمل ٢١ له جسرا من عند قنطرة موردة الجبس، فلم تسكن بيوت الزربيّة فى العام الماضى ،

---

(١) أخذها : أخذ . (٢) أهل : أهلها

ولم يدخل خليجها المراكب على جارى العادة بالغلال ، فوجدوا فم الخليج
(١٣١ آ) قد تربى فيه الطين نحو من سبعة أذرع ، فرسم السلطان بإبطال ذلك
٣ الجسر ، ففرح به سكان الزربية . — وفى يوم السبت عاشره أخلع السلطان على
قاصد ملك الكرج وأذن له بالسفر إلى بلاده . — وفى يوم الاثنين ثانى عشره
كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى فى أول يوم من مسرى وفتح السدّ فى اليوم
٦ الثانى منها ، ووقع مثل ذلك فى دولة الأشرف قايتباى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة
أن النيل أوفى فى آخر يوم من أبيب وفُتح السدّ فى أول يوم من مسرى ، فلما
أوفى فى هذه السنة زاد عن الوفاء عشرة أصابع من الذراع السابع عشر ، فعُدّ
٩ ذلك من النوادر ، وفى اليوم الثانى من بعد الوفاء زاد النيل اثنى عشر أصبعا ،
وزاد فى اليوم الثالث ستة عشر أصبعا فغلّق سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع من
ثمانية [عشر] ذراعا ، حتى عُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، فلما أوفى النيل
١٢ رسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فتوجه
وفتح السدّ وكان له يوم مشهود ، وقد قيل فى المعنى :

النيـــل زاد زيادةً قد أذّنتْ … من كلّ باسِقة النّخيل بقلعها
١٥ فلكمْ به من مركبٍ فى الجوّ قد … أمسى عمودُ الصبحِ صارى قلعها

وفى يوم الثلاثاء ثالث (١٣١ ب) عشره نزل السلطان إلى المقياس وبات
به ، وكانت ليلة البدر فبات بسطح القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، ومدّ
١٨ هناك أسمطة حافلة ، وقرأ ختمة وحضرت سائر قُرّاء البلد والوعّاظ ، وأقام هناك
إلى اليوم الثانى وطلع بعد العصر ، وكانت ليلة الجامكيّة ، وهذا أول بياته عن
القلعة ، ولم يقع له من حين ولى السلطنة أنه بات عن القلعة سوى هذه الليلة ،
٢١ وكان ولده المقرّ الناصرى محمد صحبته ، قيل أنه قرأ فى تلك الليلة عشرين ختمة
بالجا تية ، وانشرح تلك الليلة إلى الغاية ، ثم فى اليوم الثانى نزل السلطان من المقياس
فى الحُراقة وتوجه إلى بولاق ، وكان الأمير خاير بيك الخازندار عليلا وهو مقيم
٢٤ فى البيت المعروف بالسُّبْكيّة ، فطلع عنده السلطان وأعاده فدّ له خاير بيك هناك

مدّة حافلة ، فأكل منها ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . – وفى هذا الشهر
تناهى النيل فى الزيادة إلى اثنى عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا ، وذلك قبل
دخول النوروز بستة عشر يوما ، حتى عُدّ ذلك من النوادر ، فأخصبت الفواكه ٣
فى هذا الشهر جدّا ، حتى البطيخ الصينى والعَبدلّى والعنب والرمّان وسائر الفواكه ،
لكن الزبيب كان غاليا وتناهى سعره إلى خمسة أشرفية (١٣٢ آ) كلّ قنطار ،
وصاروا يخلطون مع الأقسماء العجوة ، وكانت أصناف الغلال جميعها مشطّطة ، وسائر ٦
البضائع من السيرج والزيت والزيت الحار والسمن مشطّطة فى السعر ، وكذلك
سائر الأجبان حتى السكر والقطر ، وتشحّط اللحم الضانى والبقرى ، وغلا سعر
الأرز ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى . ٩

وفى جمادى الآخرة فيه تغيّر خاطر السلطان على الزينى بركات بن موسى
المحتسب ، وسبب ذلك أنه حصل بينه وبين الجمالى يوسف البدرى الوزير تشاجر
بحضرة السلطان ، فخرج الزينى بركات على البدرى فى القول قدّام السلطان ١٢
وأساء عليه ، فحنق السلطان من الزينى بركات وأمر بالقبض عليه ، ووكل به ألماس
دوادار سكين وشخصا آخر من دوادارية السكين ، فأطلعوه إلى طبقة الحوش ،
ورسم له السلطان بأن يقيم له حساب أربع سنين عن الجهات التى كان يتكلّم عليها ، ١٥
فاستمرّ فى الترسيم ثمانية أيام وهو فى كل يوم يدفع إلى ألماس ورفيقه مائة دينار ،
ولم يجسر أحد من الأمراء أن يكلم السلطان فى أمره ، فلما كان يوم السبت تاسع
هذا الشهر أفرج السلطان عن الزينى بركات وألبسه كاملية صوف بصمور ، ونزل ١٨
من القلعة فى موكب حافل ، ومعه جماعة من أرباب (١٣٢ ب) الدولة ، فزُيّنت
له القاهرة ووقدت له الشموع والقناديل على الدكاكين ، وتخلّق الناس بالزعفران ،
حتى زيّنت له بيوت بركة الرطلى بالشدود الحرير الأصفر والكوامل الحرير ٢١
الملوّن فعلقت فى الطيقان ، وانطلقت له النساء بالزغاريت ولاقته الطبول
والزمور ومغانى النساء ، وكان ساكنا ببركة الرطلى فى أيّام النيل ، وكان

---

(٦) الأقسماء : الأقمساء . (٢٢ – ٢٣) ولاقته ... النساء : كتبت فى الأصل بعد « بركات »
فى سطر ١ ص ٢٧٥ .

الزينى بركات محبّبا للناس فى أيّام ولايته على الحسبة ، ولما قبض السلطان عليه
رثوا له الناس ، وكانت الأعداء شنّعت عليه أن السلطان يقصد شنقه مثل على بن
٣ أبى الجود ، فنجّاه الله تعالى من ذلك ، وقد هنّيته لما خلص بهذين البيتين وهما :

تاب إليك الدهر مما جنى   من فعله فى حكمه الجابر
فما نجا من شرّ كيد العدى   سوى الفتى المحتسب الصابر

٦ وقيل إن السلطان قرّر عليه نحوا من ثلاثين ألف دينار ، وقيل أربعين ، يقوم
بشىء من ذلك فى كل شهر على الجوامك . — ومن الوقائع الشنيعة أن الوالى
قبض على شخص من الأتراك يقال له دمرداش ، وكان مُشِدًّا على دار البطيخ
٩ التى بباب النصر ، وقد غمز عليه أنه ينبش على القبور ويأخذ رؤوس الموتى ولحمهم
ويبيع ذلك للفرنج يعملون منه المومية ، وقيل السمّ ، فلما قبضوا عليه وجدوا عنده
من عظام الموتى أشياء كثيرة من جماجم وأعضاء ، فحملوا ذلك فى قفاف على حمير
١٢ وطلعوا بها (١٣٣ آ) إلى السلطان حتى شاهد تلك العظام ، فلما وقف
دمرداش المذكور بين يدى السلطان ، سأله عن أمر هذه الجماجم ، فقال : هذه من
قبور النواويس تأتينى به العربان فأصنع منهم المومية وأبيع ذلك فى بلاد الفرنج ،
١٥ ثم وجدوا على العظام لحماً طريًّا ، وشهدوا عليه الناس أنه فى كل يوم يتوجّه إلى
الصحراء وينبش قبور الموتى الجُدد ويأخذ لحمهم وعظمهم يبيع ذلك على
الفرنج ، فلما تحقق السلطان ذلك أمر بشنقه ، فسمّروه على جمل وأشهروه
١٨ فى القاهرة حتى أتوا به إلى داره بالقرب من دار البطيخ فشُنق هناك ، وكان
له يوم مشهود ، وقد تقدم مثل هذه الواقعة بعينها فى دولة الأشرف برسباى ،
وذلك أن رجلا أعجميا كان بمصر ينصب على النساء والأطفال ويقتلهم وينزع
٢١ لحمهم عن عظمهم ، ويبيع اللحم على الفرنج كلّ قنطار بخمسة وعشرين دينارا ،
فلما غُمز عليه قبض عليه السلطان وأشهره فى القاهرة وقطع يداه وعلّقها فى رقبته
ثم وسّطه ، وكان ذلك فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة . — وفى يوم الأربعاء
٢٤ ثالث عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه من بين الكيمان إلى أن وصل إلى

السواقى التى فى المدّ ، فنزل من هناك فى الغراب الذى عمّره ، ثم انحدر إلى المقياس (١٣٣ ب) وطلع إلى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، ثم إن السلطان عزم هناك على الأمراء قاطبة من المقدّمين والطبلخانات والعشرات وغالب العسكر ، فنصب الأمراء لهم خياما على شاطئ البحر الذى تجاه برّ الجيزة ، فبات السلطان تلك الليلة فى المقياس هو والأمراء قاطبة ، فمدّ له هناك القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا أسمطة حافلة ، وما أبقى فى ذلك ممكنا من أطعمة فاخرة وحلوى وفاكهة وسكر حريف وأقسماء وبطيخ صيفى وأجبان مقلى فى الطوارى ، وعمّ ذلك على سائر الأمراء قاطبة ، وممن كان صحبة السلطان من المباشرين وأرباب الدولة ، فألبسه السلطان هناك كاملية مخمل أحمر بصمور من ملابيسه ، وشكر له السلطان ما صنعه من ذلك ، فكان مصروف تلك الأسمطة نحوا من سبعمائة دينار ، وعزم السلطان هناك على القضاة الأربعة وأعيان الناس ، واجتمع هناك قرّاء البلد قاطبة والوعّاظ ، ثم إن السلطان أوقد فى قاعة المقياس وقدة حافلة باطنا وظاهرا ، وعلّق أحمالا بقناديل فى القصر الذى أنشأه على شُرفات المقياس ، قناديل فى أحمال وأمشاط ، حتى أوقد جامع المقياس والمئذنة ، ثم إن سكّان برّ مصر وبرّ الروضة علّقوا فى بيوتهم القناديل فى الأحمال (١٣٤ آ) والأمشاط بطول البرّين ، حتى أوقدوا المربع الذى أنشأه السلطان للسواقى تجاه برّ الروضة ، ثم أحضر السلطان المركب الكبير الغليون الذى عمّره وأصرف عليه نحوا من عشرين ألف دينار فأرسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسى فى البحر ، وعلّقوا فى صواريه القناديل فى الأمشاط ، فكان الذى وُقد فى المقياس تلك الليلة خمسة قناطير زيت وعشرة آلاف قنديل ، ثم صنع السلطان فى تلك الليلة إحراقة فكان مصروفها نحوا من مائة وسبعين دينارا مثل إحراقة نفط المحمل التى كانت تُصنع بالرملة قدّام القلعة ، فشقّوا بالنفط من القاهرة وهو مزفوف وقدّامه الطبول والزمور ، فكان عدّة قلاع النفط خمسين قلعة ، والمواذن ستين مئذنة ، وأزيار عشرة ، وجُرر

(٤ و١٦) تجاه : اتجاه . (١٠) مصروف : مصرف . (١٣) وعلق : وعلقوا .

أربعين جرّة، وصواريخ كبار ثلاثمائة، ومأويات ألفا ومائتين، وشجرات عشرة، وتنانير عشرين، وقطع ألفين، وشعل أربعين، فلما وصلوا بالنفط إلى شاطئ
٣ البحر أنزله فى خمسين مركبا، وصفّوا المراكب قبالة المقياس عند البَهْطلة، ورسم السلطان للأمراء المقدّمين بأن يُحضروا طبلخاناتهم فى مراكب عند المقياس، ففعلوا ذلك، فكان حسّ الطبول والزمور مع الكوسات مثل (١٣٤ ب) صوت الرعد
٦ القاصف، فلما صلى السلطان صلاة العشاء جلس على سطح القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس، والأمراء حوله، وأحرقوا قدّامه النفط، وكان النيل فى ثلاثة أصابع من عشرين ذراعا، وكانت ليلة البدر، فكانت تلك الليلة، فدُقّت كوسات
٩ السلطان مع كوسات الأمراء المقدّمين، وهم أربعة وعشرون مقدّم ألف، فقاموا فى صعيد واحد عند إحراق النفط، فكانت تلك الليلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم، ولم يقع لأحد من الملوك قبله مثل هذه الواقعة، ولا للمؤيّد شيخ ولا للناصر فرج
١٢ ابن برقوق، وقد وقع للأمير جانى بيك نائب جدّة أمير دوادار كبير أنه لما أنشأ القبّة التى فى منشية المهرانى وكملت أوقد فيها تلك الليلة وقدة حافلة، وأحضر مراكب وعلّق فيها أحمالا بقناديل وركّز صوارى قدام القبّة وعلّق فيها قناديل
١٥ فى حبال، وكانت له ليلة حافلة، وذلك فى آواخر سنة سبع وستين وثمانمائة وقد تقدم ذكر ذلك فى دولة الظاهر خُشقدم، ولكن لم تعادل ليلة وقعت للأشرف الغورى فإنها كانت من الليالى المشهودة فى القصف والفرجة، وقد بلغ كرى
١٨ كلّ مركب فى تلك الليلة خمسة دنانير وأكثر من ذلك، والمراكب التى هى مرسية (١٣٥ آ) على البرّ انشحنت بالخلايق، فأخذوا على كلّ رأس أربعة أنصاف فتحصّل من ذلك جملة مال للنواتية، وكان بطول الليـــل والى القاهرة يدور
٢١ فى مركب وينادى للناس بالأمان والاطمان وأن لا أحد يشوّش على أحد ولا مملوك يعبث على امرأة، فانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت الأصوات بالدعاء للسلطان، ولكن عبثت المماليك فى الطرقات على النـــاس

(٢) وتنانير : وتنانيرة.

وصاروا يخطفون العمائم والشدود ، وقتل مملوك امرأة فى طريق مصر وقد ساق الفرس فقوى رأسه عليه فداس امرأة راكبة على حمار فماتت من وقتها ، وغرقت مركب تلك الليلة بمن فيها من الناس ، وكانت ليلة كثيرة الاضطراب ٣ ماجت فيها الناس وخرجت البنت فى خدرها حتى تنظر وقدة السلطان وحراقة النفط ، فأقام السلطان فى المقياس يوم الأربعاء ويوم الخميس إلى بعد العصر ثم طلع إلى القلعة ، وكان ولده المقرّ الناصرى محمد صحبته وغالب الأمراء ، انتهى ٦ ذلك ، وقد نظمت هذه القصيدة فى هذه الواقعة حيث أقول :

لم يسمح الدهر فيما جاد من فرجٍ ... كليلة سمحتْ للأشرف الغورى
فإن ترد وصفها أنشدت مرتجلا (١٣٥ب) ... فى وقدة الليل بالأملاك والدور ٩
من برّ مصر ومقياس يقـــابله ... كان التقابُل بين النور والنور
حاكت مصابيحها ضوء النجوم إذا ... ما أزهرت بالدُجى فى ليل ديجور
وكم رأينا قلاعا فى دخائرها ... صوارخ بضياء فى الجوّ منشور ١٢
كواكب النفط قد حاكت لنا قمرا ... بضوء زهر بدا فى الماء منشور
قلوب أزياره صارت مفرقعة ... من وَهج نيرانها فى زىّ مقهور
وصوت بارودە مثل الرعود إذا ... ماصرّخوه يحاكى نفخة الصُّور ١٥
وضاق رحب الفضاء فى البحر من سفن ... لما بدتْ فى ازدحام كلّ شختور
وكم سمعنا مُغَنّ صوته طَرِبٌ ... يشدُو على آلتَىْ عودٍ وطنبور
قالت لنا روضةُ المقياس ذا عجبٌ ... هل بعد يوم الوفا جبرٌ لمكسور ١٨
تاريخ سلطاننا فاق الملوك إذا ... تفاخروا فهو تاجُ الكلّ بالدُّور
حفّت عساكره من حوله زُمَرًا ... فكم سبا جَمع أحزاب على الفُور
لو عاش من أنشأ المقياس قال له ... أنت الآن علينا خير مشكور ٢١
فلا الرشيـــد ولا المأمون ناسبه ... فى أمره ناهيا عن كل منكور

---

(٦) الناصرى : الناصر . (٨) كليلة : كلية . (٢١) الآن : الام .

فالله يبقيه فى عزّ وفى شرف (١٣٦ آ) أعيــذه من شرار الناس بالطور
ما غرّد الطير فى روض وناشده على الغصون هزار حول شحرُور
٣ محمد بن إياس نظمه دُرَرٌ وقد أضاءتِ بمدح الأشرف الغورى
ثم الصلاةُ على المختار ما طلعت شمس الضحى واستنار الأفق بالنور

انتهى ذلك .

٦ وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه أخلع السلطان على ناظر الخاص [وخرج] على المجن وسافر إلى مكّة ، وخرج صحبته جماعة من مصر يرومون الحجّ . — وفى يوم الخميس رابع عشرينه توفى قَرَاكُزْ الشريفى الفهلوان أحد الأمراء العشرات ، ٩ وكان غير مشكور السيرة . — وفى يوم الخميس ثامن عشرينه أشيع بموت علم الدين الذى كان متحدّثا فى كتابة الخزانة ، وقد قاسى شدائد ومحنا وصودر ، واستمرّ فى المصادرة من سنة أربع عشرة وتسعمائه إلى سنة ثمان عشرة وتسعمائة ، ١٢ وضُرب غير ما مرّة وعُصر وأخذ منه مال له صورة نحو من مائة وعشرين ألف دينار على ما قيل ، والله أعلم بحقيقة ذلك ، وآخر الأمر مات وهو تحت العقوبة فى الترسيم . — وفيه قبض السلطان على تاج الدين بن كاتب الدواليب وسلّمه ١٥ إلى الزينى بركات بن موسى ، وسبب ذلك قيل عنه أن عنده لعلم الدين المذكور وديعة . — (١٣٦ ب) وفيه حضر الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن أسنبغا الطيارى أمير شكار ، وقد تقدم أن السلطان تغير خاطره عليه بسبب علم الدين جلبى السلطان ١٨ فرسم بنفيه إلى قوص ، فلما توجه إلى هناك كان الأمير طومان باى الدوادار مسافرا نحو الصعيد ، فلما وصل الناصرى محمد إلى هناك ترامى على الأمير طومان باى بأن يشفع فيه عند السلطان ، فأرسل شفع فيه ، فرسم السلطان بعوده إلى مصر ، ٢١ فلما طلع إلى السلطان أخلع عليه ونزل إلى داره ، لكن غرم مالا له صورة . — وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه هجم المنسر ليلة السبت على سُكّان الزربية من

---

(١٧) جلبى السلطان : جلبى سلطان .

المتفرجين : فدخلوا المقاصف ونهبوا عمائم الناس وقماشهم وعُبُبْيَتهم وقتلوا شخصا من الخفراء ، وكانت ليلة مهولة ، وراحت على من راح . — وفى يوم الجمعة المذكور صنع الأمير قانصوه بن سلطان جركس أحد الأمراء المقدّمين ٣ وقدة وإحراقة نفط فى بركة الفرايين ، مكان داره التى أنشأها هناك ، فكانت له ليلة حافلة وعزم على الأمراء عنده ، ونقل مراكب صغارا على جمال إلى بركة الفرايين فكانوا نحوًا [من] ثلاثين مركبا أو دون ذلك ، وأمر سكّان البركة ٦ بأن يوقدوا فى بيوتهم القناديل والتُرَيّات والأمشاط ، فأوقدوا وقدة حافلة تلك الليلة ، ومدّ أسمطة حافلة للأمراء ، ولم يقع قط فى (١٣٧ آ) بركة الفرايين ليلة مثل تلك الليلة فى الفرجة والقصف ، انتهى ذلك . ٩

وفى رجب كان مستهلّه يوم السبت ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فحصل للقاضى الشافعى من السلطان بعض مقت ، وسبب ذلك أنّ قوس الهلال كان تلك الليلة لا يُرى ، فقيل رآه بعض الناس ، وكان قوسه تلك الليلة على ١٢ درجتين ونصف ، وكان عَسِر الرؤية وحكموا أرباب التقويم أنه لا يُرى تلك الليلة ، فثبت رؤيته على قاض فى الصليبة يقال له شمس الدين الأتميدى ، فلما طلعوا القضاة إلى السلطان وقال للقاضى الشافعى : أحضر لى القاضى الذى ثبت عليه برؤية ١٥ الهلال على درجتين ونصف وهو غير ممكن الرؤية ، فنزل القاضى الشافعى كمال الدين الطويل وهو فى غاية التعفيش وأشيع عزله . — وفى يوم الأربعاء خامسه نزل السلطان إلى المقياس وأقام به إلى أواخر النهار ، وكان بلغه مجىء الأمير طومان باى ١٨ الدوادار من الصعيد ، فلما أن وصل بالمركب نزل إلى المقياس وسلّم على السلطان هناك ، ثم فى ثانى يوم طلع ولبس خلعة حافلة ونزل إلى داره فى موكب حافل . — وفى يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على قاضى القضاة محيى (١٣٧ ب) الدين ٢١ عبد القادر بن النقيب وقرّره فى قضاء الشافعية عوضا عن قاضى القضاة كمال الدين الطويل بحكم انفصاله عنها ، وهذه خامس ولاية وقعت لابن النقيب ، وقد سعى

---

(١٣) درجتين : درجين .

فى هذه المرّة بثلاثة آلاف دينار وقيل إنه نفذ منه فى هذه الخمس ولايات نحو
من سبعة وعشرين ألف دينار ،غير ما سعى به للمتكلمين له على ما قيل . — وفى يوم
٣ الأربعاء ثانى عشره نزل [السلطان] إلى المطرّية وأقام فى قبة يشبك الدوادار إلى
بعد العصر ،وأكل السماط هناك،ثم عاد إلى القلعة . — وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره،
الموافق لأول يوم من بابه ، ثبت النيل المبارك على ثمانية أصابع من واحد وعشرين
٦ ذراعا ، واستمرّ فى ثبات إلى نصف هاتور ، وقد تقدم القول أن فى سنة ثلاث
وثمانين وثمانمائة فى دولة الأشرف قايتباى ، ثبت النيل المبارك على أحد عشر
أصبعا من واحد وعشرين ذراعا ، فكان أزيد من هذا بثلاثة أصابع . — وفى
٩ يوم الثلاثاء رابع عشرينه فرّق السلطان على المماليك القرانصة الخيول التى
كانت لهم فى الديوان ، فأعطى لهم عن كلّ فرس فحل خمسة آلاف درهم ، والذى
له فحل وإكديش ثلاثة آلاف درهم عن الإكديش وأعطاه فحلا مع الثلاثة
١٢ (١٣٨ آ) آلاف ، ومن حين تسلطن إلى يوم تاريخه لم ينفق على المماليك
القرانصة ثمن خيول الردّ سوى فى هذا الشهر . — وفى يوم الأحد سلخ هذا
الشهر نزل السلطان إلى المقياس وبات به ، وكانت ليلة مستهلّ الشهر .

١٥ وفى شعبان طلع الخليفة والقضاة الأربعة إلى السلطان ليهنّوه بالشهر ،
فقيل لهم بأن السلطان فى المقياس لم يطلع إلى الآن ، فرجع الخليفة إلى داره ، وقيل
إن القضاة عدّوا له إلى المقياس وهنّوه بالشهر هناك،وكل هذا استخفاف بالناس،
١٨ ولم يكن له فى ذلك اليوم شغل يقتضى قعاده فى المقياس ذلك اليوم ، فكان يوم
تفرقة الجامكية الخامسة التى استجدّها . — وفى يوم الثلاثاء ثانيه نزل السلطان إلى
الميدان وجلس فيه إلى قريب الظهر ، ثم طلع إلى الدهيشة فلم يأكل السماط على
٢١ جارى العادة ، وحصل له توعّك فى جسده ودخل إلى دور الحرم ، وأقام فيه يوم
الأربعاء والخميس ، فكثر القال والقيل بين الناس ، وأشيع أنه قد أصابه
القولنج ، ثم خرج يوم الجمعة وصلّى فى الجامع فأبطل ذلك القيل والقال . —

(٢٢ و٢٣) والقيل : والقليل .

وفى هذا الشهر قبض السلطان على أقباى كاشف الشرقية ووكّل به بالقلعة وتغيّر خاطره عليه ، فنادى فى القاهرة (١٣٨ ب) كل من كان له ظلامة عند أقباى كاشف الشرقية فعليه بالأبواب الشريفة ، وكان أقباى أفحش فى الشرقية غاية ٣
الإفحاش ، حتى ضجّ منه جميع المقطعين وكثرت فيه الشكاوى من العسكر ، ثم رسم السلطان بنزوله إلى بيت نقيب الجيش حتى يرضى العسكر فيا أخذه من
البلاد غير العادة ، فلم يُفِدْ من ذلك وأرضى السلطان بمال وراح على المقطعين ٦
ما أخذه من بلادهم عن سنة ثمان عشرة الخراجيّة معجلا ، وفعل أشياء بالشرقية لم يفعلها غيره من الكشّاف . — وفى يوم الاثنين خامس عشره أخلع السلطان
على قانصوه العادلى وقرّره كاشف الشرقية عوضا عن أقباى بحكم انفصاله عنها ، ٩
وأخلع على جان بلاط الأشرفى كاشف الغربية وأقرّه على حاله بالغربية ، وكان أشيع عزله . — وفى يوم الثلاثاء سادس عشره رسم السلطان بالإفراج عن
شرف الدين يونس النابلسى الذى كان أستادارا وعُزل عنها ، وقد قاسى شدائد ١٢
ومحنا ، وأقام نحوا من ثلاث سنين وهو فى الترسيم بالجامع الصغير الذى هو داخل الحوش السلطانى ، وربما كان فى الحديد فى هذه المدّة ، وضُرب بين يدى السلطان
غير (١٣٩ آ) ما مرّة ، وصودر وقرّر عليه مال له صورة يرد منه على الجوامك ١٥
فى كلّ شهر خمسمائة دينار . — وفيه كانت كاينة الخواجا شمس الدين الُحلَبِى مع السلطان ، وسبب ذلك أن السلطان كان صادره مرارا عديدة وأخذ منه جملة
مال ، فأرسل الُحلبِى إلى مكّة كتابا بخطّ يده إلى شخص من أصحابه بمكة وذكر ١٨
فيه ما فعله به السلطان ، وأرسل يقول له : ادْعُوا على السلطان فى تلك الأماكن الشريفة فإنه ما هو مسلم ولا فى قلبه رحمة قليل الدين ، فظفر بعض أعداء الحلبى
بهذا الكتاب فأوصله إلى السلطان ، فلما قرأه أحضر الحلبى وأطلعه على ذلك ٢١
الكتاب فأنكر الحلبى ذلك وقال : هذا ما هو بخطى ، فشهدوا عليه جماعة أن هذا خطه ، فرسم السلطان عليه وشكّه فى الحديد ، وقصد عليه أن يثبت عليه كفرا كون

---

(٨) لم يفعلها : فلم يفعلها .

أنه عمله قليل الدين وما هو مسلم ، ثم آل أمره على أن السلطان قرّر عليه مالا له صورة . — وفيه فرّق السلطان إطلاقات الطين على الأمراء ، ولكن أحدث شيئا
٣ لم فعله أحد من الملوك قبله ، وهو أنه نقّص من إطلاقات الأمراء أشياء كثيرة وأخذ منهم الحلوان (١٣٩ ب) زيادة عن العادة ، فنقّص من إطلاق أمير كبير سودون العجمى مائتى فدان ، وكان قبل ذلك سلخ من إقطاعه جهات بنحو من
٦ عشرين ألف دينار كون أنه كان ليّن الجانب فاستضعفه ، ونقّص من إطلاق بقيّة الأمراء المقدّمين كل واحد مائة فدان ، ومن إطلاقات الأمراء الطبلخانات كل واحد عشرين فدانا ، ومن إطلاقات الأمراء العشرات كل واحد خمسة عشر
٩ فدانا ، وفرّق على أصحاب الوظائف لكل واحد أشرفين ، وبقية المماليك كل واحد أشرفيا ، وآخرين أشرفيا ونصف . — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه نزل السلطان إلى المقياس وأقام به إلى آخر النهار ، ومدّ هناك سماطا حافلا ، ثم طلع إلى القلعة
١٢ بعد العصر . — وفى يوم الخميس خامس عشرينه أخلع السلطان على المعلّم يعقوب اليهودى ، وقرّره متحدّثا على دار الضرب كما كان ابن نصر الله الذى تسحّب كما تقدم ذكر ذلك ، فألبسه كاملية صوف أزرق بصمور ونزل من القلعة
١٥ وهو [فى] غاية العظمة . — وفى يوم الجمعة سادس عشرينه ، الموافق لتاسع هاتور القبطى ، فيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف . — وفى يوم الأحد ثامن عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى المقياس ، ثم نزل فى خرطوم الروضة (١٤٠ آ) ونصب
١٨ له هناك خياما وأقام إلى أواخر النهار ، وانشرح فى ذلك اليوم ، وكان صحبته ولده المقرّ الناصرى محمد وجماعة من الخاصكية ، وأشيع أن خرطوم الروضة أعجبه فأمر أن يُبنى هناك قصر بأربعة أوجه . — وفى أواخر هذا الشهر لم يعرض السلطان
٢١ المسجونين الذين فى الحبوس على جارى العادة ، وكان له عادة يعرض من فى الحبوس قبل رمضان بأيام قلائل ، ويُطلق من المحابيس جماعة ، ويُنعم على المديونين بشىء ، ويصالح عنهم الغرماء ، ويفعل أشياء كثيرة من هذا النمط ،
٢٤ فلم يعمل فى هذه السنة شيئا من ذلك وتغافل عن هذا الأمر .

وفى رمضان كان مستهلّه يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وجلس السلطان فى الميدان وأعرض عليه الوزير يوسف البدرى اللحم والخبز والدقيق والسكّر والغنم وغير ذلك ، على جارى العادة ، وهو مزفوف على ٣
رؤوس الحمّالين ، فأخلع الوزير على الزينى بركات بن موسى المحتسب ونزلا من القلعة فى موكب حافل . — وفى أوائل هذا الشهر عزّ وجود الحطب قاطبة ، وصار الناس يقدون الجِلّة والكرس وقَشّ الغيطان ، وتعطّلت مطابخ الأمراء ٦
بسبب ذلك ولا سيما فى رمضان ، واستمرّ الحال على ذلك (١٤٠ ب) إلى أواخر الشهر . — وفى يوم الخميس ثانى رمضان حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند ملك الهند ، وصُحبته فيلان عظيما الخلقة ، وعليهما بركستوانات مخمل أحمر ٩
بمسامير كف ، وعلى ظهورهما صناجق ، وعلى أنيابهما غلوف من الفولاذ ، فرجّت لهما القاهرة لما دخلوا ، وكان السلطان فى الميدان فعُرضوا عليه وقدّامهما الطبول والزمور ، فتسارعا الفيلان قدّام السلطان فى الميدان ، وانشرح فى ذلك اليوم إلى ١٢
الغاية ، ثم رسم بأنْ يتوجهوا بهما إلى بيت الأتابكى تمراز الذى عند القبو فأقاما به ، وحضر صحبة القاصد أولاد الخواجا عيسى القارى الذى توفى بمكة ، فقرّر عليهما مائة ألف دينار ، فتشكّوا من ذلك فحلف بحقّ رأسه ما يأخذ منهم إلا مائتى ألف ١٥
دينار ، فرجعوا من عنده وهم فى أسوأ حال . — وفى يوم الأربعاء ثامنه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو المطعم الذى بالريدانية وجلس على المصطبة التى هناك ، وأطلقوا قدّامه الكلاب والصقورة والفهودة ، وانشرح فى ذلك اليوم ، ثم عاد إلى ١٨
القلعة من يومه . — وفى يوم الخميس تاسعه أخلع السلطان على المقرّ السيفى طومان باى أمير دوادار وقرّره متحدّثا على ديوان الوزارة والأستادارية وسائر الدواوين قاطبة ، وأشيع أنه بقى نظام المملكة ، فتضاعفت عظمته (١٤١ آ) جدّا ، ٢١
واجتمع فيه عدّة وظائف سنية ولا سيما لكونه قرابة السلطان ، فلما نزل من القلعة كان له يوم مشهود ، ونزل صحبته سائر الأمراء وأرباب الدولة حتى الأفيال

---

(٩) عظيما الخلقة : عظيمان الخلقة .

المقدّم ذكرهم وهى مزيّنة بالصناجق واللبوس ، وقدّامهما الطبول والزمور . — وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربى وكان السلطان أرسله إلى ٣ بلاد ابن عثمان ليشترى أخشاب وحبال ومكاحل نحاس ، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدّة مكاحل نحاس وحديد وأخشاب وحبال ، وغير ذلك أشياء كثيرة فى مراكب موسوقة . — وفى يوم الجمعة عاشره حضر ٦ على الجركسى قاصدا من عند خاير بيك نائب حلب ، وكان السلطان أنعم على الجركسى بأمرة عشرة بحلب وجعله حاجبا ثانيا هناك ، وذلك لأجل خاطر خاير بيك نائب حلب ، ويقال أن على الجركسى هذا كان أصل أبيه فرّانا ، وكان علىّ ٩ حسن الشكل فأخذه الأمير خاير بيك عنده بجمقدارا وربّاه صغيرا حتى كبر ، فلا زال يرقى حتى بقى حاجبا ثانيا بحلب ، والعبد بسعده لا بأبيه ولا بجدّه . — وفيه كان ما وقع لرئيسة المغانى ، وهى امرأة يقال لها هيفة اللذيذة ، وقد رافعها ١٢ بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من (١٤١ ب) المال ولها حُلّة للكِرَى ، فلما سمع السلطان ذلك قبض عليها وأقامت فى الترسيم ، وعُرِضت للضرب غير ما مرّة ؛ وقرّر عليها خمسة آلاف دينار ، فباعت الحلى وجميع ما تملكه وأوردت ١٥ ألف دينار ، وقد تكلم لها القاضى بركات بن موسى بأنها لا تملك غير ذلك ، فقرّر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار تردّ فى كلّ شهر مائة دينار على كلّ جامكية ، وقد طفّل السلطان نفسه إلى مصادرات المغانى أيضا ، والأمر لله . — وفى يوم الخميس ١٨ سادس عشره فرّق السلطان الكسوة مع الجامكية ، ولكن جعل كسوة أولاد الناس والمماليك العواجز ألفى درهم ، وصار لا يأخذ كسوة ثلاثة [آلاف] درهم سوى المماليك القرانصة وجلبانه فقط . — وفى ذلك اليوم حضر سيف نائب ٢١ كختا ، وأشيع أنه مات قتيلا من بعض التراكمة . — وفى يوم الأحد تاسع عشره نزل السلطان وسيّر إلى نحو المطريّة ، ثم دخل من باب النصر وشقّ من القاهرة ونزل فى مدرسته وزار قبر أولاده ، ثم أعرض الأيتام الذين بالمكتب ورسم

---

(٢٣) أولاده : أولاد .

لهم بسكوة على العيد ، ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين
عشرينه أخلع السلطان على الشيخ خليل بن إسمعيل بن شبانة ، شيخ عربان
جبل نابلس ، وقرّره على عادته فى مشيخته بجبل نابلس (١٤٢ آ) وقد سعى ٣
فى ذلك بمال له صورة . — وفيه وقعت نادرة غريبـــة وهو أن شخصا من
النصارى يقال له عبد الصليب ، وهو من نواحى دلجة من الجهات القبلية ، فقيل
عنه إنه وقع فى حق النبيّ صلى الله عليه وسلم بكلمات فاحشة ، فشهدوا عليه جماعة ٦
بذلك وكتبوا به محضرا وثبت على قاضى الناحية ، فلما أحضروا النصرانى إلى
بين يدى السلطان فاعترف بما قاله فى حقّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأعرضوا
عليه الإسلام فأبى ، فبعثه السلطان إلى بيت الأمير طومان باى الدوادار ، فعُقد له ٩
مجلس فاعترف بين يدى القضاة بما قاله وصمّم على ذلك، وقد بايع نفسه على عدم
تغيير دينه ، فحكموا القضاة بسفك دمه ، وثبت ذلك على بعض نوّاب المالكية
فأركبوه على جمل وهو مُسَمَّر وأشهروه فى القاهرة حتى أتوا به إلى عند المدرسة ١٢
الصالحية ، فضربوا عُنقه تحت شبّاك المدرسة ، ثم إن العوامّ أحضروا له النار
والحطب وأحرقوا جثّته فى وسط السوق ، فلما دخل الليل أكلوا الكلاب عظامه
ومضى أمره . — وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه عرض السلطان خلع العيد ، ١٥
وكانوا فى هذه السنة فى غاية الوحاشة ، وهم بحكم النصف عن كلّ سنة ، وتعوّق
غالب الخلع وسبب ذلك أن (١٤٢ ب) ناظر الخاص كان مسافرا فى الحجاز . —
وفى ذلك اليوم كان ختم البخارى بالقلعة ، وحضر القضاة الأربعة ، وفرّقت الخلع ١٨
والصرر على من له عادة، وكان ختما حافلا بالحوش السلطانى فى الخيمة المدوّرة . —
وفى يوم الخميس سلخ الشهر حضر الأمير حسين الذى كان توجّه باش التجريدة
التى توجّهت إلى بلاد الهند ، وكانت مدّة غيبة الأمير حسين فى هذه السفرة نحوا ٢١
من سبع سنين وثلاثة أشهر ، وتوجّه إلى بلاد الهند واتقع هناك مع الفرنج
وكسروه ونهبوا ما كان معه من المراكب والسلاح ، وجرى عليه شدائد ومحنا ،

وهو الذى كان شادا على عمارة الصور والأبراج التى أنشأها السلطان بجـدّة وجاءت من أحسن المبانى، وكان الأمير حسين قرّر فى نيابة جدّة فى هذه المدّة ،
٣ وأظهر هناك الفتك والعظمة ، وجار على التجار فى أمر العُشر ، وأظلم الناس قاطبة حتى ضَجّوا منه ، وتوجّه فى هذه المدّة إلى جماعة من ملوك الهند ، ولما حضر الأمير حسين جاء صحبته قاصد من عند الملك مظفر شاه بن الملك محمود شاه صاحب
٦ كنباية ، الذى توفى إلى رحمة الله تعالى ، فحضر قاصد الملك مظفر شاه حتى يأخذ له من الخليفة تقليدا بولايته على كُنباية ، فأخلع السلطان على الأمير حسين وعلى قاصد ملك الهند ، ونزلا (١٤٣ آ) فى موكب حافل .

٩ وفى شوال كان العيد يوم الجمعة ، وخُطب فى ذلك اليوم خطبتان ، وكان موكب العيد حافلا . — وفى يوم الاثنين رابعه طلع الأمير حسين بتقدمة حافلة للسلطان ، ومثلها تقدمة من عند قاصد ملك الهند صاحب كنباية ، وكانت تقدمة الأمير حسين
١٢ لها المنتهى من كلّ صنف فاخر . — وفى يوم الثلاثاء خامسه حضر القاضى علاى الدين ناظر الخاصّ ، وقد تقدم القول على أنه توجّه إلى مكة [لينظر فى أمر] من يلى أمرة مكة عوضا عن الشريف قايتباى الذى توفى ، فلما حضر ناظر الخاصّ حضر
١٥ صحبته ابن الشريف بركات ، وحضر صحبتهم موذن عزورة أمير مكة وهو صبىّ صغير السن يقال له محمد أبو نُمَىّ ، وحضر معه ابن عمه الشريف عَرْعَرْ ، وحضر صحبتهم قاضى قضاة مكة الشافعى والقاضى المالكى ، فلما أقبلوا قام لهم السلطان وأكرمهم
١٨ غاية الإكرام وأخلع عليهم كوامل بصمور ، وعلى ناظر الخاصّ ، وقد لاقاهم لما دخلوا قضاة مصر الأربعة والقاضى كاتب السرّ ابن أجا وأعيان الناس، فنزلوا فى مكان عُدّ لهم . — وفى يوم الأربعاء سادسه نزل السلطان إلى قبّة الأمير يشبك التى بالمطرية ،
٢١ فأقام بها إلى ما بعد الظهر ، ثم عاد إلى القلعة . — وفى يوم الخميس رابع عشره جلس (١٤٣ب) السلطان بالميدان وعرضوا عليه كسوة الكعبة الشريفة والبرقع ومقام إبراهيم عليه السلام والمحمل ، وشقّوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود . —

وفى يوم الاثنين ثامن عشره خرج الحاج من القاهرة وصحبتهم المحمل الشريف ، وكان أمير ركب المحمل تمر الحسنى أحد الأمراء المقدّمين ، وبالركب الأول يوسف الناصرى شاد الشراب خاناه الذى كان نائب حماة ، وخرج صحبتهما الأمير قطلوباى ٣ الذى قُرِّر باش المجاورين ، فكان لخروجهم يوم مشهود ، وظهر لهم أطلاب حافلة حتى رجّت لهم القاهرة ، وخرج قدام المحمل الأفيال الكبار وهى مزّينة باللبوس ، وعلى ظهورهم الصناجق ، وقدّامهم الطبول والزمور ، وخرج قدّام المحمل القضاة ٦ الأربعة وقضاة مكة الذين حضروا وابن الشريف أمير مكة ، وخرج قدّام أمراء الحاجّ أعيان الأمراء ، وكان يوما مشهودا . — وفى يوم السبت ثالث عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو قبة مصطفى التى فى المرج والزيات ، وبات بها تلك الليلة ٩ وأقام هناك . — [وفى] يوم الأربعاء سابع عشرينه نزل السلطان إلى نحو تربة العادل وجلس هناك ، وجرّبوا قدّامه عدّة مكاحل ، ثم أقام هناك إلى بعد العصر وعاد إلى القلعة . — وفيه توفى المعلّم عبد القادر الشمّاع ، وكان علاّمة فى فن التقويم وأخبار ١٢ الفلك . — وفى أواخر هذا الشهر توفى الأمير أينال (١٤٤ آ) شـــاد العمائر السلطانية ، وكان أصله من مماليك الأتابكى أزبك من ططخ ، وأنعم عليه السلطان بأمرة عشرة ، وكان عنده من المقرّبين ، وكان عارفا بأمور الهندسة وأحوال البناء ، ١٥ وكان لا بأس به . — وفى هذا الشهر رسم السلطان بتجديد عمارة ميدان المهارة الذي بالقرب من قناطر السباع ، فشرع فى ذلك وأمر الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير بأن يتولى أمر العمارة ويباشر ذلك بنفسه ، فامتثل ما رسم به وأظهر ١٨ العزم فى ذلك .

وفى ذى القعدة فى يوم الأربعاء خامسه نزل السلطان إلى نحو تربة العادل التى تجاه المطرية ، وجلس على المصطبة التى هناك ، وجرّبوا قدّامه عدّة مكاحل ٢١ بأحجار كبار ، ثم توجّه إلى قبّة يشبك التى هناك وأمر بعمارة فساقى وحفر بئر بسبب مرور المسافرين من هناك ، وشرع فى فتح عمارة كبيرة وجعل الأمير تانى بيك

الخازندار أحد الأمراء المقدّمين شادا على هذه العمارة ، فقدّروا على مصروف
هذه العمارة مالا جزيلا ، وما كان الوقت محتاجا إلى تلك العمارة هناك . وتكلّموا
٣ بأنه يُنشئ هناك قصرا عظيما ، وبحرة طولها نحو من مائة ذراع ، وينشئ هناك
غير ذلك أشياء كثيرة . — ومما وقع فى هذه الأيام أن كلبة فى الأزبكية ولدت
أحد عشر كلبا فى بطن واحدة (١٤٤ ب) فعدّ ذلك من النوادر الغريبة . — وفى
٦ يوم الخميس سادسه حضر إلى الأبواب الشريفة أحد أولاد أحمد بيك بن عثمان
ملك الروم . وهو شخص يسمّى سليمان بيك . فلما حضر أكرمه السلطان وألبسه
سلارى صوف بصمور من ملابيسه ، وقيل أن والده أحمد بيك فرّ من أخيه
٩ سليم شاه الذى تولى على مملكة الروم ، وقصد أنه يحضر إلى عند السلطان ، فبدا
له من بعد ذلك أمر فتوجّه إلى عند شاه إسمعيل الصوفى وحضر ابنه إلى عند
السلطان ، فما انشرح السلطان لذلك وخشى مما يأتى من هذه الحركة . — وفى
١٢ يوم الاثنين عاشره أخلع السلطان على الأمير أقباى الطويل أمير آخور ثانى ، وعيّنه
بأن يتوجه قاصدا إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، ليهنّيه بالملك ، وينسج
مودّة بينهما ، فنزل أقباى من القلعة فى موكب حافل . — وفيه تغيّر خاطر
١٥ السلطان على الشرفى يونس بن الأقرع نقيب الجيوش المنصورة ، وقرّر عليه
عشرين ألف دينار وكتب خطّ يده بذلك ، وكان سبب هذه الكاينة له أن يونس
السيفى قيت الرجبى كاشف منفلوط تغيّر السلطان عليه وقرّر عليه مالا له صورة
١٨ وسلّمه إلى يونس نقيب الجيش ، فلما نزل به إلى داره تسحّب من عنده واختفى
فتغيّر خاطر السلطان على (١٤٥ آ) نقيب الجيش ، وقال : ما أعترف المال
الذى عليه إلاّ منك ، فكان هذا سببا لكاينة نقيب الجيش مع السلطان ، وكان
٢١ نقيب الجيش من وسائط السوء إذا وقف بين يدى السلطان ما يتحدث فى أحد
من الناس بخير ، ويحصل للناس منه الضرر الشامل ، فكان يستحق كل سوء ؛
فلما جرى عليه ذلك شرع فى بيع أملاكه ورزقه وقماشه وخيوله ، وجاء عليه السلطان

مجيء وحش ، والمجازاة من جنس العمل . — وفى يوم الخميس ثالث عشره أخلع السلطان على قاضى القضاة كمال الدين وأعاده إلى منصب القضاء ، وصرف عنه محيى الدين بن النقيب ، وهذه ثالث ولاية وقعت لكمال الدين الطويل ، وقد نفذ ٣ منه فى هذه الثلاث ولايات فوق العشرة آلاف دينار ، وأما محيى الدين بن النقيب فإنه تولى خمس ولايات ، فكانت مدّته فى هذه الخمس ولايات سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام لا غير ، كما يقال فى المعنى : ٦

أعماله رُدّتْ عليه بما جنى والدهر قد جازاه من جنس العمل

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره نزل السلطان وكشف على العمارة التى فى الميدان ، كما تقدم ذكر ذلك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه . — وفى يوم الجمعة رابع عشره ٩ صلى السلطان صلاة الجمعة بالقلعة ، ثم ركب ونزل وشقّ من الصليبة فى موكب حافل وقدّامه ثلاث طوابل (١٤٥ ب) خيول بسروج ذهب وكنابيش ، وقدّامه من الأمراء الأمير طومان باى الدوادار الكبير فقط ، ومن الأمراء الطبلخانات ١٢ أقباى أمير آخور ثانى وكرتباى والى القاهرة ، وجماعة من الخاصكية والسلحدارية ، [وعلى] رأسه تخفيفة صغيرة لمساء ، وعليه سلارى صوف فستقى بصمور ، وهو راكب فرس بسرج ذهب وكنبوش ، وأشيع أنه يتوجه إلى نحو الأهرام ويقيم به ١٥ أيّاما ، فنصب هناك وطاقا ، وأشيع أنه يتوجّه من هناك إلى الفيوم كما وقع للأشرف قايتباى نظير ذلك ، فرجّت القاهرة لسفره على حين غفلة ، وماج العسكر الذى لم يكن على يقظة من احتياج السفر ، ولما نزل السلطان من القلعة توجّه إلى المقياس ١٨ وبات به ليلة السبت ، فلما طلع النهار عدّى من هناك وطلع إلى برّ الجيزة وتوجّه إلى الوطاق الذى نصبه عند الأهرام ، وقيل إن السلطان أخذ معه جماعة من المغانى وأرباب الآلات ، فنهم محمّد بن عُوَيْنَة العوّاد وجلال السنطيرى والبوالقة وابن ٢١ الليمونى وغير ذلك من المغانى ، فلما توجّه إلى الوطاق أقام به يوم السبت والأحد ، ثم رحل عن الوطاق يوم الاثنين سابع عشره وقصد التوجّه إلى نحو الفيوم ، وكان صحبته من الأمراء (١٤٦ آ) الأتابكى سودون العجمى وقاضى القضاة ٢٤

الحنفى عبد البرّ بن الشحنة وجماعة من الأمراء المقدّمين ومن الأمراء الطبلخانات
والعشرات والخاصكية ، فتوجهوا على الهجن وساروا إلى الفيوم . — وفى يوم الاثنين
٣ المذكور فرّقت الجامكية على العسكر فى غيبة السلطان بباب القلة ، وحضر ذلك
مقدّم المماليك والأمير خاير بيك الخازندار والوزير يوسف البدرى ، وغير ذلك
من الأعيان مثل القاضى بركات بن موسى المحتسب وغيره . — ومن الحوادث
٦ فى غيبة السلطان قد حضر المقرّ علاى الدين بيك أخو سليمان بيك أولاد المقرّ
الشهابى أحمد بن السلطان أبو يزيد بن عثمان ملك الروم ، وكان توجّه إلى زيارة
بيت المقدس فلم يحضر صحبة أخيه سليمان بيك لما حضر ، فأنزلوه عند ما حضر
٩ فى بيت الأتابكى تمراز الذى عند القبو إلى أن يحضر السلطان . — فلما توجّه
السلطان إلى الفيوم وجدها خرابا وشرّق غالبها وقد تقطع الجسر الذى بها ، فلم
يقم بها السلطان سوى ليلة واحدة ، ورسم للأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء
١٢ المقدّمين بأن يقيم هناك حتى يعمّر الجسر الذى بها ، ثم إن السلطان رسم له
بأن يفرد على البلاد التى هناك من إقطاعات ورزق على كل فدان طين
(١٤٦ ب) عشرة أنصاف ، وقيل أفرد على المقطعين هناك ثُلُث ما لهم من
١٥ الخراج ، فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الضرر ، وكان قبل ذلك رسم
السلطان بعمارة جسر أم دينار الذى بالجيزة ، فندب إلى عمارته الشرف يونس
نقيب الجيش وشخصا آخر من المباشرين يقال له جمال الدين ، فأفردوا على
١٨ البلاد والرزق والإقطاعات التى هناك فى إقليم الجيزية الثلث من الخراج ، فحصل
للمقطعين [الضرر الشامل ، وصار يتعسف معهم] ويستخرج منهم المال ، وصار
السلطان يعوّق جوامك المماليك الذين لهم إقطاعات فى إقليم الجيزة بسبب عمارة
٢١ هذا الجسر ، فما أبقى نقيب الجيش فى ذلك ممكنا من باب المظالم ولا سيما شدّة
عسفه فى المظالم السلطانية . — ثم جاءت الأخبار بأن السلطان قد قصد العود من
الفيوم ، فخرج إلى تلقيه أمير المؤمنين وهو المتوكل على الله محمّد فلاقاه من

(٨) صحبة : صحبته .

دهشور وهى بلد الخليفة ، فأقبل عليه السلطان وترحّب به وبالغ فى إكرامه
وتعظيمه وألبسه سلارى صوف فستقى بصمور من ملابسه ؛ قيل أن مشترى
صموره ثلثمائة دينار ، وكان الخليفة لما توجه السلطان إلى الفيوم مرّ من على ٣
دهشور بلد الخليفة فقدّم إليه الخليفة مهارة (١٤٧ آ) وأغناما وأبقارا
وأشياء كثيرة من دجاج وأوز ؛ ومن أنواع الأكل قدور عسل نحل وجرر لبن
وغير ذلك أشياء كثيرة ، فشكر له ذلك ؛ ثم إن السلطان أتى إلى الوطاق الذى ٦
تركه منصوبا تحت الأهرام ومضى إلى الفيوم ، فلما نزل بالوطاق تسامعت به
الناس فتوجهت إليه قضاة القضاة وهم كمال الدين الطويل الشافعى ومحيى الدين
يحيى الدميرى المالكى والشهاب أحمد الشيشينى الحنبلى ؛ وخرج إليه غالب أعيان ٩
الناس ، فنزل السلطان بالوطاق يوم الأربعاء سادس عشرينه ، فأقام به يوم الأربعاء
والخميس وأحرق هناك إحراقة نفط ثانية ، فلما كان يوم الجمعة عدّى السلطان
من هناك ونزل بالمقياس فأقام به إلى يوم الأحد سلخ الشهر ، فتوجه إليه هناك ١٢
أولاد ابن عثمان الذين حضروا كما تقدم القول على ذلك .

فلما كان يوم الاثنين مستهل ذى الحجة عدّى السلطان من المقياس وأتى إلى
بر مصر وركب من هناك ، ومشت قدّامه الرؤوس النوب بالعصى ؛ ومشى قدّامه الجم ١٥
الغفير من الخاصكية بغير شاش ولا قماش ، وركب قدّامه الأتابكى سودون العجمى
والأمير أركماس أمير مجلس والأمير طومان باى (١٤٧ ب) الدوادار الكبير
وحاجب الحجّاب أنصباى ، وجماعة من الأمراء المقدّمين والأمراء الطبلخانات ١٨
والأمراء العشرات وأعيان المباشرين من أرباب الوظائف ، وكان قاضى القضاة الحنفى
عبد البرّ بن الشحنة مسافرا صحبة السلطان فركب قدّامه ، فألبس السلطان الأمراء
المقدّمين كوامل مخمل أحمر بصمور وهم أمير كبير وأمير مجلس والدوادار الكبير ، ٢١
وألبس بقيّة الأمراء المقدّمين كوامل صوف بصمور ، وكذلك جماعة من الأمراء
الطبلخانات من أرباب الوظائف ممن كان مسافرا مع السلطان ، وألبس قاضى

القضاة الحنفى عبد البرّ كاملة صوف أبيض بصمور وكان مسافرا معه ، وركب
قدّامه العسكر قاطبة ، فشقّ من الصليبة مع طلوع الشمس وهو فى موكب حافل ،
٣ وعليه كاملة مخمل أحمر بصمور ، وهو راكب على فرس بسرج ذهب وكنبوش ،
وقدّامه ثلاث طوايل خيل بسروج ذهب وكنابيش ، وقدّامه حجورة بسروج
بداوى وركب مغربى ، وكان قدّامه أربع نوب هجن فيهم نوبتين بأكوار زركش ،
٦ وكان قدّامه الأفيال الكبار وعليهم البركستوان المخمل الأحمر ، وعلى ظهورهما
الصناجق الحرير الملوّن ، وكان قدّامه طبلان وزمران والنفير (١٤٨ آ) البرغشى
والطبردارية ، وقد شاهدتُ هذا كله بعينى ، وركب قدّامه أولاد ابن عثمان ملك
٩ الروم ، وركب قدامه جماعة من أولاد ابن قرمان كانوا بمصر ، وركب قدّامه جماعة
من مشايخ عربان جبل نابلس ، وغير ذلك من الأعيان ، فاستمرّ فى هذا الموكب
الحافل حتى طلع إلى القلعة . وهذه كانت أوّل سفرات السلطان ، وكانت مدّة غيبته
١٢ فى هذه السفرة سبعة عشر يوما ذهابا وإيابا ، ووقع له فى هذه السفرة أمور
غريبة لم يقع للأشرف قايتباى مثلها لما سافر إلى الفيوم ، وقد بلغنى ممن أثق به أن
السلطان فتك فى هذه السفرة فتكا زائدا وأظهر أنواعا من العظمة ، وصار يمدّ
١٥ للأمراء بطول الطريق أسمطة حافلة وطوارى فاخرة ، فى كل يوم أربع مرار ،
ما بين حلوى وفاكهة وأجبان مقلى وجلاب وغير ذلك من الأسمطة الحافلة ، ولا
يمنع من يأكل على السماط من الغلمان وغيرهم ، وكان يطوف على العسكر بالسكر
١٨ فى قِرَب مع السقّايين ويسقيهم السكر بالطاسات ، وأحكوا عنه أشياء غريبة من هذا
النمط ، ورتّب العليق لخيول العسكر بطول الطريق ، وكانت هذه السفرة على
سبيل التنزّه ، وقد أشيع بين الناس أن السلطان توجّه إلى (١٤٨ ب) هناك
٢١ بسبب مطلب وُجد هناك ، والأصحّ أنه توجّه بسبب الكشف على الجسر الذى
هناك ، وهو جسر اللاهون ، وجسر آخر هناك ، فإنه كان تقطّع حتى شرّق منه
إقليم الفيوم ، فلما توجّه السلطان إلى هناك صار يتصيّد فى جهات الفيوم ودخل

عليه جملة تقادم من مشايخ العربان وغيرها ، وقد بلغنى ممن أثق به أن السلطان
فرّق على الأمراء الذين كانوا معه من التقادم التى دخلت عليه ، فأعطى الأتابكى
سودون العجمى ثلاثمائة دينار وفرسين وخمسين رأس غنم وخمس بقرات ، ٣
وأعطى الأمير أركماس أمير مجلس مائتى دينار وفرس وأربعين رأس غنم
وأربع بقرات ، وأعطى الأمير طومان باى الدوادار الكبير مثل ذلك ، وأعطى الأمير
أنصباى حاجب الحجّاب مثل ذلك ، وأعطى لبقية الأمراء المقدّمين لكل واحد منهم ٦
مائة وخمسين دينارا وفرسا وبقرتين وأربعين رميسا ، هذا خارجا عن الأوز
والدجاج ، وأعطى للأمراء الطبلخانات لكل واحد منهم أربعين دينارا ، وللأمراء
العشرات لكل واحد منهم عشرين دينارا ، وفرّق عليهم أغناما بحسب مقام كل ٩
واحد منهم ، وأنعم على جماعة من الخاصكية من (١٤٩ آ) أرباب الوظائف
بحسبما يختاره ، ثم أنعم على من كان معه من المغانى لكل واحد منهم بعشرين دينارا
وحُنَيْن صوف بسنجاب ، وهذا على ما نُقِل ولم ألتزم صحّة ذلك ، ثم إن السلطان ١٢
ألبس الأمراء المقدمين عند عوده إلى القلعة لكل واحد من أرباب الوظائف
كاملة مخمل أحمر بصمور ، وألبس بقية الأمراء المقدمين كوامل صوف بصمور ، وألبس
قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة كاملة صوف أبيض بصمور ، وألبس جماعة ممن ١٥
كان معه من أرباب الوظائف لكل واحد منهم كاملة صوف بصمور ، وقد تقدم
القول على ذلك ، فلما طلع السلطان إلى القلعة دخل إلى الميدان وكان مستهل
الشهر فطلعت القضاة إلى الميدان وهنّوه بالشهر ، ثم نزلوا صحبة قاضى القضاة الحنفى ١٨
عبد البرّ بن الشحنة ، وهذا ملخص ما وقع للسلطان فى هذه السفرة إلى الفيوم :

وفى يوم الأربعاء ثالثه نزل السلطان إلى قبّة يشبك التى فى المطرية وكشف
على العمارة التى أنشأها هناك . — وفى يوم الخميس رابعه ابتدأ السلطان ٢١
بتفرقة الأضحية على العسكر ومن له عادة . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان بشنق
ابن حمادة شيخ العرب بالقليوبية ، فشُنق على قنطرة الحاجب . — (١٤٩ ب)

---

(١٢) حُنَيْن : كذا فى الأصل .

وفى يوم الأربعاء عاشره كان عيد النحر ، وكانت الأضحية فى هذا العيد فى غاية
الانشحات من الغنم والبقر وذلك بسبب تسلط المماليك الأجلاب على الفلاحين
٣ الذين يحضرون البقر والغنم ، فكانوا المماليك يخرجون إلى المطرية وإلى الخانكاه
ويخطفون الغنم غصبا ، فحصل للناس غاية الضرر بسبب ذلك ، حتى الفحم كان
مشحوتا والحطب فى هذا العيد . — وفى يوم الاثنين خامس عشره أخلع السلطان
٦ على شخص من الأتراك يقال له جان بلاط وقرّره فى نيابة كختا ، فخرج فى ذلك
اليوم إلى محلّ نيابته بكختا ، وخرج بطلب لطيف . — وفى يوم الأحد حادى
عشرينه نزل القاضى بركات بن موسى المحتسب ونادى على الفلوس الجدد بأن
٩ تكون الفلوس الجدد والعتق بالميزان وهى بنصفين الرطل ، فوقف حال الناس
بسبب ذلك . — وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه اظلم الجوّ وثار ريح عاصف واشتدّ
البرد ، وكُسفت الشمس فى ذلك اليوم كسوفا فاحشا ، وكان ذلك قبل العصر
١٢ بأربع عشرة درجة وأقامت فى الكسوف نحو ساعة . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه
أمطرت السماء بردا (١٥٠ آ) غزيرا مثل الحصا التى فى الصحراء : — وقد
خرجت هذه السنة عن الناس على خير ، وكانت سنة مباركة خصبة نتج فيها الزرع
١٥ وأفلح فيها البطيخ العبدلّى والبطيخ الصواصلى وسائر الفواكه ، ووقع فيها
الرخاء ، وكان فيها النيل عاليا وثبت فيها ثباتا جيّدا ، وكانت سنة هادئة من
الفتن والشرور ، ولم يظهر فيها الطاعون بمصر بل ظهر بثغر الإسكندرية ورشيد
١٨ وبعض السواحل ولم يدخل منه إلى مصر شىء . — انتهى ما أوردناه من أخبار
سنة ثمان عشرة وتسعمائة على خير .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وتسعمائة

٢١ وكان مستهلّ الشهر يوم الأربعاء ، ففيه فى المحرم طلع أمير المؤمنين المتوكل على
الله محمد والقضاة الأربعة للتهنئة بالعام الجديد . — وفى ذلك اليوم أمطرت السماء

(١) هذا : هذه . (٩) تكون الفلوس : يكونوا الفلوس .

مطرا غزيرا وفيه حصا وهبّت رياح عاصفة . — وفى يوم السبت رابعه نقلت
الشمس إلى برج الحمل وهو أول فصل الربيع ، فلما نقلت الشمس إلى برج الحمل
ظهر الطاعون بمصر ومات به جماعة من الأطفال والعبيد والجوار ، فخرجت ٣
طائفة من الألواحية وتوجّهوا إلى بلادهم فرارا من (١٥٠ ب) الطعن وقد فشى
أمره . — وفى يوم الأحد خامسه نزل السلطان إلى قبّة يشبك التى بالمطرية وأقام
بها إلى أواخر النهار ، وكشف على العمارة التى أنشأها هناك ، وانشرح فى ذلك ٦
اليوم ، وطلع إلى القلعة بعد العصر . — وفى يوم الثلاثاء سابعه كانت كاينة قُرقماس
المقرى وذلك أنه قد اتهم بقتل امرأة ومملوك ، وسبب ذلك أنه كان ساكنا
عند غيط المرستان فى زقاق الكحل ، فطلعت غلمانه وعبيده إلى هذه الامرأة ٩
والمملوك وفى أيديهم السيوف وزعموا أنهم منسر ، فضربوا الامرأة والمملوك
زوجها ، وقطعوا آذان ابنتها وأخذوا منها الحلق ، فماتت البنت فى ليلتها ، فلما
طلع النهار وجد فى الامرأة والمملوك جروح بالغة ، حتى قيل وُجد فيـه ١٢
ست عشرة ضربة بالسكاكين ، فحملوهما على أقفاص حمّالين وأعرضوهما على
السلطان ، فقال له المملوك والامرأة : ما لنا غرماء سوى قرقماس المقرى وغلمانه ،
وكان هذا المملوك ساكنا بالقرب من بيت قرقماس المُقرى فى زقاق الكُحل ، فلما ١٥
تحقّق السلطان ذلك شكّ قرقماس المقرى فى الحديد وسلّمه إلى الوالى هو وغلمانه ،
ورسم له بأن يُعاقب الغلمان والعبيد حتى يقرّوا على من فعل ذلك . — وفى
ذلك (١٥١ آ) اليوم أعرض السلطان الأمير يخشباى الذى كان كاشف البهنسا ، ١٨
وأعرض أغاته الأمير قنبك الشيخ أحد الأمراء العشرات ، وكان له مدّة وهو
مختفى لأمر أوجبه ، فلما أعرضوهما على السلطان شكّ الأمير يخشباى فى الحديد
وسلّمه للوالى ، وكذلك الأمير قنبك الشيخ ، واستمرّوا عند الوالى حتى يكون ٢١
من أمرهما ما يكون . — ثم إن السلطان حلّ بعد ذلك فى أمر قرقماس المقرى ، ولم
يأخذ بيد المملوك الذى تجرّح ولا بيـد الامرأة التى ماتت ابنتها لما قطعوا

---

(٤) الألواحية ، أى أهل الواحات . (١٢) جروح : مجروح جروح .

آذانها ، وراحت على من راح . — وفى يوم الخميس سادس عشره أخلع السلطان
على شخص من مماليكه يسمّى جان بردى وقرّره فى نيابة طرسوس ، وكان من
٣ الأمراء العشرات . — وفى يوم الأحد تاسع عشره كان فيه فطر النصارى ، فنزل
السلطان فى ذلك اليوم إلى قبّة يشبك التى بالمطرية وأقام بها إلى أواخر النهار ،
وعزم على جماعة من الأمراء ومدّ هناك أسمطة حافلة وانشرح فى ذلك اليوم ،
٦ ثم عاد إلى القلعة قبل غروب الشمس ، وكان يوما حافلا . — وفى يوم الاثنين
عشرينه كان أول يوم فى الخماسين وهو عيد النصارى ، فكانت النصارى فى هذا
العيد فى غاية النكد بسبب (١٥١ ب) ما قرّر عليهم السلطان من المال ، وهو
٩ نحو من عشرين ألف دينار ، وذلك بسبب أنهم يُشترَى لهم جوار للخدمة ، فتغيّر
خاطر السلطان عليهم ومنعهم من ذلك ، وقد ترافعوا فى بعضهم فحنق منهم السلطان
وصادرهم وضيّق عليهم ، فكانوا فى هذا العيد فى غاية الضرر . — وفى يوم الاثنين
١٢ المذكور وقعت زلزلة خفيفة ، واستمرّت تعاود الناس ثلاث مرار والأرض
تضطرب اضطرابا ظاهرا ، وكان هذا كله دلائل على تزايد أمر الطاعون ، فلما
دخلت الخماسين تزايد أمر الطاعون وفتك فى الناس فتكا ذريعا ، ثم إن بعض
١٥ الحكماء أشار على السلطان بأن يلبس فى أصابعه خواتم ياقوت أحمر فإنه
ينفع لمنع الطاعون ، فأخرج من الذخيرة فصّين ياقوت أحمر مثمّنة وصاغهما على
ذهب خاتمين ، وصار يلبسهما دائما ويجلس فى المواكب وهو لابس تلك الخواتم
١٨ فى أصابعه ، حتى عدّ ذلك من النوادر ، ولا سيما من سلطان تركى . — وفى يوم
الثلاثاء حادى عشرينه ثارت رياح عاصفة ، وقام فى الجوّ رعد شديد وبرق
وأمطرت السماء مطرا غزيرا ، وذلك بعد نقل الشمس إلى برج الحمل بأيام عديدة . —
٢١ وفى يوم الأربعاء ثانى (١٥٢ آ) عشرينه دخل أمير الحاجّ بالركب الأول وهو
يوسف الناصرى ، وصحبته الأمير خاير بيك العلاى المعمار باش المجاورين . —
وفى يوم الخميس ثالث عشرينه دخل المحمل إلى القاهرة صحبة الأمير تمر الزردكاش

(٦) عاد : عاده . (١٥) أشار : ايشار .

أحد الأمراء المقدّمين ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة سنية ونزل من القلعة فى موكب حافل، ولكن كان الثناء الحسن من الحجّاج بالركب الأول للأمير يوسف الناصرى، ولم يثنوا الحجّاج عن الأمير تمر أمير المحمل خيرا وشكوا من بُخله ٣ فى الطريق ، الحجّاج قاطبة . — وفى يوم الجمعة فى الرابع والعشرين منه أمطرت السماء حصا قدر البندق وذلك وقت صلاة الجمعة ، حتى أعاق الناس عن دخول الجامع من شدّة الأمطار والوحل، وذلك بعد نقل الشمس إلى برج الحمل، فعُدّ ذلك ٦ من النوادر . — وفى يوم الاثنين سابع عشرينه خرج الأمير طومان باى الدوادار الكبير وتوجّه إلى نحو جهات الصعيد بسبب مساحة الأراضى وضمّ المغل ، فنزل من القلعة فى موكب حافل وطلب طلبا حربيا ، وكان له يوم مشهود . — وفى ٩ يوم الثلاثاء ثامن عشرينه (١٥٢ ب) نزل السلطان وعدّى إلى المقياس وأقام به إلى أواخر النهار ، وأشيع بين الناس أنه عمر مركبا ببولاق على صفة المركب القديم المسماة بالذهبية ، فلما فرغ منها العمل أمر بأن تزين بالصناجق ويضعوا فيها ١٢ الطبول والزمور والنفوط وتجىء وهى على هذه الهيئة من بولاق إلى تحت المقياس حتى يشاهدها السلطان وهو بالمقياس ، فانشرح السلطان فى ذلك اليوم إلى الغاية وابتهج ، ثم صلّى العصر وعدّى وطلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود . ١٥

وفى صفر تزايد أمر الطاعون بالديار المصرية وحصل للناس غاية الرعب ، فهرّب قاضى القضاة الحنفى عبد البرّ بن الشحنة أولاده من أمر الطاعون فأخرجهم إلى نحو جبل الطور ، وله بذلك عادة بأنّه يُهَرِّب أولاده الصغار إلى جبل الطور ١٨ فى أيام الفصول ويسلمون من الطاعون ويجوا بعد مضى الفصل وهم سالمون ، لا يفقد منهم أحدا حتى ولا من عياله ، ويقال إن تلك الجهات لا يدخلها الطاعون، ثم إن القاضى عبد البرّ حسّن للسلطان عبارة بأن يرسل ولده إلى هناك فلم ٢١ يوافق على ذلك ، ثم إن الأمير قانى باى أمير (١٥٣ آ) آخور كبير لما رأى

---

(٩) طلبا حربيا : طلبلا حربى . (١٩) ويجوا ، أى ويجيئون .

قاضى القضاة عبد البر أرسل أولاده إلى الطور ، فقامت زوجته بنت الأمير يشبك
الدوادار على أمير آخور وقالت له : ارسل ولدى صحبة أولاد القاضى ، فعُمل لها
٣ سنيح وخرجت فى محفّة وابنها صحبتها ، ثم عمل مثل ذلك الأمير جان بردى الذى
كان باش المجاورين فأرسل ولده صحبة ابن أمير آخور ، ثم إن الأمير نوروز تاجر
المماليك أرســل ولده وسراريه صحبة ابن أمير آخور ، ثم إن أنصباى حاجب
٦ الحجّاب أرسل جماعة من مماليكه إلى هناك ، وكذلك الأمير تمر الزردكاش أحد
المقدّمين ، وتبعهم جماعة من أعيان الناس على ذلك وأرسلوا أولادهم إلى الطور
خوفا عليهم من الطعْن ، وهذا شيء لم تفعله الأمراء قط سوى فى هذا الفصل من
٩ عظم ما وقع فى قلوب الناس من الرعب من هذا الطاعون ، ومع أنه كان خفيفا
جدّا بالنسبة إلى الطواعين المتقدمة ، انتهى ذلك . — وفى هذا الشهر أمر السلطان
بهدم القبّة التى أنشأها بمدرسته التى فى الشرابشيين وكانت قد تشقّقت وآلت
١٢ إلى السقوط ، فهدموها عن آخرها (١٥٣ ب) ثم أعادوها ثانية . — وفى يوم
الأربعاء سابعه كانت وفاة قاضى القضاة الحنبلى ، وهو شهاب الدين أحمد بن على
ابن أحمد الشيشينى الحنبلى ، وكان علاّمة فى مذهبه من أهل العلم والفضل ، ومولده
١٥ سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وكان قد شاخ وكبُر سنّه وناف عن السبعين سنة من
العمر ، ومات بالطاعون ، وصلى عليه فى الجامع الأزهر ، وكانت جنازته حافلة . —
وفى يوم الخميس ثامنه توفى الأمير تغرى برمش السيفى كسباى الششمانى المؤيدى
١٨ المعروف بالرماح ، وكان تغرى برمش رئيسا حشما تولى الوزارة غير ما مرّة وأقام
بها مدة طويلة ، وكان قد طعن فى السن وذهل فى عقله ، وقد باشر ديوان الوزارة
أحسن مباشرة . — وفى يوم السبت عاشره نزل السلطان وتوجّه إلى الميدان
٢١ المهارة الذى بقناطر السباع وكشف على العمارة التى أنشأها بالميدان ، ثم توجّه
من هناك إلى الروضة وأقام بالمقياس ذلك اليوم . — وفى ذلك اليوم كان عقد مجلس

(٢٠ – ٢١) الميدان المهارة : كذا فى الأصل .

بالمدرسة الصالحية ، وحضر قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل وقاضى القضاة
الحنفى عبد البر بن الشحنة وقاضى القضاة المالكى محيى الدين يحيى بن الدميرى ،
وكان (١٥٤ آ) هذا العقد المجلس بسبب شرف الدين بن روق ، ومن ملخّص ٣
واقعته أنه كان رجلا أهوج ، وعنده خفة ورهج ، وكان السلطان حاططا عليه
بسبب علم الدين الذى كان متحدّثا على الخزانة وقد تقدّم القول على ذلك ، وكان
شرف الدين بن روق صهر علم الدين زوج أخته ، فلما جرى لعلم الدين ما تقدم ٦
ذكره فضمنه شرف الدين بن روق فى ما تأخر عليه من المال الذى قرّره عليه
السلطان ، فلما مات علم الدين رسّم السلطان على ابن روق وطالبه بما على علم الدين
وجرى على ابن روق بسبب ذلك شدائد ومحنا يطول شرحها ، ثم إن ابن روق ٩
وقع من لســـانه بكلمات فاحشة فى حق قضاة العصر وغيرهم من الناس حتى
قيل عنه إنه قال : لم أستكمل الآن أحدا من القضاة ولا غيرهم بأن أصلّى خلفه ،
فضبطوا عليه ذلك ، فلما أحضروه فى المدرسة الصالحية فنجر على قاضى القضاة ١٢
الحنفى عبد البر بن الشحنة وعلى قاضى القضاة المالكى يحيى بن الدميرى ، وكان
شرف الدين بن روق من أهل العلم والفضل بارعا فى أصول الدين ، فلما أفحش
فى حق عبد البر بن الشحنة ، فعزره قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ، ١٥
(١٥٤ ب) وسطحه على ظهره فى وسط المدرسة الصالحيّة ، وضربه على رجليه
بعض عصيات بسبب إساءته على قاضى القضاة عبد البر ، فلما جرى ذلك كادت
العوام أن ترجم عبد البر بن الشحنة وتعصّبوا إلى ابن روق ، ثم انفض ذلك ١٨
المجلس مانعا ، وكان السلطان قائما فى أن يثبت على ابن روق كفرا ويضرب عنقه
فلم يتمّ له ذلك ، وكان قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل قائما فى الباطن
مع ابن روق ، فلما بلغ السلطان ذلك مقت القاضى الشافعى بسبب أنه لم يوافق ٢١
على إتلاف ابن روق ، فلما انفض المجلس من الصالحية تسلم القاضى بركات المحتسب
ابن روق ومضى به إلى بيته ليعاقبه ، فوضعه فى الحديد وحصل له غاية البهدلة
فى ذلك اليوم ، حتى قيل إن ابن موسى ضربه فوق المائة عصاة ، واستمرّ عنده ٢٤

فى الحديد حتى يستخلص منه المال الذى ضمن فيه علم الدين ، وقيل إن شرف الدين
ابن روق لما عرضوه على السلطان فكلمه بكلام فاحش حتى حنق منه السلطان
٣ وقصد أن يوقع فيه فعلا ويُتلفه ، فلم يتمّ له ذلك . — وفى يوم الأربعاء رابع
عشره توفى القاضى شرف الدين يحيى الأنصارى نقيب قاضى القضاة الحنفى ، وكان
من (١٥٥ آ) أعيان نوّاب الحنفية ، وكان لا بأس به . — وفى هذا الشهر تزايد
٦ أمر الطاعون وفتك فى المماليك وفى العبيد والجوار والأطفال والغرباء ، وصار
يوما يزيد ويوما ينقص ، وتناهت ورقة التعريف فى هذا الشهر بعدّة من يموت
فى كل يوم ، فبلغت إلى ثلاثمائة وخمسة وستين إنسانا ممن يرد التعريف ، والعادة
٩ فى الفصول الكبار أن الواحد من التعريف بعشرة ممن لا يرد التعريف ، فلما
تزايد أمر الموت فُتحت مغاسل السبيل على جارى العادة فى الفصول المتقدمة . —
ومما أحدثه السلطان من أبواب المظالم فى هذا الفصل أنه رسم للأمير مغلباى الزردكاش
١٢ بأن يأخذ من موجود مَن يموت من المماليك السلطانية ممن له جامكية ، فيُرَسِّم
على وصىّ الميت حتى يحضر بسيف مسقّط بفضة وزردية وخوذة وتركاش ؛
فصار الزردكاش يُرَسِّم على زوجة المملوك الذى يموت حتى يأخذ منها ما ذكرناه ؛
١٥ ثم رسم للأمير آخور كبير بأن يأخذ ممن يموت من المماليك ممن له جامكية وعليق
فيأخذ من وصيّه فرسين أو ثمنهما ، والخاصكى ثلاثة رؤوس خيل وبغلة ،
وأصحاب الوظائف ممن يموت منهم فيأخذ من وصيّه خمسة (١٥٥ ب) رؤوس
١٨ خيل وبغلة ، فيرسّم على الوصىّ وزوجة الميّت حتى يأخذ منهما ما ذكرناه ؛
وما هو أعظم من هذا كله أنه رسم إلى ألماس دوادار سكين بأن يأخذ ممن يموت
من مماليكه الأجلاب خمسون دينارا ، وهى النفقة التى كان قد نفقها عليهم ، ويأخذ
٢١ من الجمدار عشرين دينارا ؛ فأطلق فى أوصياء المماليك النار وصاروا يمتنعون من
الوصية ، فما طاق العسكر ذلك وكادت أن تنشأ من ذلك فتنة كبيرة ، فأقام الحال
على ذلك أياما ثم رجع عن بعض شىء من ذلك ، وهذا الأمر لم يقع قط من ملك

(١٦ و ١٧) رؤوس : اروس . (٢١) أوصياء : أوصية . (٢٢) تنشأ : ينتشى .

قبله ولا أحدث هذه المظلمة ؛ فلما تزايد أمر الموت رسم السلطان بشيل الدكك
التى على أبواب الحكّام ، ومنع النقباء قاطبة من على أبواب الأمراء أرباب الوظائف ،
٣ ووقع له أيضا مثل ذلك فى سنة عشر وتسعمائة لما وقع فيها الطاعون فرسم
بشيل الدكك ومنع النقباء قاطبة ، وهذا ثالث فصل وقع فى أيامه فإن الطعن
وقع فى أيامه سنة تسع وتسعمائة ، وكان خفيفا جدا وتناهت فيه ورقة التعريف
٦ إلى مائة إنسان ممن يرد التعريف ، ثم اختفى الطعن وغاب ثمانية أشهر وظهر
فى سنة عشر (١٥٦ آ) وتسعمائة وتناهت فيه ورقة التعريف إلى أربعمائة
وخمسة عشر إنسانا ممن يرد التعريف ، ثم وقع الطاعون فى أيامه فى هذه السنة
٩ وهى سنة تسع عشرة وتسعمائة ، ومن العجائب أن هذه الطواعين التى ذكرناها
يستمر الطعن فيها عمالا حتى تنزل النقطة ويزيد النيل ، وقد تناهت فيه ورقة
التعريف إلى ثلاثمائة وخمسة وستين إنسانا ممن يُريد التعريف ، انتهى ذلك . —
١٢ وفى يوم الأربعاء المقدم ذكره نزل السلطان وتوجه إلى العمارة التى أنشأها
فى المطرية وكشف عليها ، ثم عاد ودخل من باب النصر وشق من القاهرة ، ثم
طلع إلى مدرسته وكشف عن القبة التى بها ، وقد تقدّم القول على أنها قد
١٥ تشققت وآلت إلى السقوط فأمر بهدمها عن آخرها ، وقد رممها ثلاث مرار ولم
يفد من ذلك شيئا ، فلما شق السلطان من القاهرة أسمعته العوام الكلام بسبب
تشحيط الخبز وغلو الدقيق ، وكان القمح الجديد قد وصل وأشيع بين الناس
١٨ أن السلطان بيشترّى القمح ويرسله إلى الشام فإنه كان بها غلاء عظيم ، حتى قيل
وصل فيها كل أردب قمح إلى سبعة (١٥٦ ب) أشرفية ، وكذلك حلب أيضا ،
فكان يشترّى القمح من مصر ويرسله إلى البلاد الشامية ، فانشحطت القاهرة من
٢١ الخبز والدقيق بسبب ذلك وكادت أن تكون غلوة مع وجود القمح الجديد ، فلما
شقّ السلطان من القاهرة تسيبت عليه العوام بالكلام المنكى وقالوا له جهارا : الله

(٧) عشر : تسع . (٧ و ٨) أربعمائة وخمسة عشر إنسانا : أربعة ماية وخمسة عشرة إنسان .
(١٨) بيشترّى ، يعنى : يشترّى .

يهلك من يقصد الغلاء إلى المسلمين ، فسمع ذلك بأذنه فتنكّد فى ذلك اليوم وطلع
إلى القلعة من بين الدروب ولم يشق من باب زويلة . — وفى يوم الأحد ثامن
٣ عشره توفى الرئيس الأصيل العريق ، وهو سليمان بيك بن أحمد بيك بن السلطان
أبو يزيد بن عثمان ملك الروم ، فلما بلغ السلطان وفاته تأسّف عليه فإنه كان
حسن الشكل جميل الهيئة ، وكان حضر إلى مصر فرارا من عمّه سليم شاه لما تولى
٦ على مملكة الروم ، وقد تقدم القول على ذلك ، فتوفى ببولاق فى المكان الذى
أنزلوه به فأخرجت جنازته من هناك ، ومات بالطاعون ، فصنع له السلطان كفّارة
قدّام جنازته ، وأخرجوا قدّام جنازته خيوله وهى مقصوصة الأذناب وقد أقلبوا
٩ سروجها ، ووضعوا عمامته على نعشه ، وكسروا أقواسه ووضعوها (١٥٧ آ) على
نعشه ، وهذه على طريقة بلادهم ، فنزل السلطان وصلى عليه ، وعتب الأمراء
الذين لم يمشوا قدّام جنازته من بولاق ، ثم توجّهوا به إلى الصحراء فدفنوه فى تربة
١٢ البُجاسى . — وفى أثناء هذا [الشهر] عرض السلطان محابيس الحجرة من النساء
وأطلق من كان بها من النساء ، وهن زوجة رمضان المهتار وسرّيته وقد سُجنوا
بسبب خوند أمّ الملك الناصر ، وأطلق تحفة التى كانت دوادارة خوند أمّ الناصر ،
١٥ وأطلق أمّ مُعين الدين بن شمس الذى كان وكيل السلطان وجرى عليه ما جرى ،
وأطلق فاطمة بنت عاقولة وكانت سُجنت بسبب بنت خوند بنت المؤيّد شيخ ،
وأمرها مشهور ، وأطلق زوجة القاضى هانى وكانت مسجونة على دين ، ولم يعرض
١٨ من فى الحبوس من الرجال واستمرّ الحال على ذلك . — وفى ذلك اليوم توفى الأمير
سودون من حيدر ، ويعرف أيضا سودون الفقيه ، وكان من الأمراء العشرات ،
وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى . — وفى ذلك اليوم توفى القاضى كمال الدين
٢١ محمد الأبوتيجى ، وكان من أعيان نواب الشافعية ، وكان فى سعة من المال ، وكان
لا بأس به . — وفى يوم الاثنين سادس عشرينه نادى السلطان بمنع بيع النبيذ
(١٥٧ ب) والحشيش والبوزة ، ومنع النساء الخواطى من عمل الفاحشة ، واستمرّ
٢٤ يشهر المناداة بذلك ثلاثة أيام متوالية ، وكان قد تزايد أمر الطاعون وصارت الناس

كل من يموت له بنت عروسة يجعل على نعشها شربوش الحلىّ مع الطرحات ،
ويضعون عصافير الحلىّ فى أرجل النعوش ، فعُدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم
الخميس تاسع عشرينه فيه أحضرت جثة كاشف الغربية وهو الأمير جان بلاط ، ٣
وأصله من مماليك الأشرف الغورى ، وكان من الأمراء العشرات ، فلما أحضرت
جثته دفن بالقرافة . — وفى ذلك اليوم توفى مغلباى دوادار سكين ، وكان من
أعيان الخاصكية . — ومن الغرائب ما وقع فى أواخر هذا الشهر ، وذلك أن ٦
فى يوم الخميس المذكور بعد انفضاض الموكب ، نزل الزينى بركات بن موسى ناظر
الحسبة الشريفة من القلعة ، وقدّامه مشاعليّين ينادون فى مصر والقاهرة حسبما
رسم به المقام الشريف بإبطال المشاهرة والمجامعة ، وإبطال المكوس قاطبة التى ٩
كانت مقرّرة على السوقة وعلى أصحاب البضائع من المتسبّبين قاطبة حتى على
الطواحين التى فى القاهرة قاطبة ، ورسم بإبطال ما كان يؤخذ على مشترى كل
أردب من الغلال موجّب ، فكان يؤخذ على كل (١٥٨ آ) أردب قمح نصف ١٢
فضة ثم صارت نصفين موجّب ، وكيالة فتصل إلى ثلاثة أنصاف على كل أردب ،
واستمر ذلك على سائر مشترى الغلال ، فلما رسم السلطان بإبطال ذلك ارتفعت
له الأصوات بالدعاء ثم انطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكانت ١٥
الأسعار قد غلت فى سائر البضائع بموجب ذلك وصارت تباع المثل مثلين ولا
يقدر أحد يزجر البيّاعين على ذلك فإنه أمر سلطانى ، وكان متحصّل هذه
الجهات فى كل سنة فوق الأربعين ألف دينار ، بل أكثر من ذلك مما كان ١٨
من مشاهرة وغير ذلك من مكوس ، وكان السلطان يحيل بهذا القدر جماعة من
الأمراء عوضا عن الإقطاعات ، وهذا كان أشد الظلم على الناس قاطبة أمر هذه
المشاهرة والمجامعة ، وكان إبطال ذلك فى أيام السلطان من العجائب التى لم ٢١
يسمع بمثلها ، وسبب ذلك أن الطعن كان كل يوم فى تزايد وكان السلطان موهوما
على نفسه ، وقد أشيع بين الناس أنه رأى مناما بأن النجوم قد تساقطت

---

(١٧) يزجر : يحذر .

من السماء إلى الأرض ، ثم بعد ذلك سقط القمر ، فأوّل ذلك فإن النجوم هى
العسكر والقمر هو الملك ، فعند ذلك أخذ فى أسباب إظهار العدل وإبطال شىء
٣ من المظالم ، ولله الحمد على ذلك . — وفى يوم الجمعة سلخ هذا الشهر (١٥٨ ب)
قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وذلك فى حادى عشر بشنس القبطى ، وكان
الوقت رطبا .

٦ وفى ربيع الأول كان مستهلّ الشهر يوم السبت ، فطلع الخليفة والقضاة للتهنئة
بالشهر ، ففى ذلك اليوم أخلع السلطان على العزّى عزّ الدين بن قاضى القضاة
شهاب الدين أحمد الشيشينى الحنبلى وقرّره فى قضاء الحنابلة عوضا عن أبيه بحكم
٩ وفاته ، وكان شابا حسن السيرة لا بأس به ، وقد سعى فى هذه الوظيفة جماعة
من الحنابلة منهم شهاب الدين الفتوحى وغيره فلم يوافق السلطان على ذلك ،
وأرسل يقول لعزّ الدين : أورد ألف دينار والبس وظيفة أبيك ، ففعل ذلك . —
١٢ وفى يوم الاثنين ثالثه نزل الزينى بركات بن موسى المحتسب وأشهر المناداة
عن لسان السلطان بتسعير البضائع حتى الدقيق ، فعزّ ذلك على السوقة وغلقوا
الدكاكين أيّاما واضطربت بسبب ذلك القاهرة ، ثم امتثلوا ذلك وسكن
١٥ الاضطراب . — وفى يوم الثلاثاء رابعه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة
من العسكر وعيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى الغربية ، فإن العربان من حين
مات جان بلاط الكاشف اضطربت أحوال الغربية ، (١٥٩ آ) وكان السلطان
١٨ لما توفى جان بلاط الكاشف أخلع على أخيه وولاه على كشف الغربية عوضا عن
أخيه ، فلما توجه إلى هناك فزعت عليه العربان وطردوه وقُتل خاصكى كان
صحبته وجماعة من البلاصية ، فلما بلغ السلطان ذلك عيّن لهم تجريدة وخرجت
٢١ على الفور . — وفى يوم الأربعاء خامسه توفى شخص من الأمراء العشرات

---

(٣) بعد « ولله الحمد على ذلك » كتبت العبارة الآتية على الهامش بخط يخالف الخط فى الأصل : أقول فى تفسيره ما وقع بعد سنتين من هلاك السلطان الغورى وعسكره على يد السلطان سليم وملكه لمصر . (٢٠) البلاصية : البلاضية .

يقال له جانم البوّاب ، وكان أصله من مماليك الأشرف قانصوه الغورى ، وكان
لا بأس به . — وفى يوم السبت ثامنه توفى الرئيس الأصيل العريق علاى الدين
على بيك أخو سليمان بيك بن أحمد بيك بن السلطان أبى يزيد بن عثمان ملك الروم ، ٣
وقد تقدّم ذكر وفاة أخيه سليمان فتبعه أخوه علاى الدين على بيك ، وكان
ترابهما بمصر ، وماتا بالطاعون ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل وصلى عليه ،
ومشت الأمراء قدّام نعشه ، وأخرجوا قدّامه كفّارة كما فعلوا بأخيه سليمان ، ٦
ودفن على أخيه بالصحراء . — وفى يوم الأحد تاسعه نزل السلطان إلى مدرسته
التى أنشأها بالشرابشيين فقام بها إلى آخر النهار ، ونصب له سحابة على سطح
المدرسة حتى يكشف على عمارة القبة التى هُدمت وأعيدت ثانيا . — وفى يوم ٩
الاثنين عاشره (١٥٩ ب) جاءت الأخبار بوفاة مصر باى أخى جان بلاط الذى
قرّر فى كشف الغربية عوضا عن أخيه جان بلاط ، فلم يقم فى كشف الغربية
بعد أخيه إلا أياما ومات ، فلما مات أخلع السلطان فى ذلك اليوم على شخص ١٢
يقال له ألماس الساقى ، فقرره فى كشف الغربية عوضا عن مصر باى الذى توفى
كما تقدم . — وفى يوم الثلاثاء حادى عشره عمل السلطان المولد النبوى على
العادة ، ولكن كان الطعن عمالا والناس فى غاية النكد ، ومات بالطاعون ١٥
من العسكر ما لا يحصى . — وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد ابن عثمان
بأن سليم شاه الذى تولى على مملكة الروم بعد أبيه أبى يزيد بن عثمان ، وقد وقع
بينه وبين أخيه قُرْقُد شقيقه وهو الذى حضر إلى مصر كما تقدم ، فلما وقع ١٨
بينهما احتال عليه حتى حضر إلى عنده فقتله وقيل خنقه بوتر ، وأشيع أيضا
أنه قتل أخاه أحمد بيك الذى حضروا أولاده إلى مصر وماتوا بالطاعون كما
تقدم ، وأشيع أنه قتل جماعة من وزرائه ، وقد صار مُلك الروم فى اضطراب ٢١
وربما يخشى عليه من الفرنج ، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلى العظيم ، وقد
فنى أكثر أولاد ابن عثمان ، وكان ابن عثمان ماسك زمام البلاد لطرد الفرنج
عنها . — وفى يوم السبت (١٦٠ آ) خامس عشره توفيت ابنة السلطان ٢٤

الأشرف جان بلاط ، فصلى عليها السلطان ودفنت فى مدرسة أبيها التى بباب النصر ، وكان لها من العمر نحو من اثنى عشرة سنة ، وكانت جنازتها حافلة . — وفى ذلك ٣ اليوم نزل السلطان إلى مدرسته وكشف على عمارة القبّة ، وأقام هناك إلى بعد العصر ، ومدّ له الزينى بركات بن موسى هناك مدّة حافلة ، ونصب له السلطان سحابة على سطح المدرسة ، ونظر إلى عمارة القبة واستحثّ البنائين على سرعة ٦ البناء . — وفى هذا الشهر تزايد أمر الطاعون وفتك فى المماليك حتى صار يموت منهم فى كل يوم نحو من خمسين مملوكا ، وكان قوة عمله بعد الخماسين وظهور الثُريّا ، ونزلت النقطة والطعن عمّال . — وفى يوم الاثنين سابع عشره احتجب ٩ السلطان فى الدهيشة ولم يخرج إلى الناس ، وتزايد به ذلك العارض الذى فى عينه وأشيع بين الناس أن جفونه ارتخت على عينه ، ولم يحضر تفرقة الجامكيّة وكثر القال والقيل بين الناس ، فلما كان يوم الجمعة لم يخرج السلطان إلى صلاة ١٢ الجمعة ، فلما انقضت (١٦٠ ب) صلاة الجمعة دخل قاضى القضاة الشافعى والأمراء المقدمون وسلموا على السلطان وهو فى الدهيشة فأسقاهم سُكّرا ، ثم سلموا عليه وانصرفوا . — وفى يوم السبت ثانى عشرينه حضر هجان من مكة ١٥ فى مسافة تسعة أيام وأخبر بأن الفرنج قد ملكوا كمران وأنهم بيحاصروا مدينة سواكن ، وأن الشريف بركات أمير مكة خرج إلى جدّة هو وباش المجاورين وجماعة من المماليك المجاورين الذين هناك بمكة ، وأقاموا بجدّة خوفا ١٨ على البندر من الفرنج أن يهجموا عليه ، فأرسلوا يُعلمون السلطان بذلك ، فلما جاء هذا الخبر تنكّد له السلطان إلى الغاية ولا سيما كان منقطعا فى الدهيشة بسبب عينه ، فحصل للناس بهذا الخبر غاية النكد . — فلما كان يوم الجمعة خرج ٢١ السلطان وصلى صلاة الجمعة ، فلما خرج قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل ورقى إلى المنبر خطب خطبة بليغة فى معنى هذه النازلة التى وقعت بسبب الفرنج وأخذهم لعدّة بلاد من سواحل اليمن ، فلما أقامت الصلاة قال المؤذّنون : القنوط

(١٥) بيحاصروا ، يعنى : يحاصرون .

عقيب الصلاة ، فلما صلّى قاضى القضاة صلاة الجمعة قنط فى الركعة الأخيرة
من (١٦١ آ) صلاة الجمعة ، فقنط السلطان والأمراء ومن فى الجامع قاطبة ،
فعدّ ذلك من النوادر . — وفيه نزل السلطان إلى الميدان وجلس به وأمر بعرض ٣
العسكر الذين استجدّهم فى الطبقة الخامسة ، فأعرضهم وهم لابسون الزرديات
والخوذ وفى أوساطهم السيوف ، وكان منهم رماة بالبندق الرصاص ، فلما أعرضهم
كتب منهم جماعة نحوا من ثلاثمائة إنسان ، وعيّن باشهم الأمير أركماس أمير ٦
مجلس ومعه الأمير قانصوه أبو ستّة أحد المقدّمين ، وعيّن معهم جماعة من
المماليك السلطانية ، ورسم لهم بأن يتوجهوا إلى السويس ويقيموا به بسبب عمارة
المراكب التى عمرها السلطان هناك . — وفيه عيّن السلطان الأمير حسين بأن ٩
يتوجه إلى جدّة ويستقر فى نيابتها على عادته ، وعيّن الأمير خشقدم شاد الشون
بأن يتوجه إلى جدّة ويقيم بها لأجل الكشف على أخبار الفرنج وغير ذلك . —
وفيه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة من الزردكاشية ورماة البندق الرصاص ١٢
والنفطية ، وعيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى جدّة صحبة الأمير خشقدم ويقيموا
بها إلى أن يعيّن (١٦١ ب) لهم السلطان تجريدة . — وفيه صلى السلطان صلاة
الجمعة ودخل إلى الدهيشة واجتمع هو والأمراء وضربوا معه مشورة فى أمر الفرنج ١٥
الذين تسلّطوا على جهات اليمن ، فأشيع بين الناس أن السلطان عيّن فى ذلك
اليوم أربع تجاريد إلى جهات معلومة ، فأقاموا الأمراء عند السلطان فى ضرب
هذه المشورة إلى قريب العصر وتخففوا من ثيابهم ، وكان مجلسا حافلا ، ١٨
ووقع فيه بعض جدال بين السلطان وبين الأمراء بسبب من يسافر منهم . —
وفيه تزايد أمر الطاعون وفتك فى الناس فتكا ذريعا ، حتى بلغت ورقة التعريف
فى يوم واحد ثلاثمائة وخمسة وستين إنسانا ، خارجا عن من يخرج من ٢١
المغاسل والأسبلة ، فيقال إن ورقة التعريف فى أيام الفصول الواحد
فيها بعشرة ، فعلى هذا يقاس أن كان يموت فى كلّ يوم ثلاثة آلاف
وكسور ، وصار يزيد يوما وينقص يوما ، وكان أكثر فتكه فى الجوار والعبيد ٢٤

والمماليك والأطفال . — وفيه توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له
ورديش من قانصوه ، وتوفى سيدى يحيى بن الأمير تانى بيك قرا الأينالى أمير
٣ مجلس كان ، وكان شابا لا بأس به ، فكان بينه وبين وفاة أخيه سيدى محمد ثمان
سنين . — وفيه توفى شخص من الأمراء العشرات (١٦٢ آ) يقال له تمراز
من أقباى وكان أصله من مماليك . — وفيه توفى شخص من أولاد ابن
٦ قرمان أمير التركمان يقال له مصطفى بن حمزة ، وكان مقيما بمصر فمات بالطاعون . —
وفيه سُرقت عملة ثقيلة من بيت الشهابى أحمد بن الجيعان ، وكانت عملة بنحو خمسة
آلاف دينار ، فاتهموا بها جماعة من الجيران منهم ابن أينال باى دوادار
٩ سكين وجماعة من الغلمان ، فلما بلغ السلطان ذلك رسم للوالى بأن ينزل إلى بيت
ابن الجيعان ويحرّر أمر هذه العملة ويفحص عن من فعل ذلك ، فلما حضر الوالى
إلى هناك وحزق على جماعة ممن اتهم بذلك فظهر من ذلك العملة أشياء
١٢ كثيرة ، منها بشبخاناه عنبر ومخدات عنبر وصحون صينى ونحاس أصفر مكفت
وفواتى مقفولة لم يعلم ما فيها ، وغير ذلك من مقاعد وألحفة ، واستمرّ
الوالى يحضر فى كل يوم إلى هناك ويقرر من فعل ذلك والعملة يظهر منها شيئا
١٥ بعد شىء ، حتى ظهر غالبها فى عدّة أيام متفرقة . — وفى أواخر هذا الشهر
رسم السلطان بإبطال مولد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وسبب ذلك أن
العربان كانت ثائرة فى البلاد ، والطعن كان عمّالا فى القاهرة ، والأحوال مضطربة
١٨ من كلّ وجه ولا سيما بتوعّك السلطان (١٦٢ ب) بعينه ، والإشاعات قائمة
بإثارة فتنة كبيرة ، انتهى ذلك .

وفى ربيع الآخر فى يوم الاثنين ثانيه أخلع السلطان على الأمير
٢١ قانصوه كُرت أحد الأمراء المقدّمين وقرّره فى أمرة ركب المحمل ،
وأخلع على الأمير طومان باى حاجب ثانى وقرّره فى أمرة الحاجّ بالركب الأول ،

(٢) ورديش : كذا فى الأصل ، ولعله ورد بش . (٥) مماليك : كذا فى الأصل ، ولم يذكر الاسم الذى يتلوها .

وكان من الأمراء الطبلخانات . — وفى تلك الليلة نزلت النقطة وكان عيد ميكائيل . —
وفى ذلك اليوم كان وفاة على الجركسى ، وكان من أخصاء خاير بيك نائب حلب ،
فحضر إلى مصر فى بعض أشغال نائب حلب فمات بالطاعون بمصر ، وكان رقى فى أيام ٣
خاير بيك نائب حلب حتى بقى حاجبا ثانيا بحلب ، وهى فى منزلة أمرة طبلخاناه
بمصر ؛ قلت وكان أصل على الجركسى هذا ابن فرّان ، وكان فى صغره مليح الشكل
فحظى عند الأمير خاير بيك حتى بقى عنده بجمقدارا ، فلما قُرّر خاير بيك فى نيابة ٦
حلب سعى له عند السلطان فى الحجوبية الثانية بحلب وصار من جملة الأعيان
بمصر وحلب ، وكان حضر إلى مصر وتوجه إلى الحجاز فحجّ ورجع من الحجاز
وأقام بمصر مدة يسيرة ومات مطعونا ، وكانت له جنازة حافلة . — وفيه أبطل ٩
السلطان ضرب الكرة بسبب ذلك العارض الذى حصل له فى عينه ، ولأجل أن
الطعن كان (١٦٣ آ) عمّالا ، وكان غالب الأمراء فى نكد بسبب فقد أولادهم . —
وفيه تزايد بالسلطان رَخْو فى جفونه ، فجمع الأطباء والكحالين وعقدوا له مجلسا ١٢
بسبب ذلك الرخو الذى فى جفونه ، فاجتمع رأى الحكماء والكحالين على أنهم
يقصّوا من جفنه ما طال ، فلم يوافق السلطان على ما قالوه من قصّ جفنه ، فطلعت
إليه امرأة تركية وقالت له : أنا أداويك من غير أن أقصّ جفنك بشىء من الفولاذ ، ١٥
فأقامت عند السلطان مدّة وهى تعالج فى عينه . — وفى يوم الاثنين تاسعه جلس
السلطان فى شبّاك الأشرفيّة التى بجوار الدهيشة ، وأعرض جماعة من المماليك
السيفية وغير ذلك من أولاد الناس ، وكتب منهم نحوا من ثلاثمائة مملوك بأن ١٨
يتوجهوا إلى السويس صحبة الأمير أركماس أمير مجلس والأمير قانصوه أبوسنّة ،
بسبب الكشف على المراكب التى عمّرها السلطان هناك واستعجال سرعة العمل
فى ذلك ، ثم إن السلطان عيّن الأمير مغلباى الزردكاش الكبير وعيّن معه ثلاثين ٢١
إنسانا من الزردكاشية بأن يتوجهوا إلى نحو السويس صحبة المكاحل التى يرسلها
السلطان إلى هناك ، وعيّن معهم جماعة من النجارين والحدادين ، وعيّن معهم

جماعة من الرماة (١٦٣ ب) بالبندق الرصاص وجماعة من النفطية ، ورسم لهم
بأن يخرجوا إلى هناك بسرعة من غير نفقة فتضرروا من ذلك ، ثم بلغ السلطان
٣ أن المماليك المتعينين إلى السفر قد صمموا على عدم السفر ، وكان منهم ناصرية
وظاهرية وأشرفية وعادلية وغير ذلك . — فلما كان يوم الثلاثاء عاشره نزل
السلطان إلى الميدان وجلس به ورسم بعرض المماليك المعيّنة إلى السفر ، فلم يطلع
٦ منهم فى ذلك اليوم أحد ، فبلغ السلطان أنهم قالوا : نحن نسافر بلا نفقة نموت
فى البرارى بالجوع والعطش ، فتنكّد السلطان فى ذلك اليوم إلى الغاية وقام من
المجلس سريعا ، وكان فى غاية التشويش بسبب عينه ، وأشيع فى ذلك اليوم الركوب
٩ على السلطان . — وفى يوم الأربعاء حادى عشره نزل السلطان وتوجه إلى
المطرية وكشف على العمارة التى أنشأها هناك ، ثم أقام فى قبّة يشبك التى هناك
إلى بعد العصر ثم عاد إلى القلعة . — وفى يوم الخميس ثانى عشره جاءت الأخبار
١٢ من عند نائب حلب بأن إسمعيل شاه بن حيدر الصوفى ملك العراقين قد خرج
عليه بعض أعدائه من ملوك التتر ، فتحارب معهم فانكسر الصوفى وقُتل من
عسكره نحو من ثلاثين ألفا ، (١٦٤ آ) وأن الصوفى جُرح وفُقد ولم يعلم له
١٥ خبر ، فكاتب السلطان بهذا الخبر سبعة من النوّاب ، فلما سمع السلطان هذا
الخبر سُرّ به . — وفيه توفى الريّس عبد القادر القطبى ، وكان من أعيان الأطباء . —
وفى يوم الجمعة ثالث عشره نزل السلطان وتوجه إلى المقياس وصلّى هناك صلاة
١٨ الجمعة ، وتوجه إلى هناك قاضى القضاة الشافعى وخطب به فى جامع المقياس وصلى
صلاة الجمعة هناك ، وأقام بالمقياس إلى بعد العصر ، ثم عاد إلى القلعة ، فتزايد به رَخْو
الجفون فى عينيه وأشيع بين الناس أنه قد عمى وغارت عينه ، فاحتجب أياما عن
٢١ الناس فى القبة الأشرفيّة ، وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك ، فتعطلت
الناس فى هذه المدّة من المراسيم لأجل قلة العلامة وعدم المحاكمات ، حتى أشيع
بين الناس أن السلطان يقصد أن يخلع نفسه من المُلك ويولّى ولده عوضا عنه

لأجل العلامة على المراسيم والمحاكمات ، فلم يتمّ تلك الإشاعة التى أشيعت بين الناس
بذلك ، ومما بلغني من بعض أخصاء السلطان أنه لما تزايد به هذا العارض فى عينيه
واضطربت به الأحوال ، فكان يقف فى شباك قبة الأشرفيّة بطول الليل ويتضرّع ٣
إلى الله تعالى ويقول : يا من (١٦٤ ب) لايوصف بالظلم والجورى ، ارحم عبدك
قانصوه الغورى ، ثم يقول : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ
من الخاسرين ، وكان يكثر من قول : يا بصير يا بصير ، وقد خشى مما شاعت به ٦
أعداؤه ، ونسى ما قدّمت يداه ، وقد قلت فى معنى ما وقع له :

سلطاننا الغورى غارت عينه لما اشترى ظلم العباد بدينه
لا زال ينظر أخذ أرزاق الورى حتى أصيب بآفة فى عينه ٩

وفيه شاوروا السلطان على إعادة الدكك التى على أبواب الحكام فلم يوافق
على إعادتها ، وقال : أنا تركت ما كان على الحسبة من الجامعة والمشاهرة وكانت
بنحو ثلاثين ألف دينار فى كلّ سنة فكيف ما تبطل الأمراء ما كان يحصل لهم ١٢
من أمر الدكك ، وكان الطعن قد أخذ فى التناقص قليلا . — وفى يوم الاثنين
سادس عشره نفق السلطان الجامكيّة على العسكر . — وفى ذلك اليوم طلع ابن
أبى الرداد ببشارة النيل ، وجاء القاع ستة أذرع وستة عشر أصبعا ، فلما نفق السلطان ١٥
الجامكية لم يحضر تفرقة الجامكيّة إلى آخرها ، وكان ذلك اليوم فى غاية التشويش
من عينه . — وفيه توفى شخص كان من العوانية الخوارج ، يقال له محمّد بن طاهر ،
يرافع الناس عند السلطان ، فلما وقع الطاعون بمصر طعن ابن طاهر هذا ومات ١٨
(١٦٥ آ) بالطعن ، فأراح الله تعالى المسلمين منه ، فعُدّ موته من حسن الزمان ، ومما
وقع له فى المرافعة أنه رافع امرأة جارية بيضاء يقال لها زوجة أينال باى ، وكانت
ساكنة فى درب الحجر بالقرب من قنطرة سنقر ، فرافعها بأن عندها مالا وديعة ٢١
لبعض الأمراء فطمعت عليه ، فلما سمع السلطان ذلك أرسل قبض على تلك
الامرأة ورسم عليها عشرة آلاف دينار ، فباعت جميع ما تملكه وأوردت من ذلك

(١٩) من حسن الزمان : من سن الزمان .

شيئا ، فلما رأت أنها لم تقدر على ما قرّر عليها من المال وصارت فى الترسيم
فشنقت نفسها بيدها تحت الليل ، ووقعتها مشهورة بين الناس ، ولو عاش ابن طاهر
٣ هذا لظهر منه للناس غاية الضرر ، فعجل الله تعالى بروحه إلى النار ، كما يقال :

زبانية النيران تكرَه وجهَه ومنه استعاذت مُذْ رَأَتْه جهنم

ويقال إن ابن طاهر هذا كان من أقارب ابن علم الدين رأس باش الأوجاقية . —

٦ وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه قويت الإشاعة بالركوب على السلطان ، ولم يفتح
فى ذلك اليوم باب السلسلة ولا باب المدرّج ولا باب الميدان ، ووزعت الأمراء
قماشهم وغالب الناس ، واضطربت الأحوال على السلطان وضاق به الأمر حتى صار
٩ يدعو على (١٦٥ ب) نفسه بالموت ، ثم إن السلطان أرسل خلف الأتابكى سودون
العجمى وبقية الأمراء ، فلما طلعوا إلى القلعة جلس السلطان معهم فى الدهيشة
وعينه مرفودة بخرقة بيضاء ، ثم التفت إلى الأمراء وقال لهم : بلغنى أنكم بتوزّعوا
١٢ قماشكم ، فقالوا له : نعم قد بلغنا أن المماليك الجلبان يقصدون قتلنا ونهب بيوتنا
فلما سمعنا ذلك وزّعنا قماشنا ، فلما سمع السلطان ذلك أحضر مصحفا وحلَف
عليه بأنه لا يخونهم ولا يغدرهم ولا يمسك منهم أحدا ، ثم إنه حلّف الأمراء أيضا
١٥ بأنهم لا يخامروا ولا يركبوا عليه ، فحلفوا بذلك على المصحف ، ثم قامت الأمراء
من عنده وانفضّ المجلس ، فلما نزلت الأمراء رسم السلطان للوالى بأن ينادى
فى القاهرة للناس بالأمان والاطمان والبيع والشراء ، وأن أحدا من الناس لا ينقل
١٨ له قماشا من مكان إلى مكان ، ومن فعل ذلك شُنق من غير معاودة ونُهب ما معه
من القماش ، وأن لا مملوكا ولا غلاما ولا عبدا يمشى من بعد المغرب بسلاح ولا
مملوك يعبث على سوقى فى دكّانه ولا متسبّب ، ثم بعد ذلك قبض الوالى على غلام
٢١ الأمير ماماى جوشن أحد الأمراء المقدّمين ، فلما قبض عليه بالليل وجد معه أبغال
محمّلة قماش فاخر ، فأخذ (١٦٦ آ) منه القماش وأمر بشنقه حتى شفع بعض من
كان مع الوالى من الأمراء حتى أطلقه ، وقيل عرض على السلطان فأمر بضربه

---

(١) رأت : رادت . (١٧) والشراء : والشرى .

بالمقارع فشفع فيه بعض الأمراء ، وكان الوالى فى مدّة توعّك السلطان يطوف
فى القاهرة من بعد العشاء ومعه جماعة من الخاصكيّة نحو من مائتى إنسان ،
وكان غالبهم لابس زرديات وفى أيديهم رماح ، فيطوف فى كل ليلة المدينة والحارات ٣
والأزقّة ويقبض على من يجده يمشى من بعد العشـاء . — ومن الحوادث أن
جماعة من الصنّاع دخلوا إلى الزردخاناه ليصحنوا البارود ، فصعد منه الدخان
فاحترق سقف الزردخاناه وعملت فيه النار ، فاضطربت القلعة لذلك ، وكان السلطان ٦
فى شباك الأشرفية فقام واختفى من عظم الدخان ، فاحترق من الصنّاع ثلاثة أنفار
حتى ذاب لحمهم عن عظمهم من النار فنزلوا بهم إلى بيوتهم فقاموا ثلاثة أيام
وماتوا الثلاثة قاطبة ، فتفاءلوا الناس بأن حرق الزردخاناه فأل على السلطان . — ولما ٩
تزايد بالسلطان ذلك العارض فى عينه طلع الخليفة وسلّم عليه ، فأشيع بين الناس
بأن السلطان أرسل خلف الخليفة ليخلع نفسه من الملك ويولّى ولده ولم يكن
لهذا (١٦٦ ب) الكلام صحّة ، فاضطربت الأحوال لذلك ، فسلّم الخليفة على السلطان ١٢
ونزل إلى بيته ، فلما نزل خمدت تلك الإشاعات الفاسدة . — وفى يوم الثلاثاء
رابع عشرينه جلس السلطان فى القبّة الأشرفية وحضر عنده الأتابكى سودون
العجمى وعلّم على المراسيم وحكم وهو جالس فى الشباك ، وأظهر أنه قد شُفى من ١٥
ذلك العارض وإلاّ لم حاذر على عينه الأخرى الذى كان ينظر بها ، وفى هذه الواقعة
يقول محمد بن قانصوه من صادق :

شـفاك الله يا ملك البرايا — من الداء الموكل بالعيـون ١٨
وأذهب عنهما باللطف منه — سـقاما محدثا رخو الجفون
لتبقى فى هناء بهـا قريرا — قريبا والتحرّك فى سـكون
بمَن لقتـادة قد ردّ عينـا — وقال كأختكى فى الحسُن كونى ٢١
ومن رمد بتفلته عليًّـا — شُفى فى الحـال من ألم مبين

ثم إن جماعة من الكحالين قالوا للسلطان : ما تصحّ عينك حتى تقطع ما طال

من جفنك ، فامتنع السلطان من ذلك فأحضروا قدّامه أربعة أنفس بهم رخْو
فى جفونهم ، وكان فيهم شخص يسمى سيّدى محمد بن منكلى ُبغَا فقصوا جفنه
٣ بحضرة السلطان على أنه يشجعه على ذلك ، فلم يوافق السلطان على القصّ ، فأقام
الناصرى محمد بن منكلى بغا أياما وشُفِى مما كان به فى عينه وطلع إلى السلطان
فرأى عينه وقد (١٦٧ آ) طابت . — وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه تزايد
٦ الأمر فى الإشاعة بالركوب على السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك نزل إلى الميدان
وجلس به وأرسل خلف الأمراء قاطبة ، فلما طلعوا إليه وبّخهم بالكلام وقال
لهم : ما هذه الإشاعة التى تبلغنى عنكم فى أمر الركوب علىّ إن كان عندكم مَن
٩ تسلطنوه فأنا أخلى لكم القلعة وأنزل أقعد فى جامعى إلى أن أموت ، فقاموا له
الأمراء قاطبة وباسوا له الأرض واستغفروا له ، ثم التفت إلى الأمير أركماس أمير
مجلس ووبّخه بالكلام ثم قال له : الزم بيتك ، والتفت إلى قانى باى قرا أمير آخور
١٢ كبير ووبّخه بالكلام وأغلظ عليه فى القول لأمر بلغه عنـــه فى أمر الركوب ،
ثم التفت إلى الأمير أنص باى والأمير تمر والأمير سودون الدواداري والأمير علان
ووبّخهم بالكلام لأمر بلغه عنهم ، ثم إن المماليك الجلبان صارت متقحّمة على مسك
١٥ الأمراء فى ذلك اليوم ، فما نزلوا من القلعة وفى عينهم قطرة وقد ملئوا منهم رعبا ،
فلما نزلوا من القلعة أشـيع الركوب على السلطان ووزّعوا الأمراء قماشهم
فى الحواصل ، واشتدّ وجع عين السلطان وارتخى جفنه على عينيه واحتجب
١٨ عن الناس فى الأشرفيّة أياما ، وكثر القيل والقال بين الناس ، وأشيع أن السلطان
قد (١٦٧ ب) عمى فصار يجلس فى شباك الأشرفيّة قدر درجة حتى ينظروه
الناس ، فكانت الكحّالين يصنعون له رفادة على عينه وفى الرفادة لزق بعلوكات
٢١ حتى يرتفع جفنه قليلا عن عينه وينظر الناس ما دام جفنه مرتفعا فإذا قُلعت تلك
اللزق ارتخى جفنه كما كان أولا . — وفى يوم الخميس سادس عشرينه توفى

---

(١٩) ينظروه : كذا فى الأصل .

شخص من الأمراء العشرات يقال له جان بلاط من تغرى بردى ، وكان أصله من مماليك الملك الأشرف قايتباى . — وفى يوم الجمعة سابع عشرينه لم يخرج السلطان ولا صلى الجمعة ، وكثر الاضطراب بسبب ذلك . — وفى يوم السبت ثامن عشرينه ٣ فرّق السلطان على مماليكه سيوفا وزرديات ، وصاروا يباتون فى القلعة كلّ ليلة ومعهم آلة السلاح ، والإشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة وأن السلطان يقصد القبض على بعض الأمراء ، فأخذت الأمراء حذرهم من السلطان وصاروا ٦ لا يطلعون القلعة إلا قليلا ، وفى هذه المدّة أشيع بأن السلطان أرسل إلى ثغر الإسكندرية مراسيم بأن نائب الإسكندرية يضيّق على الظاهر قانصوه وهو فى السجن ويمنع عنه من كان يدخل إليه من الناس حتى من غلمانه (١٦٨ آ) ٩ الذين كانوا يدخلون عليه ، وصار الظاهر فى غاية الضنك ، وقيل إن الأمراء يقصدون عوده إلى السلطنة ، فأشيع ذلك حتى أرسل السلطان ضيّق عليه . — وفى يوم الأحد تاسع عشرينه أراد السلطان بأن يظهر العدل بين الناس فجلس ١٢ فى شباك الأشرفيّة وأمر بعرض المحابيس الذين فى الحبوس ، فلما عرضوا عليه من فى الحبوس الأربعة أمر بعرض من فى البرج الذى بالقلعة ومن كان بالعرقانة التى بالحوش السلطانى ، فلما عرضوا عليه أمر بإطلاق جماعة منهم ممن كان بالعرقانة ١٥ وهم : الأمير تغرى بردى الترجمان ، والجمالى يوسف بن أبى أصبع الحلبى وكان من جملة أخصّاء السلطان ثم تغير خاطره عليه وجرى عليه شدائد ومحنا ، وأطلق صهره عبد الرحمن ، وكان له مدّة طويلة وهو فى العرقانة ورسم السلطان بأنه ١٨ لا يحلق له رأس ولا يقصّ له أظفار ، فلما خرج من العرقانة طال شعره حتى صار مثل شعر النساء فعجب منه الناس لما خرج ورأوا شعره ، وأطلق ابن الخولى المتحدث وكان مسجونا بسبب المماليك الذين قُتلوا فى باب اللوق ، وكان من ٢١ أمراء الشام من فى المقشرة وبقية الحبوس جماعة كثيرة منهم الرئيس كمال الدين ابن شمس المزيّن وكان (١٦٨ ب) من أخصّاء السلطان ثم تغيّر خاطره عليه فسجنه فى المقشرة ، وأطلق الشيخ شمس الدين بن روق بعد ما جرى عليه شدائد ومحنا ٢٤

وواقعته مشهورة ، وأطلق الخواجا شمس الدين الحلبي التاجر ، وأطلق شخص
يسمى تمر باى أبو قورة الذى كان أمير الحاج بالركب الشامى وكسره الجازانى
٣ فغضب عليه السلطان لكونه فرّط فى أمر الحاج حتى نُهب الركب الشامى فأقام
فى البرج مدّة طويلة نحوا من عشر سنين ، وأطلق الأمير قنبك الشيخ أحد الأمراء
العشرات وكان فى البرج لأمر أوجب ذلك ، وأطلق خشباى الكاشف خازندار
٦ الأتابكى قرقماس وكان تغيّر خاطر السلطان عليه فسجنه ، وأطلق تانى بيك ،
وشيخ العرب عبد الدائم بن الأمير أحمد بن بقر وكان له مدّة وهو فى البرج
مقيّد بموجب عصيانه على السلطان فضمنه لأبيه وأطلقه وأخلع عليه ، وأطلق ابن
٩ فتوح برددار الأمير حسين نائب جدة وكان تغيّر خاطر السلطان [عليه] كونه
أحدث أشياء كثيرة من المظالم بجدة ، وأطلق يحيى بن أحمد بن قراكُز أحد
الزردكاشية وكان السلطان سجنه بالمقشرة لما هرب أبوه وواقعته مشهورة ، وأطلق
١٢ شخصا يسمى محمد سكيكر وكان أشيع عنه أنه قد قتل أباه فلما عرضوه على
السلطان أطلقه وقال : إذا كان يوم القيامة هو وأبوه يتحاكمان (١٦٩ آ) بين
يدى الله تعالى ، وأطلق بدر الدين بن ثعلب قاضى أسيوط وكان مسجونا على مال
١٥ فلما أطلقه من المقشرة سلّمه للزينى بركات بن موسى حتى يغلق ما عليه من المال ،
وأطلق أخاه نجم الدين قاضى أسيوط أيضا وولده محمد ، وأطلق شخصا شريفا
كان من منفلوط وقد اتهم بقتل شخص ، وأطلق شهاب الدين المرقبى الذى كان
١٨ متحدثا فى أوقاف الزمامية وسجنه السلطان على مال ، وأطلق محمد بن العظمة الذى
كان ناظر الأوقاف وكان ناظر الخاص سجنه لكونه قد سعى عليه فى نظر الأوقاف ،
وأطلق ابن الطحاوية أحد مشايخ عربان الشرقية ، وأطلق محمد بن سودون
٢١ السودونى وكان له مدة طويلة وهو فى السجن بسبب إحضار مكتوب وقف ،
وأطلق الشبراوى التاجر ، وفى ذلك اليوم أطلق جماعة كثيرة من مشايخ العربان
والمدركين والفلاّحين والغلمان ممن كان عليه مال أو دين فسامحهم بذلك جميعه ،

(٦ – ٧) تانى بيك ، وشيخ العرب : شيخ تانى بيك العرب .

وأطلق من كان فى سجنه قاطبة دون من سجن فى أيام غيره ، حتى الحرامية استتوبهم وأطلقهم ، حتى أصحاب الجرائم والزغلية والعمال ممن عليه مال منكسر ، فأطلق فى ذلك اليوم واحد وثمانين إنسانا ، وأظهر العدل فى ذلك اليوم جدا حتى ٣
ارتفعت له الأصوات بالدعاء وكبّر من كان حاضرا فى الحوش (١٦٩ ب) السلطانى من الجمّ الغفير من الناس حتى سمعوهم من الجبل المقطم، وكان يوما مشهودا ، فانطلقت النساء له بالزغاريت فى الحوش وضجت له الرعية بالأدعية ٦
السنية ، ثم فى ذلك اليوم شاوروه على إعادة الدكك التى كانت على أبواب الحكام فلم يوافق على ذلك وقال : الذى له حق يتوجه بغريمه إلى الشرع والحرامية يتوجهون بهم إلى بيت الوالى . — وفى ذلك اليوم أشهر السلطان المناداة للعسكر ٩
بالعرض ولا يتأخر منهم لا كبير ولا صغير ، فصار العسكر لا يدرون ما سبب هذا العرض ، وكان الطعن قد أخذ فى التناقص عما كان .

وفى جمادى الأولى طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وجلس السلطان ١٢
فى المقعد الذى بالميدان ، وطلع إليه العسكر والأمراء قاطبة من كبير وصغير ، فلما قام الخليفة والقضاة وانصرفوا رسم السلطان بإحضار المصحف العثمانى فتوجه لإحضاره ألماس دوادار سكين ، فلما أحضروه بين يدى السلطان تقدم القاضى ١٥
كاتب السرّ محمود بن أجا وحلّف عليه الأمراء المقدمين قاطبـــة ثم الأمراء الطبلخانات ثم جماعة من الأمراء العشرات ، فحلفوا على المصحف العثمانى بأنهم لا يخامروا على السلطان ولا يركبوا (١٧٠ آ) عليه ولا يثيروا فتنة بين المماليك ١٨
وبين السلطان ، فلما حلفوا حلف لهم السلطان أيضا على العثمانى بأنه لا يغدرهم ولا يخونهم ولا يمسك أحدا منهم لا كبير ولا صغير ، ثم أحضروا الأمير أركماس أمير مجلس فحضر وهو بتخفيفة صغيرة ، وقد تقدّم القول على أن السلطان تغيّر ٢١
خاطره عليه وقال له : الزم بيتك أو توجه إلى دمياط ، فلما طلع رضى عليه السلطان وألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور من ملابيسه وأقرّه فى أمرة مجلس على عادته ،

فلما نزلت الأمراء التفت إلى العسكر وشرع يأخذ بخواطرهم وقال لهم : أنا مقصّر فى حقكم لا تؤاخذونى ونحن أولاد اليوم فكل من كان له عليق مكسور ٣ أو لحم مكسور أصرفه له ، ثم نادى للعسكر فى الميدان بأن النفقة مع الجامكية لكل مملوك ثلاثون دينارا من كبير وصغير حتى أولاد الناس ، والأمراء المقدمين لكل واحد منهم ألف دينار ، والأمراء الطبلخانات لكل واحد مائتا دينار ، والأمراء ٦ العشرات لكلّ واحد منهم مائة دينار ، فلما سمع العسكر ذلك ضجوا له بالدعاء ونزلوا وهم فى غاية الجبر من السلطان ، وكان سبب (١٧٠ ب) هذه النفقة أن السلطان لما حصل له هذا العارض فى عينه أشاعوا عنه أنه قد عمى فاتفق ٩ رأى الأمراء على خلعه من السلطنة ، وذُكِر للسلطنة جماعة من الأمراء ثم ذُكر الظاهر قانصوه الذى بالسجن بثغر الإسكندرية ، وذُكر للسلطنة سيباى نائب الشام ، وذُكر أيضا للسلطنة ابن السلطان وكان العسكر قاطبة مقلوبا على السلطان ١٢ بسبب أن لهم عليقا مكسورا وكذلك اللحوم ولم ينفق عليهم شيئا لما نفق على مماليكه ، وكانوا يشكون من خراب إقطاعاتهم من جور الكشاف ومشايخ العربان ووزن الحمايات فضجّوا من ذلك ، فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم ١٥ وهو قوله :

ومن أضاع جُنده فى السلم — لم يحفظوه فى لقاء الخصم
فالجند لا يرعون من أضاعهم — كلاّ ولا يحمون من أجاعهم
١٨ وأضعف الملوك طرا عقدا — مَن غرّه السلم فأقصى الجُندا

فلما رأى السلطان أن العسكر قد تغلّب عليه فنادى لهم بالنفقة وشرع يستجلب خواطرهم مما تقدم منه قبل أن يتسع الخرق على الراقع . — وفى ذلك اليوم ظهر ٢١ محمد بن نصر الله الذى كان ناظر دار الضرب واختفى من السلطان مدّة طويلة ، فلما أظهر السلطان العدل فى هذه الأيام فأرسل يطلب منه الأمان فبعث إليه بمنديل الأمان حتى (١٧١ آ) ظهر ، ثم بعده ظهر القاضى شرف الدين الصغير

كاتب المماليك وكان له مدّة وهو مختفى من السلطان ، فلما طلع وقابله أخلع عليه
ونزل إلى داره فى موكب حافل ، وكان السلطان قد أرسل إليه منديل الأمان حتى
ظهر ولكنه لما أخلع عليه لم يعده إلى وظيفته فى كتابة المماليك كما كان أولا ، ٣
ثم شرف الدين الجوينى الذى كان مباشر الأمير أزدمر الدوادار وكان له مدّة
طويلة وهو مختفى فظهر بالأمان من السلطان . — وفى يوم الثلاثاء ثانيه ظهر
المعلم على الصغير وأخوه المعلم أحمد ، المعاملين فى اللحم ، وكان المعلم على له مدة ٦
وهو مختفى من السلطان فنادى له بالأمان حتى ظهر هو وأخوه المعلّم أحمد . —
وفى يوم الأربعاء ثالثه جلس السلطان فى شباك الأشرفية ونفق على المماليك الذين
عينهم صحبة الأمير خشقدم شاد الشون ، فنفق على كل مملوك ثلاثين دينارا ، ٩
ونفق لكل مملوك جامكية أربعة أشهر ، واستحثّهم فى سرعة الخروج صحبة قاصد
ملك الهند الذى حضر قبل تاريخه . — وفيه ظهر القاضى تقى الدين بن الرومى
الحنفى وكان له مدّة وهو مختفى بسبب ما وقع له من أمر الواقع الكفرى الذى ١٢
وقع فيه ، وكان السلطان متطلّبهُ طلبا حثيثا ؛ فلما (١٧١ ب) أفرج السلطان عن
المسجونين ظهر فى هذه الحركة وقابل السلطان فعفى عنه . — وفى يوم الخميس
رابعه شاوروا السلطان فى إعادة الدكك التى على أبواب الأمراء الحكام ، وكان ١٥
السلطان لمـا تزايد أمر الطاعون رسم بشيل الدكك من على أبواب الأمراء كما
تقدم ، فلما شاوروا السلطان على ذلك قالوا له : السلطان ما بيحكم شىء والأمراء
ما بتحكم شىء وضاعت حقوق الناس عليهم ، فعند ذلك أشهر المناداة فى القاهرة ١٨
بإعادة الدكك على أبواب الحكام وأن النقباء والرسل لا يجوروا على الأخصام
فى غرامتهم لهم على حق طريقهم ، ولكن المجامعة والمشاهرة التى كانت على
الحسبة استمرت بطالة ، وكذلك المكوس التى كانت على القمح والبطيخ وسائر ٢١
الغلال أبطلها جميعها ، فياليت شعرى هل يتمّ ذلك أم لا ، ثم نادى فى القاهرة أن
كل من قُهر أو ظُلم فعليه بالأبواب الشريفة وأن لا ظُلم اليوم ، فارتفعت الأصوات

---

(٩) الشون : الشيون . (١٥) شاوروا : شاور .

له بالدعاء من الخاص والعام ، وتمنّى كل أحد له البقاء على الدوام ، فكان كما يقال
فى المعنى :

٣ لم يبق للجور فى أيامكم أثر إلا الذى فى عيون الغيد من حوَر

فلما أظهر السلطان العدل شفعوا عنده فى الناصرى محمد بن بنت جمال الدين ،
وكان السلطان (١٧٢ آ) تغير خاطره عليه بسبب واقعة ابن قجق فرسم السلطان
٦ بنفيه إلى الواح ، فلما شفعوا فيه رسم بإحضاره إلى مصر ، ثم رسم بإحضار يشبك
حبلص الأينالى وكان نفاه إلى الصعيد بسبب الأتابكى قيت الرجبى كونه كان
عشيره ، ورسم بإحضار إبراهيم بن السكر والليمون وكان تغير خاطر السلطان
٩ عليه ورسم بنفيه إلى مكة فلما شفعوا فيه رسم بعوده إلى مصر . — ومما فعله
من وجوه البرّ والإحسان أن وقف له القاضى فخر الدين بن العفيف الذى
كان كاتب المماليك ، فلما وقف له شكا له من ضيق حاله فرسم له بجامكية
١٢ ألفى درهم فى كل شهر وزبديتين لحم فى كل يوم ، ورسم بإعادة جامكية الناصرى محمد
ابن الشهابى أحمد بن أسنبغا الطيارى الذى كان أمير شكار وكان تغير خاطر السلطان
عليه ورسم بنفيه إلى قوص وقطع جامكيته ، فلما رضى عليه أعاده إلى مصر
١٥ وأصرف له ما قطع من جامكيته ، ثم ذُكر له الشرفى يونس النابلسى الذى كان
أستادارا وعزُل عنها فسامحه بما بقى عليه من مال المصادرة ، وقيل إنه رتّب له على
الجوالى فى كل شهر ثلاثة آلاف درهم ورسم له بإعادة بلد فى نابلس كانت
١٨ أخذت منه فى المصادرة ، بعد ما قاسى شدائد (١٧٢ ب) ومحنا فعطف عليه
ورتّب له ذلك ، هذا على ما قيل وأشيع بين الناس ولم ألتزم صحة ذلك ، وقيل إن
السلطان فرّق فى هذا الشهر نحوا من ثلاثة آلاف دينار على مجاورى جامع
٢١ الأزهر والزوايا التى بالقرافة والمزارات ، وفعل فى هذا الشهر أشياء كثيرة من
هذا النمط من وجوه البرّ والإحسان حتى عُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وأشيع
بين الناس أن السلطان قد ردّ لبعض جماعة من أولاد الناس ما كان أخرجه

(١٣) الشهابى : شهابى . ‖ أسنبغا : أسنغا .

عنهم من إقطاعاتهم ، وأوعد بردّ الجوامك التى قُطعت للنساء والأيتام بواسطة
الأتابكى قيت الرجبى أن يعيـدها إليهم عن قريب ، ومما وقع لى أننى امتدحت
السلطان نصره الله تعالى بقصيدة سنيّة ومن جملة أبياتها هذا البيت : ٣

قد أظهر العدل فى الرعايا وأبطل الجور والمظـالم
هذا الذى عنـه أخبرتنا طوالع النجم والملاحم
يُصَيِّر الشاة فى حمـاه تمشى مع الأسد والضراغم ٦

فلامونى الناس على قولى :

قد أظهر العدل فى الرعايا وأبطل الجور والمظـالم

وكان السلطان فى قوة عسفه على الناس فى تلك الأيام فما عن قريب حتى ٩
أظهر السلطان هذا العدل العظيم الذى (١٧٣ آ) وقع منه فى هذه الأيام ، فكان
الفأل بالمنطق فى إظهار عدله وقد ألهمه الله تعالى إلى ذلك . — وفى يوم السبت
سادسه جلس السلطان فى شباك الأشرفية وفرّق على مماليكه الذين أخرج لهم ١٢
الخيل والقماش ففرّق عليهم فى ذلك اليوم سيوفا وأقواسا وتراكيش ونُشّابا
وزرديات وكانوا نحوا من ثلاثمائة مملوك ، وفى اليوم الثانى فرّق على ثلاثمائة
أخرى . — وفى يوم الأربعاء عاشره ابتدأ السلطان فيه بتفرقة النفقة على الأمراء ١٥
المقدمين ، فأرسل أوّلا إلى الخليفة المتوكل على الله ألف دينار على يد بدر العادلى
فراش الخزانة ، فلما أحضر للخليفة ألف دينار ألبسـه كاملية صوف بصمور
وأعطاه خمسين دينارا ، ثم أرسل للأتابكى سودون العجمى ألفى دينار ، وأرسل ١٨
لبقية الأمراء المقدمين لكلّ واحد منهم ألف دينار ، وأرسل للأمراء الطبلخانات
لكلّ واحد منهم مائتى دينار ، وأرسل للأمراء العشرات لكلّ واحد منهم مائة
دينار . — وفى يوم الخميس حادى عشره ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة على ٢١
العسكر فأعطى لكلّ مملوك ثلاثين دينارا . — وفى يوم الجمعة ثانى عشره خرج

(٢) أننى : اننا .

الأمير خشقدم شاد الشون الذى تعيّن (١٧٣ ب) صحبة قاصد الهند . — وفى ذلك اليوم توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له شاهين ، وكان كاشف
٣ البحيرة . — وفى يوم الاثنين خامس عشره فرّق السلطان الجامكية على العادة ومعها النفقة ، فأعطى ثلاثين دينارا لكل مملوك ، وأعطى للعواجز منهم عشرين دينارا ، وللشيوخ الضعفاء منهم عشرة دنانير ، ونفق على المماليك الكتابية لكل
٦ مملوك خمسة دنانير ، ونفق على بعض جماعة من الأيتام ممن له جامكية أشرفى فأعطاهم أشرفين ، وأعطى لمن له جامكية ألف عشرة دنانير ، فقيل كان جملة هذه النفقة على ما قيل ثلاثمائة ألف دينار ، وقيل فوق ذلك ، حتى عُدّت هذه النفقة
٩ من النوادر الغريبة كونه أصرف ذلك بطيّب من خاطره من غير كُرْه منه ، فكان كما يقال فى المعنى :

كأنه فى العطاء بحر ندا ... وبذله النقد فيه تيار
١٢ إن استمال القلوب لا عجب ... لله عند القلوب أسرار
قد راقب الله خشية وله ... عند اكتساب الثواب أوطار

ثم إنه فى يوم الثلاثاء سادس عشره نادى فى الحوش بأن كل من كان
١٥ قُطعت له جامكية من رجال أو نساء فيطلع فى أول الشهر حتى ينظر السلطان فى حالهم ويردّ لهم (١٧٤ آ) ما قُطع لهم ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء فى ذلك اليوم . — وفى يوم الخميس ثامن عشره رسم السلطان بأن يُبطَل ما كان على
١٨ الخانكاه من المشاهرة والجامعة التى كانت على الحسبة . — وفيه أرسل السلطان للخليفة المنفصل المستمسك بالله يعقوب والد المتوكل على الله ،وقد تذكره السلطان، فأرسل إليه نفقة خمسمائة دينار على يد الأمير طقطباى نائب القلعة ، ورسم
٢١ بأن أحدا لا يكلفه بشىء ، فلما نزل إليه الأمير طقطباى قال له : السلطان يُسلّم عليك ويقول لك ادعو له وابرى ذمّته ولا تؤاخذه بما وقع منه فى حقّك ، فكان

---

(١) الهند : الهندى . (٧) جامكية ألف : كذا فى الأصل ، ويعنى « ألف درهم » .

فى حظّ نفس ، فقال له : والله أنا داعى للسلطان وخاطرى طيّب عليه وما
حصل منه إلا خيرا ، وقد تقدم القول على أن السلطان لما ترافع سيدى خليل مع
الخليفة يعقوب تعصّب السلطان لسيدى خليل وقال للخليفة يعقوب : أنت ضعيف ٣
النظر فلا تصحّ ولايتك على المسلمين ، وكسر بخاطره وغرّمه مالا وخلعه من
الخلافة بغير ذنب كما تقدم ذكر ذلك ، فلما حصل للسلطان هذا العارض فى عينه
فظنّ أن ذلك بخطيئة الخليفة يعقوب ، فأرسل الأمير طُقُطباى نائب القلعة وأحد ٦
الأمراء المقدّمين (١٧٤ ب) يتعطّف بخاطره ويسأله له الدعاء وأرسل إليه
خمسمائة دينار ، فعُدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه نفق
السلطان على أولاد الناس والتراكمة الذين فى الطبقة الخامسة المستجدّة ، فأعطى ٩
لكل مملوك عشرة أشرفية ، وأعطى لجماعة منهم ثمانية أشرفية ، ونفق عليهم النفقة مع
الجامكية ، وفى ذلك اليوم فرّق السلطان على مماليكه أتراسا وخوذا وكثرت
الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة ، انتهى ذلك . ١٢

وفى جمادى الآخرة طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان
السلطان بالميدان ، ففرّق فى ذلك اليوم على جماعة من المماليك القرانصة خيولا
نحوا من ألف فرس ، وذلك لمن كان له فرس الديوان مدوّنا ومات . — ١٥
وفى يوم الخميس ثانية خرج الأمير أقباى الطويل أمير آخور ثانى الذى عينه
السلطان بأن يتوجه قاصدا إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، فخرج بطلب
حافل ، وهذا قط لم يتفق لقاصد قبله أنه خرج على هذه الهيئة الجميلة حتى عُدّ ١٨
ذلك من النوادر ، فشقّ ذلك الطلب من داخل الميدان حتى نظر إليه السلطان
وهو جالس فى المقعد الذى بالميدان . — وفيه حضر قانصوه العادلى كاشف
الشرقية وصحبته (١٧٥ آ) شخص من أولاد شيخ العرب ابن قُرطام يسمّى ٢١
صالح ، وهو من بنى حرام ، فسلخ جلده وحشاه تبنا ؛ وأركبوه على فرسه وألبسه

---

(١) وخاطرى : وخاطر .

زمطه على رأسه وألبسه كبرة حرير ، وكان شاباً جميل الهيئة فتأسف عليه الناس ،
فلما أعرضه على السلطان شقّ ذلك عليه ولم يكن يرسم بسلخه قبل ذلك ، فلما
٣ جرى ذلك ثارت العربان فى البلاد وقطعوا جسر الحلفاية فساح على الأرض
فى غير مستحقه وكان ذلك ليالى الوفاء . — وفى يوم الجمعة ثالثه خرج السلطان
وصلّى صلاة الجمعة وهو بالشاش والقماش وكان له نحو من ستة جُمع لم يخرج ولم
٦ يصلّ الجمعة بسبب ذلك العارض الذى حصل له فى عينه ، فشال الرفادة عن عينه
وخرج وصلى الجمعة ، فسرّوا الناس لذلك وتخلّقت الخدّام بالزعفران وكذلك
الغلمان ، وكان شفاوه على غير القياس ، وكانوا أشاعوا عنه أنه قد عمى لا محالة . —
٩ وفى يوم الأحد خامسه كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك رابع عشر مسرى ،
فأوفى وزاد عن الوفاء خمسة أصابع من سبعة عشر ذراعا ، وكان عُرْس النيل ، وفتح
السدّ يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة الموافق لخامس عشر مسرى ، وفى
١٢ ذلك يقول القائل :

قد وفا النيل رابعا عشر مسرى فملأ بشره (١٧٥ ب) قلوب العباد
جاء فى وقته إذا قلتُ أهلا بحبيب قــد جاء فى الميعاد

١٥ فرسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجه ويفتح السدّ على العادة ،
فكان له يوم مشهود ، فلما عاد من فتح السدّ كان له موكب حافل ومشت قدّامه
الأفيال الكبار وهى مزيّنة بالصناجق والطبول ، فطلع إلى القلعة فألبسه السلطان
١٨ خلعة على جارى العادة . — وفى يوم السبت حادى عشره ركب السلطان ونزل
من القلعة ، ولم يركب من حين حصل له ذلك العارض فى عينه ، فلما ركب
سيّر نحو المطرية وكشف على العمارة التى أنشأها هناك ، فمدّ له الزينى بركات بن
٢١ موسى المحتسب هناك مدّة حافلة ، وأقام بقبة الأمير يشبك إلى بعد العصر ، ثم عاد
إلى القلعة ولم يشقّ من القاهرة ، وكانت الناس شرعوا فى الزينة على أنه يشق
من القاهرة ، فطلع من بين الترب ولم يشقّ من المدينة فى ذلك اليوم . — وفى

يوم الاثنين ثالث عشره نزل السلطان إلى الميدان وجلس به ، وأخلع على الأمير حسين نائب جدة وأقرّه فى نيابتها على عادته وسافر من يومه . — وفى ذلك اليوم أعرض السلطان الأيتام من الرجال والنساء فردّ لجماعة منهم ما قطع من ٣ جوامكهم (١٧٦ آ) وذلك بحكم النصف ، فردّ منها شيئا يسيرا . — وفى يوم الخميس سادس عشره جلس السلطان على الدكة التى بالحوش وحكم بين الناس ونفق الجامكية ، وكان له نحو من ثلاثة أشهر لم يجلس على الدكة ولا حكم بين ٦ الناس بالحوش على جارى العادة ، وقد هنّيته بهذين البيتين لما شُفى من ذلك العارض الذى حدث له فى عينه من رخْو الجفون ، فقلت فى ذلك مع إظهار التورية :

بعافية السلطان قُرّتْ عيوننا ونال الورى منه بلوغ المقاصد ٩
وقالوا به عينٌ أصابت لعينه فلما شُفى غارت عيون الحواسد

فلما قُروءُوا على السلطان استحسنهما وابتهج بهما . — وفى يوم السبت ثامن عشره جاءت الأخبار بوفاة الناصرى محمد بن بنت جمال الدين أستادار العالية ، ١٢ وكان من أعيان أولاد الناس ، وجرى عليه شدائد ومحنا ونفاه السلطان إلى الواح بسبب جارية ابن قجق كما تقدم ذكر ذلك ، فلما أظهر السلطان العدل وأطلق من فى السجون قاطبة فشفع بعض أخصّاء السلطان فى ابن بنت جمال الدين ١٥ فرسم بإحضاره من الواح ، فلما وصل إلى منفلوط مرض هناك ومات فدفن بمنفلوط ولم يدخل إلى مصر . — وفى يوم الاثنين عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة نائب (١٧٦ ب) طرابلس ، وهو أبرك [مملوك] السلطان ، فحضر هو ١٨ وعياله بطلب من السلطان ، فاستمرّ بالقاهرة حتى يكون من أمره ما يكون . — وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى المطرية ، ثم فتح سدّ الأميرية بنفسه ، فدخل المـــاء إلى الملقة ثم رجع وشقّ من باب الشعرية فانطلقت ٢١ له النساء بالزغاريت من الطيقان وارتفعت له الأصوات بالدعاء ، فطلع من على

(٢) نيابتها : نيابة بها . (١٤ و١٦) الواح : الواح .

الناصرية وقناطر السباع وشقّ من الصليبة ، ثم طلع إلى القلعة وهو فى غاية السودنة
وقد وقفت له العوامّ وتسيّبوا عليه بسبب الفلوس الجُدد ، وقد وصل صرف النصف
٣ الفضة إلى عشرين من الفلوس الجدد ، وصارت البضائع تباع بسعرين سعر
بالفضة وسعر بالفلوس ، وتشحط الخبز من على الدكاكين فى تلك الأيام ، وغُلّقت
الأسواق بسبب الفلوس ، وحصل للناس غاية الضرر . — وفى يوم الخميس ثالث
٦ عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة المقر السيفى طومان باى أمير دوادار كبير ،
وكان مسافرا فى جهات بلاد الصعيد ، فحضر فى ذلك اليوم وصحبته جماعة كثيرة
من مشايخ عربان الصـــعيد والمدرّكين وجماعة كثيرة من الفلاّحين والمزارعين
٩ وهم فى الحديد بسبب (١٧٧ آ) ما تأخّر عليهم من المغل من أيام ابن ثعلب
وغيره من المباشرين ، حتى قيل كان عليهم نحو من سبعين ألف أردب من القمح ،
فلما طلع الأمير الدوادار إلى القلعة ألبسه السلطان خلعة سنيّة ونزل من القلعة
١٢ فى موكب حافل وقدّامه أمير كبير وبقية الأمراء المقدمين والجم الغفير من العسكر ،
فلما أعرضوا على السلطان ذلك الفلاحين والمزارعين وهم فى الحديد فقال : ما بال
هؤلاى ، فقالوا له : إن عليهم مغل منكسر من السنين الخالية من أيام ابن ثعلب وغيره
١٥ نحو من سبعين ألف أردب ، فسكت ساعة وقال : اطلقوهم أجمعين فقد تركت
ما عليهم لوجه الله تعالى ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وكان فيهم الشيوخ
والضعفاء والعواجز والصبيان الصغار ، فأطلقوهم من الحديد أجمعين وهو ينظر
١٨ إليهم ، حتى عُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، فكان أحق بقول القائل :

فإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواهبا

وفى يوم الأحـــد سادس عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى نحو المطريّة
٢١ وكشف على العمارة التى هناك ، ثم أتى إلى قبّة الأمير يشبك فأقام بها (١٧٧ ب)
إلى بعد العصر ، فدّ له الزينى بركات بن موسى هناك مدّة حافلة فتعشّى بعد العصر
وطلع إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين سابع عشرينه كان يوم النوروز وهو أول

السنة القبطية ، فنى ذلك اليوم قبض السلطان على شخص من الأتراك وقد نُقل
عنه أنه كاتب نائب حلب وجماعة من النوّاب بأن السلطان قد عمى ولم صار ينظر
شيئا ، فأرسلوا المكاتبات إلى السلطان ، فلما أحضر السلطان ذلك المملوك وأعرض ٣
عليه تلك المكاتبات فأنكر ذلك ، فلما قامت عليه البيّنة بذلك رسم السلطان
بضربه فضرب ضربا مبرحا وسجنه السلطان بالبرج حتّى يقرّ على من ألجأه إلى
ذلك من الأمراء فلم يقرّ بشىء ، انتهى ذلك . ٦

وفى رجب كان مستهلّ الشهر يوم الخميس ، فجلس السلطان بالمقعد الذى
بالحوش ، وطلع إليه الخليفة والقضاة الأربعة يهنّونه بالشهر . — فلما كان يوم الأحد
رابعه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى المقياس وأقام به إلى بعد العصر ، ومدّ ٩
له الزينى بركات بن موسى هناك مدّة حافلة فانشرح فى ذلك اليوم إلى الغاية ، وكان
النيل يومئذ فى عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا . — وفى يوم الثلاثاء سادسه
نزل السلطان (١٧٨ آ) وكشف على العمارة التى بالمطرية ، فلما عاد شقّ ١٢
من المدينة ودخل من باب النصر ، فلما أن وصل إلى مدرسته نزل عن فرسه
ودخل إليها ، فتوشّحت الغلمان بالبنود الحرير الأصفر حتّى توشّح بذلك جماعة
من المباشرين ، فنهاهم السلطان عن ذلك ، وأقام السلطان هناك إلى بعد الظهر ثم ١٥
عاد إلى القلعة . — وفى يوم الخميس ثامنه أخلع السلطان على الزينى بركات بن
موسى وأقرّه فى الحسبة الشريفة على عادته ، وكان أشيع عزله بسبب اضطراب
البلد لأجل الفلوس ، ثم إن السلطان أشهر المناداة فى القاهرة بأن الفلوس تصرف ١٨
بالميزان بعد ما كانت معاددة ، فخسر الناس فى هذه الحركة جملة مال له صورة . —
ومن العجائب أن السلطان لما حصل له ذلك العارض فى عينه جاد مع الناس
وأبطل المجامعة التى كانت على الحسبة والمشاهرة وأشياء كثيرة من المكوس مما ٢١
كان على القمح والبطيخ وغير ذلك ، فلما شُفى من ذلك العارض وشق من المدينة
فضجّت له العوامّ بسبب الفلوس الجدد ، فلما طلع إلى القلعة حنق منهم ورسم

بإعادة الجامعة والمشاهرة والمكوس التى كانت على القمح والبطيخ وغير ذلك كما
كانت وزيادة ، وقال : (١٧٨ ب) أنا أبطلت عنهم أشياء كثيرة بنحو ألفين دينار
٣ فى كل شهر وهم يتضرّروا من الفلوس ، ثم إن السلطان شرع فى مطالبة من كان
عليه بواقى مال من المصادرات التى تقدم ذكرها وأعاد القاضى ابن ثعلب
إلى المقشرة بسبب ما تأخر عليه من المال ، وكان أشيع بين الناس أن السلطان لما
٦ كان عليلا بعينه سامح أرباب المصادرات بما عليهم من الأموال ، فلم يتم ذلك
وشرع يطالب كل من كان عليه شىء من المال وقد ندم على ما فعله من إظهار
العدل فى تلك الأيام ، وقد قلت فى معنى ذلك :

٩ سلطاننا مُذ كان فى ضعفه يمنحنا عدلا وإحسانا
فَمُذْ شفاه الله من دائه أحدث ظلما فوق ما كانا

فكان الفأل بالمنطق ، ورجع كلّ شىء إلى ما كان عليه من وجوه الظلم كما
١٢ كان أولا . — وفى هذا الشهر قوى عزم النيل حتى قطع جسر أم دينار الذى
بأراضى الجيزة وشرّق غالب أرضها بسبب ذلك ، وكان السلطان أمر الوزير يوسف
البدرى بأن يهتم بعمارة جسر أم دينار هذا ، فندب إليه شخصا من المباشرين
١٥ يسمّى جمال الدين ، فما أبقى ممكنا فى الظلم وأفرد على كلّ فدان بأراضى الجيزة ألف
درهم ، فحصل على المقطعين بتلك النواحى ما لا خير فيه وضاع عليهم (١٧٩ آ)
خراج تلك السنة من أجل هذا الجسر ، ولم يفد من ذلك شيئا ، وشرّق غالب
١٨ الأراضى بالجيزة لأجل ذلك الظلم . — وفى يوم الأحد حادى عشره أشيع
بين الناس أن شخصا من البرابرة قبض على فرس البحر من بعض جهات الصعيد
وأحضرها بين يدى السلطان ، فلما أحضرت بين يدى السلطان فرح بها وقيل إنه
٢١ أطلقها فى البحرة التى فى الميدان ، وقد أخبرنا بصفاتها إلياس أحد الأمراء
الآخورية . — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره ترافع أحمد بن الصايغ برددار

---

(٤) تقدم ذكرها : وردت فى الأصل بعد كلمة « المال » فى سطر ٧ . (٢٢) برددار : بردادر .

الزينى بركات بن موسى ، ترافع معه ، وكان الزينى بركات تشكّى بأنه يخسر فى
تلك الجهات التى فى تحدّثه ، فقال أحمد بن الصايغ : علىّ السداد ، فأخلع عليه
السلطان كاملية وأشرك بينه وبين بركات بن موسى فى التحدّث على البلاد التى ٣
فى تقسيطه والحمايات ، ولم يشركه معه فى التحدّث فى الحسبة الشريفة . — وفى
يوم الخميس خامس عشره نفق السلطان الجامكية على العسكر ، فخسّت الجامكيّة
تسعمائة دينار فغلّقها ابن الصايغ من ماله ، فكان هذا أول عكسه . — وفى يوم ٦
الجمعة سادس عشره توفى شخص من الأمراء العشرات يقال له مصرباى من
يشبك .— وفيه ثبت النيل المبارك على أربعة أصابع من عشرين (١٧٩ ب) ذراعا
وكان فى العام الماضى غلّق العشرين ذراعا وزاد ثمانية أصابع من واحد وعشرين ٩
ذراعا ، واستمرّ فى ثبات إلى نصف هاتور القبطى . — وفى يوم الأحد ثامن
عشره نزل السلطان إلى قبّة الأمير يشبك التى فى المطرية ، ومدّ له هناك الزينى
بركات بن موسى مدّة حافلة ، فتعشّى هناك ثم طلع إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين ١٢
تاسع عشره جلس السلطان بالمقعد الذى بالحوش ، وأخلع على شخص من الأمراء
كان بطّالا يقال له جانم من ولىّ الدين ، واستقرّ به نائب طرابلس عوضا عن الأمير
أبرك مملوك السلطان بحكم انفصاله عنها ، وجانم هذا تقدّم أنه تولى نيابة حماة ونيابة ١٥
طرابلس قبل ذلك ، وكان السلطان عيّن نيابة طرابلس إلى الأمير سودون الدواداری
رأس نوبة النوب فلم يوافق على ذلك وأبى ، فأخلع السلطان [على] جانم هذا
وأقرّه نيابة طرابلس كما كان قبل ذلك ، وقيل إنه سعى فى نيابة طرابلس بستين ١٨
ألف دينار على ما قيل . — وفى يوم الخميس ثانى عشرينه احتجب السلطان ولم
يخرج إلى الأمراء ، وأشيع أنه قد قصّ ما طال من جفنه وقطبوه له فتشوّش من
ذلك . — فلما كان يوم الجمعة لم يخرج ولم (١٨٠ آ) يصلّ الجمعة ورسم للأمراء ٢١
بأن لا يطلعوا إلى القلعة بسبب الصلاة ولا يكلّفوا خاطرهم فإن السلطان شارب
فى ذلك اليوم دواء ، فلم تطلع الأمراء فى ذلك اليوم إلى صلاة الجمعة فى القلعة . —

وفى ذلك اليوم توفى القاضى فخر الدين بن العفيف الذى كان كاتب المماليك
وعُزِل عنها ، فأقام مدة وهو بطال حتى مات ،وكان من أعيان المباشرين وقد قارب
٣ الثمانين سنة من العمر ، وقاسي شدائد ومحنا وصودر غير ما مرّة ، وكان أصله
من ابناء الأقباط . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان بفتح سدّ أبى المنجا ، فتوجه
الأمير كرتباى والى القاهرة وفتح السدّ على العادة . — وفى يوم الأحد سادس
٦ عشرينه توفى الأمير نانق من يخشباى أمير شكار كان ، وكان أصله من مماليك
الظاهر جقمق ، وكان من الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الخميس
تاسع عشرينه عرض السلطان المماليك الذين قرّرهم فى الطبقة الخامسة ، وهو العسكر
٩ الملفق ، فرسم لهم بأن يعملوا يرقهم ويتوجّهوا إلى السويس لأجل حفظ المراكب
التى أنشأها السلطان هناك ، فقالوا : نحن ما نسافر بلا نفقة ، فحنق السلطان
منهم وقال : أنا أسافر إلى السويس بنفسى ، وقد (١٨٠ ب) تقدم القول على أن
١٢ الفرنج قد زاد تشويشهم على التجار فى البحر الملح وصاروا يخطفون البضائع
من المراكب ، وقد ملكوا كمران وهى من بعض جهات الهند ، وقد تكامل من
مراكب الفرنج فى البحر نحو من عشرين مركبا ، فكثُرت الإشاعات بسفر السلطان
١٥ إلى السويس ، انتهى ذلك .

وفى شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة
للتهنئة بالشهر على العادة ، فلم يجتمعوا بالسلطان وقيل لهم قد دخل الحمام ، وقد
١٨ حصل له الشفاء لما قطبوا له جفنه ، وكان السلطان يظن الهلال لا يُرى تلك الليلة
فدخل الحمام فى ذلك اليوم . — وفى يوم السبت ثانيه نزل السلطان إلى الميدان
وشال الرفادة عن عينه وجلس وحكم بين الناس ، ورسم للعسكر بأن يُصرف لهم
٢١ العليق شعير ، وكان يصرف لهم العليق مُثمن فرسم لهم بأن يُصرف العليق
شعير . — وفى يوم الاثنين رابعه طلعت الأمراء إلى القلعة على العادة ، فخرج

---

(٩) يعملوا : يعبئوا .

لهم السلطان من الدُهيشة وهو ماشى على أقدامه وقد لبس التخفيفة الكبيرة
المسمّاة بالناعورة ، وهى الآن فى مقام التاج لملوك مصر من حين تولوا بها الأتراك ،
وكانت التيجان يلبسونها ملوك الفرس من الأكاسرة ، فصارت التخفيفة الكبيرة ٣
التى بالقرون الطوال لسلاطين مصر (١٨١ آ) هى التاج لهم ، كما كان التاج لملوك
الفرس ، وقد جاء فى بعض الأخبار أن العمائم تيجان الغرب ، وكان السلطان له
نحوا من أربعة أشهر لم يلبس هذه التخفيفة الكبيرة ولا جلس [على] المصطبة التى ٦
يحكم عليها بالحوش ، فلما خرج تمشى وجلس على تلك المصطبة ، فباسوا له الأمراء
الأرض وهنّوه بلبس التخفيفة الكبيرة ، ثم أحضروا له بالدواة فعلّم فى ذلك اليوم
على عدّة مراسيم ونفّذ عدّة محاكمات ، ثم قام وطلع إلى المقعد الذى أنشأه بالحوش ، ٩
فلما قام نثر على رأسه المعلّم يعقوب اليهودى خفائف من ذهب وفضّة ، فتخاطفته
الخاصكيّة وتزاحموا على السلطان حتى كاد أن يقع من شدّة الازدحام ، فلما طلع
إلى المقعد أخلع فى ذلك اليوم عدّة كوامل صوف بصمور ، فأخلع على الرئيس ١٢
شمس الدين بن القيصونى ، وأخلع على الرئيس عبد الرحمن بن الشريف الكحّال ،
وأخلع على الرئيس تقى الدين المنوفى الكحّال الذى قطب له عينه ، وأخلع [على]
الرئيس صلاح الدين الشامى ، وقيل رسم لكلّ رئيس منهم بمائة دينار ، ثم أخلع ١٥
على محمد مهتار الطشتخاناه كاملة حافلة بصمور ، وأخلع على علم الدين الحُلبى
كاملة حافلة بصمور ، ثم إن خوند (١٨١ ب) زوجة السلطان أرسلت لكل واحد
من هؤلاء المذكورين كاملة حافلة بصمور ، ثم إن الحكماء صاروا يدخلون إلى ١٨
بيوت الأمراء المقدمين ويبشرونهم بعافية السلطان فيخلعون عليهم الكوامل الحافلة ،
وكذلك أرباب الوظائف من المباشرين قاطبة وأخصّاء السلطان ، فدخل عليهم عدّة
كوامل بصمور حافلة ، وقد قلت لما شفى السلطان ولبس التخفيفة الكبيرة فى ذلك ٢١
اليوم فهنّيته بهذين البيتين وهما :

لما شفى السلطان من رمدٍ به   بوسيلة من صاحب المعراج

فتفاءلت كل الأنام بأنه في المُلْك باقٍ يوم ليس التاج

وهنأه الناصرى محمد بن قانصوه من صادق بهذه الأبيات :

٣ يا ملكا عدله أرانا تبسُّما فى فم الزمانِ

وقد حَبَانا بحارَ جودٍ يقْصُرُ عن عدّها لسانى

اهنأ ببرء يلى بقاء مُؤيّداً مظهرا لتهانى

٦ لا زِلْتَ للمُلك ذا نظامٍ تُبدى به جوهرَ المعانى

وفى يوم الاثنين المقدم ذكره حضر الأمير أرزمك الناشف أحد المقدمين ، وكان السلطان رسم له بأن يقيم فى الفيوم حتى يُعمّر الجسر الذى هناك ، فأقام بالفيوم ٩ مدّة حتى انتهى ذلك العمل من الجسر ، فلما حضر أخلع (١٨٢ آ) عليه السلطان كاملة بصمور حافلة ونزل إلى داره ، ولكن حصل منه غاية الضرر [على كل من] كان له فى الفيوم رزقة أو إقطاع ، فأفرد عليهم ثلث خراجهم ١٢ فى هذه السنة بسبب عمارة الجسر المقدم ذكره الذى سافر السلطان إلى الفيوم بسببه ، فجار الأمير أرزمك على أصحاب الرزق والإقطاع غاية الجور ، وراح على المقطعين خراجهم فى هذه السنة بسبب عمارة هذا الجسر . — وفى ذلك اليوم نزل الزينى ١٥ بركات بن موسى المحتسب وصحبته أعيان المباشرين وأرباب الدولة وهم موشّحون بالحرير الأصفر لأجل عافية السلطان ، فشقّ من القاهرة وقدّامه الحكماء بالخلع ، فنادى القاهرة بالزينة لأجل عافية السلطان ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ١٨ وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، ثم إن الزينى بركات بن موسى أشهر المناداة لسكان بركة الرطلى بأن يصنعوا بها وقدة حافلة ويزيّنوا الطيقان لأجل عافية الملك ، فانطلقوا سكان بركة الرطلى بالزغاريت وعلقوا فى الطيقان الشدود ٢١ الحرير الأصفر والكوامل الحرير الملون ، ودارت الطبول والزمور فى المراكب يهنّوا أعيان الناس من سكان البركة بعافية السلطان ، ثم إن سكان البركة شرعوا فى أمر الوقدة فعلّقوا فى الطيقان أحمال وأمشاط فيها القناديل ، فاحتفلوا سكان

البركة (١٨٢ ب) بوقدة عظيمة ثلاث جمع متوالية وصارت فى كل ليلة تدور
المراكب بالمتفرجين ، ويقع بالبركة من القصف والفرجة ما لا يحصى وصفه
ولا سيما قد صار أمرا سلطانيا ، وكان النيل فى أواخره فخرج الناس فى ذلك عن ٣
الحدّ ، وصار يقع فى البركة كل ليلة أمور غريبة من سماع مغنى لطيفة ووقدة
ونفوط تحرق وأشياء حافلة — وفى يوم الثلاثاء خامسه زينت القاهرة زينة حافلة ،
حتّى زينوا داخل الأسواق ، وهم سوق الشرب والباسطية وسوق الحاجب وسوق ٦
الفاضل وسوق جامع ابن طولون وسوق مرجوش وغير ذلك والوراقين وسوق
الجواهرة وغير ذلك من الأسواق ، وزينوا مصر العتيقة وبولاق حتّى زينوا
أسواق الخانكاه،وزينوا حارة زويلة وخان الخليلى وغير ذلك من أسواق القاهرة ، ٩
ثم إن الأمراء المقدّمين وأرباب الوظائف من الأمراء الطبلخانات زينوا أبوابهم
بالصناجق والخيام الحافلة مثل زينة العيد ، ثم إن الخليفة زيّن بابه بستور ضريح
السيدة نفيسة رضى الله عنها ، ثم إن قضاة القضاة زيّنوا أبوابهم بالبشاخين المخمل ١٢
والنواميس الحرير ، ولا سيا قاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة فإنه خرج
فى الزينة عن الحدّ فزيّن بابه بالبشاخين الزركش والعنبر (١٨٣ آ) فعدّ ذلك
من البدع المنكرة ، ثم إن الزينة أقامت سبعة أيام متوالية ، والكوسات عمّالة كل ١٥
يوم نوبتين باكر النهار وبعد العصر وهى بالقلعة وعلى أبواب الأمراء المقدّمين ،
ولم يقع قطّ بمصر مثل هذه الواقعة فى عافية سلطان ولا أمير ، وهذا من باب
الوجاهة والزَوكِرة للسلطان،فإن قضاة القضاة زينوا أبواب المدارس التى يسكنون ١٨
بها حتّى باب المدرسة الصالحية وخانقاة بيبرس وغير ذلك من الأماكن الجليلة ،
فأعاب بعض الناس على القضاة هذه الفعلة ، وقد صنع قاضى القضاة عبد البرّ بن
الشحنة ردكا بأشجار وأحواض جلد على باب الخانقاة البيبرسية فعُدّ ذلك من ٢١
البدع المنكرة ، وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

---

(١٨) والزوكرة : كذا فى الأصل .

لبُرئك يا ذا المُلْكِ سُرّت نفوسُنا وقد زُيِّنَتْ من بعد ما عطلتْ مصر
وأصبح ثغر الدهر مبتسما لنا وفى وَجْنة الدنيا غدا يُنْظَرُ البِشر

٣ وكان سبب إيساع هذه الزينة أن الأخبار قد شاعت فى البلاد الشرقية والغربية بأن السلطان قد عمى بعينيه الاثنتين ، فأراد السلطان إظهار هذه الزينة حتى يشاع فى البلاد أن السلطان قد شُفى وزال عنه الألم الذى كان فى عينيه ،
٦ فأمر بزينة القاهرة ودقّ الكوسات حتى يشاع ذلك (١٨٣ ب) بدقّ الكوسات بالقلعة وعلى أبواب الأمراء . — وفى يوم الخميس سابعه جلس السلطان على المصطبة بالحوش وعين فى ذلك اليوم خمسة أنفس من الأمراء المقدمين بأن
٩ يعملوا يرقهم ويتوجهوا إلى السويس ، ثم بطل ذلك فيما بعد ولم سافر منهم أحد ، وكان أشيع سفر السلطان بنفسه إلى السويس ولم يتمّ ذلك ، فشرع يقول للعسكر والأمراء : جهزوا يرقكم فإنى أسافر نصف الشهر ، وصنع أربع محفات ، وجعل
١٢ يعرض نُوب هُجن وبغال وغير ذلك . — وفى يوم الاثنين حادى عشره جلس السلطان فى الميدان وفرّق إطلاقات الطين على العسكر ، وكان غالب أراضى الجيزة شراق ، فردّوا وصولات الإطلاقات وكادت أن تكون فتنة . — وفى يوم السبت
١٥ نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو قبة الأمير يشبك التى بالمطرية وبات بها ، ورسم لنقيب الجيش بأن يطوف على الأمراء المقدمين قاطبة ويعلمهم بأن السلطان يوكب من القبة ويشق من القاهرة ، وأرسل يعزم على الأمراء فى القبة فحضر إليه
١٨ الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس وبقية الأمراء المقدمين قاطبة ، فباتوا عند السلطان بالقبة ومدّ لهم هناك أسمطة حافلة ، فلما كان يوم الأحد ركب السلطان من القبة (١٨٤ آ) وقدّامه الأمراء المقدمون قاطبة والأمراء
٢١ الطبلخانات والعشرات وأرباب الوظائف من المباشرين قاطبة وأعيان الدولة والعسكر قاطبة ، وكان السلطان قصد أن تُحمل على رأسه القبة والطير فنهوه

---

(٣) إيساع : كذا فى الأصل ، ويعنى التوسع فيها .

الأمراء عن ذلك وقالوا له : ما هى عادة أن السلطان إذا خرج إلى المطرية تحمل
على رأسه القبّة والطير ، فرجع عن ذلك ، ثم إن السلطان دخل من باب النصر
وشقّ من القاهرة فى موكب حافل ، ولاقته طائفة اليهود والنصارى وبأيديهم ٣
الشموع موقدة ، وسارت قدّامه أرباب الوظائف من المباشرين وهم متوشحون
بالحرير الأصفر ، وكذلك نقيب الجيش والوالى وأعيان الخدّام وولد السلطان ،
ومشت قدّامه الرؤوس النوب بالعصى من باب النصر إلى القلعة ، ثم سُحبت قدّامه ٦
الجنائب بالكنابيش الزركش ومشى قدامه الأوزان والشبابة السلطانية والنفير
البرغشى والجامع السلطانية بالغشاء الحرير الأصفر ، ولم تلبس الأمراء ولا أحد من
العسكر فى هذا الموكب الشاش والقماش ، ولم يستطع السلطان لبس التخفيفة ٩
الكبيرة من العارض الذى فى عينه بل كان فى هذا الموكب بتخفيفة صغيرة مكسّى
(١٨٤ ب) وسلارى بعلبكى أبيض ، ومشى قدّامه غالب الخاصكية من باب النصر
إلى القلعة ، فكان له يوم مشهود ، واصطفّت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ١٢
عليه ، وتركّزت له الطبول والزمور فى عدّة أماكن من القاهرة ، وانطلقت له
النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكانت القاهرة مزيّنة زينة حافلة منذ سبعة أيام ،
وأوقدوا له الشموع والقناديل فى الأحمال بالنهار على الدكاكين ، وأطلقوا له البخور ١٥
فى المجامر ، فاستمر السلطان فى هذا الموكب الحافل على ما ذكرناه حتّى طلع إلى
القلعة ، وقد قلت فى هذه الواقعة أبيات مواليا وهى هذه :

سُلطانُنا لُو مَحاسِنْ فيهِ مَوْصُوفَهْ ولُو مَواكِبْ لها أوْقات مَعْروفهْ ١٨
مُنْختَفَّ عَنُّو الرَّمَدبالطَاف محفُوفَهْ أوْكِبْ لها أوقات مصر مصفوفهْ

ولما شقّ السلطان من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وقالوا له جماعة
من العوام : ابطل عنا أمر المجامعة والمشاهرة التى على الحسبة ، فلم يلتفت إلى كلامهم ٢١
وتغافل عن ذلك . — ومن الحوادث فى ذلك اليوم أن امرأة خرجت تتفرج على
السلطان وكانت حامل ، فجاءتها ضربة على بطنها فنزل الولد من بطنها فى الحال

(١٠) مكسى : كذا فى الأصل ، ويعنى أنها ذات كساء .

وماتت من يومها ، (١٨٥ آ) فرجعت إلى بيتها فى تابوت وذلك بالقرب [من]
باب النصر . — ثم شرع كلّ أحد من أعيان المباشرين يقدّم للسلطان تقادم حافلة
٣ ما بين ذهب وقماش وسكر وأغنام وغير ذلك ، وقدم إليه أيضا جماعة من الأمراء من
أخصّاء السلطان تقادم حافلة ما بين خيول وصوف ووشق وسنجاب وغير ذلك ،
فأخلع عليهم فى ذلك اليوم كوامل مخمل أحمر بصمور ، والذى لم يقدّم له شيئا
٦ لم يخلع عليه . — وفى يوم الاثنين حادى عشرينه عرض السلطان عسكر الطبقة
الخامسة التى استجدّها ، فلما عرضهم عيّن منهم جماعة بأن يتوجهوا إلى السويس
فشرع مقدّم المماليك سُنبل يقول لهم : يا أغاوات عبّوا برقكم حتى تسافروا إلى
٩ سُويسة ، فضحكت عليه الناس بسبب ذلك . — وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه صنع
السلطان ستورا من حرير أسود بطرز مزركشة ، وكانوا نحوا من سبعة ستور لبقية
الأنبياء الذين هناك ، ولأجل ضريح سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، فشقّوا من
١٢ القاهرة وقدامهم الطبل والخليلة ، وكان لهم يوم مشهود ، وكان خادم حرم الخليل
عليه السلام حاضرا فنزل قدّام الستور هو وجماعة من الفقراء . — وفى يوم الخميس
رابع عشرينه دخلوا جماعة من المماليك الذين تعينوا إلى السويس (١٨٥ب) على
١٥ الأمير طومان باى الداودار وشكوا له سفرهم إلى السويس بلا نفقة وصمّموا
على عدم السفر إلى السويس ، فطلع الأمير طومان باى وذكر للسلطان ما قالوه
المماليك ، وكاد أن يقع من ذلك فتنة ، فلما سمع السلطان ذلك أمر ببطلان السفر
١٨ إلى السويس وخشى من إقامة فتنة — وفى يوم الجمعة نزل السلطان وعدى إلى
الروضة ونصب له خياما على خرطوم الروضة وبات هناك ومدّ له الزينى بركات
ابن موسى هناك أسمطة حافلة ، فأقام إلى يوم الأحد وطاب له ذلك المكان وانشرح
٢١ به ، وكان صحبته مغانى وأرباب الآلات ، فطلع إلى القلعة يوم الأحد أواخر النهار : —
وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه خرج الأمير جانم الذى قُرّر فى نيابة طرابلس كما
تقدم ذكر ذلك ، فكان له يوم مشهود . — وفى يوم الخميس من أواخر هذا الشهر

(١٢) والخليلة : كذا فى الأصل .

كانت وفاة الأمير برد بيك تفاح ، وكان من الأمراء الطبلخانات ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان أميرا من جملة الأمراء المقدمين الألوف بالشام ، فأتى إلى مصر ليسعى فى الحجوبية الكبرى بالشام فلم يتمّ له ذلك فاستمرّ مقيما بمصر ، وكان ٣
له مرتّب على الذخيرة فى كل شهر حتى مات وكان له مدّة وهو عليل ؛ فلما مات كانت له جنازة (١٨٦ آ) حافلة ومشت قدامه خُشداشينه من الأمراء وأخرجوا قدامه كفارة ، وكان لا بأس به . — وفيه نزل السلطان وسيّر إلى مصر العتيقة ٦
وشقّ من على ساحل البحر ، ثم طلع من على قناطر السباع وشقّ من الصليبة وطلع إلى القلعة ، فلما شق من الصليبة ضجّت له العوام بالدعاء وذكروا له أمر الفلوس الجدد وأن البضائع صارت تباع بسعرين ، فلما طلع إلى القلعة نادى ٩
فى ذلك اليوم بأن الفلوس تكون بنصفين الرطل ، وكانت بثلاثة أنصاف الرطل ، فخسرت السوقة فى هذه الواقعة نحو الثلث من أموالها ، وكانت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة وسعر بالفلوس ، ففرح غالب الناس بهذه المناداة . — ١٢
وفى يوم السبت سلخ الشهر نزل السلطان إلى المطرية وتوجه إلى قبة يشبك وكشف على العمارة التى هناك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه ، انتهى ذلك .

وفى رمضان كان مستهل الشهر يوم الأحد ، فجلس السلطان بالميدان وطلع إليه ١٥
الخليفة والقضاة الأربعة يهنّونه بالشهر على جَرْى العادة . — وفى ذلك اليوم طلع الوزير يوسف البدرى والزينى بركات بن موسى المحتسب باللحم والخبز والدقيق والسكر والغنم وهم على رؤوس الحمالين وقدامهم الطبول (١٨٦ ب) ١٨
والزمور ، وشقّوا من القاهرة وكان لهم يوم مشهود ، فأخلع السلطان على الوزير يوسف البدرى والزينى بركات بن موسى ونزلوا إلى بيوتهم فى موكب حافل ، ثم إن السلطان رسم للزينى بركات بن موسى بأن ينادى فى القاهرة بتسعير ٢١
البضائع : بأن البطة الدقيق بسبعة أنصاف واللحم الضانى بتسعة نُقرة الرطل واللحم البقرى بستة نقرة الرطل ، وسعَّر الأجبان والسيرج والزيت وغير ذلك

---

(١٨) والغنم : وغنم . (٢١) بتسعير : بسعير .

من البضائع ، وأن النصف الفضة لا يُصرف بأكثر من اثنى عشر درهما ، وأن الفلوس العتق والجدد بالميزان وكل رطل بنصفين . — وفى يوم الجمعة سادسه قلع ٣ السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك ثامن هاتور القبطى . — وفى يوم الاثنين سادس عشره نفق السلطان الكسوة مع الجامكية على العسكر . — وفى ذلك اليوم كانت وفاة المعلم على الصغير أحد معاملى اللحم ، وكان رئيسا حشما فى سعة ٦ من المال ، ولكن قاسى فى أواخر عمره شدائد ومحنا وصودر غير ما مرّة ، وضُرب بالمقارع على أجنابه بين يدى السلطان ، وسُجن بالعرقانة مدة وتسحب من هناك وتدلى بحبل فانقطع به ووقع على الأرض فانكسر ضلعه ، واستمر (١٨٧ آ) ٩ مختفيا مدة ، وسافر إلى الحجاز وهو مختفى ، ثم ظهر عندما أفرج السلطان عن أصحاب الجرائم كما تقدم ذكر ذلك ، فظهر واستمر عليلا مما قاساه حتى مات ، وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر ، وكان من أعيان المعاملين ناتجا بالسداد ، وقد ١٢ ذُكر فى أيام الأمير أقبردى الدوادار بأن يلى الوزارة مثل البباى فلم يتمّ له ذلك . — وفى هذا الشهر أشيع بين الناس بأن الناصرى محمد بن أزدمر نائب حلب كان قد قتل فى معركة ببلاد ابن عثمان ملك الروم ، وكان السلطان تغير ١٥ خاطره عليه فرسم بشنقه فى حلب ، فلما بلغه ذلك فرّ إلى بلاد ابن عثمان فقُتل هناك ، وكان غير مشكور السيرة فى سائر أفعاله ، انتهى .

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى قبّة الأمير يشبك ١٨ التى بالمطرية وكشف على العمارة التى هنـاك ، فلما رجع دخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حافل . — وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه نزل السلطان وتوجّه إلى الروضة وأقام فى خرطوم الروضة ، وأشيع بين الناس بأن ٢١ السلطان يقصد أن ينشئ هناك قصرا بأربعة وجوه . — وفى يوم الخميس سادس عشرينه كان ختم صحيح البخارى بالقلعة ، ونصب السلطان خيمة كبيرة (١٨٧ ب) بالحوش على العادة ، وحضر هناك القضاة الأربعـة ومشايخ العلم وأعيان

(١٥) فر : ففر . (٢٣) الأربعة : أربعة .

الفقهاء ففرّقت عليهم الخلع والصرر لمن له عادة ، وكان ختما حافلا . — وفى يوم الأحد تاسع عشرينه نزل السلطان وتوجه إلى نحو تربة العادل التى بالمطرية فجلس على المصطبة التى هناك وجرّبوا قدّامه عدّة مكاحل بحجارة كبار ، فأقام هناك ساعة ثم عاد إلى القلعة . — وفيه عرض ناظر الخاص خلع العيد وكانوا فى غاية الوحاشة . — وفيه نفق السلطان الكسوة والجامكية على عسكر الطبقة الخامسة .

وفى شوال كان عيد الفطر يوم الثلاثاء ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد وهو بالشاش والقماش ، وكان موكب العيد حافلا . — وفى يوم السبت خامسه نزل السلطان وعدّى إلى الروضة وبات بالمقياس تلك الليلة ، وأقام به يوم الأحد إلى بعد العصر ، ثم عدّى وطلع إلى القلعة وشق من الصليبة فى موكب حافل وقدامه ولده وبعض أمراء ، وكان قدامه قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة وجماعة من الأمراء العشرات ، والأمير خاير بيك الخازندار أحد الأمراء المقدّمين وكان صحبة السلطان فى المقياس . — وفى يوم الاثنين سابعه توفى القاضى عرفات بن السجّان ، وكان من أعيان نوّاب الشافعية ، وكان لا بأس به . — وفى هذا الشهر أخلع السلطان (١٨٨ آ) على عبد العظيم الصيرفى وقرّره فى التحدّث فى أمر الشون السلطانية وجهات الذخيرة ، فتعاظم عبد العظيم إلى الغاية وكبّر عمامته وصار من أعيان الرؤساء ، وركب الخيول ونسى ما جرى عليه من الضرب بالكسارات وعصر أكعابه بالمعاصير وحُرقت أصابعه بالنار ، فنسى ذلك كله وصار فى شمم عظيم . — وفى يوم السبت ثانى عشره نزل السلطان وتوجّه إلى نحو قبة يشبك الدوادار وبات بها ليلة الأحد ، ثم عاد إلى القلعة . — وفى يوم السبت المقدم ذكره وقعت كائنة عظيمة وهى التى عمّت وطمّت ، وكان سبب ذلك أن شخصا من نوّاب الحنفيّة يقال له غرس الدين خليل ، وكانت له زوجة حسناء

---

(١٥) الصيرفى : الصوفى . (١٧) الرؤساء : الرويسا .

فهويها شخص من نوّاب الشافعية يقال له نور الدين على المشالى واعتشر بها
مدّة طويلة ، فاتفق أن فى ليلة السبت المقدم ذكره طلع غرس الدين خليل إلى
٣ الإمام الليث رضى الله عنه وبات به ، فأرسلت الامرأة خلف نور الدين المشالى
وأعلمته بأن زوجها خليل بائت فى الإمام الليث ، فاطمأن بذلك ثم أرسل إليها
ما يُلائم ، وكان بجوار بيت الامرأة شخص تسمّيه الناس شُمَيْنس ،وهو ابن أخت
٦ القاضى نور الدين الدمياطى ، وكان يهوى هذه الامرأة وهى لم ترض به ، فلما تحقق
أن نور الدين (١٨٨ ب) المشالى بائت عندها تلك الليلة فصبر حتى طلع إليها
نور الدين واستقر عندها فى البيت ، فركب شمس الدين بن أخت الدمياطى وتوجه
٩ إلى الإمام الليث وأعلم خليل زوج الامرأة بذلك ، فركب خليل من وقته وجاء إلى
بيته فوجد الباب مقفولا ففتحه ودخل إلى البيت ، فوجد نور الدين وزوجته
فى الناموسيّة وهما تحت اللحاف متعانقان فقبض عليهما باليد .

١٢ فلما تحقّق نور الدين المشالى أنه تعدّى على خليل وطلع إلى بيته وفسق
فى زوجته فقصد تستّر هذا الأمر فقال لخليل : أكتب لك عى مسطورا بألف
دينار ولا تفضحنى بين الناس ، وقالت الامرأة : خذ جميع ما فى البيت من الأمتعة
١٥ وستّر هذه القضية والستّر مطلوب ، فلم يوافق خليل على ذلك ، ثم أغلق عليهما
الباب وأتى إلى دار حاجب الحجّاب فقصّ عليه ما جرى له ، فأرسل حاجب
الحجاب قبض عليهما ، فلما مثلوا بين يديه أقر نور الدين المشالى أنه طلع إلى
١٨ بيت خليل وكان بينه وبين زوجته ما كان من أمر الزنا ، ثم إن حاجب الحجّاب
أحضر القاضى شمس الدين (١٨٩ آ) بن وُحيش أحد نوّاب الشافعية فشهد على
نور الدين المشالى بما أقر به على نفســه بالزنا وكتب خطّه بذلك وكتب
٢١ بذلك محضراً وثبت عليه ، ثم إن حاجب الحجّاب عرّى نور الدين المشالى وضربه

---

(١١) بعد كلمة « باليد » ورد فى الأصل بيتان من الشعر رأى المحقق إهمالها ، ويمكن الرجوع إليهما فى طبعة إستانبول ص ٣٤١ س ١٠ . (٢٠) على نفسه . . . بذلك : جاءت فى الأصل بعد « وضربه » فى السطر التالى .

ضربا مبرحاً حتى كاد يهلك ، ثم ضرب الامرأة على أكتاف المشاعلية ضرباً مبرحا ، ثم أمر بإشهارهما فى القاهرة فأركب نور الدين المشالى على حمار وألبسه عمامته وأركب الامرأة أيضا على حمـــار وأقلبوا وجوههما إلى خلف الحمار وطافوا بهما فى ٣ الصليبة والقاهرة وقناطر السباع ، وكان لهما يوم مهول ، ثم رجعوا بهما إلى بيت حاجب الحجّاب ، فقرّروا على الامرأة مائة دينار لحاجب الحجّاب فقالت الامرأة : أنا زوجى وضع يده على جميع مالى فلا أملك من الدنيا شيئاً ، فقالوا لزوجها : هات ٦ من مال زوجتك مائة دينار لحاجب الحجّاب ، فلم يوافق على ذلك وامتنع فرسموا عليه ، وكان لخليل ولد صغير يقرأ مع المقرّبين عند السلطان فى الدهيشة ، فلما رسموا على أبيه طلع إلى السلطان وذكر له ما جرى من أوّله إلى آخره ، فعند ٩ ذلك اتّسع الخرق على الراقع وفشى الكلام بالمواقع ، فلما اتصل هذا الأمر بالسلطان كان من الأمر ما سنذكره فى موضعه . — وفى يوم رابع عشره (١٨٩ ب) نزل السلطان إلى الميدان وأعرضوا عليه كسوة الكعبة والبرقع ومقام إبراهيم ١٢ عليه السلام والمحمل الشريف ، وكان يوما مشهودا . — وفى ذلك اليوم وُقف إلى السلطان بشخص قتيل يقال له قانم المُداقف ، وكان من جملة الزردكاشية ، فأنهوا أولاد القتيل على أن بعض المماليك الأجلاب عزم عليه وأسكره ثم قام ١٥ إليه وخنقه بوتر حتى مات ، وكان بيد قانم هذا إقطاع ثقيل فقتلوه الجلبان بسبب ذلك ، وكان له أولاد وزوجة فقُتل ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وحلّ السلطان فى أمره ولم يأخذ له بثأر . — وفى ذلك اليوم توفى الحاج رمضان مهتار الأشرف ١٨ قايتباى ، وقد قاسى فى أواخر عمره أشياء كثيرة من شدائد ومحن ، وصودر غير ما مرّة ، وضُرب وعُصر فى أكعابه ، وباع بيوته فى المصادرة وجميع ما يملكه ، وصار يستعطى من الأمراء بالقصص ، وكان أصله من الصعيد ، وخدم الأشرف قايتباى ٢١ حين كان خاصكيا إلى أن بقى سلطانا ، ورأى فى أيامه من العزّ والعظمة ما لا رآه غيره من المهاترة الذين سلفوا من قبله ، وكان بيده مهترة الطشتخاناه الشريفة ونظر

الكسوة الشريفة والتحدّث على جهات السلطان ، وكان غالب السعى لأرباب الدولة
من بابه ، ويقال كان (١٩٠ آ) متحصله فى كل يوم نحوا من أربعين دينارا ،
٣ فسُلب ذلك منه جميعا ومات فقيرا لا يملك من الدنيا شيئا ، وكان قد شاخ وكبر
سنّه ومات وهو فى عشر الثمانين ، انتهى ذلك . — وفى يوم الأربعاء سادس عشره
أرسل السلطان خلف القضاة الأربعة ، فلما حضروا بين يديه وبّخهم بالكلام
٦ الفج وقال لهم : والله افتخرتم يا قضاة الشرع نُوّابكم شىء يشرب الخمر وشىء
يزنى وشىء يبيع الأوقاف ، وفى ذلك تسميعة لقاضى القضاة الحنفى عبد البر بن
الشحنة وكان هو المقصود بذلك الكلام ، ثم طلب المحضر الذى ثبت على القاضى
٩ شمس الدين بن وحيش ، فقال له ابن وُحيش : أنا ثبت عندى رجمهما ، فانصاغ
السلطان لهذا الكلام وقصد بذلك إظهار العدل حتى يُكتب ذلك فى تاريخه أنه
رجم من زنى فى أيامه ، كما وقع فى زمن النبى صلّى الله عليه وسلّم لماعز وزينب
١٢ الذى أمر النبى برجمهما ، فقال السلطان لابن وُحيش : احكم برجمهما ، فقال ابن
وُحيش حتى يُنفّذ لى قاضى القضاة الشافعى ؛ فقال القاضى الشافعى : قد نفذت لك
ذلك ، فانفصل المجلس على رجم المشالى والامرأة وعلى أن يحفر لهما حَفيرة ويُرجما
١٥ فيها ، ولو فعل السلطان ذلك فى يومه لمشى أمر الرجم وقضى ذلك الأمر ، لكن
عارض السلطان خروج المحمل (١٩٠ ب) وأمر الحجاج ، فأخّر هذه القضية
لبعد خروج الحجّاج . — فلما كان يوم الخميس سابع عشر شوال خرج المحمل من
١٨ القاهرة فى تجمّل زائد إلى الغاية ، وكان له يوم مشهود ، وحضر فى هذه السنة ملكان
من ملوك التكاررة ، فخرجوا فى ركب وحدهم بعد خروج الحاجّ بأيام ورجعوا
صحبة الحجّاج لما حضروا ، وخرج قدّامه القضاة الأربعة ، وكان أمير ركب المحمل
٢١ قانصوه كُرت أحد الأمراء المقدمين ، وبالركب الأول الأمير طومان باى حاجب
ثانى ، فخرجا فى موكب حافل وقدامهما الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء
المقدّمين . — فلما اشتغل السلطان بأمر خروج الحجّاج فتعصّب لنور الدين المشالى

شخص يقال له شمس الدين الزنكلونى أحد نواب الشافعية ، فكتب فتاوى على
أن الرجل إذا زنى واعترف بالزنا ثم رجع عن ذلك الاعتراف فهل يسقط عنه
الحدّ أم لا ، فدار بهذا السؤال على جماعة من العلماء ومشايخ الإسلام ، فكتب ٣
على ذلك السؤال الشيخ برهان الدين بن أبى شريف المقدسى الشافعى ، وكتب
عليه جماعة آخرون من العلماء بمعنى ما أجاب به الشيخ برهان الدين بن أبى
شريف أنه إذا رجع عن الإقرار يسقط الحدّ من رجم وغير ذلك من الحدود ،
فلما بلغ السلطان ذلك اشتد غضبه على القضاة وقال : يا مسلمين (١٩١ آ) رجل
يطلع إلى بيت رجل ويفسق فى زوجته ويُقبض عليه تحت اللحاف مع زوجته
ويعترف الخصم بذلك ويكتب خطّ يده بما وقع منه يقولوا بعد ذلك له الرجوع ، ٩
فأمر بعقد مجلس بين يديه بالقلعة وأمر بأن القضاة الأربعة تحضر ومشايخ العلم
قاطبة . — فلما كان يوم الخميس رابع عشرين شوال حضر الأربعة قضاة وهم :
كمال الدين الطويل الشافعى وعبد البر بن الشحنة الحنفى ومحيى الدين يحيى بن ١٢
الدميرى المالكى وعزّ الدين بن الشيشينى الحنبلى ، فجلسوا عن يمين السلطان وحضر
شيخ الإسلام المنفصل عن القضاء زين الدين زكريا فجلس رأس الميسرة ، وجلس
تحته الشيخ برهان الدين بن أبى شريف وحضر قاضى القضاة الشيخ برهان الدين ١٥
القلقشندى المنفصل عن القضاء ، وحضر الشيخ برهان الدين بن الكركى الحنفى ،
وحضر غير ذلك من مشايخ العلماء جماعة كثيرة منهم الشيخ نور الدين المحلّى
والشيخ عبد الحقّ السنباطى الشافعى وآخرون من المشايخ والفقهاء ، فلما تكامل ١٨
المجلس أخذ السلطان يتكلم مع الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبى
شريف ، فقال لهم : كيف يكون رجل متزوّج بامرأة ويطلع إلى بيته فيجد
رجل أجنبى راقد مع زوجته تحت اللحاف ويعترف بالزنا وتقولوا (١٩١ ب) ٢١
له الرجوع ، فقال له ابن أبى شريف : شرع الله هذا ، وأرواه النقل فى هذه المسألة ،

(١٢) ويحيى : ويحيى . (١٤) الميسرة : الميسر . (١٥) قاضى القضاة الشيخ :
« الشيخ » وردت قبل « القلقشندى » فى سطر ١٦

فلم يلتفت إلى النقول فى ذلك وقال : أنا ما أنا وَلِىّ الأمر ولى النظر العام فى ذلك ، فقال له ابن أبى شريف : نعم ولكن بموافقة الشرع الشريف وإن قتلتهما تلزمك ٣ ديتين عنهما ، فحنق منه وكاد أن يبطش به فى المجلس ، ثم التفت إلى الشيخ زكريا وقال له : إيش قلت أنت فى هذه المسألة ، قال : له الرجوع بعد الاعتراف وإذا رجع سقط عنه الحدّ ، فقال له السلطان : هذا يبقى فى ذمتك ، فقال الشيخ زكريّا : ٦ إيش كنت أنا هذا فى ذمّة الإمام الشافعى صاحب المذهب ، فذُكر على أن السلطان قال له : أنت دهلت ما بقى لك عقل ، ثم التفت إلى قضاة القضاة ووبّخهم بالكلام وقال : إنتوا الأربعة قوموا لا ترونى وجوهكم قط ، فقاموا من ذلك المجلس وهم ٩ يتعثّرون فى أذيالهم ، وكان لهم يوم مهول ، فانفصل المجلس مانعا وحصل فيه كل سوء من مقت السلطان لهم ، ثم إن السلطان عزل الشيخ برهان الدين بن أبى شريف من مشيخة مدرسته وأشيع بنفيه إلى القدس ، وعزل محيي الدين يحيى بن الدميرى من ١٢ قضاء المالكية ومن خطابة جامعه ، واشتدّ غضبه على (١٩٢ آ) قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة وكاد أن يبطش به ، وكان عنده من المقدمين الأخصّاء ، وكان يبات عنده ثلاث ليالى فى الجمعة وكان من ندمائه ، ويسافر معه إذا شوّط ، وصار ١٥ بيده الحلّ والعقد فى أمور السلطنة ، فأقلب عليه كأنه لم يعرفه قط وكان بمنزلة جعفر البرمكى من هرون الرشيد ، الحمد لله . — ومما وقع فى ذلك العقد المجلس بحضرة السلطان أن الشيخ نور الدين على المحلّى قال للسلطان : يا مولانا السلطان ١٨ إن الذى صدر من مشايخ الإسلام بصحّة الرجوع فهو الحقّ وهو نصّ ما نقله الإمام الشافعى وغيره من العلماء رضى الله عنهم أجمعين بعد القرار فى أمر الزنا فلا عبرة بإقراره فى ذلك ، فقال له السلطان : إن شاء الله تطلع إلى بيتك ٢١ فتجد من يفعل فى زوجتك الفاحشة كما فعل المشالى فى زوجة خليل ، فقال له الشيخ نور الدين المحلى : عافانا الله من ذلك ، فشقّ كلامه على السلطان فى الباطن ، وانفضّ ذلك المجلس من غير طائل ، وحصل للعلماء فى ذلك المجلس غاية البهدلة ولاسيما ٢٤ ماحصل للشيخ برهان الدين بن أبى شريف وأمره مشهور ، فكان كما يقال فى المعنى :

احذَرْ مُداخلة الملوك (١٩٢ب) ولا تكن ما عِشْتَ بالتقريب منهم واثقا
فالغَيْثُ غَوثُك إن ظمِئتَ وربما ترمى بَوَارِقُهُ إليك صواعقا

ويقال إن سبب تغيّر خاطر السلطان على قاضى القضاة عبد البرّ بن الشحنة ٣
فإنه فى أول الأمر وافق السلطان على أن الرجل والامرأة يرجمان ، فلما أفتوا أنه
إذا رجع عن الإقرار يسقط عنه الحدّ فوافقهم عبد البرّ على ذلك ، فقال له
السلطان : أنت تقرّر معى شيئا وترجع عن ذلك كنت قلت لى هذا من الأول ٦
حتّى عرفت أمر الرجوع بعد الإقرار ، فلما تحقق عبد البر أن السلطان متغيظ
عليه دار على الأمراء وكاتب السر بأن يشفعوا فيه عند السلطان ، ثم إن السلطان
رسم إلى يحيى بن نُكار دوادار الوالى بأن يسجن نور الدين المشالى الذى زنى ، ٩
فتوجه به إلى المقشرة وتوجه بالامرأة إلى الحجرة ، انتهى ذلك . — وبعد مضىّ
الحجّاج بخمسة أيام خرج ركب التكرور والمغاربة وعيّن معهم السلطان ثلاثة
من الدُّلَلة يرشدونهم إلى الطريق فتوجهوا بهم من مخالص غير مخالص الحجاج ، ١٢
وفى هذه السنة حج الأمير بقر بن الأمير أحمد بن بقر شيخ العرب ، وحج
صحبته الجمّ الغفير من الفلاحين . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه نزل السلطان
إلى الميدان وجلس به وأرسل أحضر شمس الدين الزنكلونى الذى دار على ١٥
العلماء بالفتوى بسبب نور الدين المشالى حين رجع عن (١٩٣ آ) الإقرار ، فلما
حضر قال له السلطان : يازنكلونى حكمك أنت يمشى وحكمى أنا يبطل ، ثم بطحه
على الأرض وضربه نحوا من ألف عصاة وضرب أولاده الاثنين كل واحد نحوا ١٨
من سمّائة عصاة ، وكان رفيقهم فى هذه المسئلة ابن شريف الوكيل ، فلما بلغه ذلك
اختفى ، وكان المتعصّب عليهم فى ذلك القاضى شمس بن وُحيش وأوحى للسلطان
أن الزنكلونى وأولاده قد أسوا عليه وسبّوه فحرّض عليهم السلطان حتى جرى ٢١
ما جرى للزنكلونى ، ثم إن السلطان رسم بنفى الزنكلونى إلى الواح فنزلوا

---

(١٢) الدللة : كذا فى الأصل ، ويعنى جمع دليل . (١٦) بالفتوى : بالفتواة .

بالزنكلونى وأولاده وهم على وجوههم راكبين على حمير والدم يسيل من أكعابهم . — وفى يوم الأربعاء سلخ الشهر أشيع بين الناس بأن الزنكلونى قد
٣ مات من شدّة الضرب ، وأن أولاده فى حال العدم . — وفى ذلك اليوم نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو قليوب ، وظنّ أن الشهر قد هلّ فى ذلك اليوم فنزل حتى لا يقابل القضاة ولا ينظر إليهم ، وقد كثُرت الإشاعة بعزل القضاة الأربعة .

٦ وفى ذى القعدة كان مستهل الشهر يوم الخميس ، فطلع الخليفة وهنّأ فى ذلك اليوم ، فلما قام الخليفة من عنده ركب السلطان ونزل إلى دار البقر حتى لا يجتمع على القضاة ، وكانوا القضاة قد جلسوا فى الجامع فلم يجتمع عليهم السلطان (١٩٣ ب)
٩ ونزل سيّر ، فلما بلغ القضاة ذلك نزلوا من القلعة بخفّى حنين . — ومن العجائب أن من يوم عقد المجلس المقدم ذكره وحصل ما حصل على القضاة بسبب الفتوى فى أمر الرجوع ، فصرّح السلطان فى ذلك اليوم بعزل القضاة الأربعة ، فأقامت
١٢ مصر شاغرة نحوا من خمسة أيام لم يُعقد فيها عقد نكاح ولا وقع فيها أحكام شرعية ، وأغلقت الشهود دكاكينهم قاطبة ، وتعطلت أحوال مصر واضطربت فى تلك الأيام إلى الغاية ، ورسم السلطان للوالى وقال له : كل من وجدته من الفقهاء وهو
١٥ سكران فاقبض عليه وأنا ألبسك كاملة مخمل بصمور وأركبك فرس بكنبوش ، وأشيع بين الناس أن السلطان قال : لا يدخل علىّ أحد من المباشرين وهو لابس عمامة ، من بُغضه فى الفقهاء ، فكانت القرّاء إذا دخل أحد منهم على السلطان فيلبس
١٨ له زمط وعليه شدّ ملفوف ، وأشيع أن الزينى بركات بن موسى لبس له تخفيفة ودخل على السلطان فضحك عليه ، وكذلك القاضى علاى الدين ناظر الخاص لبس له تخفيفة ودخل على السلطان فقال له : بقيت مثل المماليك الجراكسة . —
٢١ ومن الحوادث فى يوم مستهل هذا الشهر سقط ربع تجاه باب الوراقين على رأس عطفة الحراطين ، فقُتل تحت الردم شخص بيّاع جزر ، فمات هو والحمار من وقته

---

(١٠) الفتوى : الفتواة . (١٣) دكاكينهم : دكاكنهم .

تحت الردم . — وفيه كثر الكلام بسبب (١٩٤ آ) عزل القضاة ، فنزل
السلطان إلى الميدان ، فلما جلس به قام الأتابكي سودون العجمي والأمير
أركماس أمير مجلس والأمير طوماى باى الدوادار وغير ذلك من الأمراء المقدّمين ٣
والقاضي كاتب السرّ ، فقاموا فى صعيد واحد وباسوا الأرض للسلطان ثم شفعوا
فى القضاة الأربعة ، فلما سمع السلطان ذلك حنق على الأمراء وحلف بحياة رأسه
أنه ما يُعيد أحـــداً من القضاة إلى وظيفته وصمّم على ذلك ، وقد قلت فى ٦
هذه الواقعة :

سلطاننا عزل القضـــاة لحادث قد شاع فى مصر وعمّ الأسْمِعَه
مُذ خالفوه وحاودوا عن أمره نفذ القضا فيهم بعزل الأربعَه ٩

ولم يتفق قط أن القضاة الأربعة يُعزلون كلهم فى يوم واحد إلا فى هذه
الواقعة التى جرت فعُدّ ذلك من الوقائع الغريبة . — ولما كان يوم الجمعة ثانيه
أرسل السلطان يقول للقاضي كاتب السر : ابصر لنا من يخطب ويصلى بنا صلاة ١٢
الجمعة ، فذكر له الشيخ علاى الدين الإخميمى الشهير بالنقيب ، وكان يخطب فى جامع
الشيخ عبد القادر الدشطوطى ، وكان علاّمة فى الخطب والقراءة فى المحراب ،
فلما ذُكر للسلطان قال : أعرفه ، وكان تقدّم للشيخ علاى الدين أنه خطب بالسلطان ١٥
قبل ذلك عدة مرار فى أيام قاضى القضاة ابن أبى شريف وفى أيام قاضى القضاة
ابن فرفور ، وكان الشيخ علاى الدين (١٩٤ ب) له شهرة طائلة عند الأتراك ،
وكان علاّمة فى الرمى بالنشاب عارفا به وكان له اليد الطولى فى ذلك ، وكان ١٨
عارفا باللغة التركية ، وقد حوى كل فن من علوم شتّى وهو نادرة عصره ، فأرسل
القاضي كاتب السرّ خلف الشيخ علاى الدين فتوجه إليـــه الحاج على الأسمر
البرددار ، فقال له : القاضي يقول لك اطلع واخطب بالسلطان ، وكان يومئذ علاّمة ٢١
عصره فى أمر الخطبة ، فقيل إن الشيخ علاى الدين لما أراد أن يطلع يخطب
بالسلطان توجه إلى قاضى القضاة كمال الدين الطويل واستأذنه فى ذلك قبل أن

---

(١٨) الطولى : الطوله .

يطلع ، فقال له : اطلع واخطب على بركة الله تعالى ، فطلع فى ذلك اليوم وخطب
بالسلطان فترشح أمره بأن يلى القضاء ، وكان ذلك من الأمور الربانية والسرّ
٣ المكنون ، وقيل فى أمثال الصادح والباغم فى المعنى :

الرزق بالحظ وبالتقـــدير وليس بالسعى ولا التدبير

ومنه :

٦ تنال بالرفق وبالتأنى ما لم تنل بالحرص والتعنّى

وفى يوم الثلاثاء سادسه رسم السلطان بتوسيط مملوك من مماليكه وقد قتل
قتيلا ، فلما عرضوه على السلطان أراد ضربه بين يديه فتعترس قدّام السلطان
٩ فحنق منه فرسم بتوسيطه ، فوسّطوه فى الرملة . — وفى يوم الأربعاء سابعه
كانت كاينة نور الدين المشالى والامرأة ، وذلك أن السلطان رسم بشنقهما ، فأمر
يحيى (١٩٥ آ) بن نُكار بأن يتوجّه إلى دار الشيخ برهان الدين بن أبى
١٢ شريف وينصب على بابه مشنقة ، وكان ساكنا فى بيت أبى البقا بن الجيعان
فى حارة أولاد الجيعان ، وكان السلطان تقصّد ذلك عمدا بسبب المقت فى حقّ ابن
أبى شريف لكونه أفتى بأمر الرجوع فاشتدّ غضب السلطان عليه بسبب ذلك ،
١٥ وأشيع بنفيه إلى القدس بطّالا ، فلما توجّه يحيى بن نُكار دوادار الوالى إلى بيت ابن
أبى شريف ونصب المشنقة على بابه فظنّوا عياله أن الشيخ هو الذى يُشنق
فقاموا بالصُراخ واللطم والبكاء ، ثم أسفرت القضية على شنق نور الدين المشالى
١٨ والامرأة ، فنصبوا لهما مشنقة على باب ابن أبى شريف وأحضروا نور الدين المشالى
من المقشرة وأحضروا الامرأة من الحجرة وشنقوهما على باب ابن أبى شريف ،
ورسم السلطان بأن يُشنقا فى حبل واحد ويجعلوا وجه الرجل فى وجه الامرأة
٢١ فصُلبت الامرأة وهى بإزارها وعليها أثوابها مسبولة ، فلما شُنقوا جاءوا الناس
أفواجا أفواجا يتفرّجون عليهما من كلّ فجّ عميق ، وقد قلت فى هذه الواقعة :

لقد صلب السلطان من كان زانيا وأظهر فى أحكامه مَسْلكا صعبا
٢٤ فقلت لأرباب الفسوق تأدّبوا فحدّ الزنا قد صار فى عصرنا صلبا

(١٩٥ ب) وفى ذلك يقول الأديب محمد بن الصايغ :

أيا لهما من عاشقَيْن عليهما قضى من قضى بالموت حتما وأُشْنقا
فقلبيْهما عند الحيــاة تألّفا وجسميْهما عند الممات تعلّقا ٣
ببعضِهما متعلقان أولَمْ يكن لجسميْهما روحان كانا تعانقا

وقد تقدم للأشرف قايتباى أنه صلب جارية بيضاء جركسية من جوار حريمه وقد حملت من بعض مماليكه فى طريق الحجاز ، فلما وضعت ذلك الجنين قتلته من ٦ خوفها ، فلما بلغ السلطان ذلك شنقها لكونها قتلت قتيلا ، فصلبها فى طريق حدرة ابن قُمَيْحة عند درب نُكار على شجرة عند الأحواض ، فصُلبت بإزارها ، وأما المملوك خصاه وقطع محاشمه ، فَعُدّ ذلك من النوادر . — فأقام نور الدين المشالى ٩ والامرأة التى زنى بها يومان لم يدفنا ثم شاوروا السلطان فى دفنهما فأذن فى ذلك ، وكان لهما يوم مهول . — وفى ذلك اليوم أرسل السلطان يقول لناظر الخاص اطلع غدا معك بأربعة تشاريف لأجل القضاة الأربعة . — فلما كان يوم الخميس ثامن هذا ١٢ الشهر طلب السلطان القضاة الذين عزم على ولايتهم فحضر الشيخ علاى الدين ابن الشيخ جلال الدين الإخميمى النقيب والشيخ شمس الدين السمديسى إمام مدرسته ومؤدّب ولده والشيخ جلال الدين عبد الرحمن (١٩٦ آ) بن الشيخ زين الدين ١٥ قاسم بن قاسم والشيخ شهاب الدين أحمد بن عز الدين عبد العزيز الفتوحى الشهير بابن النجار ، فلما حضروا أفاض عليهم التشاريف وأحضر لهم أربعة بغال مكفّية بالعدد الفاخرة ، فقرّر الشيخ علاى الإخميمى فى قضاء الشافعية عوضا عن القاضى ١٨ كمال الدين الطويل بحكم انفصاله عن القضاء ، وقرّر الشيخ شمس الدين السمديسى فى قضاء الحنفية عوضا عن القاضى عبد البرّ بن الشحنة بحكم انفصاله عن القضاء ، وقرّر الشيخ جلال الدين بن قاسم فى قضاء المالكية عوضا عن محيي الدين يحيي ٢١ ابن الدميرى بحكم انفصاله عن القضاء ، وقرّر الشيخ شهاب الدين الفتوحى فى قضاء

(٦) الجنين : الجنس .

الحنابلة عوضا عن عز الدين الشيشيني بحكم انفصاله عن القضاء ، فأخلع السلطان
على الأربعة قضاة فى ساعة واحدة حتى عُد ذلك من النوادر الغريبة ، فلما
٣ نزلوا من القلعة تلقاهم جماعة النوّاب من الأربعة مذاهب فكانوا نحوا من
ثلاثمائة نائب ، فرجّت لهم القاهرة . — وفى القاضى علاى الدين الإخميمى يقول
الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

٦ قاضى القضاة علاى الدين أنت لها كفوٌ لتنفيذ أحكام بأحكام
خليفة الشافعى فى الحكم صرت فَدُم (١٩٦ب) جبرا إذا لاح كسر الدين كلام

يعنى كالمرهم فى ذلك اليوم ، وكان يوما مشهوداً ، فشقّوا من القاهرة فى موكب
٩ حافل ، وكان قدامهم العلاى ناظر الخاص وجماعة من أعيان الناس ، فاستمرّوا
فى هذا الموكب حتى نزلوا بالمدرسة الصالحية النجمية كما جرت به العادة ، فاصطفّت
لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ولاقتهم الرسل مشاة يقولون : الدعا لمولانا
١٢ السلطان بالنصر أدام الله أيامه ، ولم يقع قط فيما تقدم من الدول الماضية أن السلطان
ولّى القضاة الأربعة فى يوم واحد ، فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة التى لم يُسمع
بمثلها قط ، وقد وقع فى أيام الظاهر خشقدم أنه ولّى قاضى القضاة صلاح الدين المكينى
١٥ عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى وولّى قاضى القضاة برهان الدين
الدميرى عوضا عن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى فنزلوا من القلعة
وعليهما التشاريف فى يوم واحد ، فعدّوا ذلك من النوادر الغريبة فلا سيما بولاية
١٨ هؤلاء الأربعة فى يوم واحد ، وأعجب من هذا أن السلطان لم يأخذ من هؤلاء
القضاة الذين تولّوا ولا الدرهم الفرد ، وقد فاته فى ولاية هؤلاء القضاة الأربعة نحو
اثنى عشر ألف (١٩٧ آ) دينار ، فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة ولا سيما من
٢١ الأشرف الغورى ، فكانت ولايتهم على وجه العز والإقبال من غير
سعى ولا كلفة بخلاف ما وقع لغيرهم من القضاة فيما تقدم ، فعُدّ لهم ذلك من

(٦ و ٧) انظر هذين البيتين مرة أخرى فيما يلى صفحة ٣٥٣ .

جملة السعد ، وقد قلت فى هذه الواقعة هذه الأبيات :

إمام الورى ولّى قضاة لشرعنا فهم أربعٌ وهى البدور الطوالع
فنهم علاى الدين قاض معظّم بدا نوره بين الورى [وهو] ساطع ٣
ومنهم إمامٌ جيّد شاع زُهده على مذهب النعمان لله طائع
ومنهم عريق الأصل من نسل قاسم أتى مالكىّ للمُوَطّأ تابع
ومنهم فقيه تابع لابن حنبل أتته فتوح العلم أولاه صانع ٦
بهم بنية الإسلام صحّت وكيف لا تصِحُّ وهم أركانها والطبائع
فلا عجب إن وسّع الله فى الهدى مذاهبنا بالعلم فالشرع واسع

وكان السلطان لما ولّى هؤلاء القضاة قرّر معهم بأن يُخفّفوا من نوّابهم . — فلما ٩
كان يوم الجمعة طلع القاضى علاى الدين وخطب بالسلطان ، فلما انتهى أمر الصلاة
عرضوا على السلطان قوائم باسماء النوّاب من الأربعة مذاهب ، فرسم للقضاة الأربعة
بمائة نائب للقاضى الشافعى أربعين نائبا (١٩٧ ب) وللقاضى الحنفى ثلاثين نائبا ١٢
وللقاضى المالكى عشرين نائبا وللقاضى الحنبلى عشرة نوّاب ، وقرّر معهم أن لا يولوا
أحدا من النوّاب إلا بإذنه ، فانفصل المجلس على ذلك . — وفى يوم السبت عاشره
نزل السلطان من القلعة وأشيع سفره إلى وادى العبّاسة ، فلما نزل توجّه إلى قبة ١٥
يشبك التى بالمطرية فبات بها ، وكان صحبته الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء
المقدمين قاطبة ، خلا أمير آخور كبير وطقطباى نائب القلعة وخاير بيك الخازندار ،
فكان معه الجمّ الغفير من الأمراء الطبلخانات والعشرات والخاصكية ، فرجّت ١٨
لهم القاهرة فى ذلك اليوم ، فأقام السلطان فى قبة يشبك إلى يوم الأحد فرحل
من هناك هو والأمراء قاطبة ، وكان صحبته من البرق والسنيح ما يعادل سفر
البلاد الشامية . ٢١

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره توجّـه قاضى القضاة الشافعى علاى الدين
الإخميمى إلى درس المدرسة الصالحية النجمية ، وهو أول حضوره إلى الدرس ،
فتصدّر للتدريس بها فأبدى فوائد كثيرة وقواعد جليلة مع الفصاحة وحسن ٢٤

التأدية ، فقال فى ذلك صاحبنا الشيخ شمس الدين أبو اليُمن السنهورى وأجاد فى ذلك حيث قال :

٣ لدرس الصالحية جئتُ حبًّا إلى قاضى القضاة أبِى العلاى
علاى الدين الإخميمى فأبدى قواعدا من علوم مـع ثناء
ولا عَجَب لما أبدى فإن الـ قواعد من تآليف العـلاى

٦ وقال الناصرى محمد بن قانصوه :
قاضى القضاة (١٩٨ آ) علاى الدين أنت لها كفوٌ لتنفيذ أحكام بأحكام
خليفة الشافعى فى الحكم ضرت قَدَمْ جبرا إذا لاح كسر الدين كلاّم

٩ ولما تمّ أمر القاضى علاى الدين فى القضاء جاء على الوضع وافرَ الحُرمة نافذ الكلمة وله يد طائلة فى معرفة أمور القضاء ، فكان كفوًا لذلك ، وكان ديّنا خيرا ما عُهد له صبوة قط ، مُطرح النفس عفيفاً عن الرشوة من حين كان

١٢ نائباً وإلى أن بقى قاضى القضاة ، فهو من أهل الفضل والدين ، ثم إنه قرّر الشيخ محلى بأن يتولى أمور بابه بما يَردُ عليه من الفتاوى وغير ذلك . — وفى يوم الثلاثاء المقدم ذكره كانت وفاة الأمير جانم السيفى قانى باى الفهلوان الذى كان دوادار

١٥ الأمير يشبك من مهدى الدوادار ، وجانم هذا هو الذى أنشأ المدرسة اللطيفة التى تجاه جامع قوصون ، وكان ديّنا خيرا لا بأس به ، وكان قد كبر وطعن فى السنّ . — وفيه حضر سيف تمراز نائب قلعة حلب ، وكان تولى نيابة قلعة البيرة

١٨ وعينتاب . — وفيه جاءت الأخبار من البحيرة (١٩٨ ب) بوفاة الجُويلى شيخ مشايخ عربان البحيرة ، وكان محمود السيرة فى اقماء لطرد العربان المفسدين عن البلاد ، وكان فى سعة من المال ، فلما مات تقرّر بعده ابن أخيه فى مشيخة البحيرة —

٢١ وفى يوم الخميس خامس عشره فُرقت الجامكية فى غيبة السلطان ، فحضر الأمير طقطباى نائب القلعة والأمير خاير بيك الخازندار وشمس الدين بن عوض وكتّاب

(٦ — ٨) وقال . . . كلاّم : جاءت فى الأصل بعد « وأجاد فى ذلك » فى سطر ١

(١٩) اقماء : كذا فى الأصل .

المماليك ، وفُرِّقت الجامكية على العسكر وحصل السداد فى غيبة السلطان . — وفى يوم الجمعة سادس عشره كان السلطان مسافرا ، فلم يطلع القاضى الشافعى فى ذلك اليوم ولم يصلّ بالقلعة بل صلى فى جامع الشيخ عبد القادر الدشطوطى ، ولم يخطب ٣ هو به فى ذلك اليوم — وفى يوم السبت سابع عشره عاد السلطان من تلك السرحة وقد وصل إلى العكرشا ثم عاد ، فكانت مدّة غيبته فى هذه السرحة ثمانية أيام ، وقد تكلّفت الأمراء كلفة زائدة ، وكان أشيع أنه يسرح فى البلاد الشرقية ويتوجه ٦ إلى وادى العبّاسة فلم يصحّ ذلك ، ولما رجع نزل بالوطاق بالريدانية وبات به ليلة الأحد وأحرق هناك إحراقة نفط ، فلما كان يوم الأحد أوكب السلطان من هناك ودخل من باب النصر وشقّ من القاهرة (١٩٩ آ) ولبس التخفيفة الناعورة ، ٩ وركب قدّامه الأمراء قاطبة والمباشرين ولاقته القضاة الأربعة من رأس الحسينة ، ولم تكن هذه عادة أن السلطان إذا خرج وشوّط تلاقيه القضاة الأربعة ولكن عملوا ذلك خدمة له كونهم تولّوا جدد ، فشقّ من القاهرة فى موكب حافل ، وكان ١٢ له يوم مشهود ، على حكم الموكب المقدّم ذكره قبل ذلك ، وقد انشرح فى هذه السفرة وتصيّد ودخل عليه تقادم كثيرة من كاشف الشرقية وشيخ العرب ، من خيول وبقر وغنم وغير ذلك ، ولكن حصل للمقطعين غاية الضرر وقد أفرد ١٥ الكاشف وشيخ العرب على البلاد خيولا وأغناما وأبقارا ومبلغا ، وحصل بسبب ذلك ما لا خير فيه ، وكان السلطان أخذ معه محفّة على أنه يتوجّه من هناك إلى السويس ، فلم يتمّ له ذلك ورجع عن قريب . — وفيه كانت وفاة الزينى فرج ١٨ أحد الأمراء المقدمين الألوف ابن بُرْد بيك أحد الحجّاب ورأس باش البريدية ، وكان من أعيان أولاد الناس ، وكان رئيسا حشما من ذوى العقول ، وقاسى فى أواخر عمره شدائد ومحنا وصودر وأقام فى الترسيم مدّة طويلة ، وباع جميع ما يملكه ، ٢١ وكان شاخ وكبر سنّه (١٩٩ ب) وجاوز الثمانين سنة من العمر . — وفى يوم الاثنين سادس عشرينه توفيت نور كلدى الجركسية زوجة الأمير خاير بيك أحد المقدمين الذى كان كاشف الغربية ، وهى بنت أخت خوند الجركسية قرابة الملك ٢٤

الظاهر جقمق ، وكانت شابّة جميلة حسنة ، فكان لها مشهد حافل ، ومشت قدّامها
الأمراء قاطبة ، وصُلّى عليها فى سبيل المؤمنى ، انتهى ذلك .
٣ وفى ذى الحجة كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فصعد الخليفة للتهنئة بالشهر ،
وصعدت القضاة الأربعة الذين تولّوا جدد ، فجلس كلّ منهم فى منزلته على العادة ،
وكان السـلطان فى الميدان . — وفى يوم الاثنين رابعه رسم السلطان لنقيب
٦ الجيش بأن يقبض على أولاد الزنكلونى الذى مات تحت الضرب ، فشكّهما
فى الحديد ، ورسم له السلطان بأن يرسلهما إلى جهة الواح فى مكان يسمّى مُوط
وهو كثير العقارب والهوام ، فقبض عليهما وأرسل صحبتهما متسفرا وأخذ منهما
٩ خمسة عشر دينارا ، وقد كفى ما جرى عليهم . — وفى يوم الأحد كان
عيد النحر ، وكانت الأضْحية مشتطة فى السعر ولا توجد بسبب أذى المماليك
وخطفهم للأغنام والأبقار ، وأعجب من هذا أن الملح حرّج السلطان على بيعه
١٢ وحكره ، (٢٠٠ آ) فعزّ وجود الملح حتى أبيع كل أردب ملح بثمانمائة درهم ،
وهذا قط ما اتفق فيما مضى من السنين ، وعزّ وجود الفحم حتى أبيع كل قنطار
بثمانية أنصاف ، وكذلك الشعشاع حتى عُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، وكان
١٥ السلطان حرّج على بيع الخشب السنط بسبب عمارة المراكب ، وصاروا يقطعون
أشجار الناس من الغيطان غصبا باليد ويرسلونه إلى السويس لأجل عمارة
المراكب التى هناك ، وعزّ الكبريت أيضا حتى أبيع كلّ رطل بثمانية أنصاف
١٨ ولا يوجد إلا قليلا - وفى يوم السبت سادس عشره نزل السلطان باكر
النهار وعدّى إلى برّ الجيزة ، وكان صحبته الأتابكى سودون العجمى وبقية
الأمراء المقدمين قاطبة والأمراء الطبلخانات والعشرات والجمّ الغفير من الخاصكية
٢١ والمماليك السلطانية ، فنصب له وطاقا فى المنية وأشيع بين الناس أنه يتوجّه من
هناك إلى جهة الفيوم حتى يكشف على الجسر الذى عمره الأمير أرزمك الناشف ،
وكان تقدم له أنه فى أواخر السنة الخالية توجّه أيضا إلى الفيوم ، ثم إن السلطان

---

(٩) الأحد : آحد . (١٧) المراكب التى هناك : كتبت فى الأصل بعد « إلا قليلا » فى السطر التالى .

أخذ صحبته محفة فتحقق عند الناس أنه لا بدّ أن يشوّط من هناك إلى مكان
يختاره . — وفى يوم الاثنين (٢٠٠ ب) ثامن عشره نُفقت الجامكية على العسكر
فى غياب السلطان . — وفى أثناء هذا الشهر قُتل شخص من المماليك السلطانية ٣
يقال له برسباى حُداية ، وكان أصله من مماليك الظاهر خشقدم ، فوجدوه مذبوحا
فى داره هو وعبده ولا يعلم مَن قتله ، ويقال إن بعض المماليك الأجلاب قتله
لأجل إقطاعه ، وكان غير مشكور السيرة . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره جاءت ٦
الأخبار بأن السلطان لما توجه إلى برّ الجيزة نزل بالمنية التى عند إنبابة ، ثم توجه
من هناك إلى المنصورية ونصب بها الوطاق هو والأمراء وأقام بها أياما ، وصار
يركب من هناك ويسيّر ويتصيّد ، وقيل إنه توجه إلى جسر أمّ دينار وكشف ٩
عليه ثم رجع إلى الوطاق . — ثم إنه فى يوم الجمعة رحل من المنصورية وعاد إلى
إنبابة فأقام بها ذلك اليوم ، وكان أشيع بين الناس بأن السلطان يحرق هناك فى ليلة
السبت إحراقة نفط ، فتوجهت إليه الناس أفواجا أفواجا بسبب الفرجة فلم يصحّ ١٢
أمر النفط هناك ، وقد استخف عقل السلطان جماعة من الأمراء فى هذه التشوطة
التى شوّطها فى هذه الأيام الشاتية ، وقد حصل للأمراء والعسكر غاية الكلفة
والمشقّة من غير سبب يوجب ذلك ، وكان السلطان أخذ صحبته محفة وقويت ١٥
الإشاعة بين الناس (٢٠١ آ) بأن السلطان يتوجّه من هناك إلى الفيوم وقيل
إلى ثغر الإسكندرية فلم يصحّ ذلك . — فلما كان يوم السبت ثالث عشرينه صلى
السلطان العصر بالوطاق ، ثم غدّى من هناك إلى بولاق وقصد التوجّه إلى القلعة ، ١٨
فطلع من على قناطر السباع وشقّ من الصليبة ، وكان فى موكب هيّن بخلاف
ستة أنفس وهم : الأمير طومان باى الدوادار والأمير علان الدوادار الثانى أحد
المقدمين والأمير أنصباى حاجب الحجّاب والأمير تمر أحد المقدمين والأمير ٢١
خاير بيك الكاشف أحد المقدمين والأمير ماماى جوشن أحد المقدمين وبعض
أمراء عشرات وبعض خاصكية مشاة ، وكان قدامه جماعة من أرباب الوظائف من

أعيان المباشرين ، خلا القاضى كاتم السرّ ابن أجا فإنه كان عليلا منقطعا عن الركوب ،
وكان السلطان والأمراء بتخافيف صغار وسلاريات صوف بصمور ، وكان قدام
٣ السلطان بعض جنائب ونوب هجن ، وكان قدامه طبلان وزمران والنفير البرغشى
فطلع إلى القلعة قبل المغرب بخمس درجات ، فكانت مدّة غيبته فى هذه التشوطة
ثمانية أيام . — وفى يوم السبت المقدم ذكره حضر مبشّر الحاج وأخبر بالأمن
٦ والسلامة ، وقد وصل من مكة إلى (٢٠١ ب) القاهرة فى أحد عشر يوما فعُدّ
ذلك من النوادر ، انتهى ذلك . — وقد خرجت هذه السنة المباركة عن الناس
على خير وسلامة ، وكانت سنة مباركة وقع فيها الرخاء فى سائر الغلال ، وأخصب
٩ فيها الزرع والفواكه والبطّيخ ، وكان النيل فيها عاليا وثبت إلى أواخر بابه ، وكانت
سنة مباركة غير أنها كانت كثيرة الحوادث ، ووقع فيها الطاعون فى أوائلها ،
وحصل فيها توعّك للسلطان فى عينه حتى أشرف على العماء ثم شُفى من ذلك ،
١٢ وحصل فيها عزل للقضاة الأربعة فى يوم واحد وولى السلطان أربعة قضاة
عوضهم فى يوم واحد ، وكان السلطان أبطل المجامعة والمشاهرة التى كانت تؤخذ
من جهات الحسبة ففرحوا الناس بذلك ، ثم بدا للسلطان بإعادة ما أبطله من وجوه
١٥ المظالم فشقّ على الناس ذلك ، وكانت جهات الشرقية والغربية فى غاية الاضطراب
بسبب فساد العربان لموت الجويلى وجور الكشّاف ومشايخ العربان ، والأمر فى
ذلك كله إلى الله تعالى .

١٨ ثم دخلت سنة عشرين وتسعمائة

فيها فى المحرم كان مستهلّ الشهر يوم الأحد المبارك ، فكان الخليفة يومئذ
الإمام المتوكل على الله محمد بن الإمام المستمسك بالله يعقوب بن الإمام المتوكل
٢١ على الله عبد العزيز ، وسلطان الديار المصرية (٢٠٢ آ) الملك الأشرف أبو النصر
قانصوه الغورى عزّ نصره ، وأما القضاة الأربعة أئمة الدين فالقاضى الشافعى
علاى الدين الإخميمى والقاضى الحنفى شمس الدين بن النقيب محمد السمديسى

الإمام والقاضى المالكى جلال الدين عبد الرحمن ابن الشيخ زين الدين قاسم بن قاسم والقاضى الحنبلى شهاب الدين أحمد الفتوحى الشهير بابن النجار ، وأما الأمراء المقدمون فالأمير سودون من جانى بيك الشهير بالعجمى أتابك العساكر ٣ بالديار المصرية والأمير أركماس من ولىّ الدين أمير مجلس ، وكانت أمرة السلاح يومئذ شاغرة ، وبقيّة الأمراء المقدمين على حكم ما ذكر فى السنة الخالية ، وفى هذه السنة تكاملت عدّة الأمراء المقدمين سبعة وعشرين مقدم ألف ، ويأتى الكلام على ٦ أسمائهم فى مواضعه ، وذلك خارجا عن أمرة السلاح فإنها كانت شاغرة . — وأما أرباب الوظائف من المباشرين فالقاضى بدر الدين محمود بن أجا الحلبى صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وبقيّة المباشرين على حكم ما تقدم ذكره فى السنة ٩ الخالية . — فلما كان مستهلّ الشهر طلع الخليفة والقضاء الأربعة للتهنئة بالعام الجديد، فبالغ السلطان فى إكرامهم وقام إليهم فسلّموا ونزلوا إلى دورهم . — وفى يوم الثلاثاء ثالثه جلس السلطان بالميدان وعيّن إلى خاصكيته خوذا (٢٠٢ ب) ولبوس ١٢ خيل من خاصات البركستوانات، وقبل ذلك بمدّة فرّق عليهم سيوفا مسقّطة بفضة وزرديات عال ، حتى فرّق عليهم التراكيش والقسىّ وقد اعتنى بهم بخلاف من تقدّمه من الملوك ، فإنه كان ينعم عليهم فى الباطن والظاهر بالمال والإقطاعات ١٥ والقماش الفاخر وغير ذلك . — وفى يوم الأربعاء رابعه وُجد فى سوق الغنم شخص من المماليك القرانصة وهو قتيل ، وقد خُنق بوتر فى رقبته وعرّوه من أثوابه وأرموه على قارعة الطريق ولم يُعلم من قتله ، فقيل إن ذلك من فعل المماليك ١٨ الأجلاب بسبب إقطاعه وقد فعلوا مثل ذلك بجماعة كثيرة من المماليك القرانصة بسبب إقطاعاتهم ، فقُتلوا ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وقد اضطربت الأحوال فى هذه الأيام إلى الغاية وصارت المماليك يقتلون من يلوح لهم عليه مضرب لأجل ٢١ إقطاعه ، وإذا عرضوا من يقتل على السلطان فيتغافل عن ذلك ، والأمر إلى الله تعالى . — وفى يوم الخميس خامسه تغيّر خاطر السلطان على الأمير جانى بيك

(١٦) والقماش : والقماس .

الأستادار فقبض عليه وأودعه فى الترسيم حتى يقيم الحساب ، فانتدب إلى عمل
حسـابه شمس الدين بن عوض والشرفى يونس النابلسى الذى كان أستادارا ،
٣ فالتزموا بأن يبقوا عليه فى (٢٠٣ آ) حساب الديوان المفرد خمسة وثلاثين ألف
دينار ، فاستمرّ فى الترسيم بالقلعة حتى يكون من أمره ما يكون ، وكان جانى بيك
ظالما عسوفا غير محبّب للناس ، فلم يرثِ له أحد فى هذه الكائنة التى وقعت له . —
٦ وفى يوم السبت سابعه تعطل اللحم الذى كان يطلع إلى طباق المماليك الأجلاب
فضجّوا فى ذلك اليوم وكادت أن تقع فتنة كبيرة ، وكان الوزير يوسف البدرى
مسافرا فى جهة البحيرة وديوان الدولة فى غاية الاضطراب ، وقد تعطّلت لحوم
٩ جماعة من المماليك القراصنة نحوا من ستة أشهر لم تصرف لهم من حين عُزل
المعلم على الصغير ومات عقيب ذلك ، فكثر الكلام فى حقّ السلطان من المماليك
وربما ينتشى من ذلك فتنة ، وكان فى تلك الأيام ديوان المفرد وديوان الدولة
١٢ وديوان الخاصّ فى غاية الانشحات والتعطيل ، فإن بندر الإسكندرية خراب
ولم تدخل إليه القطائع فى السنة الحالية ، وبندر جدّة خراب بسبب تعبّث الفرنج على
التجّار فى بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جدّة نحوا من ست
١٥ سنين ، وكذلك جهة دمياط ، وكانت جهة البحيرة فى هذه الأيام فى غاية الاضطراب
بسبب فساد العربان من حين مات الجولى وولى ابن أخيه عوضه . — وفى يوم
السبت المذكور نزل السلطان وتوجه إلى قبة الأمير يشبك (٢٠٣ ب) التى
١٨ بالمطرية وأقام بها ذلك اليوم ، كل هذا من ضيقة حضيرته من أجل هذه الأحوال
التى هى غير صالحة ، والأمر إلى الله . — وفى يوم الأربعاء حادى عشره جلس
السلطان بالحوش وعرض جماعة من خاصكيته فقط وفرّق عليهم خوذا نحو ثمانمائة
٢١ خوذة ، وفرّق عليهم أيضا بركستوانات ما بين مخمل ملوّن وفولاذ وذلك نحو
ستمائة بركستوان ، وكان قبل ذلك بمدة يسيرة فرّق عليهم زرديات وأتراسا ورماحا
بسنّ وسيوفا مسقّطة بفضّة وفرّق عليهم أيضا تراكيش وقسيّا ونشابا ، وكان

---

(٨) لحوم : نحوه . (١٢) بندر : بعد . (١٣) القطائع : كذا فى الأصل ، ولعله يقصد « البضائع » . (١٩) غير صالحة : وغير صالحة .

ذلك بالزردخاناه من مواجيد المماليك الذين ماتوا فى الفصل فى السنة الخالية ، ولم
يفرّق موجودهم إلا فى هذا الشهر . — وفى يوم الاثنين سادس عشره نفق
السلطان الجامكية على العسكر ، وفى هذا الشهر حسُن ببال السلطان أن يضيف ٣
الطبقة الخامسة التى جدّدها برسم العسكر الملفّق ، فوزّع ذلك العسكر على الطباق
الأربع كما كانوا فى الأول ، وأبطل أمر الطبقة الخامسة ، وصار العسكر شيئا واحدا
فى تفرقة الجامكية . — وفى يوم الخميس تاسع عشره دخل الحاج إلى بركة ٦
الحاج ، فدخل الركب الأول وقد جدّ فى السير أمير الحاج طومان باى حاجب ثانى
فخرق (٢٠٤ آ) العوائد فى دخوله فى التاسع عشر من المحرم ، فدخل القاهرة
وطلع إلى القاعة فى يوم الجمعة عشرينه ، فأخلع عليه السلطان وشكره على ذلك . — ٩
وفى يوم السبت حادى عشرينه دخل المحمل الشريف إلى القاهرة وطلع أمير
ركب المحمل الأمير قانصوه كرت أحد الأمراء المقدمين ، فأخلع عليه السلطان
خلعة سنية ونزل إلى داره فى موكب حافل ، ورجعا والحجّاج راضية عنهما فيما ١٢
فعلاه فى طريق الحجاز ، وفى هذه السنة رجع من الحجاز القاضى شمس الدين
التتاى المالكى أحد النواب ، وكان مجاورا بمكة ثلاث سنين ، ورجع سيدى خليل
ابن عمّ الخليفة ، وكان مجاورا بمكة فرجع وهو مريض على خطة لا يعى ، فلما ١٥
توجّه إلى داره أقام بها إلى يوم الاثنين ثالث عشرينه وتوفى إلى رحمة الله تعالى ،
وهو خليل بن محمد بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله العبّاسى الهاشمى القرشى ،
وكان رئيسا حشما بهىّ المنظر شائب اللحية ، وكان فى عشر السبعين لما مات ، ١٨
فكان له جنازة حافلة ودفن على أبيه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ،
وقد كبر سنّه وشاخ ولم يل الخلافة لا هو ولا أبوه محمد ولا جدّه يعقوب ،
وكان خليل هذا طامعا بأن يلى الخلافة فلم يُقسم له ذلك وجاءه الموت على غرّة ، ٢١
(٢٠٤ ب) فمات وفى قلبه من الخلافة حسرة ، ففاته نيل الخلافة ، وعانده
الدهر فيما أمله بخلافة ، وقد قلت فى المعنى :

مات سيدى خليل بالقهر لـمّا لم ينل بالخلافة التفضيلا
وتولّى عنه الزمانُ بِرَيْب وكذا الدهر لا يراعى خليلا

٣ وكان سيدى خليل عنده رهج وخفّة وكان أهوج فى نفسه ، وقد جرى بينه وبين ابن عمّه أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب بسبب الخلافة ما لا خير فيه ، وقد تقدّم ما وقع لهما فى سنة أربع عشرة وتسعمائة فما أبقى سيدى خليل ممكنا

٦ فى أذى ابن عمّه الخليفة يعقوب ، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه ، ومات والعداوة واقعة بينهما ، وقد كفى الله الخليفة يعقوب وولده محمد المتوكل على الله شرّ خليل بصبرهما عليه ، انتهى ذلك ، وقد قيل فى المعنى :

٩ اصبر على مضض العدوّ فإنّ صـــبرك قاتـله
النار تأكل بعضهـــا إن لم تجــد ما تأكله

وفى يوم الاثنين ثالث عشرين المحرم فيه أخلع السلطان على الأمير طقطباى

١٢ نائب القلعة أحد الأمراء المقدمين وقرّره أمير حاج بركب المحمل ، وأخلع على الركنى سيدى عمر بن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق وقرّره أمير حاج بالركب الأول ، فبكى وشكى من ذلك وكان فقيرا لا يحمل حاله ذلك ، فلم يلتفت

١٥ السلطان إلى شكواه ولا رقّ له ، وقد خالف السلطان العوائد القديمة (٢٠٥ آ) فى لبس أمراء الحاج فى شهر المحرم ، وكانت العادة القديمة بأن يلبسوا بعد المولد فى شهر ربيع الأول ، فبادر السلطان وألبسهما فى هذا الشهر وعجل بذلك . —

١٨ وفى أواخر هذا الشهر جاءت الأخبار من مكة بوفاة قطلباى باش المجاورين ، فلما تحقق موته أخلع السلطان على شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له جانى بيك قرا وقرره فى باشية مكة عوضا عن قطلباى بحكم وفاته بمكة . — وفيه

٢١ أخلع السلطان على شخص من المماليك يقال له يونس وقرّره ترجمانا عوضا عن تغرى بردى الترجمان ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين تغيّر خاطر السلطان

---

(١٨) هذا الشهر : هذه السنة .

على تغرى بردى كما تقدّم ذكر ذلك ، وكان يونس هذا قبل ذلك من جملة
الزردكاشية ثم بقى نائب الترجمان ثم بقى ترجمانا كما كان تغرى بردى . — وفى
يوم الثلاثاء رابع عشرينه عرض السلطان جماعة من خاصكيته وعيّن منهم نحوا ٣
من ثلاثمائة خاصكى ليتوجهوا معه إلى السويس بصحبته ، ثم عيّن بعد ذلك جماعة
من الأمراء المقدمين ليتوجهوا صحبته إلى السويس ، فعيّن الأتابكى سودون العجمى
والأمير أركماس أمير مجلس والأمير طومان باى الدوادار قرابة السلطان ، وعيّن ٦
الأمير سودون الدواداری رأس نوبة النواب ، والأمير أنصباى حاجب الحجاب
والأمير خاير بيك كاشف (٢٠٥ ب) الغربية أحد الأمراء المقدمين والأمير
علاّن الدوادار الثانى أحد الأمراء المقدمين ، وعيّن جماعة من الأمراء الطبلخانات ٩
من أرباب الوظائف منهم مغلباى الزردكاش ، وجماعة آخرين من الأمراء
العشرات ، فلما عيّنهم شقّ عليهم سفر السلطان إلى السويس لعدم الماء والكلفة —
وفيه نزل السلطان وعدّى إلى الروضة وأقام فى خرطوم الروضة ذلك اليوم ، وكان ١٢
نهار غيم فانشرح فى ذلك اليوم ، وأحضر له الزينى بركات بن موسى هناك مآكل
فاخرة وأسمطة حافلة ، فأقام هناك إلى بعد العصر وعدّى وطلع القلعة وشقّ من الصليبة
فى نفر قلائل من الخاصكية ، وكان صحبته الأمير خاير بيك الخازندار أحد الأمراء ١٥
المقدمين وآخرون من الأمراء العشرات . — وفى يوم السبت ثامن عشره صلى
السلطان صلاة الفجر ، ونزل من القلعة فتوجه إلى الريدانيه ونزل بالوطاق الذى
نُصب هناك ، وجلس بالمخيم الشريف وخرج صحبته الأمراء المعيّنون المقدم ذكرهم ، ١٨
فأقام السلطان بالوطاق من يوم السبت إلى يوم الأربعاء ، وقد قصد التوجّه إلى نحو
السويس ليكشف على المراكب التى أنشأها هناك ، وكان صحبته من المباشرين القاضى
شهاب الدين أحمد بن الجيعان نائب كاتب السرّ وأخوه كريم الدين وأولاد الملكى ٢١
كاتب الخزانة وأبو البقا (١٠٦ آ) ناظر الاسطبل وناظر الخاص علاى الدين
وأولاد ابن فخيرة كتّاب المماليك وآخرون من أعيان المباشرين ، وأخذ السلطان

---

(١٠) وجماعة : جاءت فى الأصل بعد « فلما » فى السطر التالى .

صحبته الصنجق السلطانى والكوسات والطبول والزمور ، وأخذ صحبه محفّة بغشى
أطلس أصفر وطلبا حربيا ، ورسم للعسكر الذين صحبته بأن يأخذوا معهم اللبس
٣ الكامل من زرديات وبركستوانات وخوذ وغير ذلك من آلة السلاح، فلما تحقّق
العسكر خروج السلطان ماجت القاهرة لخروجه وتكالب العسكر على مشترى
قِرَب وبقسماط وغير ذلك من احتياج السفر ، ولم يُعهد قطّ من سلطان أنه خرج
٦ إلى السويس وسافر على هذا الوجه ، ولما كان السلطان فى الوطاق أخلع على
شخص من الأمراء العشرات يقال له جانى بيك قرا فقرره باش المجاورين بمكة ،
ولما نزل السلطان من القلعة شق من بين الترب حتّى نزل بالوطاق ، فرسم للوالى
٩ بأن يشهر المناداة فى القاهرة عن لسان السلطان بأن لا مملوكا ولا ابن ناس ولا
غلاما ولا عبدا يخرج من داره من بعد المغرب وأن لا أحدا يمشى بسلاح ولا
مملوكا يغطّى له وجه ولا يعبث على متسبّب ، فلما أشهر النداء بذلك ارتفعت
١٢ الأصوات له بالدعاء ، فصار الوالى يكرّر هذه المناداة فى القاهرة ثلاثة أيام متوالية .

وفى صفر كان مستهل الشهر (٢٠٦ ب) يوم الثلاثاء ، وكان السلطان مقيما
بالوطاق فتوجه إليه الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فبالغ السلطان فى
١٥ إكرامهم ، ولا سيما أمير المؤمنين المتوكل على الله ، فإن فى ذلك اليوم توجه أبو بكر
وأخوه أحمد أولاد سيدى خليل ابن عمّ الخليفة الذى توفى فرافعوا أمير المؤمنين
المتوكل عند السلطان بسبب المرتّب الذى كان لوالدهم خليل ، فإن الخليفة المتوكل لما
١٨ ولى الخلافة زاد فى مرتّب سيدى خليل حتّى قطع بذلك لسانه عنه ، فلما توفى سيدى
خليل قرّر الخليفة ما كان زادَه فى مرتّب سيدى خليل لولده سيدى هرون ،
فلما سمع السلطان كلام أولاد سيدى خليل تعصّب للخليفة ونهر أولاد سيدى
٢١ خليل وقال لهما : إذا زاد فى معلوم أبوكم شىء حتى قطع به لسانه عنه فلما مات
أقول له اجعل الذى زدنه لخليل من بعده لأولاده أنا أحكم عليه فى شيئه
اخرجوا عنى لا ترونى وجوهكم قط ، ثم قال : والله إن يرجع أحد منـــكما

(٧) «باش المجاورين بمكة» انظر ما سبق ذكره عن ذلك ص ٣٦١ س ١٩ و ٢٠ .

يشكو من الخليفة عندى ما يحصل له معى خير اخرجوا من وجهى نزّقتونى ،
وكان الذى بالغ فى مرافعة الخليفة أبو بكر بن سيدى خليل وأخوه أحمد ، ثم قال
لهما : كونوا كلّكم تحت طاعة ابن عمّ أبيكم ، فخرجا من بين يديه وهما يتعثّران ٣
فى أذيالهما ، ونصر الخليفة المتوكل عليهما ، وقرّر (٢٠٧ آ) الخليفة ما كان زاده
لخليل وجعله لابنه هرون ، ولم يطلع من يد أولاد خليل فى حقّ الخليفة شىء
وانتصف عليهما ، ورجع الخليفة من عند السلطان وهو فى غاية العزّ والعظمة ، ٦
ثم إن السلطان أقام بالوطاق إلى يوم الأربعاء ثانى الشهر ، فرحل من الريدانية
بعد الظهر وتوجه إلى الخانكاه فتعشّى هناك ، ثم رحل وقصد التوجه إلى نحو
السويس ، ورجع بقيّة الأمراء الذين لم يسافروا مع السلطان ، فلما رحل من ٩
الخانكاه جاءت الأخبار بأن الماء الذى حمله السلطان معه فى القرب قد فسد
جميعه من القرب كونها كانت جديدة فصار الماء أحمر كالدم ونتن ودوّد ، وكان
السلطان حمل معه نحو ثلاثة آلاف قربة ، ففسد ذلك الماء جميعه . — فلما كان ١٢
يوم الجمعة رابعه أرسل السلطان إلى الأمير خاير بيك الخازندار والزينى بركات
ابن موسى المحتسب بأن يرسلا إليه جمال السقايين بالروايا والماء ، فعند ذلك قبض
الزينى بركات بن موسى على جمال السقايين الذين بالقاهرة فاختفوا بقيّة السقّايين ١٥
واخفوا الجمال ، فعند ذلك ماجت القاهرة واضطربت لأجل منع المـــاء واشتد
عطش الناس ، وصار الأمراء والعسكر الذين بالقاهرة ينقلون المـاء فى الجرر على
ظهور الخيل والبغال ، وبقية الناس (٢٠٧ ب) ينقلون الماء بالجرر على ظهور ١٨
الحمير ، واستمرّت القاهرة أربعة أيام لم يلُح بها راوية ماء على جمل وقبض الزينى
بركات بن موسى على نحو مائة وعشرين جملا برواياها وأرسلها إلى السلطان ، فبلغ
بعد ذلك ســـعر كل قربة ماء نصفين فضة ولا توجد ، وصار الناس يشربون ٢١
من الصهاريج والآبار العذبة فى مدّة ذلك الاضطراب ، وقد قلت فى هذه الواقعة

مذ عُطّلت مصر من سَقّا يلوح بها لما أحلّ بها السلطان بلواء
وقد بقينا لفَقْد المـــاء من ظما مثل البنات العذارى نشتهى الماء

٣ وقال آخر :

سبحان من يحكُم فى خلقه بِعدْله فيهم ولو شاء بطش
خوّفهم بالجوع لم ينتهوا عذبهم من بعـــده بالعطش

٦ وفى يوم الأربعاء تاسعه جاءت الأخبار بأن السلطان عاد من السويس ونزل بىركة الحاج ، فكانت مدّة غيبته فى هذه السفرة ثمانية أيام ، وقاسى العسكر فى هذه المدّة اليسيرة غاية المشقّة ، ومات لهم عدّة بغال ووقع فيهم عطشة شديدة ، وتكلّفوا
٩ الأمراء والعسكر فى هذه السفرة كلفة كبيرة ، فلما بلغ الخليفة والقضاة الأربعة مجىء السلطان توجّهوا إليه نحو بركة الحاج وذلك فى يوم الخميس عاشر صفر ، فلما سلّموا عليه وهنّوه (٢٠٨ آ) بالسلامه بالغ فى إكرامهم ، ثم توجه إليه
١٢ الأمراء والعسكر الذين كانوا بالقاهرة فخرجوا إليه قاطبة ، ولاقاه القاضى كاتب السرّ ابن أجا وغير ذلك من الأعيان . — وكان من ملخّص أخبار هذه السفرة أن السلطان لما وصل إلى السويس كان يوم دخوله هناك يوما مشهودا ،
١٥ وطلب طلبا حافلا ما بين جنائب وهجن بأكوار زركش ، وكان صحبته محفّة والكوسات والطبول والزمور ، وكان هناك الرئيس سلمان العثمانى وجماعة من العثمانية البحّارة فقصد السلطان إظهار العظمة لأجل جماعة ابن عثمان حتى قيل
١٨ دخل العسكر إلى السويس وهو لابس آلة الحرب ، وكان جماعة ابن عثمان هناك نحوا من ألفى إنسان ، فلما وصل السلطان إلى هناك كشف على تلك الأغربة التى عمرها هناك وكانوا نحو عشرين غرابا ، فالذى انتهى منه العمل أنزلوه إلى البحر
٢١ الملح بحضرة السلطان ، وكان ذلك اليوم هناك مشهودا ، وقيل كان مصروف

(١٢) ولاقاه : ولا قضاة .

تلك الأغربة بما فيهم من مكاحل نحاس وحديد وغير ذلك من آلة السلاح فصُرف على ذلك من مال السلطان نحو أربعمائة ألف دينار وكسور على ما قيل ، وكان الرئيس سلمان العثمانى هو الشاد على عمارة تلك الأغربة وهو (٢٠٨ ب) ٣ المشار إليه فى ذلك ، فلما حضر السلطان مدّ له هناك الرئيس سلمان مَدّة حافلة فأخلع عليه السلطان كاملة مخمل أحمر بصمور وأنعم عليه بألف دينار ، وأخلع على جماعة من النجارين والحدادين والقلافطة لكل واحد خلعة سنية ، وقيل إن ٦ فى ذلك اليوم احترق جماعة من الصناع الذين يصحنون البارود فمات منهم نحو عشرين إنسانا ، وقيل إن النار تعلقت فى قلع غراب من الأغربة فأحرقته عن آخره ، فكان مصروف ذلك القلع نحو خمسمائة دينار لأن قلوع بحر الملح بخلاف ٩ قلوع بحر النيل ، وأشيع أن السلطان عبث على بعض الأمراء فأنزلهم فى الغراب الكبير الذى برسم الباش وكان به قاعة تحت المقعد الذى يجلس فيه الباش ، فرسم للأمراء بأن ينزلوا إلى تلك القاعة فنزل الأمير سـودون الدوادارى رأس ١٢ نوبة النوب والأمير أنصـباى حاجب الحجاب والأمير علان الدوادار الثانى وآخرون من الأمراء ، فلما استقرّوا بتلك القاعة طلع الأمير طومان باى الدوادار وأغلق على الأمراء باب الطابقة التى على تلك القاعة وتكاسل عنهم ساعة ؛ فظنوا ١٥ الأمراء أن السلطان قد قبض عليهم بهذه الحيلة التى (٢٠٩ آ) عملها عليهم فأقاموا والطابقة مغلوقة عليهم نحو عشر درجات فضاق الأمر عليهم وساء بهم الظن ، فعند ذلك جاء إليهم الأمير طومان باى الدوادار فقال لهم : مَن أراد أن ١٨ يطلع من الطابقة يُحضر كلّ واحد منكم قنطار سكر للسلطان ، فما صدّقوا بذلك وقالوا : السمع والطاعة ، ففتح لهم باب الطابقة فطلعوا وهم فى غاية الاضطراب ، وكانت إقامة السلطان فى السويس ثلاثة أيام ، وقد أنشأ السلطان هناك خانا ودكاكين ٢١ وبعض دور وغير ذلك من الأبنية المفيدة ، وحفر هناك آبار وصنع عليها سواقى ، فلما عاد السلطان إلى بركة الحاج أنعم على الأمراء الذين كانوا بصحبته فأنعم على

الأتابكي سودون العجمى بخمسمائة دينار فى نظير كلفته وتعبه ، وأنعم على الأمير أركماس أمير مجلس بأربعمائة دينار ، وكذلك الأمير سودون الدواداري
٣ والأمير طومان باى الدوادار والأمير أنصباى حاجب الحجاب وبقية الأمراء المقدمين ممن كان صحبته ، وأنعم على الأمراء الطبلخانات ممن كان صحبته وهم قنبك رأس نوبة ثانى ومغلباى الزردكاش (٢٠٩ ب) وآخرون من الأمراء الطبلخانات
٦ فأنعم على كلّ واحد منهم بمائة دينار فى نظير كلفته ، وأنعم على الأمراء العشرات ممن كان صحبته لكل واحد منهم بخمسين دينارا فى نظير كلفته ، ثم إن السلطان رحل من بركة الحاج ونزل بالريدانية . — فلما كان يوم السبت ثانى عشر صفر
٩ ركب السلطان من هناك ودخل من باب النصر وشقّ القاهرة فى موكب حافل بغير شاش ولا قماش ،وكان قدامه ولده المقر الناصرى محمد ، وهو لابس تبُع سلطانى ، ولا صنجق سلطانى ولا قبّة ولا طير ، فلاقاه القضاة الأربعة من الريدانية ودخلوا
١٢ القاهرة قدّامه ، ولاقاه سائر الأمراء المقدمين قاطبة والمباشرين ، وكان الأتابكى سودون العجمى ابنه ضعيف على خطّة فدخل قبل السلطان واشتغل بولده ، وكان السلطان ألبس الأمراء المقدمين الذين كانوا صحبته كوامل مخمل أحمر بصمور ،
١٥ وشىء كوامل صوف بصمور ، فلما تحققوا الناس دخول السلطان اصطفوا له على الدكاكين بسبب الفرجة ، واصطفت له الطبول والزمور على عدة دكاكين من القاهرة ، فشقّ من القاهرة وقدامه طبلان وزمران والنفير السلطانى ، وقدامه عدة نوب هجن
١٨ فيهم أربعة نوب بأكوار زركش والبقيّة بأكوار مخمل ملوّن ، وكان (٢١٠ آ) قدامه من الجنائب نحو أربعين فرسا بعضهم بكنابيش زركش وسروج مغرق ، وكان من جملة الجنائب بغال وحجورة بسروج بداوى وركب بداوى فعُدّ ذلك من النوادر ،
٢١ وكان قدامه عشر كاشات بأغطية حرير أصفر ، وكان قدامه محفّة على بغال بغشى حرير أصفر ، فلما مشى الطلب والجنائب والأمراء جاء بعدهم السلطان وقدامه الخاصكية مشاة ورؤوس النوب والشبابة السلطانية والشعراء ، وكان لابسا تخفيفة صغيرة ملساء

(٢٣) ملساء : ملس .

وعليه سلارى صوف أبيض بوجه صوف أخضر ، فشقّ القاهرة فى ذلك الموكب وكان له يوم مشهود ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء ، فطلع من على سويقة العزى من على مدرسة السلطان حسن وشقّ الرملة ثم دخل من باب ٣ الميدان بعد أن سلّم على القضاة والأمراء وانفضّ ذلك الموكب ، فكانت مدّة غيبته فى هذه السفرة ذهابا وإيابا ثمانية أيام منها إقامته فى السويس ثلاثة أيام . — وفى يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالميدان جلوسا عامّا وحكم بين ٦ الناس إلى قريب الظهر ، وكان له مدّة طويلة لم يحكم بين الناس من قبل أن يتوجه إلى السويس . — وفى ذلك اليوم رسم بتوسيط شخصين من الغلمان قد سرقوا زرديتين لأستاذ بينهما (٢١٠ ب) فى هذه السفرة ، فوسطهما فى الرملة عند سوق ٩ الخيل . — وفى يوم السبت تاسع عشره فيه ثارت فتنة كبيرة بالقلعة من المماليك الأجلاب ، ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، ونهبوا الدكاكين التى فى خرائب التتر ، ونزلوا إلى بيت الأمير طومان باى الدوادار وأركبوه من بيته غصبا وطلعوا ١٢ به إلى القلعة وقالوا له : قل للسلطان يُنفق علينا كما نفق على الأمراء الذين سافروا صحبته إلى السويس ، فاستمرت المماليك ثائرة بالقلعة وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك ، وأغلقوا باب السلسلة وباب الميدان فى ذلك اليوم ، ١٥ وكان العسكر قاطبة له أربعة أشهر لم يُصرَف لهم فيها لحم ولا عليق ، ثم إن السلطان نادى للعسكر بأن من كان له عليق مكسور أو لحم مكسور يطلع إلى القلعة يوم الاثنين فيُصرف له ذلك ، فلما كان الاثنين طلع العسكر قاطبة فلم يصرف ١٨ لهم سوى العليق فقط واستمرّ اللحم موقوفا ، وكان ديوان المفرد فى تلك الأيام فى غاية الانشحات ، والوزير يوسف البدرى مع المماليك فى غاية الذلّ وهو مهدّد منهم بالقتل فى كل يوم ، وكان السلطان أخرج عن ديوان الوزارة ٢١ عدة جهات كانوا توسعة فى الديوان منهم جهات قطيا وغير ذلك من الجهات ، فأنعم (٢١١ آ) بجهات قطيا على الأمير قانصوه روح لو واستمرّ مقيما هناك على تقدمته ، فانشحت الديوان إلى الغاية بسبب ذلك ، وكان العسكر كثيرا ٢٤

ولا سيما ما جدده السلطان من العسكر فى الطبقة الخامسة ، فانشحتت الدواوين
من الجوامك واللحوم والعليق بسبب ذلك . — وفى يوم الاثنين حادى عشرينه
٣ كان أول الخماسين وهو يوم عيد النصارى وفطر [هم] . — وفى يوم الأحد
عشرينه جلس السلطان على المصطبة التى بالحوش ، وأحضر الوزير يوسف البدرى
ومباشرى الديوان ، وأحضر المعاملين والطباخين فعملوا حسابهم بحضرة السلطان ،
٦ فظهر لهم مال له جرم منكسر فى الديوان ، فرسم على المباشرين بجامع القلعة
وأقام فى عمل حسابهم إلى بعد الظهر ، وكان ذلك اليوم فى غاية النكد ، هذا
والمماليك قائمة عند حظوظ أنفسهم ، وقد أشيع بين الناس أمر الركوب على
٩ السلطان ، وقيل إن السلطان أحضر بعد العصر جماعة من أعيان خاصكيته وعتبهم
على هذه الأفعال الشنيعة فأغلظ عليه بعض الخاصكية وقال له : أنت الذى أشْحَتَّ
الدواوين بهذا العسكر الكثير الذى جمعته وجعلتَ له طبقة خامسة وقطعتَ جوامك
١٢ الأيتام والنساء بسببهم وهم ما بين تراكمة وأعجام (٢١١ ب) وسويخانة وأساكفة
وأولاد ناس ملفّقين شىء خياط وشىء بخانق ، فقال لهم : أنا ما جعلت ذلك
العسكر المستجدّ إلا أن يكون فداء لكم فى الأسفار والتجاريد ، فقالوا له المماليك :
١٥ هذا ما كان طريقة الملك الأشرف قايتباى وأنت الذى أشْحَتَّ الدواوين حتى صار
اللحم ينكسر خمسة أشهر وكذلك العليق يُعطوه لنا من الشون قمح مسوّس ما تأكله
الخيل والجامكية التى تُعطيها لنا ما تكفانا لكراء بيت واسطبل وجامكية الغلام
١٨ ولكسوتنا والقماش كله غالى حتى الخام ما يوجد والأقسمة صارت غالية كل
جرة بنصفين فضة فما نشبع فى أيامك لا من اللحم ولا من الأقسمة ونحن جياعة
عرايا ، فسكت السلطان ساعة ثم قال : لكم الرضا أصرف لكم اللحم المكسور
٢١ وكذلك العليق أصرفه لكم شعير مغربل وأجعل لكم الأقسمة كل جرة بنصف
فضة ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وانصرفوا من بين يديه وهم شاكرون وخمدت
تلك الفتنة قليلا ، وكانت المماليك الأجلاب عوّلوا على نهب بيوت الأمراء
٢٤ والمباشرين ونهب أسواق القاهرة والدكاكين وحرق البيوت ، فلطف الله تعالى

وجاء الأمر إلى سلامة ولله الحمد ، ولو فعلوا ذلك لطلع ذلك من أيديهم وما كان تنتطح فى ذلك شاتان،ولكن الله سلم . — وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه (٢١٢ آ) طلع الجناب الشرفى يونس ولد الأتابكى سودون العجمى إلى القلعة ، فأخلع عليه ٣ السلطان كاملية مخمل أحمر بصمور من ملابيسه ، فنزل من القلعة فى موكب حافل وقدّامه سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وزُيِّنَتْ له دكاكين حارته عند قنطرة سُنقر ، وكان سبب ذلك أن الشرفى يونس كان مرض مرضاً عظيما حتى ٦ أشرف فيه على الموت،ثم بعد ذلك بعث الله تعالى له بالشفاء فشفى من ذلك العارض وطلع إلى القلعة ، وكان له يوم مشهود ، وكان قبل ذلك أنعم عليه السلطان بأمرة عشرة وصار من جملة الأمراء العشرات . — وفى ذلك اليوم نفق السلطان الجامكية ٩ على عسكر الطبقة الخامسة ، وحدث فى ذلك اليوم نادرة غريبة وهو أن المماليك الأجلاب وقفوا فى الحوش وصاروا كل من قبض الجامكية من عسكر الطبقة الخامسة يأخذون منه أشرفيا من الجامكية ويقولون له : نشرب به أقسمة ، ١٢ فيأخذون منه الأشرفى طوعا أو كرها ، فحصل لعسكر الطبقة الخامسة فى ذلك اليوم من المماليك الجلبان غاية البهدلة وما قدر السلطان على منعهم من ذلك ، وصاروا يخطفون الجامكية من يدى من يقبضها فمنهم من يأخذ منها أشرفيا ويعيد ١٥ الباقى إلى أصحابه، ومنهم [من] يأخذ الجامكية كلها ويهرب ، فأعيى أمرهم الرؤوس النوب ، وحصل (٢١٢ ب) فى ذلك اليوم غاية الضرر لعسكر الطبقة الخامسة .

وفى ربيع الأول كان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة ١٨ للتهنئة بالشهر ، واتفق فى ذلك اليوم كان أول بشنس من الشهور القبطية فوافق أن الشهر العربى والقبطى كانا فى يوم واحد ، فعُدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم الخميس ثانيه أخلع السلطان على القاضى شرف الدين الصغير وأعاده إلى نظر ٢١ الدولة وكتابة المماليك كما كان أولا ، وجعل له التكلم فى ثلث الوزارة مع يوسف البدرى المتولى للوزارة ، فتضاعفت عظمة القاضى شرف الدين الصغير

(١٢) كما كان : كان .

إلى الغاية ، وكان له مدة طويلة وهو بطّال مختفى فى داره حتى رضى عليه السلطان
وأعاده إلى وظائفه ، وقيل سعى فى ذلك بثمانية آلاف دينار وخمسة آلاف أردب
٣ شعير ، فلما أخلع عليه نزل من القلعة فى موكب حفل وقدامه أعيان المباشرين
وغير ذلك من أعيان الناس ، وكان له يوم مشهود . — وفى يوم السبت رابعه فرق
السلطان على المماليك رماحا بسبب لعب الرمح ، ثم نفق عليهم فأعطى لكل مملوك
٦ ستة أشرفية ثمن خام على جارى العادة ، وكان فى السنة الخالية لم يعطهم
شيئا ، فأعطاهم ستة أشرفية عن هذه السنة وما قبلها (٢١٣ آ) حتى يُرضيهم وهم
غير راضيون بذلك والإشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة ، وصار الناس على رؤوسهم
٩ طيرة ، ووزعوا التجار قماشهم من الدكاكين خوفا من النهب . — وفى يوم الاثنين
سادسه خرج الأمير طومان باى الدوادار الكبير إلى نحو بلاد الصعيد بسبب
ضمّ المغل وجمع الأموال ، فأخلع عليه السلطان ونزل من القلعة فى موكب حفل ،
١٢ وصحبته الأمراء المقدمون وأعيان المباشرين ، وكان ذلك اليوم مشهودا . — وفى
يوم الثلاثاء سابعه جلس السلطان على المصطبة بالحوش وفرّق على العسكر ثلاثة
أشهر عن ثمن اللحم المنكسر لهم ، فغلق لهم إلى آخر سنة تسع عشرة وتسعمائة ،
١٥ وصار لهم من أول سنة عشرين وتسعمائة ، وصار يستدعى طبقة بعد طبقة مثل
تفرقة الجامكية . — وفى يوم الجمعة عاشره قلع السلطان الصوف ولبس البياض ،
ووافق ذلك عاشر بشنس القبطى ، وكان الوقت رطبا . — وفى يوم السبت حادى
١٨ عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى ، ونصب الخيمة الكبيرة بالحوش ،
وحضر القضاة الأربعة الذين تولّوا عن قريب ، وهذا كان أول اجتماعهم فى المولد
النبوى بالقلعة ، وحضر الأتابكى سودون العجمى وبقيّة الأمراء المقدمين ، فكان
٢١ المولد فى ذلك (٢١٣ ب) اليوم حافلا . — وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من الجيزة
بأن عرب عزالة نازلين بالقرب من البدرشين ، فلما بلغ ذلك الأمير طومان باى
الدوادار ركب من وقته وكبس عليهم ، فقبض على جماعة من مشايخهم وشكّهم

---

(٨) راضيون : كذا فى الأصل .

فى الحديد ، وقيل كان عدّتهم ، غير المشايخ المذكورين من أعيانهم وكانوا نحو ثمانية عشر إنسانا ، مائة خمسة وأربعين إنسانا وبعث بهم إلى السلطان ، فلما عُرضوا
٣ على السلطان قصد أن يكلبهم على أبواب القاهرة ، فمنعه بعض الأمراء من ذلك وقال له : متى أن قتلت هؤلاء العربان نَهَبَتْ عرب عزالة إقليم الجيزة عن آخره ، فرجع عن قتلهم وأمر بسجنهم فى المقشرة . — وفى يوم الخميس سادس عشره
٦ أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له قانصوه الفقيه ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباى ، فقرره فى نيابة عينتاب ، وقيل نيابة سيس ، وكان قبل ذلك فى نيابة سيس ثم عُزل عنها ، وكان مقيما بمصر بطالا حتى أخلع عليه وولاّه
٩ كما كان . — وفى يوم الجمعة سابع عشره نزل السلطان وعدّى إلى الروضة وأقام بالمقياس وصلى هناك صلاة الجمعة ، فلما بلغ ذلك قاضى القضاة الشافعى علاى الإخميمى توجّه السلطان إلى المقياس ، فتوجّه إليه وخطب به فى جامع المقياس
١٢ وصلى به (٢١٤ آ) الجمعة هناك ، ثم إن السلطان أقام فى المقياس إلى بعد العصر ونزل فى مركب وشقّ على برّ الروضة وطلع من على الجزيرة الوسطى وأتى إلى القلعة . — وفى يوم السبت ثامن عشره فيــه ابتدأ السلطان بضرب الكرة
١٥ فى الميدان ، فطلع إليه الأمراء على جارى العادة ، ولكن كان السلطان مُخَصْتِكا فى جسده فلم يضرب الكرة إلا ضربا هيّنا حتى يقال إن السلطان ضرب الكرة فى هذه الســنة . — وفى يوم الخميس ثالث عشرينه أخلع الســلطان على
١٨ الأمير أزبك المكتحل كاملة صوف صينى بصمور ، وألبسه تخفيفة كبيرة التى يسمّونها الناعورة ، وكان من حين حضر من ثغر دمياط وهو بتخفيفة صغيرة ولم يدقّ على بابه طبلخاناه ، وكان كهيئة الطرخان ، فجبر السلطان بقلبه فى ذلك
٢١ وأخلع عليه وأعاده إلى التقدمة كما كان . — وفى ذلك اليوم المذكور حضر قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، وكان السلطان بالميدان ، فلما قُرئ

(١ — ٢) وكانوا . . . إنسانا : جاءت فى الاصل بعد « إلى السلطان » فى سطر ٢ .
(١٢) بر الروضة : بروضة . ‖ الجزيرة : جزيرة . (٢١) عليه : عليه على بابه .

على السلطان مطالعة ابن عثمان أشيع بين الناس أن ابن عثمان يقصد أن يمشى على
شاه إسمعيل الصوفى صاحب العراقين ، فأرسل يعلم السلطان بذلك وأن يكون
٣ هو والسلطان أمرا واحدا وقولا جازما على الصوفى (٢١٤ ب) حتى يكون من
أمره ما يكون . — وفى ذلك اليوم توفى الخواجا شمس الدين محمد الحلبى وكان
من أعيان التجار فى سعة من المال ، ولكن جرى عليه شدائد ومحنا فى أواخر
٦ عمره ، وصودر وأخذ ماله غير ما مرّة ، وقد تقدم القول بما وقع له مع السلطان
من المصادرات ودخوله إلى المقشرة وهو فى الحديد وأقام بها مدّة ، وكان السلطان
قصد أن يثبت عليه كفراً ويضرب عنقه وقد تقدم سبب ذلك فى موضعه ، وقد
٩ مات قهرا مما وقع له . — وفيه توفى صاحبنا أبو الفضل الذى كان متحدثا فى نظر
المواريث ، وكان ليّن الجانب عشير الناس ، وكان لا بأس به ، ومات والناس عنه
راضية . — وفى يوم السبت خامس عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعزم على
١٢ قاصد ابن عثمان وأضافه وأخلع عليه ، وأذن له بالعودة إلى بلاده وكتب له الجواب
عن مطالعته . — وفى هذه الأيام اشتد أمر الحرّ ، فأقام السلطان فى الميدان
أربعة أيام بلياليها وهو فى أرغد عيش ، وأطلق الماء فى البحرة التى بالميدان ، وصار
١٥ يمدّ السماط هناك ويأكل هو وأخصّائه فشقّ ذلك على بقية مماليكه ، فلما نزلوا
إليه بالسماط خطفوه وكسروا الصحون الصينى ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد
وقام (٢١٥ آ) من وقته وطلع إلى الدهيشة ، وكان قصده الإقامة فى الميدان إلى
١٨ يوم الجمعة فنكّدوا عليه المماليك .

وفى ربيع الآخر كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة
الأربعة وهنّوا بالشهر . — وفى يوم الاثنين رابعه حضر الأمير أرزمك الناشف
٢١ أحد المقدمين ، وكان له مدّة وهو مقيم بالفيوم بسبب عمارة الجسر الذى هناك كما
تقدم ذكر ذلك ، فلما كمل عمارته حضر إلى القاهرة فأخلع عليه السلطان كاملة
حفلة بسمور ونزل إلى داره وصحبته جماعة من الأمراء . — وفى يوم الثلاثاء

(٢ و ٣) الصوفى : الصوف .

خامسه كانت وفاة شيخنا العلامة زين الدين عبد الباسط بن الغرسى خليل بن شاهين الصفوى الحنفى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما من ذوى البيوت ، وكان من أعيان الحنفية ، وكان مولده سنة أربع وأربعين وثمانمائة فكانت مدّة حياته ٣ نحو ست وسبعين سنة ، وكان له اليد الطولى فى الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وكان له اليد الطولى فى علم الطب ، وله عدة مصنفات نفيسة منها تاريخه الكبير المسمّى بالروض الباسم ، وآخر دونه يُسمّى نيل الأمل فى ذيل ٦ الدول ، وآخر فى التوفيات على الحروف المعجم ، وآخر فى علم الطب ، وغير ذلك فى الشروحات على كتب (٢١٥ ب) الحنفية ، وكان والده الغرسى خليل من أعيان الناس ولى الوزارة بالديار المصرية وولى عدة نيابات جليلة منها نيابة حماة ٩ وصفد والقدس الشريف ونيابة الإسكندريّة وغير ذلك من النيابات الجليلة وكان فى مقام الأمراء المقدمين ، وأما الشيخ عبد الباسط رحمه الله كان صفته طويل القامة نحيف الجسد ، وكان يربى له ذوابة شعر فى رأسه على طريقة الصوفية ، وكان ١٢ له أنف وافر جدا حتى أن بعض شعراء العصر قال فيه مداعبة لطيفة وهو قوله :

أدخلتُ فى منخره أصبعى ... وقلت : ماذا العضو سمّيه
فقال لى مستعجلا : منخرى ... قلتُ : أنا يا سـيدى فيه ١٥

وكان الشيخ عبد الباسط ضنينا بنفسه وعنده يُبس طباع مع شمم زائد ، وكان معظما عند الأتراك والأمراء ، وكان عارفا باللغة التركية وفيه جملة محاسن ، وكان بقية السلف وعمدة الخلف ، وكان أصابه علّة السلّ فأقام نحو سنة ١٨ ونصف وهو عليل منقطع فى داره حتى مات رحمة الله عليه . — وفى يوم الخميس سابعه نزل السلطان وتوجّه إلى تربة العادل التى بالريدانية ، وجلس هناك على المصطبة ونصب له سحابة ، ثم جرّبوا قدامه مكاحل نحاس وحديد فكان (٢١٦ آ) ٢١ عدّتهم نحو أربع وسبعين مكحلة فصحّ منهم شىء وتفرقع شىء ، ثم إن السلطان

---

(١٨) السل : السد .

قام من هناك وتوجه إلى قبّة الأمير يشبك التى بالمطرية فأقام هناك إلى بعد
العصر ، وركب وعاد إلى القلعة وشقّ من القاهرة ودخل من باب الفتوح فى نفر
٣ قليل من العسكر ، فلما شقّ من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء وقيل إنه
فرّق فى ذلك اليوم نحو مائة دينار وكسور على الفقراء والمساكين والمغانى الذين
كانوا صحبته فى القبة ، ثم طلع إلى القلعة . — وفى يوم الاثنين حادى عشره كان
٦ آخر مُضىّ الخماسين ، وصادف أن فى ذلك اليوم كان عيد ميكائيل ونزلت النقطة
فى ليلة الاثنين ، وقد مضت الخماسين على خير ولم يقع فيها الطاعون ولم يدخل إلى
مصر ، وكانت الناس تلهج بوقوع الطاعون فى هذه السنة ويكون أمرا عظيما ،
٩ فوقع بعض طعن فى الشرقية وأقام أياما وارتفع ولم يفش أمر الطاعون بمصر . —
وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشره كانت ليلة سيّدى إسمعيل الإنبابى رضى الله عنه ،
وكانت من الليالى المشهودة وخرجت فيها الناس عن الحدّ فى القصف والفرجة ،
١٢ وضُرب فى الجزيرة التى ببولاق تجاه الرصيف فوق الخمسمائة خيمة ، وكانت
الناس فى أمن ورخاء ، وكان فى الرمل سوق حافل بدكاكين (٢١٦ ب) مبنيّة
ونقلوا إليها أفخر البضائع ، وكثر هناك البيع والشرى على المتفرجين . — وفى
١٥ يوم الخميس رابع عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أقباى الطويل أمير
آخور ثانى الذى كان توجّه قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فلما طلع وقابل
السلطان أخلع عليه كاملة حافلة بصمور ونزل فى موكب مشهود ، وحصل له جملة
١٨ تقادم عظيمة من ابن عثمان ومن النوّاب ما بين مال وخيول ومماليك وقماش وغير
ذلك . — وفيه وقعت مرافعة مهولة بين الزينى بركات بن موسى وبين أحمد بن
الصايغ ، وقصد ابن الصايغ أن يتسلم الزينى بركات بن موسى [على] ثلاثين ألف
٢١ دينار ، واستمرّت هذه المرافعة عمّالة بينهما حتى يكون من أمرهما ما سنذكره فى
موضعه . — وفيه جاءت الأخبار من مكة المشرفة بأن فى حادى عشر صفر وقع سيل
عظيم حتى دخل إلى الحرم ، ووصل الماء إلى عتبة البيت الشريف وغطى الحجر الأسود

ومقام إبراهيم ، وهدم عدة دور بمكة وغرق فيه من الناس ما لا يحصى ، وكان أمرا
من الأمور المهولة ، وتقدم القول على أن فى دولة الأشرف قايتباى وقع مثل هذا
السيل بعينه حتى عام المنبر الذى بالحرم وامتلأت بئر زمزم بالماء وكان أيضا أمرا ٣
مهولا . — وفيه رسم السلطان للشهابى أحمد ناظر الجيش (٢١٧ آ) المنفصل
بأن يطلع إلى الخدمة فى كل يوم اثنين وخميس ويقف فوق ناظر الجيش
عبد القادر القصروى ، فاستمر على ذلك مواظبا للخدمة وهو منفصل عن نظر ٦
الجيش ، ولم يعلم ما قصد السلطان بذلك . — وفى يوم الجمعة خامس عشره توفى
القاضى رضى الدين الإسحاقى أحد نواب المالكية ، وكان موته فجأة ، وكان
رئيسا حشما من أعيان الناس ، وكان لا بأس به فى نوّاب المالكية . — وفى يوم ٩
السبت سادس عشره ضرب السلطان الكرة بالميدان ، ثم بعد ذلك رسم للأمراء
بأن يتخففوا من ثيابهم ، ثم دخل هو وإياهم فى البحرة التى فى الميدان وخلى بهم
وضربوا مشورة فى أمر التجريدة ، فوقع الرأى من الأمراء بأن العسكر يخرج من ١٢
مصر ويقيم فى حلب حتى يظهر ما يكون بين ابن عثمان والصوفى من الفتن ، وأن
العسكر لا يدخل بين الفريقين حتى يبدو من أحدهما الغدر إلى عسكر مصر ،
فأقاموا عند السلطان الأمراء فى هذه المشورة إلى بعد الظهر ، وانفضّ المجلس على ١٥
ما ذكرناه من خروج العسكر من مصر ويقيم بحلب يُحصّنها من العدو حتى يكون
من هذه الفتنة التى بين ابن عثمان وبين الصوفى ما يكون ، فانفضّ المجلس على
ذلك . — وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره طلع الأمير أقباى الطويل القاصد بتقدمة ١٨
حفلة إلى (٢١٧ ب) السلطان ما بين خيول ومماليك وسلاح وقماش وغير ذلك
أشياء فاخرة ، وقيل ذهب عين ما يعلم قدره وقد اختُلف فيه . — أقول ولما
صار شمس الدين بن عوض من جملة الرؤساء لم يخرج عن طبع الفلاحين الذى رُبّى ٢١
عليه ، فكانت عمامته عمامة الفلاحين وكلامه كلام الفلاّحين كأنه فلاّح قحف
كما جاء من وراء المحراث ولم ينطلِ فى رياسته ، فكان كما يقال :

ورُبَّ قحف قد أتى لنا به الدهر غلط
سألت عنه قيل لى هذا من النخل سقط

٣ وقال آخر فى المعنى :

فقيه ريف يقولُ : إنى بَرَعْتُ فى العلم والروايه
فقلت : لا شك أنت عندى تصلح للدرس والدرايه

٦ انتهى ذلك ، وكان أصل شمس الدين بن عوض فلاّحا من فلاحين منية مَسير بالغربية ، وقيل من بانوب والله أعلم . — وفى يوم الثلاثاء المذكور بعد العصر قبض السلطان على شمس الدين بن عوض وعلى ولده الصغير فوضعوهما ٩ فى الحديد ، وكان سبب ذلك أن الأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد الأمراء المقدمين كان متحدثا على بعض بلاد فى تقسيط ابن عوض ، فحصل بينه وبين ابن عوض حظّ نفس بسبب ابن جُميل أحد مشايخ الغربية وقد شفع فيه عنده ١٢ فلم يقبل شفاعته ، فقال الأمير خاير بيك للسلطان : أنا أثبت لك فى جهة ابن عوض (٢١٨ آ) مائة وخمسين ألف دينار ، فاعتدل السلطان على ابن عوض وشكّه فى الحديد هو وولده وأرسلهما إلى بيت الأمير خاير بيك ، ثم نقلهما من بعد ذلك ١٥ إلى بيت الزينى بركات بن موسى ، وكان الزينى بركات بلغه أن ابن عوض ساعى القبض عليه فبادر إليه ابن موسى ، وأشيع بين الناس أن الزينى بركات بن موسى التزم بما قُرّر على شمس الدين بن عوض من المال وتسلّمه ونقله إلى داره ١٨ وشرع فى عقابه وضربه وعصره بالمعاصير فى أصداغه وأكعابه هو وولده وتفنّن فى عذابهما تفنينا ، فلم يردّ ابن عوض من المال الذى قُرّر عليه إلا اليسير ، وكلما زاد فى عقابهما لم يُفِده من ذلك شيئاً ، وكان شمس الدين بن عوض متكلما على ٢١ عدة جهات من البلاد ، وقبض عليه السلطان ، وابنه متكلما على كتابة الخزائن الشريفة مع مشاركة أولاد الجيعان ، وكان ابن عوض من المقرّبين عند السلطان

(٢١) السلطان : السلطانية .

فأخذ من الجانب الذى كان يأمن إليه . — وفيه غيّب أحمد بن الصايغ لما رأى السلطان مائلا إلى الزينى بركات بن موسى ولم يسمع فيه مرافعة ، فما وسعه إلا أن غيّب خوفا من ابن موسى ، وكان أحمد بن الصايغ باغيا على الزينى بركات بن موسى فإنه هو الذى ٣ أنشأه وكان برددارا عنده ، فلما راج أمر أحمد بن الصايغ صار شريكا للزينى (٢١٨ ب) بركات فى جميع جهاته التى يتكلم عليها حتى الحسبة الشريفة ، فلم يقنع بهذا كله فقصد أن يشترى الزينى بركات من السلطان بثلاثين ألف دينار فلم يوافقه السلطان ٦ على ذلك ونهره ، فخاف وغيّب واختفى مدّة يسيرة وسيظهر بعد ذلك . — وفيه فى يوم الجمعة ثانى عشرينه أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان وأذن له بالعود إلى بلاده ، وعيّن صحبته أينال باى دوادار سكين ليوجّهه إلى هناك ويكشف عن الأخبار ٩ الصحيحة ويُعلم السلطان بذلك ، وقيل إن السلطان أنعم على أينال باى بخمسمائة دينار لأجل عمل يرقه ، فخرج فى ذلك اليوم على جرائد الخيل وقرّر معه السلطان أياما معدودة ويردّ عليه الجواب عن الأخبار الصحيحة عن مشى ابن عثمان على ١٢ الصوفى ، فخرج قاصد ابن عثمان وأينال باى فى ذلك اليوم . — وفى يوم الاثنين خامس عشرينه أخلع السلطان على شخص من أولاد ابن رمضان أمير التركمان يقال له سليم بيك ، فأخلع عليه وقرّره فى أمرة التركمان عوضا عن ابن عمّه محمود ١٥ بيك فى أمرة شقرأباه . — ومن الحوادث أن شخصا خياطا يقال له نجا بن تمساح زنق صبيًّا صغيرا عمره نحو عشر سنين ، فزنقه فى بيت فى الجزيرة الوسطى (٢١٩ آ) فاستغاث الصبىّ فذبحه ذلك الخياط وأرماه فى بئر ، فلما ١٨ شاع أمره قبضت أمّ الصبى على الخياط وعرضته على السلطان فاعترف بقتل الصبى ، فرسم السلطان بشنق ذلك الخياط فى المكان الذى قتل فيه الصبى ، وقيل رسم السلطان بأن تُقطع محاشمه وتُعلّق فى عنقه وهو مشنوق ففعلوا به ذلك ، ٢١ وقد تقدم مثل هذه الواقعة لشخص طحان ورسم السلطان بأن يخوزقوه فخوزقوه

(٢) إلا أن غيب : إلا اغيب . (٩) ليوجهه : ليتوجهه . (١٦) شقرأباه : كذا فى الأصل .
(١٧) راجع طبعة إستانبول ج ٤ ص ٣٧٨ س ١٧ و ١٨ . (٢١) تقطع : تقطعت .

فى المدابغ وقد تقدم القول على ذلك . — وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه طلع ابن أبى الردّاد ببشارة النيل ، وأخذ القاع فجاءت القاعدة ستة أذرع واثنى ٣ عشر أصبعا وكانت فى العام الماضى أرجح من ذلك ، وكانت زيادته فى أول يوم خمسه أصابع . — وفى يوم الثلاثاء المذكور كانت وفاة القاضى فخر الدين والد القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة وكاتب المماليك ، وكان القاضى فخر الدين ٦ هذا من أعيان المباشرين وباشر ديوان قانى باى أمير آخور كبير وغيره من الأمراء ، وكان رئيسا حشما لا بأس به بين المباشرين .

وفى جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم السبت ، فجلس السلطان بالميدان ٩ وطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوه (٢١٩ ب) بالشهر . — وفى ذلك اليوم كان ختام ضرب الكرة وختام خصمانية لعب الرمح ، فلما انقضى ضرب الكرة طلع السلطان إلى الحوش وجلس بالمقعد الذى به ومدّ هناك للأمراء مدّة حافلة وما ١٢ أبقى ممكنا من المآكل الفاخرة ، ومد عدّة طوارى مؤنقة ما بين حلوى وفاكهة وسكر حريف وبطيخ صينى وأجبان مقلى وجُلاب وغير ذلك من المآكل ، وأحضر الأفيال الكبار والسباع والثيران والكباش برسم النطاح فتناطحوا بين يدى السلطان ، ١٥ وأقام هناك إلى بعد العصر وعنده الأمراء مجتّهدين ، وكان يوما مشهودا . — وفى يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على شخص من الأمراء العشرات يقال له ماماى الخازندار ، وأصله من مماليك السلطان ، فعيّنه بأن يتوجه إلى الشام وعيّن ١٨ صحبته الخواجا يونس العادلى ، وسبب ذلك أن السلطان قوى عزمه على أن يزوّج ولده بابنة سيباى نائب الشام فأرسل هؤلاء الذين عيّنهم بالمهر وأنهم يعقدون العقد بالشام ، فلما توجّها إلى غزّة جاءت إليهم الأخبار بأن بنت سيباى نائب الشام ٢١ التى توجّها بسببها قد توفيت إلى رحمة الله تعالى ، فأرسلا كاتبا السلطان بذلك وأن لنائب الشام بنتا أخرى صغيرة ، فأرسل السلطان (٢٢٠ آ) يقول لهما ادفعا لنائب الشام المهر الذى أرسلناه واعقدا العقد على ابنته الصغرى ، فامتثلوا ٢٤ ذلك . — وفى عقيبه أخلع السلطان على شخص يقال له إبراهيم السمرقندى وعيّن

صحبته خاصكيا ، بأن يتوجها إلى القدس والكرك فى بعض المهمّات السلطانية ، ثم بعد ذلك بطل سفرهما إلى تلك الجهات لأمر أوجب ذلك . — وفى يوم الخميس المذكور تغيّر خاطر السلطان على جانى بيك دوادار الأمير طراباى الذى هو ٣ متحدث فى الأستادارية الآن ، وكان السلطان أنعم على جانى بيك هذا بأمرة عشرة ، وكان سبب تغيُّر خاطر السلطان على جانى بيك لأن الأمير طومان باى الدوادار أرسل مطالعة للسلطان وهو بالصعيد يشكو فيها من جانى بيك هذا أنه صار ٦ يعارضه فيما يرسم به ويعاكسه فيما يقوله فى أمر الديوان المفرد ، وكان جانى بيك غير محبب للناس لا يراعى من الأمراء أحدا ويأخذ الحمايات من المقطعين معجّلا قبل أن تروى البلاد ، فصار معه سنة معجّلة من المقطعين من الحماية والشياخة ٩ دايرة فى حساب الديوان المفرد وربما راحت على المقطعين ، ويرسّم على الأمراء وأعيان الناس حتى يستخلص منهم جميع ما عليهم من الحمايات فى يوم واحد ، فضجّ منه (٢٢٠ب) والأمراء والعسكر ، فلما تزايد ظلمه وعسفه بالعسكر والفلاحين ١٢ وضعفاء الناس أخذه الله تعالى من الجانب الذى كان يأمن إليه ، وكان عند السلطان من المقرّبين الخواص فأقلب عليه ما كأنه يعرفه ، وهــذا الذى وقع له بدعوة مظلوم . فكان كما قيل فى المعنى : ١٥

ألا قولوا لشخص قد تقوّى على ضعفى ولم يخشَ رقيبه
بعثتُ له سهاما فى الدياجى وأرجو أن تكون له مصيبه

فلما عُزل جانى بيك من التحدث فى الأستادارية كثرت فيه المرافعات وقال ١٨ له السلطان : اقيم الحساب بما قبضته من الأموال ، فى مدة تحدثه فى الأستادارية على ما قيل ، ومَن نوقش الحساب عُذّب ، وقيل إن جانى بيك لما رأى أن الأمير طومان باى الدوادار محطّا عليه سأل السلطان وباس رجله بأن يعفيه من التحدث ٢١ فى الأستادارية ، ولا زال يقسم عليه حتى أعفاه من التحدث فى الأستادارية ،

---

(١٧) سهاما : سهام .

ولما عُزل جانى بيك وقف على البرماوى برددار السلطان والتزم بالسداد على
الجهات التى كان جانى بيك متحدثا عليها وضمن ذلك فقصد السلطان أن يخلع
٣ عليه فقال له : ما ألبسُ خلعة حتى يجىء الأمير الدوادار ، واستمر متحدثا
فى الأستادارية عوضا عن جانى بيك بحكم انفصاله عنها . — وفى يوم السبت
ثامنه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك التى (٢٢١ آ) بالمطرية وبات بها وأقام
٦ يومين ، وسبب ذلك أن السلطان أنشأ هناك فساقى وقد تقدم ذكر ذلك ، فأطلق
فيهم الماء فى ذلك اليوم ، وانشرح السلطان لذلك إلى الغاية . — وفى يوم الاثنين
عاشره أخلع السلطان على الزينى بركات بن موسى وقُرِّر فى أستادارية الذخيرة
٩ عوضا عن شمس الدين بن عوض بحكم انفصاله كما تقدم ، فنزل من القلعة فى
موكب حفل وقدّامه أعيان المباشرين ، ورسم له السلطان بأن ينادى قدّامه أن
لا أحدا من الناس يحتمى عليه ولا يتجاها ، فتزايدت عظمة الزينى بركات وصار محتسبا
١٢ وأستادار الذخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف السنية ، وكان الزينى بركات
له سعد خارق وهو مسعود الحركات فى أفعاله محبَّبا للناس ، وأشيع بين الناس
أن الزينى بركات تسلّم ابن عوض على مائة وخمسين ألف دينار ، فشرع فى عقابه
١٥ وضربه وعصره كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . — وفى يوم الجمعة ثانى
عشرينه خرج أينال باى دوادار سكين صحبة قاصد ابن عثمان ، وقد تقدم القول على
أن السلطان عيّن أينال باى بأن يخرج صحبة القاصد ويقف على صحّة الأخبار
١٨ فى أمر ابن عثمان والصوفى ويردّ الجواب على السلطان بسرعة ، وقرر معه
(٢٢١ ب) لا يبطئ عليه بالخبر غير مسافة الطريق ، وأنعم عليه بخمسمائة دينار ،
وقد تقدّم القول على ذلك . — وفى يوم الخميس ثالث عشره جلس السلطان
٢١ على المصطبة التى بالحوش ونصب السحابة وأمر بعرض العسكر ، وعيّن تجريدة
كبيرة إلى حلب يقيمون بها حتى يرون ما يكون من أمر ابن عثمان والصوفى ، وعيّن
فى ذلك اليوم تجريدة أخرى إلى نحو بلاد الهند بسبب تعبّث الفرنج هناك كما

تقدم ، وعيّن جماعة من أولاد الناس وغيرهم من المماليك لحفظ الجسور التى بالشرقية والغربية ، فلما عرض العسكر كتب منهم جماعة قيل ثلاثة آلاف مملوك وقيل ألفى مملوك ، وعيّن من الأمراء المقدمين أربعة وهم : الأمير قانى باى قرا أمير ٣
آخوركبير وجعله باش العسكر ، وعيّن الأمير سودون الدواداری رأس نوبة النوب ، وعين الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين ، وعيّن الأمير بيبرس قرابته ثم بطل عقيب ذلك ، وتعيّن عوضه الأمير أبرك الذى كان نائب طرابلس وهو ٦
الآن مقدّم ألف ، وأبرك هذا من مماليك السلطان ، فلما عيّنه جعله باشا على المماليك الجلبان الذين عُيّنوا إلى السفر ؛ وعين فى ذلك اليوم جماعة من الأمراء الطبلخانات ومن الأمراء العشرات . — ثم فى يوم السبت خامس عشره نزل السلطان ٩
إلى الميدان وعرض بقية العسكر ، (٢٢٢ آ) وكتب الغالب منهم إلى حلب . — وفى هذه الأيام تصدّى الزينى بركات بن موسى إلى عقوبة شمس الدين بن عوض وولده ، فما أبقى ممكنا فى ذلك من ضرب كسارات وعصر أكعاب ، وعصرهما ١٢
فى أصداغهما وفى أيديهما وحرق أصابعهما بالنار ، ولم يردّ ابن عوض من المال الذى قُرّر عليه إلا القليل وكان جلدا على العذاب ، وقد تقدم له مع الأمير أزدمر الدوادار أنه عاقبه أشد العقوبة ولم يقرّ بشىء من المال . — وفى يوم الاثنين ١٥
سابع عشره جلس السلطان على المصطبة التى بالحوش ونفق الجامكية على العسكر ، ثم نفق نفقة السفر على العسكر المعيّن إلى حلب ، فدفع إلى كل مملوك مائة دينار على العادة وجامكية أربعة أشهر معجّلا وثمن جمل سبعة أشرفية ، وقد ١٨
مشى على طريقة الملك الأشرف قايتباى فى أمر النفقة على العسكر عند توجههم إلى البلاد الشاميّة . — وفى يوم الأربعاء تاسع عشره نزل السلطان وزار ضريح الإمام الشافعى والإمام الليث بن سعد رضى الله عنهما وتصدق فى ذلك اليوم ٢١
بمبلغ له صورة ، وكان السلطان فى حملة كبيرة بسبب ابن عثمان والصوفى . — وفيه ظهر أحمد بن الصايغ شريك الزينى بركات بن موسى ، وكان له مدة وهو مختفى

---

(١٢) كسارات : كسرارات . (٢١) وتصدق : ويصدق .

من الزيني بركات وقد تقدّم (٢٢٢ ب) القول على ذلك ، فطلع به بعض الأمراء وقابل السلطان فلم يخلع عليه لأجل خاطر الزيني بركات . — وفي ذلك اليوم جلس ٣ السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان وكتب منهم نحو خمسمائة مملوك ، فكان الذى كُتب من القرانصة والجلبان جملة ذلك نحو ألفين وأربعمائة مملوك على ما قيل وعيّنهم للسفر إلى حلب . — وفي يوم الخميس عشرينه حضر إلى الأبواب ٦ الشريفة السادة الأشراف أخوة السيد بركات أمير مكة ، وكان سبب حضورهم إلى القاهرة أن وقع بينهم وبين أخيهم السيد بركات فتنة مهولة وقُتل جماعة كثيرة من الفريقين ، فانكسر أخوة السيد بركات وولّوا مدبرين ، فما وسعهم إلا ٩ الحضور إلى عند السلطان حتى يكون من أمرهم ما يكون ، وأرسل الأمير حسين نائب جدّة يُعلم السلطان بذلك وأن الفرنج قد زاد تعبثهم بسواحل الهند وملكوا كمران من ضياع جهات الهند . وأرسل يستحث السلطان في إرسال تجريدة بسرعة ١٢ قبل أن تملك الفرنج سواحل الهند وربما يُخاف على جدة من أمر الفرنج ، وفي هذا الشهر اضطربت الأحوال على السلطان من جميع الجهات . — وفي يوم الخميس سابع عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ١٥ ملك الروم ، وهذا القاصد جليل (٢٢٣ آ) القدر من أعيان أمراء ابن عثمان ، وكان ابن عثمان عيّن هذا القاصد من حين كان الأمير أقباى الطويل عنده فلم يحضر إلى مصر إلا الآن ، فلما دخل القاهرة أنزله في بيت الظاهر تمر بغا الذى عند ١٨ سوق السلاح بالقبو إلى أن يقابل السلطان . — وفي يوم السبت تاسع عشرينه نزل السلطان إلى قبة يشبك وأقام بها إلى بعد العصر وعاد إلى القلعة .

وفي جمادى الآخرة كان مستهل الشهر يوم الاثنين ، فطلع الخليفة والقضاة ٢١ الأربعة للتهنئة بالشهر . — وفي ذلك اليوم طلع قاصد ابن عثمان إلى القلعة وقابل السلطان ، فأوكب له بالحوش وجلس على المصطبة ونصب على رأسه السحابة الزركش ، ورسم بأن يزيّنوا باب الزردخاناه بالسلاح والصناجق فزيّنوه ، واصطفت

---

(١٦) هذا : هولاء .

الأمراء والعسكر بالحوش من غير شاش ولا قماش ، ثم طلع القاصد وصحبته أزدمر المهمندار وجماعة من الرؤوس النوب ، وطلع معه تقدمة حفلة للسلطان تشتمل على خمسة وعشرين حمّالا ما بين وشق وصمور وقاقم وأثواب مخمل وبرصاوى ٣ وشقق سمرقندى ملوّن ، وحمّال عليه أوانى فضة ، وطلع صحبته بخمسة وعشرين مملوكا صغارا حسان الأشكال ، وكان ذلك القاصد جميل الهيئة وصحبته جماعة (٢٢٣ ب) من العثمانيّة ذو هيئات جميلة ، فلما طلع وقابل السلطان أكرمه وقرأ ٦ مطالعته ثم نزل وانفضّ الموكب ، وكان ذلك اليوم مشهودا . — وفى يوم الثلاثاء ثانى الشهر نزل السلطان إلى المقياس وبات به وعزم على قاصد ابن عثمان هناك ، وجلس معه فى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ومدّ له هناك أسمطة ٩ حافلة وأظهر أنواع العظمة الزائدة فى تلك الليلة ، وأحضر قرّاء البلد وأقام بالمقياس يومين ، ثم طلع إلى القلعة يوم الأربعاء أواخر النهار وانشرح هناك إلى الغاية . — وفى يوم الثلاثاء تاسعه أرسل السلطان إلى الأمراء المقدمين الذين تعينوا إلى ١٢ السفر فأرسل لهم فى ذلك اليوم النفقة ، فأشيع أنه أرسل إلى الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير باش العسكر خمسة آلاف دينار ، وأرسل إلى سودون الدواداري رأس نوبة النوب أربعة آلاف دينار ، وأرسل إلى الأمير أرزمك الناشف ثلاثة ١٥ آلاف دينار ، والأمير أبرك مثله . — وفى ذلك اليوم وقعت كائنة عظيمة للأمير قانصوه أبو سنّة أحد الأمراء المقدمين ، وسبب ذلك أن علاى الدين ناظر الخاص كان اقترض من الأمير قانصوه هذا مبلغا له صورة وشرع يمطّله به مدة طويلة ، ١٨ فحنق منه الأمير قانصوه فركب وجاء إلى بيته فوقع بينه وبين ناظر الخاص تشاجر ، (٢٢٤ آ) ففجر عليه ناظر الخاص فحنق منه الأمير قانصوه وشتمه فأغلظ عليه ناظر الخاص فى القول ، فقام إليه ولكمه على رأسه فطلع ناظر الخاص ٢١ إلى القلعة وشكاه إلى السلطان ، فلما تحقق السلطان صحة ذلك تغير خاطره على الأمير قانصوه وأرسل يقول له : الزم بيتك ، وقصد يختم على حواصله ويحتاط على

موجوده ، وأشيع نفيه إلى دمياط فقيل إن الأتابكى سودون العجمى طلع إلى
السلطان وشفع فيه من النفى ، ورضى خاطر السلطان عليه واستمرّ على أمرته كما
٣ كان . — وفى يوم الجمعة ثانى عشره جاءت الأخبار بأن ابن عثمان أرسل قاصدا
آخر مطرًا على جرائد الخيل ، فلما وصل إلى الصالحية بات بها تلك الليلة فسُرق له
من تحت رأسه بقجة فيها قماش القاصد وبعض مبلغ ومن جملة ذلك مطالعة ابن
٦ عثمان إلى السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد إلى الغاية وقيل إنه قبض على
لحيته من شدة غضبه ، وعيّن فى الوقت والساعة بابا إلى شيخ العرب أحمد بن بقر
وعلى يده مراسيم بأن يفحص على من أخذ بقجة هذا القاصد من العربان ، وإن
٩ ضاعت مطالعة ابن عثمان التى فى البقجة كانت روحه قبالة ذلك ، فتوجه إليه
البابا ، وأشيع فيما بعد بأن شيخ العرب قبض على من أخذ بقجة القاصد (٢٢٤ ب)
وأعيد إليه ما سُرق له بالتمام من يومه ، وقيل إن السلطان حلف بحياة رأسه إن لم
١٢ يحضر شيخ العرب أحمد بن بقر بهذه البقجة بجميع ما فيها وإلا يوسّط الأمير
أحمد فى ثيابه ، واستمرّ الأمر على ذلك حتى يظهر أمر البقجة . — ويقرب من
هذه الواقعة ما اتفق فى دولة الملك الظاهر جقمق رحمة الله عليه وذلك أن
١٥ فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند شاه
روخ بن تمرلنك ، فلما حضر أنزله فى مكان بالقرب من بين القصرين ، وكان شاه
روخ أرسل إلى الملك الظاهر على يد هذا القاصد تقدمة حفلة ، فلما طلع القاصد
١٨ إلى القلعة أدخله السلطان إلى البحرة ، فأبطأ عند السلطان ، فأشيع فى القلعة
أن السلطان قد قبض على القاصد ، فنزلت المماليك الجلبان من الطباق وتوجهوا
إلى المكان الذى نزل به القاصد فنهبوا كلما كان فيه ، والتفّ عليهم السواد الأعظم
٢١ من الأعوام فلم يُبقوا للقاصد شيئا ، وأخذوا التقدمة التى كانت للسلطان حتى
أخذوا خيوله ، [ولما بلغ] الملك الظاهر ذلك نتف لحيته بيده ورسم لحاجب الحجاب
وقراجا الوالى بأن يدركوا ردّ الناس عن النهب ، فنزلوا من القلعة على حمية فلم

(٢١) الأعوام ، أى العوام .

يردّوا من النهب إلا بعض شيء ، وراحت على من راح ، (٢٢٥ آ) فقبض الوالى
على جماعة كثيرة من الأعوام وضربهم بالمقارع ، وشيء قطع أيديهم ، وكادت
القاهرة أن تخرب فى ذلك اليوم لهذه الواقعة ، ثم إن الملك الظاهر بعث يعتذر ٣
إلى القاصد مما جرى وأن ذلك من غير علمه ، ثم أرسل إلى القاصد عشرة
آلاف دينار أكثر مما نهب له ، وصار القاصد كلما شقّ من القاهرة يسبّونه جماعة
من الأعوام ويبهدلونه ، وما قاسى خيرا من أهل مصر ، انتهى ذلك . — وفى يوم ٦
السبت ثالث عشره فيه وقعت حادثة غريبة وهو أن شخصا يهوديا يقــال له
خضير ، وكان بالصليبة ، وهو يدّعى الطب ، فتوجّه إلى عليل من أولاد الناس
فوصف له حقنة ، فلما احتقن مات عقيب الحقنة بيومين ، فقبضوا على ذلك اليهودى ٩
وتوجهوا به إلى شاد الشراب خاناه ، فقيل إنه من خوفه قصد أن يُسلم ثم رجع إلى دينه ،
ولم يُثبّت عليه قتل ذلك العليل وادّعى أن العليل كان قد ضربه الخمر على قلبه
فمات عقيب الحقنة بأجله ، فلم يثبت على اليهودى قتله ، وقيل إن اليهودى غرم مبلغا له ١٢
صورة ، وأدّبوه ثم خلص من القتل وراح القتل فى كيس العليل ، وقد قيل فى المعنى :

ليت شعرى وللزمان خطوب وبــلاء يختص بالأحرار
هل لميت قضى (٢٢٥ب) عليه طبيب من كفيل أو آخــذ بالثار ١٥

وفى يوم الأحد رابع عشره أرسل السلطان النفقة إلى الأمراء الطبلخانات
والأمراء العشرات المعيّنين إلى التجريدة ، وذلك على جارى العادة . — وفى يوم
الأحد المذكور كانت وفاة القطب العارف بالله تعالى الولى الزاهد المجذوب ١٨
الشيخ محمد بن زُرعة الأحمدى البدرشينى رضى الله عنه ، وكان من أعيان
الأولياء وله كرامات خارقة ومكاشفات صادقة ، ومات وهو فى عشر السبعين ،
وكانت جنازته مشهودة وصُلى عليه فى جامع الشيخ سلطان شاه ودفن فى زوايته التى ٢١
بالقرب من قنطرة قديدار ، وكان معتقدا بالصلاح رضى الله عنه . — وفى

---

(١٩) البدرشينى : البدرى شيى .

يوم الأربعاء سابع عشره جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر المعيّن للتجريد ، فنفق عليهم جامكية جمادى الآخرة توسعة عليهم خارجا عمّا نفقه لهم من الأربعة
٣ أشهر المعجّلة كما تقدم ذكر ذلك ، ونفق عليهم عليق ذلك الشهر ، وفرّق عليهم الخيول التى كانت لهم فى الديوان فجماعة من المماليك أخذوا لهم خيولا شىء فرس وشىء فرسين ، وجماعة منهم أخذوا لهم ثمن فرس خمسة آلاف درهم ، وقد
٦ بالغ السلطان فى الإحسان إليهم وما أبقى فى ذلك ممكنا ووعدهم بأن يصرف (٢٢٦ آ) لهم ثمن اللحم أيضا عقيب ذلك ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء من العسكر . — وفى يوم الخميس ثامن عشره أشيع موت شمس الدين بن عوض
٩ أستادار الذخيرة الشريفة وغير ذلك من الوظائف السنية ، وهو محمد بن أحمد بن عوض ، وأصلهم فلاحين من منية مسير ، وكان شمس الدين هذا فى مبتدأ أمره فقيرا جدا فباشر ديوان جماعة من الأمراء المقدمين ، منهم الأمير أزبك الخازندار
١٢ والأمير أزدمر الدوادار وغير ذلك من الأمراء ، ثم راج أمره فى دولة الأشرف قانصوه الغورى وباشر ديوان السلطان وصار أستادار الذخيرة ، وابنه شرف الدين مستوفى على الخزائن الشريفة ، وابنه فخر الدين مباشر عند الأمير طومان باى
١٥ الدوادار ، فتلاعبت به الدنيا لكثرة هرجه وركب فيها فى غير سرجه ، فأخذ فى أسباب المرافعات فى المباشرين وأعيان الناس حتى ضجّت منه الأفلاك والأملاك ، وكان انفرد بالسلطان وعوّل عليه ، فأخذه الله تعالى من الجانب الذى كان يأمن
١٨ إليه ، فتغير خاطر السلطان عليه وقبض عليه كما تقدم ذكر ذلك ، فتسلمه الزينى بركات بن موسى على مائة وخمسين ألف دينار غير ستين ألف أردب شعير ، فلما تسلمه شرع يعذبه بأنواع العذاب من ضرب مقارع وعصره فى أكعابه وأصداغه
٢١ هو وولده شرف الدين ، (٢٢٦ ب) وصار ابن عوض يقاسى ذلك العذاب الأليم ولم يردّ من المال الذى قُرّر عليه سوى قدر عديم ، فاستمر تحت العقوبة إلى أن مات وولى عمره وفات ، فمات وهو فى بيت الوالى على حصير والحديد فى عنقه فما

فكّوه من عنقه حتى مات بأشرّ موتة « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » فلما مات فى بيت الوالى حُمل إلى داره فغُسّل وكُفّن ولم يمش له أحد فى جنازة ، وفى ذلك عبرة لمن يعقل ، وقد قيل فى المعنى : ٣

ألا إنما الدنيـــا كمثل أراكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخنت بالأمس عين قريرة وقرّت عيون دمعها اليوم ساكب ٦
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة على ذاهب منها فإنك ذاهب

وكان سبب نكبة ابن عوض قيل وقع بينه وبين الأمير خاير بيك كاشف الغربية من أجل ابن جميل أحد مشايخ الغربية ، فطلع خاير بيك وشكى ابن ٩ عوض إلى السلطان ، وبالغ فى شكواه حتى غيّر خاطر السلطان عليه ، وقيل إن خاير بيك قال : أنا أثبت فى جهة ابن عوض مائة وخمسين ألف دينار . — وفى يوم الخميس المقدم ذكره صنع السلطان وليمة حفلة بالمقياس . واجتمع بها ١٢ القضاة الأربعة وأعيان الناس من العلماء وغير ذلك ، ومدّ (٢٢٧ آ) هناك الأسمطة الحافلة واجتمع هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة حفلة ، والسلطان كل سنة يصنع مثل ذلك بالمقياس قرب وفاء النيل ، وفى سنة عشر وتسعمائة ١٥ صنع وليمة بالمقياس مثل هذه فزاد الله تعالى فى النيل المبارك تلك الليلة خمسين أصبعاً دفعة واحدة ، فعُدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير طومان باى الدوادار ، وكان له مدة وهو مسافر ١٨ فى الصعيد بسبب ضمّ المغل . — فلما كان يوم الأحد بلغ السلطان وصوله إلى الجيزة فنزل إلى المقياس ولاقاه من هناك ، وكذلك قاصد ابن عثمان ، فلما طلع إلى القلعة يوم الاثنين المذكور أخلع عليه السلطان خلعة حافلة ، ونزل من القلعة ٢١

(٤ — ٧) ألا إنما ... ذاهب : جاءت فى الأصل بعد « وخمسين » فى سطر ١١ . (١١) ألف دينار : جاءت فى الأصل بعد « جانب » فى سطر ٤ .

فى موكب مشهود وصحبته سائر الأمراء المقدمين والمباشرين وأعيان الناس واستمر
على ذلك حتى دخل إلى داره ، وأخلع عليه السلطان فى ذلك اليوم فوقانى أخضر
٣ بطرز يلبغاوى عريض ، ومشت الأفيال وهى مزينة قدامه فى ذلك الموكب وشقّ
من الصليبة . — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه توفى الأمير ماماى جوشن أحد
الأمراء المقدمين الألوف ، وكان رئيسا حشما جميل الهيئة قليل الأذى بين الأمراء ،
٦ ومات وهو فى عشر الستين ، وقيل أصله من مماليك (٢٢٧ ب) الظاهر خشقدم
من كتابيته ، واشتراه الأشرف قايتباى من بيت المال وأعتقه فهو من جملة معاتيق
الأشرف قايتباى ومن مماليكه ، فلما بلغ السلطان وفاته نزل وصلّى عليه وكانت
٩ جنازته مشهودة ، رحمة الله تعالى عليه . — وفى يوم الثلاثاء المذكور أعلاه كان
وفاء النيل المبارك ، أوفى بعد الظهر ، وعُلّق الستر على شباك القصر الذى أنشأه
السلطان على بسطة المقياس ، وقد أوفى الله السنة عشر ذراعا وأصبعين من سبعة
١٢ عشر ، ووافق ذلك ثانى عشرين مسرى ، وقد أبطأ هذا النيل عن نيل السنة
الماضية بسبعة أيام ، وكانت الناس بسببه فى غاية الاضطراب . — وفى يوم الأربعاء
رابع عشرينه الموافق لثالث عشرين مسرى فُتح السدّ وكان يوما مشهودا قلّ
١٥ أن يقع مثله فى الفتك والفرجة ، ورسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن
يتوجه ويفتح السدّ على العادة ، فكان له فى ذلك اليوم موكب حافل ، وأخلع عليه
السلطان فوقانى أخضر بطرز يلبغاوى عريض ، وحصل للناس غاية الجبر بكسر
١٨ السدّ فى ذلك اليوم ، وقد قيل فى المعنى :

كُسر الخليج وكان ذلك نعمة   سُرّت قلوب العالمين لبشره
ومن العجائب والغرائب أنه   جبرت قلوب المسلمين لكسره

٢١ وقيل فى المعنى :

أرى نيل مصر (٢٢٨ آ) قد غدا يوم كسره   إذا رام جريا فى الخليج تقنطرا
ولكن بعد الكسر زاد تجـبرا   وأفرط هجما فى القُرى وتجسّرا

ووافق أن النيل زاد بعد فتح السدّ بيومين عشرة أصابع فى دفعة واحدة ، ثم فى اليوم الثالث من فتح السدّ زاد الله فى النيل المبارك أحد عشر أصبعا فى دفعة واحدة ، ثم فى اليوم الخامس من فتح السدّ زاد سبعة أصابع فزاد ستة عشر ٣ أصبعا من ثمانية عشر ذراعا وذلك فى أواخر مسرى بعد الوفاء بخمسة أيام ، فعُدّ ذلك من النوادر . — وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه خرج جماعة كثيرة من المماليك السلطانية المعينين إلى التجريدة ، وقد رسم لهم السلطان بأن ٦ كل من انتهى شغله يخرج ويسافر قبل الباش ، فخرجوا أفواجا أفواجا واستمروا على ذلك فى كل يوم تخرج منهم جماعة بعد جماعة .

وفى رجب كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، فجلس السلطان فى الميدان وطلع إليه ٩ الخليفة والقضاة الأربعة يهنّونه بالشهر . — وفى يوم الخميس ثالثه أخلع السلطان على يوسف البدرى الوزير كاملية مخمل أحمر بصمور ، وأخلع على القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة ، وعلى مقدّم الدولة ، خلع الاستمرار ونزلوا من القلعة ١٢ فى موكب حفل ، حتى رجت لهم القاهرة فى ذلك اليوم . — وفى يوم الخميس المذكور أشيع (٢٢٨ ب) أن السلطان قبض على جانى بيك الأستادار الذى كان دوادار الأمير طراباى ، وكان السلطان ندبه بأن يتكلم فى الأستادارية نيابة عن الأمير ١٥ طومان باى الدوادار فأخلع عليه ، فلما تكلم فى الأستادارية أظهر الظلم والجور وصار لا يراعى من الأنام خليلا ، فعادى سائر الأمراء والعسكر قاطبة بسبب الحمايات وأمور البلاد ، فكان يرسّم على الأمراء الطبلخانات والعشرات بسبب ١٨ الحماية ، ويرسل الرسل الغلاظ الشداد إلى بيوت الأمراء المقدمين ويطالبهم بالحماية الطلب العسف ، حتى ضجّ منه الأمراء والعسكر ، فكان يأخذ حماية سنة معجّلا قبل أن يطلع النيل وكذلك الشياخة ، وكان السلطان قرّبه أولا وصار ٢١ لا يقبل فيه شكوى ، وكان ذلك من أكبر أسباب الفساد فى حقه ، فلا زال بعض أعدائه يتكلمون فى حقه عند السلطان حتى غيروا خاطره عليه بالكلية فأقلب عليه

---

(٤) مسرى : مسترى . (٦) المعينين : المعنين .

ما كأنه يعرفه قط ، فلما رسّم عليه انتدب إلى حسابه نور الدين على البرماوى
البرددار بالخدم الشريفة وجماعة من المباشرين ، فدققوا عليه الحساب وحاسبوه
٣ على الفتيل والنقير والقطمير والقليل والكثير ، حتى قيل حاسبوه على ما كان
يدخل إليه من الضيافات والتقادم وغير ذلك ، فقيل بقّوا عليه ثلاثة وثلاثين ألف
(٢٢٩ آ) دينار على ما قيل ، واستمرّ فى الترسيم حتى يكون من أمره ما يكون . —
٦ وفى يوم الأحد سادسه جلس السلطان بالميدان وحضر عنده قاصد ابن عثمان
وسائر الأمراء المقدمين ، فجلس قاصد ابن عثمان فوق أمير كبير سودون العجمى
بإذن السلطان له ، عند السلطان فى المقعد ، وساقوا قدّامه الرماحة وهم لابسون
٩ الأحمر كما يفعلون فى لعب الرمح عند دوران المحمل فى رجب ، وكان لهم مدة
طويلة وهم يدمنون فى لعب الرمح كما جرت به العادة القديمة ، فكان المعلم تمر
الحسنى أحد المقدمين الألوف ، ويعرف بالزردكاش أيضا ، وأما الباشات الأربعة
١٢ وهم الأمير كرتباى من قصروه والى القاهرة والأمير أزبك من دولاتباى والأمير
أينال الأشقر الأشرفى والأمير مصرباى الأبو بكرى ، فأظهروا فى لعب الرمح
الفنون الغريبة حتى تحيّر القاصد من ذلك وتعجّب غاية العجب ، ثم فى
١٥ أواخر السوق نزل المعلم والباشات الأربعة والأربعون فارسا وباسوا الأرض
للسلطان ، وقد أحدث ذلك الأشرف قايتباى لما كان يسوق فى دوران المحمل فكان
ينزل عن فرسه ويبوس الأرض للسلطان خشقدم فى وسط الرملة ، وكان
١٨ السلطان قصد سوق الرماحة (٢٢٩ ب) قدام القاصد عمداً حتى يريه فروسية
عسكر مصر ، وكان ذلك عين الصواب ، فاجتمع فى الميدان فى ذلك اليوم الجم الغفير
من الخلائق ، وكان يوما مشهودا ، فساقوا الرماحة فى ذلك اليوم مرتين ، ثم لعبوا
٢١ بعد ذلك جماعة من المماليك خصمانية فى الرمح ، والقاصد ينظر إليهم ويتعجب من
ذلك ، فلما انقضى أمر سوق الرماحة قام السلطان ودخل إلى البحرة التى أنشأها

---

(٧) سودون العجمى : جاءت فى الأصل بعد « له » فى السطر التالى . (١١) ويعرف : يعرف .
(١٤) وتعجب غاية العجب : جاءت فى الأصل بعد « الرملة » فى سطر ١٧ .

فى الميدان ، وأضاف القاصـد هناك هو والأمراء ومد لهم أسمطة حفلة وأظهر
أنواع العظمة فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم أخلع على قاصد ابن عثمان خلعة سنية
وأذن له فى السفر صحبة العسكر ، ثم بدا للسلطان بأن يعوّق قاصد ابن عثمان ٣
إلى أن يحصر أينال باى دوادار سكين ، فلم يخرج صحبة العسكر كما أشيع قبل
ذلك أمر سفره مع الأمراء ، ثم أخلع السـلطان فى ذلك اليوم على الأمير تمر
المعلم وأركبوه فرس بسرج ذهب وكنبوش ، وأخلع على الباشات الأربعة كما ٦
جرت به العادة القديمة ، وقد جدّد السلطان ذلك بعد ما كان قد نُسى أمره
من أيام الأشرف قايتباى ، فعُدّ ذلك من محاسن السلطان . — و يوم الاثنين
سابعه خرجت الأمراء المعينون للتجريدة وهم الأمير قانى باى قرا أمير آخور ٩
كبير باش العسكر المنصور والأمير سودون الدواداري رأس نوبة (٢٣٠ آ)
النوب والأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدمين والأمير أبرك مملوك
السـلطان أحد الأمراء المقدمين وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، ١٢
فكان لهم يوم مشهود ، واستمرت الأطلاب تنسحب من إشراق الشمس إلى قريب
الظهر ، فأظهروا غاية العظمة فى ذلك اليوم فى تزخرف الأطلاب ، حتى ارتجت
لهم القاهرة فى ذلك اليوم ، واصطفت لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ١٥
وكان ذلك اليوم مشهودا ، وكان طلب أمير آخور كبير غاية فى الحسن ما أبقى فيه
ممكنا ، وكذلك بقية الأمراء ، ثم إن السلطان أخلع على أمير آخور خلعة السفر
ونزل من القلعة فى موكب حفل وصحبته الأتابكي سودون العجمي وسائر الأمراء ١٨
المقدمين ، فاستمروا صحبته حتى نزل فى الوطاق بالريدانية . — وفى يوم الثلاثاء ثامنه
كان أول يوم النوروز ، وهو أول السنة القبطية ، سنة عشرين وتسعمائة الخراجية
وكان هذا اليوم عند الأقباط له شأن عظيم وكان يقع لهم فيه أخبار غريبة ،(٢٣٠ب) ٢١
وهو أول الأيام من توت من أول الشهور القبطية . — وفى يوم الأربعـاء

(٣ — ٥) ثم بدا . . . مع الأمراء : جاءت فى الأصـل بعد « النوروز » فى سطر ٢٠ .
(٢٢) الشهور : الشهر .

تاسعه أشيع بين الناس أن السلطان رسم بتسليم جانى بيك الأستادار إلى الزينى
بركات بن موسى ليعاقبه حتى يستخلص منه الأموال التى قُرِّرت عليه ، وكان السلطان
٣ قرر عليه ثلاثة وثلاثين ألف دينار فامتنع جانى بيك من ذلك وتكلم بكلام يابس ،
فلما بلغ السلطان ذلك حنق منه ورسم بتسلمه إلى الزينى بركات بن موسى . —
وفى يوم الخميس عاشره أشيع بين الناس بأن سليم شاه بن عثمان ملك الروم قد
٦ انتصر على الصوفى وملك منه أرزنكان وتبريز ، فلم يثق السلطان بهذا الخبر
وتثبت حتى ترد عليه الأخبار الصحيحة فيدق الكوسات ، ولكن سُرَّ السلطان
بهذه الإشاعة وأمر بأن تُقرأ عدة ختمات فى أماكن من الجوامع ، فقُرِئ فى مقام
٩ الإمام الشافعى رضى الله عنه سبعين ختمة بالجبرتية ، وقُرِئ فى مقام الإمام الليث
ابن سعد رضى الله عنه عدة ختمات ، وكذلك فى جامع عمرو بن العاص رضى الله
عنه ، وفى جامع أحمد بن طولون ، وفى الجامع الأزهر وغير ذلك من الجوامع
١٢ التى بالقاهرة ، وأرسل لكل جامع من الجوامع مبلغا بسبب القراء ، (٢٣١ آ)
وعمل أسمطة للفقراء فعُدّ ذلك من محاسن السلطان . — وفى يوم الاثنين رابع عشره
نزل الزينى بركات بن موسى من القلعة وقدامه عبد من عبيد ابن عوض وقد
١٥ رسم السلطان بتوسيطه ، وسبب ذلك أنه قيل عنه كان يعرف ذخائر أستاذه
شمس الدين بن عوض ولم يقرّ بمكان فيه المال ، وعاقبه ابن موسى وسجنه فى
المقشرة مدة ولم يقرّ بشىء من المال ، فحنق منه الزينى بركات فشاور عليه السلطان
١٨ فرسم بتوسيطه ، فوسّطه عند قنطرة الحاجب ولم يقرّ بشىء من المال الذى
كان يعلم به ، فراح ظلما إن علم بالمال أو لم يعلم . — وفى يوم الثلاثاء خامس
عشره نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو مصر العتيقة بعد أن صلى صلاة
٢١ الفجر ، فلما وصل إلى فم السد نزل من هناك فى مراكب قُدمت إليه ، وكان صحبته
جماعة من الأمراء منهم الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس
والأمير طومان باى الدوادار والأمير أنصباى حاجب الحجّاب والأمير تمر أحد
٢٤ المقدمين والأمير علان الدوادار الثانى أحد المقدّمين ، وغير ذلك من الأمراء

المقدمين والطبلخانات والعشرات ، وجماعة كثيرة من الخاصكية ، فتوجه إلى برّ
الجيزة واستمرّ حادرا من (٢٣١ ب) هناك إلى بولاق فطلع إلى البرابخية ، وكان
القاضى كاتب السر محمود بن أجا عزم عليه هناك ، فلما استقر هناك هو والأمراء ٣
أحضر كاتب السر بين يدى السلطان مَدّة عظيمة ما أبقى فيها ممكناً ، وأتبعها
بطوارى حفلة ما بين حلوى وفاكهة ومخبوز وغير ذلك من المآكل الفاخرة ،
فبات السلطان عنده تلك الليلة فى البرابخية ، فكان سماط العشى أعظم من سماط ٦
الغدى ، وقيل أحضر فى الطارى بعد الظهر أربعين خروفا شوى وقيل ثلاثين ،
وخمسين جُفْنة فيها جُذابة ، ثم مدّ له فى اليوم الثانى سماطا للغداء فقيل إن القاضى
كاتب السر أصرف على تلك المدّات فوق الألف دينار ، فلما تغدّى السلطان ٩
عنده نزل هو والأمراء فى المراكب وتوجه إلى المقياس فأقام به إلى أواخر النهار ،
ثم عدّى من هناك وطلع إلى القلعة ، فلما طلع أرسل إليه القاضى كاتب السر تقدمة
حفلة ما بين صمور ووشق وسنجاب وصوف وجوخ وبعلبكى وغير ذلك ، وقيل ١٢
أرسل إليه ذهب عين ما عُلِم قدره ، ومملوكا جركسيا مليحا ، قلت والقاضى كاتب
السر هذا هو آخر رؤساء مصر من المباشرين . — وفى يوم الجمعة ثامن عشره
وقعت نادرة غريبة وهو أن قاصد ابن عثمان الثانى الذى جاء وزعم أن العرب ١٥
سرقوا بقجته من تحت رأسه (٢٣٢ آ) وفيها مطالعة ابن عثمان وتنكد السلطان
بسبب ذلك ، فلما حضر بين يدى السلطان صار يعتذر له مما سُرق له ، فأقام
فى مصر أياما فأرسله السلطان إلى القاصد الذى جاء فى الأول فأنكر أمره وقال ١٨
إن ابن عثمان لم يرسله وأن هذا القاصد لم يكن من جماعة ابن عثمان ، فاستمر بمصر
إلى أن طلب الإذن من السلطان فى العود إلى بلاده فأذن له فى ذلك وأنعم عليه بمال
له صورة ، فلما خرج وسافر وقع بينه وبين رفيقه بسبب المبلغ الذى حصل له ٢١
فلم يعطِ رفيقه منه شيئا ، فلما وقع بينهما رجع رفيقه ونمّ عليه عند السلطان
بأن هذا داسوسا من عند حسن بن أحمد بيك بن عثمان الذى حضر أبوه إلى مصر
ومات بها بالطاعون كما تقدّم ذكر ذلك ، وهو الآن عند الصوفى مقيما وأرسل ٢٤

هذا القاصد ليستفهم الأخبار بما جرى فى مصر ، وأن هذا القاصد نصب على
النواب وأخذ منهم مبلغا له صورة ، فلما تحقّق السلطان ذلك رسم بردّ القاصد من
٣ الطريق ، فلما حضر بين يدى السلطان قصد أن يشنقه ثم سلمه إلى الوالى فشكّه
فى الحديد ونزل به ماشيا على أقدامه والمشاعلية تنادى عليه هذا جزاء من
يكذب على الملوك ، ثم توجه به إلى المقشرة فسُجن بها ، وقيل رسم (٢٣٢ ب)
٦ السلطان للوالى بأن يعاقبه ويستخلص منه ما كان أخذه من النواب من المبلغ
والتقادم التى دخلت عليه . — وفى يوم السبت تاسع عشره نزل السلطان إلى
قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها ، وأقام هناك إلى يوم الأحد أواخر النهار وانشرح
٩ إلى الغاية . — وفى يوم الاثنين حادى عشرينه أذن السلطان إلى قاصد ابن عثمان
بالسفر ، وهو الذى حضر أولا ، وكان من أمرائه المقدمين قيل إنه أمير آخور
كبير عند ابن عثمان ، فلما طلع رسم السلطان بأن تزين باب الزردخاناه
١٢ بالسلاح والصناجق ، وكذلك باب القلعة وباب سلم المدرج ، فلما طلع القاصد
عمل السلطان الموكب بالحوش وحضر الأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء ، وكان
الموكب حافلا ، ثم أخلع السلطان على القاصد خلعة معظمة وهى كاملية جرّ ذهب
١٥ شغل القاعة بصمور عال ، وفوقها فوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض ،
قيل فيه خمسمائة مثقال ذهب ، وأخلع على من معه من جماعة ابن عثمان سلاريات
صوف بصمور عال ، ونزل القاصد من القلعة فى موكب حافل وصحبته الرؤوس
١٨ النوب ، ثم أخذ فى أسباب الخروج إلى السفر . — وفى ذلك اليوم المقدم ذكره
حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أينال باى دوادار سكين الذى كان توجه إلى سليم
شاه (٢٣٣ آ) ابن عثمان ملك الروم ، وقد توجه إليه بعد مجىء أقباى الطويل ،
٢١ فلما قابل ابن عثمان أكرمه وأقبل عليه وميّزه على أقباى واستحسن كلامه
فى ردّ الجواب وشكره على أقباى ، فلما قصد التوجه إلى مصر أخلع عليه
خلعة سنية وأنعم عليه بمال له صورة ، وكتب معه مطالعة للسلطان ونعته فيها
٢٤ بأنعات عظيمة وبالغ فى تعظيمه ، وقيل إن ابن عثمان أظهر فى مكاتبته بعض تعاظم

بكثرة عساكره وشدّة بأسه ، فلم يلتفت السلطان إلى شىء من ذلك .

وفى شعبان كان مستهلّ الشهر يوم الأربعاء، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فسلموا على السلطان وعادوا إلى بيوتهم . — وفى يوم السبت رابعه أشيع بين ٣ الناس أن قد حضر ساعى وأخبر بأن سليم شاه بن عثمان قد انتصر على الصوفى وملك بعض ضياع بديار بكر ، وأشيع أنه ملك تبريز أيضا ، فعند ذلك تثبت السلطان ولم يدقّ الكوسات حتى ترد عليه الأخبار الصحيحة فى ذلك ، وفى هذه ٦ الأيام كثر القيل والقال بين الناس بأن ابن عثمان قد أسر الصوفى ووضعه فى حديد وطاف به فى البلاد ، ولم تصحّ هذه الأخبار بل إشاعات بين الناس . — وفى يوم الاثنين سادسه حضر سيف جانم نائب طرابلس ، وكان (٢٣٣ ب) أصله من ٩ مماليك الأشرف قايتباى ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الجمعة عاشر شعبان رسم السلطان بفتح سدّ خليج أبى المنجا ، ووافق ذلك ثانى بابه ، وقد تأخر فتحه عن العادة إلى اليوم وفات أوان ميعاد فتحه ، وكان النيل يومئذ فى خمسة عشر ١٢ أصبعا من عشرين ذراعا وقد حصل به غاية المنافع وعمّ البلاد قاطبة ، واستمر النيل فى ثبات على ما ذكرناه إلى أواخر بابه لم ينهبط منه شىء . — وفى ذلك اليوم وقعت حادثة مهولة وذلك أن فى يوم فتح سد أبى المُنجا توجه الأمير ١٥ كرتباى والى القاهرة إلى فتحه ، فلما توجه إلى هناك أوسق مركبين فيهما مطابق فيها أكل حلوى وفاكهة ، وكان فى المراكب شىء من الفرش والقماش والأوانى ، فلما وصلا إلى قناطر أبى المنجا قوى عليهما تيار الماء فانقلبت تلك المركبين بما ١٨ فيهما مما ذكرناه فغرقا كلما كان فيهما جميعا ، وغرق للوالى مملوك من مماليكه الخاص وبعض غلمان ، وكان ذلك اليوم مهولا وما جرى على الوالى فى ذلك اليوم خبر . — وفى يوم الأربعاء خامس عشر شعبان ، الموافق لسابع بابه فيه ثبت النيل ٢١ المبارك على خمسة عشر أصبعا من عشرين ذراعا ، وكان هذا النيل المبارك أزيد من نيل السنة الخالية بأحد عشر أصبعا . — (٢٣٤ آ) وفى أثناء هذا الشهر

---

(١١) سد : السد . (١٨) أبى المنجا : بنى منجا . (٢٠) فى ذلك اليوم : ذلك فى اليوم .

نزل السلطان إلى قبة يشبك التى بالمطرية وبات بها ، وكانت ليلة مقمرة ، فمدّ له
الزينى بركات بن موسى هناك مدّات حافلة ، وما أبقى فى ذلك ممكنا من أطعمة
٣ فاخرة وحلوى وفاكهة وسمك وخرفان شوى وغير ذلك ، وحضر عند السلطان
مغانى وأرباب آلات وانشرح هناك إلى الغاية ، وأقام فى القبة يومين ، وكانت
الملقة معمرة بالماء وهى فى غاية البهجة ، ثم طلع إلى القلعة بعد العصر . — وفى هذا
٦ الشهر كان الأمير خاير بيك الخازندار مريضا على خطة وأشيع موته غير ما مرة ،
واستمر على ذلك وهو مريض ملازم للفراش والإشاعات قائمة بموته فى كلّ يوم .

وفى يوم الخميس كان مستهل شهر رمضان فطلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة
٩ بالشهر ، فجلس السلطان بالميدان وطلع الوزير يوسف البدرى والزينى بركات بن
موسى المحتسب وعرضا اللحم والدقيق والخبز والغنم والبقر على السلطان كما جرت
به العادة وهو مزفوف على رؤوس الحمّالين ، فأخلع السلطان عليهما وأخلع
١٢ على القاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة الخلع السنية ، وكان ذلك اليوم
مشهودا . — وأما فى ليلة رؤية الهلال حضر القضاة الأربعة بالمدرسة المنصورية ،
وحضر (٢٣٤ ب) الزينى بركات بن موسى المحتسب ، فلما ثبت رؤية الهلال وانفض
١٥ المجلس ركب الزينى بركات بن موسى من هناك فتلاقاه الفوانيس الأكرة والمناجنيق
والمشاعل والشموع الموقودة ، فلم يُحصَ ذلك لكثرته ، ووقدوا له الشموع
على الدكاكين وعلقوا له التنانير والأحمال الموقودة بالقناديل من الأمشاطين إلى
١٨ سوق مرجوش إلى الخشابين إلى سُويقة اللبن إلى عند بيته ، فارتجت له القاهرة
فى تلك الليلة ، وكانت من الليالى المشهودة ، وأطلقوا له مجامر بالبخور بطول
الطريق وكان ذلك يعادل المواكب السلطانية ، وكان الزينى بركات بن موسى محبّبا
٢١ للناس قاطبة فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وكان له سعد خارق لم يقع لغيره من الناس
إلا القليل ، ولا سيما اجتمع فيه من الوظائف السنية ما لا اجتمع فى أحد من الأعيان
قبله منها الحسبة الشريفة وأستادارية الذخيرة وغير ذلك من الوظائف والتحدّث

---

(١٧) الأمشاطيين : الأمشياطيين .

على الجهات من البلاد السلطانيّة . — وفى يوم السبت ثالثه جاءت الأخبار من بلاد الشرق صحبة السعاة من بعض النواب بأن سليم شاه بن عثمان سلطان الروم وقع بينه وبين شاه إسمعيل الصوفى وقعة مهولة تشيب منها النواصى ، وقُتل من عسكر ابن عثمان نحو (٢٣٥ آ) من ثلاثين ألفا ، وقيل نحو ستين ألفا ، وقُتل مثل ذلك من عسكر الصوفى ، فكان بينهما من الحروب المهولة ما يطول شرحه ، وكان ذلك فى سادس رجب سنة عشرين ، وقيل قتل من أمراء ابن عثمان اثنى عشر أميرا مقدم ألف ، وقُتل من عسكر الصوفى أضعاف ذلك ، وقيل كانت هذه الواقعة بالقرب من تبريز العجم ، وكانت الكسرة أولا على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصوفى انكسر كسرة قوية وقُتل غالب عسكره وانهزم الباقون ولم ينج منهم إلا القليل ، وأشيع أن الصوفى قد قُتل فى المعركة ووُجد تاجه مرمى على الأرض ، وقد تواترت الأخبار بذلك وقويت الإشاعات بقتله والله أعلم بحقيقة ذلك ، وأشيع أن واصل عقيب ذلك عدة رؤوس ممن قُتل من عسكر الصوفى من أعيان أمرائه وعسكره ، وقد ملك ابن عثمان غالب بلاد الصوفى من ممالك الشرق ، فلم يرسم السلطان بدقّ الكوسات لهذا الخبر ، وكذلك الأمراء أخذوا حذرهم من ابن عثمان ، وخشوا من سطوته وشدّة بأسه لِمَا يحدث منه بعد ذلك إلى جهة بلاد السلطان . — وفى يوم الجمعة تاسع شهر رمضان كانت وفاة الأمير خاير بيك الخازندار الكبير أحد الأمراء المقدمين وصهر السلطان زوج أخته قديما ، فأخرجت جنازته من بيته الذى عند (٢٣٥ ب) جامع الأزهر ، وتوجهوا بنعشه إلى سبيل المؤمنى فنزل السلطان له وحضر الخليفة وصلى عليه ، وكانت جنازته حافلة ومشت فيها قضاة القضاة والأمراء المقدمون وأعيان المباشرين وغير ذلك من الأعيان ، ودفن فى تربته التى أنشأها بالصحراء ، وكان أصله من مماليك الظاهر خشقدم ، وكان متزوجا بأخت السلطان قانصوه الغورى من حين كان جمدارا ، فلما تسلطن الغورى أنعم عليه بأمرة عشرة ، ثم بقى خازندارا كبيرا عوضا عن عبد اللطيف الزمّام بحكم

(٢) السعاة : السعادة . (٧) أضعاف : أصناف . (١٣) ممالك : مماليك . (٢١) تربته : تربة .

وفاته ، ثم صار أمين السلطان على خزائن الأموال وغيرها ، وصار لا يُقضى
أمر من أمور المملكة دون علمه ، ثم أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف فتزايدت
٣ عظمته وتضاعفت حرمته ، ونال من العزّ والعظمة ما لا ناله أغاته الأمير خاير بيك
الخازندار مملوك الظاهر خشقدم فى دولة أستاذه فى أيام خازنداريته ، لكن كان
خاير بيك هذا عنده رهج وخفة وبادرة بسفاهة مع حدّة زائدة ، وكان إذا رسم
٦ السلطان بأمر لا يراجعه فيه إلا الأمير خاير بيك ولا يكن إلا ما يقوله الأمير خاير
بيك ، وكان له محاسن ومساوئ ، وكان له الإدلال الزائد على السلطان وكان عنده
من المقرّبين ، وتوفى الأمير خاير بيك وله من العمر نحو ثمانين سنة ، ولما مات ظهر له
٩ من الموجود (٢٣٦ آ) أشياء كثيرة ما بين مال وقماش وبرك وسلاح وتحف
وخيول وبغال وجمال وغير ذلك من الموجود الحافل ، وقد تكلموا على موجوده
بأشياء كثيرة لكننى لم أقف على صحتها فلم أوردها هنا خوف الاعتراض علىّ
١٢ فى ذلك ، وهذا القدر كافى هنا . — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره نزل السلطان إلى
مدرسته وعرض الأيتام والصوفية الذى بها ، ورسم للأيتام بكسوة ، وأقام هناك
إلى قريب الظهر ، ثم طلع إلى القلعة . — وفى يوم الخميس خامس عشره حضر
١٥ إلى الأبواب الشريفة ماماى السلحدار أحد الأمراء العشرات ، الذى كان توجه
للشام بسبب تزويج ابن السلطان ببنت سيباى نائب الشام ، فتوجه إلى الشام بالمهر
وعقد العقد لابن السلطان فتعلّل نائب الشام وقال أنا ابنتى صغيرة عمرها ست
١٨ سنين لم تستحق للزواج ، وكان له ابنة أكبر من هذه توفيت فى السنة الخالية لما
وقع الطعن بالشام وكانت هى المقصودة للزواج ، فلما ماتت قصد السلطان أن
يعقد لابنه على البنت الصغرى فلم يوافق نائب الشام على ذلك وتعلّل بأنواع
٢١ العلل ، فلما طلع الأمير ماماى إلى بين يدى السلطان أخلع عليه وعلى الخواجا
يونس العادلى ونزلا من القلعة فى موكب حافل . — وفى ذلك اليوم نفق (٢٣٦ب)

---

(٦) لا يراجعه فيه إلا الأمير : يراجعه إلا فيه أمير . (٨) وتوفى ... سنة : جاءت فى الأصل
بعد « عشرة » فى سطر ٢٣ ص ٣٩٨ . (٩-١٠) الموجود : الموجد . (٢٢) يونس : يويس .

السلطان الكسوة على العسكر مع الجامكية . — ولما حضر الأمير ماماى إلى القاهرة حضر صحبته من الناس ما لا يحصى من أهل حلب وغير ذلك من الناس ، فكان فى هذا
٣ القفل من أهل حلب [عدد كبير] ، وسبب ذلك أن العسكر لما دخل إلى حلب جرى على أهل حلب من مماليك السلطان الجلبان ما لا خير فيه ، نزلوا فى بيوتهم ونهبوا أمتعتهم وفسقوا فى حريمهم وأولادهم وعيالهم ولم يسمعوا للباش ولا نائب
٦ حلب ، فوقع بين مماليك السلطان الجلبان وبين مماليك نائب حلب فتنة مهولة وكادت حلب أن تخرب عن آخرها وهمّ أهلها بالخلاء منها ، وغضب نائب حلب وخرج من حلب إلى الفضاء وأقام به بسبب مماليك السلطان الجلبان فلم يسمعوا من كبير
٩ ولا صغير ، وأشيع بين الناس بأن قرقماس المقرى قد قُتل فى هذه المعركة ، وقيل أن مماليك الأتابكى دولات باى هم الذين قتلوه فإنه كان اتُّهم بقتل أستاذهم دولات باى بأنه قد أشغله ، والله أعلم بحقيقة ذلك إن كان قُتل أم لا ، فلما جرى
١٢ ذلك بحلب خشى غالب أهلها على عيالهم وأولادهم فأرسلوهم إلى مصر صحبة ذلك القفل المقدم ذكره ، واستمرت أهل حلب مع المماليك الجلبان فى اضطراب زائد ، وربما يقع بسبب ذلك فتنة (٢٣٧ آ) كبيرة بين الأمراء وبين مماليك السلطان
١٥ الذين هناك فإن الأحوال مضطربة والأمور غير صالحة ، وأمّا [ما] أشيع من الأخبار صحبة هذا القفل الذى حضر من حلب مما كان بين ابن عثمان وبين الصوفى من أمر هذه النصرة على الصوفى ، قيل إن فى سادس رجب من هذه السنة وقع بين
١٨ ابن عثمان وبين الصوفى وقعة مهولة بالقرب من تبريز ، فكسر الصوفى ابن عثمان أولا كسرة قوية وقُتل من أمرائه الأعيان اثنى عشر أميراً مقدم ألف غير الأمراء الذين دونهم ، وقُتل من عسكره نحو من ثلاثين ألفا وقيل أكثر من ذلك ، وكانت
٢١ الكسرة على ابن عثمان أولا ، ثم إن ابن عثمان أحضر اثنى عشر ألف رامى بالبندق الرصاص وتلاقى مع الصوفى فكسر الصوفى كسرة قوية ، وقيل إنه جُرح وولّى مهزوما فلم يُعلم له خبر ، وقيل إن ابن عثمان أسر أمراء الصوفى وحزّ رقابهم

(١٦) حضر من حلب : جاءت بعد « مضطربة » فى السطر السابق .

وأرسلهم إلى بلاد الروم ، فزيّنت له المدائن بالروم ، مدينة إسطنبول وغيرها من المدائن ، وقيل قتل من عسكر الصوفى ما لا يُحصى عددهم ، ثم إن ابن عثمان ملك
٣ تبريز بالأمان ، وكذلك قاشان وسيواس وغير ذلك من البلاد مما كان بيد الصوفى ، وخُطب له باسمه بها على المنابر ، وكانت هذه (٢٣٧ ب) النصرة لسليم شاه بن عثمان على غير القياس ولم يقع لأحد من أجداده مثل هذه النصرة قط ، والكلام
٦ فى ذلك كثير إن صحّت هذه الأخبار من أمر هذه النصرة . — وفى أثناء هذا الشهر توفى القاضى بدر الدين بن الإنبابى كاتب جيش الشام رحمة الله عليه ، وقُرّر فى وظيفته الشرفى يونس النابلسى الأستادار كان ، وكان بدر الدين لا بأس به . —
٩ وفى يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان قلع السلطان البياض ولبس الصوف ، ووافق ذلك سابع هاتور القبطى ، وهى العادة القديمة فى لبس الصوف . — وفى يوم الأحد ثامن عشره توفى الناصرى محمد بن قجق نديم السلطان ، وكان
١٢ علاّمة فى ضرب الطنبورة عارفا بصنعة الأنغام ، وكان لطيف الذات عشير الناس ، فكانت جنازته حافلة ومشى فيها أعيان الناس ، حتى أعيان مغانى البلد والآلاتية قاطبة فإنه كان شيخهم ، وكان من المقرّبين عند السلطان . — وفى يوم الاثنين
١٥ سادس عشرين شهر رمضان جاءت الأخبار من حلب بأن المماليك السلطانية أثاروا بحلب فتنة مهولة وركبوا هناك على الأمراء وطردوهم عن حلب وقالوا لهم : ارسلوا قولوا للسلطان (٢٣٨ آ) ينفق علينا لكل مملوك خمسين دينارا كما
١٨ نفق على مماليكه الجلبان قبل ذلك ، وأشاعوا عنهم أخبارا شنيعة إلى الغاية ، وأن الأحوال مضطربة بحلب والأمور غير صالحة فتنكّد السلطان لهذا الخبر إلى الغاية ، وضرب مشورة هو والأمراء بسبب هذه الحادثة ، وقيل إنه عيّن الأمير
٢١ أينال باى دوادار سكين بأن يتوجه إلى حلب ويكشف عن صحّة هذه الأخبار الشنيعة ويطالع السلطان بذلك ، وقد كثر القيل والقال بين الناس بسبب ذلك . — وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه ختم صحيح البخارى بالقلعة ، وفُرّقت الخلع والصرر

(١٣) والآلاتيه : واللاثية . (٢٠) مشورة : مشهورة .

على القضاة ومشايخ العلم ، وكان ختما حافلا بالمقعد الذى بالحوش السلطانى . — وفى أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من المدينة الشريفة بوفاة الأمير شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى ، وكان أصله من مماليك الجمالى يوسف ناظر الخاص ، ٣ وكان لا بأس به . — وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عرض ناظر الخاص علاى الدين بن الإمام خلع العيد على السلطان وهى مزفوفة على رؤوس الحمالين ، وكان ذلك اليوم مشهودا . — وفى يوم الخميس المذكور حضر قاصد من عند ٦ السلطان سليم شاه بن عثمان ملك الروم وعلى يده مطالعة للسلطان تتضمن أخبار هذه النصرة التى وقعت له على إسمعيل شاه الصوفى ، وذلك أن فى يوم الأربعاء سادس رجب الفرد سنة عشرين وتسعمائة تلاقى عسكر سليم شاه ٩ (٢٣٨ ب) ابن عثمان مع عسكر إسمعيل شاه الصوفى على مكان بالقرب من تبريز يقال له إسكندران ، فكان بينهما هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصى ، وتذهل العقول عند سماعها من كل دانٍ وقاصى ، فصُيِّرت الرؤوس عن الأجساد طائرة ، ١٢ وطفشت العساكر بالخيول الغائرة ، ووقع القتل بالسيف حتى أجرى الدماء منهم كالسيل ، واستمر الحرب ثائرا حتى حال بينهما الليل ، فسكر القوم من خمر ذلك الحرب ، وتراقصت الخيول على وقع السيوف الداخلة فى الضرب ، فقُتل من ١٥ العسكرين ما لا يُحصى عددا ، وانهزم الباقون وتبدّد شملهم بددا ، فيالها من ساعة مهولة ، لا تُرضى الله ولا رسوله ، فوقعت الكسرة على عساكر ابن عثمان أولا وقُتل من عسكره ما لا يُحصى عددهم ، حتى قيل قُتل من أمرائه سبعة عشر أميرا ١٨ أصحاب صناجق ، وقُتل من عسكره نحو النصف ، فلما عاين ابن عثمان ما وقع له من هذه الكسرة كادت روحه أن تزهق من شدة قهره ، ثم قام على عسكره وحضّهم على القتال فقوى عزم عساكر الروم على القتال وأتوا بالصارم البتار ، ٢١ وقال لسان حالهم الموت فى طلب الثار ، خير من الحياة فى العار ، فوثبوا على عساكر الصوفى وثوب الليث الهمام ، وبايعوا أنفسهم فى بلوغ المرام ، وقيل إن ابن

(٧) تتضمن : يتضمن . (١٨) أمرائه : أمراء . (١٩) أصحاب : أصاحب .

عثمان كان فى جاليش عسكره اثنى عشر (٢٣٩ آ) ألف رام بالبندق الرصاص ، فلما زحفوا على عسكر الصوفى عمّتهم الدهوة ، ولم يحملوا معهم غلوة ، فانكسر
٣ الصوفى وولّى مهزوما وقتل من عسكره أضعاف ما قُتل من عساكر الروم ، فيقال إن الصوفى جُرح وهرب فى نفر قليل من عسكره ولم يثبت أنه قد قُتل فى المعركة كما أشيع عنه فيما تقدّم ، وقيل قُتل من أمرائه جماعة كثيرة منهم صاحب ديار بكر
٦ ويسمى سيحلى محمد وأولاده ، وغير ذلك من أعيان عسكره وأمرائه ما لا يُحصى عددهم ، وكانت النصرة لسليم شاه بن عثمان على الصوفى من النوادر الغريبة ، كما يقال:

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسَرّ

٩ ثم إن ابن عثمان حزّ رقاب من قُتل من أمراء الصوفى وأرسلهم إلى بلاده ، فطافوا بها هناك وعُلّقوا على أبواب مدائن الروم ، ولم تقع مثل هذه النصرة لأحد من أجداد سليم شاه بن عثمان ، ولا لوالده السلطان أبى يزيد المعروف بيلدرم
١٢ ابن أورخان ، لما زحف تمرلنك كسره وأسره ووضعه فى قفص من الحديد وصار يدخل به البلاد ويعجب عليه ، فما طاق يلدرم ذلك فبلع له فصّا من الماس فمات وهو فى القفص الحديد وأمره مشهور ، ووقع لوالده السلطان أبى يزيد لما زحف
١٥ على البلاد السلطانية فى أيام الأشرف قايتباى ، (٢٣٩ ب) فكسر الأشرف قايتباى عسكره ثلاث مرات وقتل من عسكره ما لا يُحصى عددهم ودخل بجماعة من عسكره أسراء إلى مصر فى الحديد وصناجق أمرائه منكوسة وحصل على
١٨ عساكر الروم ما لا خير فيه ، فكان لسليم شاه سعد خارق بهذه النصرة على الصوفى ووقع له ما لا وقع لأبيه ولا لأجداده وهذا أمر إلهى ، فلما وقع لسليم شاه ذلك رجع إلى بلاده ليشتّى بها وبعد الشتاء ما يُعلم ما يكون بينه وبين الصوفى
٢١ من الحروب المهولة ، فلما رحل ابن عثمان جعل على تبريز نائبا من أمرائه وكذلك على البلاد التى ملكها من أيدى الصوفى فاستناب له بها نوابا من أمرائه ثم رحل

---

(٢) عسكر : عسكره . (٨) نسر : نسره . (١١) أبى يزيد : أبى يزيد يزيد .
(١٢) أورخان : اردخان . (١٦) ودخل بجماعة : بجماعة ودخل .

عن بلاد الصوفى ، فلما حضر قاصد سليم شاه بن عثمان بين يدى السلطان وقرئت
مكاتبته بحضرة الأمراء أخلع على القاصد الذى حضر بأخبار هذه النصرة كاملية
مخمل أحمر كفوى بصمور عال من ملابيسه ، ثم نزل القاصد من القلعة ولم يرسم ٣
السلطان بدقّ الكوسات بالقلعة ، ولم يناد فى القاهرة بالزينة لأجل هذه النصرة ،
ولم يُعلم ما سبب ذلك . — وأشيع عن قرقماس المقرى بأنه فى قيد الحياة ، ولم يثبت
موته كما أشاعوا عنه بما تقدم من الإشاعات الفاسدة . ٦

وفى شوال كان مستهل الشهر يوم السبت ، وكان ذلك اليوم عيد الفطر (٢٤٠ آ)
فخرج السلطان إلى صلاة العيد ، فصلّى ثم أخلع على الأمراء ومن له عادة بالخلع
السنية ، وكان موكب العيد حافلا كما جرت به العادة . — وفى يوم الاثنين عاشره ٩
أخلع السلطان على الأمير أينال باى دوادار سكين ، وأذن له بأن يتوجه إلى حلب
بسبب ردّ الجواب على الأمراء والعسكر السلطانى فيما أرسلوا يسألون فيه من أمر
النفقة ، وهى الخمسون دينارا التى أثاروا الفتنة بحلب بسببها ، وبهدلوا الباش قانى باى ١٢
قرا أمير آخور كبير وعيّنوا له القتل المماليك القرانصة والجلبان ، [وقالوا] : نفق
فى السنة الخالية على مماليكه الجلبان لكل واحد منهم خمسون دينارا ولم يعط المماليك
القرانصة شيئاً فمثل ما نفق على مماليكه ينفق علينا نحن أيضاً وإلا ننهب أسواق ١٥
حلب ، فأرسل لهم السلطان الجواب عن ذلك بما تقتضيه الآراء الشريفة ، فتوجه
أينال باى بمراسيم شريفة تُقرأ على الأمراء والعسكر بحلب عن الجواب فى ذلك ،
ثم إن السلطان بعد أن أخلع على الأمير أينال باى ورسم له بالسفر فعوّقه عن ١٨
السفر من بعد ذلك أياما لأمر أوجب ذلك بما عنّ له ، ثم سافر بعد ذلك
فى العشرين من هذا الشهر ، وكذلك قاصد ابن عثمان المقدم ذكره . — وفى (٢٤٠ب)
اليوم المذكور أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان الذى حضر بأخبار النصرة ٢١
على الصوفى فأخلع عليه وأذن له بالعود إلى بلاده وكتب له الجواب بالتهنئة عن أمر
هذه النصرة [التى] تمّت . — ومن الحوادث أن السلطان أنشأ سوقا بالقرب من خان

الخليلى يباع فيه الرقيق ، وأبطل السوق القديم الذى كان يباع فيه الرقيق ، وصار
العمل على هذا السوق من يومئذ . — ومن النوادر الغريبة أن الأمير خاير بيك
٣ الخازندار لما توفى رسم السلطان للأمير طومان باى الدوادار والزينى بركات
ابن موسى المحتسب بأن يتوليا ضبط موجود الأمير خاير بيك الخازندار ، فلما
شرعا فى ذلك ظهر له موجود يقرب من موجود سلار الناصرى نائب السلطنة
٦ كان ، فظهر له فى أول يوم من الذهب العين ثلاثة وثمانين ألف دينار ، وزعم
السلطان أنه لما حصل له التوعك فى عينه أودع عنده خمسمائة ألف دينار فلم يظهر
للسلطان منها شىء وخفيت تحت الأرض ولم يعلم مكانها ، ومات خاير بيك عن
٩ غير وصيّة ولم يخلص ذمته فيما عليه من حقوق الناس الذى كان يقطع مصانعتهم
ويأكل حقوقهم ، فلما ضاعت على السلطان تلك الوديعة صار يُقلّ الرحمة على
الأمير خاير بيك ولم يقرأ له ختمة على قبره ولا صنع له مأتما ولا تصدّق عليه
١٢ برغيف خبز ، ثم ظهر له من بعد ذلك (٢٤١ آ) من المعادن والجواهر والفصوص
الماس والياقوت الأحمر واللؤلؤ الكبار والتحف الفاخرة ما قُوّم بمائة ألف دينار ،
ثم ظهر له ألف ثوب بعلبكى ومن الأثواب الصوف والأبدان الصمور والوشق
١٥ والسنجاب والقطع الجوخ وثياب البدن من سلاريات وجنينيات جوخ وغير ذلك
ما قُوّم بخمسين ألف دينار ، وظهر عنده بشاخين زركش وأشياء من ثياب النساء
تركة وحليّهن ما لا يُحصى ، وسبب ذلك أنه استولى على ستة عشر من تركات
١٨ الخوندات والستات وأعيان الرؤساء من الملوك وغير ذلك ممن توفى فى دولة
السلطان قانصوه الغورى ، وظهر له من الخيول والبغال والجمال ما لا يُحصى ،
فدخل ذلك إلى الحواصل السلطانية ، وظهر له من الرزق والأملاك والبيوت
٢١ والربوع والحوانيت وغير ذلك ما عنهم من الخراج وكرا أماكن فى كل سنة
فوق العشرة آلاف دينار ، واستمرّ الحال على ذلك إلى يوم تاريخه يظهر له
فى كل يوم من الموجود أشياء جديدة ولم ينته ضبطه إلى الآن وضاع له تحت

الأرض وعند الناس أضعاف ذلك ، فكان موجوده إذا قُوِّم جميعه يقارب أربعمائة
ألف دينار ، ومع هذا المال الجزيل لم يلهم الله تعالى الأمير خاير بيك عند موته
أن يبرّ ابن أستاذه الظاهر خشقدم بشىء من المال فى الباطن (٢٤١ ب) حتى ٣
يستعين بذلك على فقره ووفاء دينه ، فعُدّ ذلك من مساوئ خاير بيك ولم يثْنِ
عليه أحد بعد موته بخير قط ، فذهبت عنه الدنيا وفاتته الآخرة ، فلا حول
ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ولما توفى الأمير خاير بيك أشيع أن السلطان عيّن ٦
تقدمة الأمير خاير بيك إلى أقباى الطويل أمير آخور ثانى ، وأنعم على ولده المقر
الناصرى محمد بأمرة طبلخاناه وقرّره فى الخازندارية الكبرى عوضاً عن خاير بيك
بحكم وفاته ، فتزايدت عظمة سيدى ابن السلطان وكان له من العمر يومئذ ٩
نحو ثلاث عشرة سنة ، وقد تقدم القول على أن السلطان أرسل يخطب بنت
ملك الأمراء سيباى نائب الشام إلى ولده المذكور أعلاه ، فتعلل نائب [الشام]
على أن ابنته صغيرة ، وكان اسمها فاطمة وتدعى أيضاً شقرا ، وقيل إنها جميلة ١٢
عمرها ثمان سنين ولم تستحق للزواج ، فأرسل السلطان يقول له : لا بدّ من
ذلك ، وأرسل له عشرة آلاف دينار مهرها ، فلما رأى السلطان قد صمم
على ذلك قبلّ المهر وأجاب بالسمع والطاعة وأذن فى تزويج ابنته إلى ابن السلطان ، ١٥
وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . — وفى يوم الأربعاء ثانى عشره جلس
السلطان على المصطبة التى بالحوش وفرّق على المماليك الذين أخرج لهم الخيل
والقماش ، ففرّق عليهم فى ذلك اليوم السيوف والزرديات والتراكيش ، وكانوا ١٨
نحو مائة وستين مملوكا من جلبانه . — وفى يوم (٢٤٢ آ) الجمعة رابع عشر
شوال فيه كان عقد المقرّ الناصرى محمد بن السلطان على ابنة ملك الأمراء سيباى
نائب الشام ، فكان الوكيل عن ابن السلطان الأتابكى سودون العجمى ، والوكيل ٢١
عن سيباى نائب الشام الأمير طومان باى الدوادار الكبير ، وكان جملة الصداق
نحو عشرين ألف دينار ، من ذلك عشرة آلاف دينـــار معجّلا وعشرة

---

(٤) يستعين : يستعان . (٢٠) ابنة : بابنة .

آلاف دينار حال ، وكان العقد بجامع القلعة وحضر القضاة الأربعة وهم : علاى الدين الإخميمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقاضى جلال الدين
٣ ابن قاسم المالكى والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، وحضر سائر الأمراء من الأكابر والأصاغر ، وحضر القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا وأعيان المباشرين قاطبة ، فلما فرغ السلطان من صلاة الجمعة فُرشت له مرتبة على باب المقصورة
٦ فجلس عليها ، وجلست الأمراء حوله بالشاش والقماش والقضاة الأربعة ، وجلس نوّاب القضاة عند المحراب ، ثم خطب قاضى القضاة الشافعى خطبة النكاح ، وطافوا على الحاضرين من الأعيان بنحو عشرين سلطانية صينى فيها سكر ، ثم إن السلطان
٩ أخلع على القضاة الأربعة كوامل صوف أبيض بصمور ، وأخلع على الأتابكى سودون العجمى والأمير طومان باى الدوادار كوامل مخمل أحمر (٢٤٢ ب) بصمور كونهما وكلاء فى العقد ، وأخلع على محبّ الدين الحلبى إمام السلطان كاملية صوف
١٢ بصمور ، ثم قام السلطان وانفضّ المجلس فى نحو خمس درج ، وقد قال القائل فى المعنى :

على أيمن الساعات عقدٌ مباركٌ بهىٌّ كما شـاء الإله وأظهرا
سنىُّ المعـالى يُسِّرَتْ حركاته إذا الله سنّى أمْرَ عقدٍ تيسّرا

١٥ ولم يقع فى هذا العقد ما هو كبير أمر من الأفعال الملوكية ، وأين هذا مما وقع للخليفة المأمون بن هرون الرشيد لما أن عُقد له على بوران بنت الحسن بن سهل وزيره ، قال صاحب كتاب « الاكتفاء فى تواريخ الخلفاء » أن الحسن بن سهل الوزير
١٨ لما عقد المأمون على ابنته بوران ببغداد اجتمع أعيان بغداد من العلماء والأمراء والحجّاب بالجامع الكبير ، فلما انفضّ ذلك الجمع نثر الوزير الحسن بن سهل على رؤوس الأعيان من الناس رقاعا مكتوب فيهـا أسماء ضياع وأملاك فمن وقعت
٢١ بيده رقعة مكتوب فيها اسم ضيعة أو مِلك بعث إلى صاحب الرقعة بتسليم ما فى الرقعة من ضيعة أو مِلك ، وهذا من غرائب الأخبار ، وكان ذلك فى سنة عشر ومائتين من الهجرة . — ومما يُحكى أن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى

(١٠) أحمر : الأحمر . (١٣) الإله : الالاه . (٢٠) اسماء ضياع : اسماء ع . (٢٢) الرقعة : رقعة .

زوّج ابنه الملك السعيد ببنت الأتابكى قلاون الألفى ، وكان الملك الظاهر يظنّ أنه
إذا زوّج ابنه ببنت الأتابكى قلاوون يكون له من بعده عونا لولده (٢٤٣ آ) على
تقلّب الزمان ، فجاء الأمر بخلاف ذلك وأخذ قلاوون الملك من أولاده ونفاهم إلى ٣
الكرك ولم يُفده من تلك الصهارة شىء ولا راعاهم من بعده ، وكان ذلك فى سنة
ثلاث وسبعين وستمائة ، فكان كما يقال فى المعنى :

ربّما يرجو الفتى نفع فتى خوفُه أولى به من أمله ٦
ربّ مَن ترجو به دفع الأذى سوف يأتيك الأذى من قِبله

وفى ذلك اليوم سافر ماماى الغورى الخاصكى ، الذى عيّنه السلطان للتوجّه
إلى جبل نابلس وغيرها من الجهات ، بسبب أمر المشاة الذين أفرد السلطان الأموال ٩
على البلاد بسببهم ، لأجل التجريدة المقدم ذكرها ، فخرج ماماى هذا ليجبى الأموال
التى قُرّرت على البلاد ، حتى قيل قُرّر على أهل جبل نابلس من الأموال مائة
ألف دينار وأربعة وعشرين ألف دينار بسبب المشاة ، ولم يتفق قط هذا لأهل ١٢
جبل نابلس بل كان الأشرف قايتباى فى التجاريد التى كان يرسلها ينفق على
الرجال المشاة من حاصله لكل واحد منهم قدرا معلوما ، فلم يوافق السلطان على
شىء من ذلك وأفرد على مشايخ جبل نابلس ما تقدم القول عليه من المال ، ١٥
ومشايخ جبل نابلس يفردون ما قُرّر عليهم من المال على عربان جهة نابلس ،
ولم يقدروا على بعض ذلك وسوف يخلون أهل جبل نابلس منه (٢٤٣ ب)
عن قريب ، وقُرّر على أهل الشام مال له صورة بسبب المشاة . وكذلك أهل غزّة ، ١٨
وكذلك على أهل صفد وطرابلس ، وكتب بمعنى ذلك مراسيم على يد أمير آخور
باش العسكر بأن يُفرد على أهل حلب مال بسبب المشاة ، وكذلك على أهل
حماة ، فقيل قُرّر على كل إنسان من هذه الجهات عشرون دينارا بسبب المشاة ، ٢١
وهذا كله يؤول أمره إلى خراب البلاد وفساد الأحوال وضعف أحوال الجند
وعدم عمارة البلاد ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى ما شاء يفعل ، فأطلق النار

(١ و ٢) زوج : ازوج . (٢٠) بأن : فأن .

فى تلك البلاد بسبب أمر المشاة . — وفى يوم السبت خامس عشره خرجت المدوّرة
إلى بركة الحجاج . — وفى [ذلك] اليوم نزل السلطان إلى قبة يشبك التى بالمطرية
٣ وبات بها ، ثم ركب يوم الأحد وتوجه إلى بركة الحجاج ورتب كيف يُنصب
الوطاق للأمراء الحاج ، وكان ممن حجّ فى هذه السنة من الأعيان وهم المقرّ
الناصرى محمد بن السلطان وخوند زوجة السطان والقاضى كاتب السر محمود بن
٦ أجا والأمير نانق الخازن ، وكان هو المتسفر على السنيح وكان من أخصّاء
السلطان . — وأما أمراء الحاجّ الأمير طُقطباى نائب القلعة أحد المقدمين أمير
ركب المحمل ، والركنى سيدى عمر بن الملك المنصور بن الملك الظاهر جقمق
٩ أمير الركب الأول ، والأمير جانى بيك قرا (٢٤٤ آ) أحد الأمراء الطبلخاناه
باش المجاورين ، فجعل السلطان وطاق ابنه بين وطاق كاتب السرّ وبين وطاق
طقطباى أمير ركب المحمل ، ثم إن السلطان عاد إلى القلعة من يومه . — وفى يوم
١٢ الاثنين سابع عشر شوال فيه خرج المحمل الشريف وكان لخروجه يوم مشهود ،
لم يقع قط مثله فيما تقدم من السنين الماضية وذلك قد انسحب فيه أربعة أطلاب
حافلة : طُلب جانى بيك قرا باش المجاورين وكان حافلا ، ثم انسحب طُلب سيدى
١٥ عمر بن المنصور أمير الركب الأول وكان حافلا وظهر له من السنيح العظيم
أشياء كثيرة يعجز عنها الأمراء المقدمون ، ثم انسحب طلب المقر الناصرى سيدى ابن
السلطان فخرج بطلب حربى وقدامه طبلين وزمرين وصناجق سلطانية وفيه نوبتين
١٨ هجن بأكوار زركش من ذهب بنادقة وبقيّة الأكوار مخمل ملوّن ، وانسحب فى
طلبه [عدة خيول] بكنابيش زركش بغواشى حرير أصفر وعدة خيول نحو طوالتين
ملبّسة ببركستوانات فولاذ مكفّتة ، وانسحب فى طلبه نحو عشرين جملا مزّينة
٢١ بآلات الشراب خاناه من الأوانى الصينى واللازورد والزجاج البلورى وغير ذلك،
وأيضاً أحمال مزّينة بآلات الطشتخاناه من الأباريق الكُفت والطسوت الكفت

(٩ و ١٥) الركب : ركب . (٢٠) جملا : حمل . (٢١) الأوانى : الانوانى . (٢٢) الطشتخاناه : الطسخاناه .

والشماعد وغير ذلك مما يحيّر الأبصار ، ومحفّة (٢٤٤ ب) جوخ أصفر مزهر
فى آخر الطلب ، ثم بعد ذلك انسحبت محفّة خوند زوجة السلطان فكانت غاية
فى الحسن منتهى ما يعمل من المحفّات ، فكانت مخمل أحمر كفوى وهى مرقومة
بالذهب ، طرازها وأرضية الثوب عروق لاعبة زركش من الذهب الخالص البنادقة ، ٣
وفوقها خمس رصافيات لؤلؤ وفيها رصعات ذهب بفصوص بلخش وفيروز ،
وحول ثوب المحفّة بهرجان ذهب وفضة شقاق ، وقدام المحفة أربعة مشاعل بفوط
زركش بشراريب مثلّث ، وقيل صنعوا لخوند حمّام من نحاس صفايح وداخلها ٦
أحواض نحاس . فعُدّ ذلك من النوادر ، غلايات يصبّ منها ماء سخنة ، قيل إن
مصروف هذه المحفّة فوق العشرين ألف دينار ، وأما الرصافيات اللؤلؤ زعموا أنهم
رصافيات خوند زوجة الأشرف قايتباى صنعتهم لما حجّت فوُجدوا فى تركتها ، وكان ٩
خلف المحفّة أربعة جمال غير الذى تحت المحفة ، وعليها كنابيش زركش على مخمل
أحمر ، وحولها مرتعش ذهب وفضة وقدّام المحفة حاديين ، ونحو عشرين نفرا من
الخدّام حول المحفة ، ثم بعد المحفة انسحب نحو عشرين محارة مخمل ملوّن برسم ١٢
عيال خوند وغيرها ممن يلوذ بها ، فلما شقّت من الرملة ارتجت لها ، ولاسيما اجتمع
بالرملة الجمّ الغفير من الأمراء والعسكر والخلائق الذين لا يُحصوا لكثرتهم ، ثم
طلعت المحفّة من (٢٤٥ آ) الصوة ونزلت من على باب الوزير وشقّت من القاهرة ، ١٥
فارتجّت لها القاهرة فى ذلك اليوم رجّا ، ولم يكن من العادة القديمة أن محفة حريم
السلطان تشق من القاهرة ، وقد تقدم أن خوند زينب زوجة الأشرف أينال لما
حجّت لم تشقّ محفتها من القاهرة بل طلعت من بين الترب ، وكذلك خوند الأحمدية ١٨
زوجة الظاهر خشقدم لم تشقّ محفتها من القاهرة ، ولا خوند زوجة الأشرف
قايتباى لما حجّت لم تشقّ محفتها من القاهرة ، ولكن أشيع أن خوند زوجة السلطان
لم تخرج فى ذلك اليوم ولم تنزل من القلعة فشقّوا بالمحفة من القاهرة ثم أعادوها ٢١
من [بين] الترب إلى القلعة حتى تنزل خوند ، ويأتى الكلام على ذلك فى موضعه ، ثم

(١) والشماعد : والشماعيدين. (٦-٧) وقيل ... سخنة : جاءت فى الأصل بعد «فكانت غاية» فى سطر ٢ السابق.

انسحب سنيح خوند وابن السلطان فكان فيه ألف جمل ما بين زاد وقرب ماء
وغير ذلك من البرق الحافل ؛ ثم انسحب طلب الأمير طقطباى أمير ركب المحمل
٣ فكان غاية فى الحسن ، وهو منتهى ما يُعمل فى الأطلاب الملوكية ، فانسحب فيه
نحو مائتى فرس ما بين خيول ملبّسة بركستوانات فولاذ مكفّت وغير ذلك من
المحمل الملوّن ، وخيول بكنابيش زركش ، وغير ذلك من المحفات والأحمال المزينة ،
٦ فارتجّت لهذه الأطلاب الرملة ، ثم انسحب المحمل وقدامه ابن (٢٤٥ب) السلطان
والأمراء الحاج والخاصكية المسافرون إلى الحجاز فطلعوا وكان السلطان فى ذلك
اليوم فى شباك القصر ينظر إليهم من القلعة ، فأخلع السلطان على ولده مُثمّرة
٩ وفوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض ، وأخلع على أمراء الحاج مُثمّرات ،
وأخلع على باش المجاورين كاملية صوف بصمور ؛ وكان بالقاهرة شخص من قضاة
مكة فألبسه السلطان تشريفا وطرحاة هو وقاضى المحمل ، ثم نزل ابن السلطان
١٢ من القلعة وأمراء الحاج وصحبتهم الأتابكى سودون العجمى وبقية الأمراء المقدمين
وسائر أعيان المباشرين ، وكان قاصد ابن عثمان حاضرا لهذا الموكب العظيم ، فشقوا
من القاهرة فى موكب حفل لم يقع مثله فى خروج الحجاج فيما تقدم من المواكب ،
١٥ فلهج الناس بأن ذلك نهاية سعد السلطان مما وقع له من الأمور الخوارق فيما
تقدم ذكره . — وفى ذلك اليوم أشيع بأن قاصدا ثانيا واصلا من عند ابن عثمان
ملك الروم ، فلما سمع السلطان بمجىء القاصد عوّق أينال باى دوادار سكين عن
١٨ السفر إلى حلب حتّى يسمع ما جاء فيه القاصد من الأخبار ، وقد تقدم القول
على أنه أخلع على أينال باى وأذن له بالسفر ثم عوّقه عن السفر لأمر بدا له
فى ذلك . — وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره نزلت خوند من القلعة بعد صلاة
٢١ الفجر فجلست فى المحفة من باب الستار ، ثم (٢٤٦آ) نزلوا بها من دار البقر
إلى خلف القلعة وقدامها المشاعل والفوانيس ، وركب قدامها سائر المباشرين

---

(١) جمل : جميل . (٣) فيه : فى فيه . (٨) من القلعة : إلى القلعة . (٢٠) خوند :
جاءت فى الأصل قبل « أخلع » فى سطر ١٩ السابق .

ومقدم المماليك وسائر الخدام من الطواشية ، وركب خلف محفتها من الخوندات
والستات نحو ألف مكارى ، فاستمرت فى هذا الموكب الحافل إلى بركة الحجاج . —
وفى ذلك اليوم خرج القاضى كاتب السر محمود بن أجا فى محفة على بغال وتوجه ٣
إلى بركة الحجاج وكان عليلا وله مدّة على ذلك ، وكان الحاج فى هذه السنة
لا يُحصون عددا لكثرتهم ، وكان فى الركبين فوق العشر محفات للأعيان والأمراء
والستات . — وفى يوم الخميس عشرينه أشاعوا أن أينال باى دوادار سكين قد ٦
خرج وسافر إلى حلب بسبب ما تقدم ذكره من أمر النفقة التى أرسل بطلبها
العسكر ، فمضى إليهم الجواب عن ذلك . — وفى يوم الجمعة حادى عشرينه رحل
أمير أول من بركة الحجاج ، وكذلك باش المجاورين ، ثم فى ليلة السبت طلوع ٩
القمر رحل ابن السلطان وخوند زوجة السلطان والقاضى كاتب السر ، ونادوا
فى البركة أن أحدا من الحجاج لا يسافر صحبة خوند فى ركبها ، ثم فى اليوم السبت
ثانى عشرينه رحل المحمل من البركة وقد ضجّ الناس من كثرة الحجاج فى هذه ١٢
السنة ، وربما يُخشى عليهم من موت الجمال وشدة البرد ، تمّ والأمر لله . — وفى
يوم الثلاثاء خامس (٢٤٦ ب) عشرينه جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه
الجلبان وهم باللبس الكامل من آلة السلاح الآدمية والخيول ، فعرض فى ذلك اليوم ١٥
أربع طباق فعيّن منهم نحو مائة وخمسين مملوكا ، وسبب ذلك أن السلطان كان له
مدة طويلة وهو يلهج بالسفر إلى الإسكندرية فقوى عزمه فى هذه السنة على
السفر إلى ثغر الإسكندرية كما فعل الأشرف قايتباى ، ثم فى ذلك اليوم عرض ١٨
آلة الطلب وهم الخيول الملبّسة بالجواغين الفولاذ المكفت ، وعرض خيول النوبة
وهم بالكنابيش الزركش والسروج والأرقاب الزركش الذهب والغواشى الذهب ،
وعرض التختنين وهما بغواشى حرير أصفر ، ثم طلع إلى الدهيشة وعرض الصناجق ٢١
السلطانية والقبة والطير ، وقد غيّر الطير الذهب الذى كان فوق القبة وجعل
مكانه هلالا ذهبا مخرّما ، وعرض ستة خزائن التى يكونوا فى الطلب بالأغشية

---

(٣) بغال : ابغال . (٢١) التختنين : كذا فى الأصل ، وانظر أيضا ص ٤١٤ س ١ .

الحرير الأصفر ، وعرض الجوشنين وهما من آلة الطلب ، وعرض محفة على بغال
وهى بغشاء من حرير أصفر . — ثم فى يوم الأربعاء سادس عشرينه ركب السلطان
٣ ونزل إلى الميدان ليعرض مماليكه الخاصكية الذين يسافرون صحبته ، فوجد الميدان فيه
وحل من المطر ، فخرج إلى الرملة ووقف على باب الميدان وهو راكب وعرض
مماليكه الجابان (٢٤٧ آ) من الخاصكية فعيّن منهم فى ذلك اليوم مائة وعشرة
٦ من الخاصكية ممن يسافر معه إلى الإسكندرية ، فصار كاتب المماليك ماشى على
أقدامه فى وسط الرملة وهو يستدعى أسماء المماليك ، فرجّت الرملة فى ذلك اليوم
وتحقّق سفر السلطان ، واضطربت أحوال العسكر بسبب سفر السلطان فى قلب
٩ الشتاء وشدّة البرد ، فلما طلع السلطان إلى القلعة فتح حواصل الذخيرة وأخرج
منها زرديات وخوذا وأتراسا ورماحا بسنّ فولاذ وسيوفا وجواغين ، ففرّق منها
على خاصكيته أشياء كثيرة مما يحتاجون إليه من آلة السلاح . — وفى يوم السبت
١٢ تاسع عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وعرض جماعة من مماليكه الخاصكية وهم
باللبس الكامل من آلة السلاح ، فعيّن منهم جماعة يسافرون معه إلى الإسكندريّة
وقد أشيع بأنه يعيّن معه نحو خمسمائة خاصكى من مماليكه ، وفى ذلك اليوم برّز
١٥ السلطان خامه وتوجه به إلى بولاق ثم عدّوا به إلى برّ إنبابه ورسم بأن ينصب
فى المنصورية ذلك الوطاق ، انتهى ذلك .

وفى ذى القعدة كان مستهل الشهر يوم الاثنين فطلع الخليفة والقضاة الأربعة
١٨ للتهنئة بالشهر على العادة ، فجلس السلطان بالميدان وكان فى همّة الخروج إلى
سفر الإسكندرية ، فلما قام الخليفة والقضاة الأربعة طلب (٢٤٧ ب) العلامة
وعلّم على بعض مراسيم ، ثم ركب من الميدان وانسحب قدّامه الطلب فكان طلبا
٢١ حربيا فيه طبلين وزمرين والنفير البرغشى ، ثم انسحب فيه خمس وأربعون فرسا
عليهم أجلال شعر وفى أرقابهم مقاود ، ثم انسحب فيه ثلاث عشرة نوبة هجن بأكوار
زركش ومحمل ملوّن ، ثم انسحب فيه نحو خمسين فرسا بسروج ذهب وكنابيش

---

(١) بغال : ابغال . (٨) واضطربت : واضطرب .

وغواشى حرير أصفر وتختنين بغواشى حرير أصفر ، فكان عدّة الخيول به نحو
مائة وعشرين فرسا ، ثم تقدمت الخاصكية وبعدهم المباشرون قاطبة ، وبعدهم
الأمراء المقدمون وهم : أمير كبير سودون العجمى والأمير أركماس أمير مجلس والأمير ٣
الدوادار الكبير والأمير أنصباى حاجب الحجاب وبقية الأمراء المقدّمين ، ثم جاء
من بعدهم السلطان وهو راكب على فرس بوز ، وعليه سلارى جوخ بنفسجى
مفرى وشق ، وعلى رأسه تخفيفة صغيرة مدوّرة بغير قرون ؛ فشقّ من الصليبة ٦
فى ذلك الموكب الحفل فارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس ، فقيل إنه
توجّه فى ذلك اليوم إلى المقياس هو والأمراء ومدّ لهم هناك مدة حافلة وأقام
بالمقياس ذلك اليوم ، وأشيع غير ذلك أن السلطان لما نزل من القلعة توجه إلى ٩
بولاق ونزل فى مكان يسمى السبكيّة فبات بها ، وقيل بل بات فى (٢٤٨ آ) المنية
بإزاء إنبابة ، والأقاويل فى ذلك مختلفة ، وكان بها الوطاق ، ثم إن السلطان رسم
للأمير طومان باى الدوادار بأن يكون نائب الغيبة عنه إلى أن يحضر من السفر ؛ ١٢
فتحوّل من يومه وطلع إلى باب السلسلة وأقام به إلى أن يعود السلطان إلى
القلعة . — وفى يوم السبت سادسه رحل السلطان من الوطاق الذى ببرّ إنبابة
وقصد التوجّه إلى ثغر الإسكندرية ، ورجع جماعة كثيرة من هناك من الأمراء ١٥
والعسكر ، ولم يسافر مع السلطان إلا جماعة من الأمراء المقدمين والأمراء
الطبلخانات والأمراء العشرات ؛ فمن الأمراء المقدّمين : الأتابكى سودون العجمى
والأمير أركماس من ولى الدين أمير مجلس والأمير أنصباى من مصطفى حاجب ١٨
الحجاب والأمير تمر الحسنى المعروف بالزردكاش أحد المقدّمين والأمير قانصوه
ابن سلطان جركس والأمير خاير بيك كاشف الغربية أحد المقدمين والأمير
علاّن من قراجا أحد المقدمين دوادار ثانى والأمير تخشباى أحد المقدمين ٢١
والأمير أقباى الطويل أمير آخور ثانى أحد المقدمين ، وقد قُرّر فى تقدمة الأمير
خاير بيك الخازندار عن قريب ، فكان عدة الأمراء المقدمين الذين توجّهوا

---

(١) وتختنين : انظر ص ٤١٢ س ٢١ . (٨) مدة : توجه مدة .

مع السلطان إلى ثغر الإسكندرية عشرة من المقدمين ، وأما من توجه معه من
الأمراء الطبلخانات فجماعة كثيرة منهم : الأمير قنبك الشريفي رأس نوبة ثاني
٣ (٢٤٨ ب) والأمير مغلباى الشريفي الزردكاش ، وآخرون منهم ما يحضرني اسماؤهم ،
وأما من توجه صحبته من الأمراء العشرات فجماعة كثيرة نحو عشرين أميرا ، وقيل
كان مع السلطان من خاصكيته نحو خمسمائة خاصكي وقيل أكثر من ذلك ، وأما
٦ من توجه معه من المباشرين فالقاضي محيي الدين عبد القادر القصروى ناظر الجيش
والقاضي شهاب الدين بن الجيعان نائب كاتب السر وأخوه كريم الدين كاتب
الخزائن الشريفة والقاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وأولاد الملكي
٩ وأبو البقا ناظر الاصطبل والقاضي علاى الدين ناظر الخاص وجماعة من كتّاب
المماليك ، وآخرون من أعيان جماعة المباشرين ، وكان صحبته الشرفي يونس نقيب
الجيوش المنصورة ، وغير هؤلاى جماعة كثيرة من الأعيان ما يحضرني اسماؤهم
١٢ الآن . — وقيل كان صحبة السلطان جماعة من المغاني وأرباب الآلات من دواخل
البلد في المغناء ، وخرج السلطان بسنيح عظيم وبرك حافل في أرغد عيش من
التنزّه والفرجة حتى رحل ، فنُصب له الوطاق بالمنصورية وتوجه إليها على ما نقل
١٥ من أخباره الصحيحة عن ذلك ، وأشيع أن السلطان أقام في الوطاق الذي بالمنية
ستة أيام ، وسبب ذلك أنه كان ينتظر كتب العقبة حتى يعلم أخبار ولده الذي
توجه إلى الحجاز (٢٤٩ آ) وأخبار زوجته خوند ، فلما ورد عليه كتب العقبة
١٨ بالأمن والسلامة فسرّ لذلك وانشرح ورحل من المنية وتوجه إلى المنصورية
ونصب بها المخيّم الشريف ونزل هناك ، ثم يتوجه من بعد ذلك من مرحلة إلى
مرحلة حتى يدخل إلى ثغر الإسكندرية . — وفي يوم الاثنين ثامنه رسم الأمير
٢١ طومان باى الدوادار نائب الغيبة بأن ينادى في القاهرة بالأمان والاطمان والبيع
والشراء ، وأن يعلّقوا على كل دكان قنديلا من المغرب وأن لا مملوكا ولا غلاما
ولا عبدا يخرج من بعد العشاء ومعه سلاح ، وأن لا مملوكا يغطّي وجهه إذا خرج

---

(٨) الخزائن الشريفة : جاءت في الأصل بعد « ناظر الاصطبل » في سطر ٩ . (٢٢) والشراء : والشرى .

إلى السوق ومن فعل ذلك شُنق من غير معاودة ، فضجّ الناس له بالدعاء . — وفى يوم الثلاثاء تاسعه توفى الحاج ياقوت فرّاش الخزانة ، وكان أصله من عبيد المقرّ السيفى برقوق نائب الشام وأعتقه ، وساعدته الأقدار حتى صار فى سعة من المال ٣ وصار أمين السلطان على الخزائن الشريفة ، فلما مات فى غيبة السلطان جاء الزينى بركات بن موسى وختم على حواصله ورسّم على ولده وعلى عياله إلى أن يحضر السلطان ، وكان ياقوت متّهما بالمال الجزيل ، وكان هو والأمير خاير بيك الخازندار ٦ يتصرفان فى الخزائن الشريفة كيف شاؤوا منها ، فكان كما يقال فى المعنى :

وقائلة أرى الأيـام تُعطى لئام الناس من رزق خبيث
و(٢٤٩ب) تمنع من له شرفٌ وفضل فقلتُ لها خُذى أصل الحديث ٩
رأت حِلّ المكاسب من حرام فجادت بالخبيث على الخبيث

وفى يوم الخميس حادى عشره وسّط الوالى شخصاً من الغلمان قيل عنه إنه كان يخطف العمائم فى الأسواق بعد العشاء ، فلما قبضوا عليه وسّطوه فى وسط ١٢ الصليبة قدّام حمام شيخوا ، وقيل وسّطوا آخر من الغلمان عند الكبش ؛ وفى هذه الأيام كثر هجم المناسر فى الحارات والأماكن من القاهرة وغيرها حتى ضجّ الناس من ذلك ، ولاسيما كان السلطان غائبا فى السفر إلى الإسكندرية فماجت القاهرة ١٥ لذلك . — وفى يوم الاثنين خامس عشره فُرّقت الجامكية فى غيبة السلطان وحضر تفرقتها القاضى جلال الدين نائب كاتب المماليك وحضر الأمير سنبل مقدّم المماليك ونائبه والزينى بركات بن موسى المحتسب وغير هؤلاى ، وفُرّقت الجامكية عند سلّم ١٨ المدرّج ، وكانت فى غاية الانشحات . — وفى يوم الجمعة سادس عشرينه نودى فى القاهرة بالزينة بسبب عود السلطان من ثغر الإسكندرية . — وفى يوم السبت سابع عشرينه سبق المخيّم الشريف ونصب الوطاق فى الريدانية إلى أن يحضر ٢١ السلطان ، ثم إن السلطان عدّى من برّ إنبابة باكر النهار وطلع إلى المكان المسمّى بالسُّبكيّة ببولاق فتغدّى هناك وأقام إلى الظهر ، (٢٥٠ آ) ثم ركب من هناك

---

(١٤) كثر : كثير .

وشقّ من بين الغيطان وطلع من على قنطرة الفخر، وطلع من هناك من على كوم الريش حتى وصل إلى قناطر الأوز، فطلع من عليها إلى أن خرج إلى الوطاق
٣ بالريدانية فأقام به، فلما تسامع به الأمراء أتوا إليه وسلّموا عليه، ثم جاء إليه الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة فسلّموا عليه ثم عادوا إلى دورهم، وكان السلطان أرسل بأن ينادى فى القاهرة بأن لا أحدا من الأمراء والعسكر يلاقى السلطان إلا
٦ من الوطاق الذى بالريدانية فامتثلوا ذلك. — وفى يوم الأحد ثامن عشرينه نادى الأمير الدوادار فى القاهرة بأن يقوّوا الزينة، فزُيّنت القاهرة زينة حافلة، حتى زيّنوا داخل الأسواق مثل سوق الشرب والجملون والجواهرة وسوق الورّاقين والباسطية
٩ وسوق الحاجب وخان الخليلى وسوق جامع ابن طولون ومرجوش وغير ذلك من أسواق القاهرة، حتى مصر العتيقة وبولاق وغير ذلك من الأماكن. — وفى يوم الاثنين سلخ ذو القعدة رسم السلطان بعمل إحراقة نفط تحرق فى الوطاق
١٢ فحُرقت ليلة الثلاثاء بالوطاق، فحصل للناس فى تلك الليلة غاية الضرر وسُرق من الوطاق فى تلك الليلة من علة خيام، وأخذ منها بعض قماش وسيوف (٢٥٠ ب) وبقج، حتى أشيع بين الناس أن الرصافيات الأربعة التى فى محفة السلطان قد
١٥ سرقت تلك الليلة لكثرة الرهج والاضطراب.

وفى يوم الثلاثاء كان مستهل ذى الحجّة الحرام، فتوجّه الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر، وكان السلطان قد أخذ فى أسباب الدخول إلى القاهرة
١٨ وصار يرتّب الطلب بنفسه وهو راكب على فرسه، فكان من ملخّص أخبار الطلب أنه جرّ به نحوا من مائة وثمانين فرسا، منها بركستوانات مخمل ملوّن وجواغين فولاذ مكفت بذهب وفضة نحو ستين فرسا، ومنها خيول بسروج ذهب وكنابيش نحو عشرين فرسا،
٢١ وكان من جملة السروج ما هو بلور مزيلك بذهب وسروج عقيق مزيكة بذهب وسروج مرصّعة بفصوص مثمنة وطبول بازات فضة مينة وشىء بلور، ومنها خيول بعراقى وسروج بغواشى حرير أصفر وطبول بازات نحو خمسين فرسا، وجوشنان أحدهما

---

(١٥) سرقت : سرقوا . (٢١) مزيلك : مزيد . (٢٢) وشىء : ومنى .

حرير أصفر والآخر مخمل مزهر ، وتختنان بأغشية حرير أصفر ، وستة خزائن
بأغشية حرير أحمر وأصفر ، ومحفة بغشى حرير أصفر وهى على بغلين ، وكان به حجورة
بسروج بداوى وركب بداوى بعراق نسيج مغربى نحو عشرين حجرة ، وكان قدّام ٣
الطلب ست عشرة نوبة هجن ، منهم ثمان نوب هجن بأكوار زركش (٢٥١ آ)
وكنابيش زركش ، والبقيّة بأكوار مخمل ملوّن ، وكان قدّام الطلب أربعة طبول وأربعة
زمور ووراء الطلب اثنى عشر حمل كوسات ، وكان به الأفيال الكبار وهى مزيّنة ٦
بالصناجق والبركستوانات الحرير الأحمر ، وكان مع الكوسات العصائب السلطانية ،
وكان قدّام السلطان أربع أرؤس خيل بسروج ذهب وكنابيش ذهب وريش
وعليها أرقاب ذهب وريش وفوقها غواشى ذهب بطيور ذهب عليها ، فلما انتهى ٩
ترتيب الطلب ركب السلطان من الوطاق الذى بالريدانية ، فركب على فرس
بوز قرطاسى ، وكان عليه الشاش والقماش وكاملية مخمل أحمر بصمور ، وركُب ،
وسرج ذهب وكنبوش ذهب وريش ، وعلى الفرس رقبة زركش ، فلما تسامعت ١٢
الأمراء بركوب السلطان ركبوا وهم بالشاش والقماش ، وجميع الأمراء المقدمين
والأربعينات والعشرات ، والرؤوس النوب بالعصىّ ، ثم إن الأتابكى سودون العجمى
تسلم القبة والجلالة ورفعها على رأس السلطان ، ومشى عن يساره ، وركب الخليفة ١٥
محمد المتوكل على الله عن يمينه وهو لابس العمامة البغدادية وعليه قبا صوف
أبيض بمقلب صوف أخضر ، وركب قدامه القضاة الأربعة وهم : علاى الدين الإخميمى
الشافعى وشمس (٢٥١ ب) الدين السمديسى الحنفى وجلال الدين بن قاسم ١٨
المالكى وشهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، وقد تقدم القول على أنهم أتوا يهنّون السلطان
بالشهر وهو فى الوطاق فصادف ذلك اليوم طلوع السلطان إلى القلعة فركبوا
صحبته ، ولم يكن يُحزَر ركوب الخليفة والقضاة الأربعة مع السلطان حين جاء من هذه ٢١
السفرة ولكن قصدوا بذلك التوجّه إلى السلطان ليحظوا عنده بذلك ، وقد اتفق
أن الأشرف قايتباى توجّه إلى ثغر الإسكندرية مرّتين ، فكان يجىء من السفر

---

(١٠) ترتيب : ترتب . (١٨) السمديسى : السمدسى . (٢١) يحزر : تحرز .

ويطلع الصبح إلى القلعة من بين الترب ولم يشعر به أحد من الناس ، ولكن كل
أحد له اختيار بذاته ، فلما ركب السلطان من الريدانية رسم للخاصكية الذين
٣ كانوا معه فى ثغر الإسكندرية بأن يدخلوا إلى القاهرة وهم لابسون آلة السلاح
كما دخلوا بثغر الإسكندرية وهم لابسون ، فلبسوا آلة السلاح الزرديات والخوذ ،
وألبسوا الخيول البركستوانات المخمل ، وأخذوا الرماح بالشطفات بأيديهم وركبوا
٦ وراء السلطان فى الطلب ، وكانوا نحو أربعمائة خاصكى من جلبان السلطان من
أعيانهم فعدّ ذلك من النوادر ، وركب مع السلطان سائر المباشرين من أرباب
الوظائف من المتولّين والمنفصلين ، فلما تكامل الموكب مشى السلطان وكان
٩ الصنجق السلطانى (٢٥٢ آ) فى كيس حرير أصفر فلم يُنْشَر على رأس السلطان ،
فلما وصل إلى قبة الأمير يشبك التى فى رأس الحسنية لاقاه الشعراء بالشبابة
السلطانية والمزاهر ، ولاقاه الطبردارية وفى أيديهم الأطبار فمشوا قدامه ، ثم لاقاه
١٢ طائفة اليهود والنصارى وفى أيديهم الشموع موقودة . — ومن الحوادث فى ذلك
اليوم أن السلطان لما وصل إلى رأس سوق الدريس فكان هناك حبل معلق فيه
قناديل معمّرة بالزيت ، فصدم به الأتابكى سودون العجمى هلال القبة الذى هو
١٥ عوضا عن الطير الذهب ، فسقطت تلك القناديل على القبة وكلفتة السلطان
والكاملية المخمل الأحمر التى عليه فانطرشوا بالزيت الطيّب تطرطشا فاحشا ، فلم
يتفاءلوا الناس بذلك على السلطان ، ووقع له أنه لما دخل لمدينة الإسكندرية سقط
١٨ هلال القبة الذى على رأسه إلى الأرض وانكسر نصفين فى وسط سوق الإسكندرية ،
وكذلك رصافية المحفة سقطت إلى الأرض فبادروا إليها ووضعوها على المحفة ، فلم
يتفاءلوا الناس بهذا أيضا على السلطان ، لكن وقع للأشرف قايتباى أنه لما دخل
٢١ إلى ثغر الإسكندرية وشقّ من سوقها سقط الطائر الذهب الذى على القبة إلى
الأرض ، فبادر الأمير يشبك الدوادار الكبير ونزل عن فرسه وركّب الطائر
(٢٥٢ ب) على القبة وثبّته عليها بيده وأعاده كما كان ، ثم ركب على فرسه ومشى
٢٤ السلطان إلى أن خرج من باب البحر ، فتفاءلوا الناس بزوال السلطان بعد ذلك ،

فلم يؤثر فيه هذا التطيّر ومكث من بعد ذلك دهرا طويلا ، ثم إن السلطان لما
جرى ذلك كظم فى الباطن وأعاب على الأتابكى سودون العجمى حمل القبة والطير ،
وقد حملها على رأس السلطان بغير معرفة وكان لها طريقة فى حملها غير ذلك ، ٣
فاستمر السلطان فى هذا الموكب على ما ذكرناه حتى دخل من باب النصر وشقّ
من القاهرة ، فانسحب الطلب على ما ذكرناه أولا ، فكان النفير السلطانى المسمى
بالبرغشى قدام الطلب ووراءه الطبول والزمور ، ثم انسحبت النوب الهجن وانسحب ٦
بعدها الجنائب الملبّسة بالبركستوانات المخمل الملوّن ثم انسحب من بعد ذلك الخيول
التى بالكنابيش والسروج الذهب والبلور والعقيق المزيكة بالذهب ، وكان
فى السروج ما هو مرصّع بالفصوص المثمنة ، وكان على الخيول طبول بازات بلور ٩
مزيك بذهب وشيء فضة مينة ، فكان من هذه الأصناف نحو عشر طبول ، ثم
انسحب جوشنان حرير ملوّن وخزائن المال وعدّتهم ست بأغشية حرير أصفر
وأحمر ، ثم انسحب المحفة بغشى حرير أصفر مزهّر عليه بالتقاصيص الحرير (٢٥٣ آ) ١٢
ملوّن ، ثم وراء ذلك جاءت المباشرون ثم الأمراء الطبلخانات والعشرات ، ثم
جاءت الأمراء المقدمون وهم بالشاش والقماش ، ثم جاءت القضاة الأربعة ، ثم مشت
الشعراء والشبابة السلطانية ، ثم مشت من بعد ذلك الأمراء الرؤوس النوب وبأيديهم ١٥
العصىّ ، وكان الأمير كرتباى الوالى ماشيا بالشاش والقماش ، ونقيب الجيش وغير ذلك
من الخاصكية ، ثم جاء السلطان وعليه الشاش والقماش وقد تقدم القول على ترتيب
الطلب فى الريدانية أولا ، وهذا كان صفته لما شقّ من القاهرة بالموكب السلطانى ١٨
وهو لابس كاملية مخمل أحمر بصمور ، والخليفة عن يمينه وهو بالعمامة البغدادية
وعليه قبا صوف أبيض ، وكان أمير كبير سودون العجمى عن يساره رافع القبة
على رأسه ، والجمّ الغفير من الخاصكية خلفه وهم بالخوذ والزرديات وبأيديهم الرماح ٢١
بالشطفات الحرير الملوّن ، وكان الصنجق السلطانى مطويا فى كيس حرير أصفر ،
فلما شقّ من القاهرة كانت مزيّنة بالزينة الحافلة ، واصطفت له الناس على الدكاكين

---

(٩) ما : من . (٢٢) بالشطفات : بالشفطات .

بسبب الفرجة ، وتركّزت له الطبول والزمور على الدكاكين من باب النصر إلى
رأس الرملة ، فرجّت له القاهرة فى ذلك اليوم رجّا (٢٥٣ ب) وابتهجت
٣ الناس وأى بهجة ، ثم ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخاص والعام ، وكان
هذا الموكب من الوقائع الغريبة فى هذا العام ، وكان من المواكب المعدودة والأيام
المشهودة ، قلّ أن بقى يقع لأحد من ملوك مصر مثل هذا الموكب فيما يأتى من
٦ الزمان ، ولم يقع للأشرف الغورى من حين تسلطن وإلى اليوم أنه أوكب وشقّ
من القاهرة هو والأمراء بالشاش والقماش غير هذا الموكب ، فاستمر فى هـذا
الموكب حتى طلع من على جامع الماردينى ، من على مدرسة السلطان حسن فشقّ
٩ من الرملة ، وقد ماجت له الرملة فى ذلك اليوم من العسكر وكثرة الخلائق ،
فاستمر على ذلك حتى دخل من باب الميدان ، فوقف له الخليفة هناك والقضاة
الأربعة ، فطوّبوا له ورجعوا إلى دورهم ، ودخل السلطان إلى الميدان هو والأمراء ،
١٢ وكان الأمير طومان باى الدوادار الكبير نصب له بالميدان الخيمة الكبيرة التى
تنصب فى المولد ، ومدّ بها مدّة حافلة قيل كان مصروف تلك المدّة فوق الألف
دينار ، وفرش تحت حافر فرس السلطان الشقق الحرير من باب الميدان إلى الخيمة ،
١٥ وقيل نثر على رأسه خفائف الذهب والفضة ، ثم إن السلطان جلس فى الخيمة
وأكل من المدّة هو والأمراء ، فلما انقضى أمر المدّة أحضر كوامل مخمل أحمر
بصمور فأخلعها على الأمراء العشرة الذين كانوا صحبته بثغر الإسكندرية ،
١٨ (٢٥٤ آ) وأخلع على الأتابكى سودون العجمى كاملية مخمل أخضر بصمور ،
وقيل أخلع عليهم الكوامل بالريدانية ، وأخلع على الأمير طومان باى الدوادار
كاملية مخمل أحمر بصمور بسبب تلك المدّة التى مدّها ، وأخلع على بعض خاصكية
٢١ من السقاة من أرباب الوظائف ، ثم إن الأمراء نزلوا من الصليبة فى موكب حافل
وتوجّهوا إلى بيوتهم ، وانقضى ذلك اليوم على خير ، وهذه الواقعة من معظم

(٢ – ٣) وابتهجت . . . بهجة : وابتهجة الناس راى بهجا . (٤) الغريبة : القرينة .
(١٣) الألف : آلاف .

وقائع سنة عشرين وتسعمائة قلّ أن يقع فى التواريخ مثلها من الوقائع الغريبة فى أخبار السلاطين ، وقد نظمت فى ذلك هذه القصيدة التى لم ينسج مثلها على منوال ، وهى هذه القصيدة : ٣

سُرّ الأنام لمقدَم السلطان وتباشروا منه بكلّ أمان
وتغرّدت أطيارُ أزهار الربا فوق الغصون بأطيب الألحان
والروض أضحى زهرُه متبسّما كتبسّم الحسناء بضوء جُمانِ ٦
وتهلّلت من مصر دوحة روضها عند القدوم تهلّل الفرحان
وتضاحك الميدان مذ غنّت به أطياره سَحَرا على العيدان
عاينتُه لما بدا فى موكب يزهو على كسرى أنوشروان ٩
لما ارتقى عند الصعود لقلعة رُفعت عليه قبة السلطان
طلع الخليفة والقضاة أمامه فى الموكب المحفوف بالفرسان
قالت مراتب عِزّه لما أتى لا تعجبوا فالسرّ فى السكّان ١٢
لسكندرية كان يوم دخوله قدعد(٢٠٤ب) ذلك اليوم بالسلطان
ما زال أهل الثغر من فرح به بتباشر فى السرّ والإعلان
لو كان ذو القرنين حيًّا فى الورى لاقاه بالإكرام والإحسان ١٥
واختاره ملكا يلى من بعده فى سائر الأقطار والبلدان
فاق الملوك بمصر ممن قد مضى أخباره فى سالف الأزمان
قد عاد للأوطان فى بُشر وفى نصر وتأييد وصفو زمان ١٨
فالله يكفيه مؤنة حاسد ويُطيل أياما له بِتَهان
ما ماس غصن فى الرياض وكلّلت أيدى الغمام شقائق النعمان
قد ضاء لابن إياس شعر قاله فى الأشرف الغورى العظيم الشان ٢١

---

(١٠) قبة السلطان : القبة السلطانى .

ثم الصلاة على النبى المصطفى خير البرية من بنى عدنان
والآل والأصحاب ما طرد الدجا ضوءَ الصباح وعمّ للأكوان

٣ انتهى ذلك .

وأما ما كان من ملخص أخباره عند توجهه إلى ثغر الإسكندرية ، فإنه نزل من القلعة وسافر فى يوم الاثنين مستهلّ ذى القعدة ، فنزل أولا فى المكان
٦ المسمّى بالسبكية فى بولاق ، فتغدّى هناك ثم عدّى إلى برّ إنبابة ونزل بالوطاق الذى بالمُنية ، فأقام به خمسة أيام ، قيل إنه كان منتظرا لكُتُب العقبة حتى يعلم أخبار ولده وزوجته خوند ، فلما ورد عليه كتب العقبة اطمأن ورحل من المنية ،
٩ وقد قاسى العسكر فى التعدية ما لا خير فيه ، وجُرح شخص من الخاصكية بالسيف فى وجهه من جماعة (٢٥٥ آ) من المماليك عند التعدية بسبب ازدحام العسكر ، ثم إن السلطان توجه من المنية إلى المنصورية وأقام بها يوما وليلة ، ثم
١٢ توجه من هناك إلى البحيرة فأقام بها يوما وليلة ، واستمر يرحل من مكان إلى مكان إلى أن نزل بالنجيلة فأقام بها يومين وليلتين ، وأحضروا له الصيّادون هناك تمساحا فأمر بتوسيطه بين يديه ، فلما كان يوم السبت ثالث عشره دخل السلطان
١٥ ثغر رشيد فأقام به إلى يوم الأحد ، ثم أوكب من هناك ودخل إلى مدينة الإسكندرية فى يوم الاثنين خامس عشره ، فدخل العسكر وهو لابس آلة الحرب باللبس الكامل ، وانسحب الطُلب والجنائب كما تقدم القول على ذلك ، ثم دخلت
١٨ الأمراء وهم بالشاش والقماش ، ولم يلبس السلطان الكلفتة بل لبس تخفيفة صغيرة مدوّرة ، وعليه كاملية مخمل أحمر بصمور ، وحمل الأتابكى سودون العجمى القبة والجلالة على رأسه ، وكان السلطان اقترح على القبة هيئة جلالة ذهب عوضا عن
٢١ الطير الذى كان يعمل على القبة ، فشقّ من المدينة فى موكب حافل ، فنثر بعض تجّار الفرنج البنادقة على رأسه بعض ذهب وفضة ، فلما شقّ من المدينة زينت له

زينة فشروية ، وكان ثغر الإسكندرية يومئذ فى غاية التزحّل والخراب ، ومن
الحوادث أنه لما شقّ من المدينة صدم الأتابكى (٢٥٥ ب) سودون بالجلالة التى على
القبة بعض السقائف التى هناك ، فانكسرت تلك الجلالة نصفين وسقطت إلى الأرض ، ٣
وكذلك لما مرّت المحفّة من هناك انكسرت الرصافية التى كانت [عليها ، ثم إنّ
السلطان خرج من] باب البحر الملح وجلس بالمخيَّم الشريف ، فأرسل إليه مملوكه
خدا بردى نائب الإسكندرية تقدمة حافلة ما بين ذهب عين ومماليك وقماش على حمالين ٦
وخيول وغير ذلك ، ثم قدّم إليه الخواجا ابن أبى بكر تاجر السلطان تقدمة حافلة ،
ولم يكن بثغر الإسكندرية يومئذ أحد من أعيان التجّار لا من المسلمين ولا من
الفرنج ، وكانت المدينة فى غاية الخراب بسبب ظلم النائب وجور القُبّاض ، فإنهم ٩
صاروا يأخذون من التجّار العُشر عشرة أمثال ، فامتنع تجّار الفرنج والمغاربة
من الدخول إلى الثغر ، فتلاشى أمر المدينة وآل أمرها إلى الخراب ، حتى قيل طُلب
الخبز بها فلم يوجد ولا الأكل ، ووُجد بها بعض دكاكين مفتّحة والبقية خراب ١٢
لم تُفتح ، وكانت الإسكندرية من أجلّ مدائن الدنيا حتى قيل كان بها لما فتحها
عمرو بن العاص رضى الله عنه أربعة آلاف دار محكمة البناء مفروشة
بالرخام الملوّن ، وفى كلّ دار منها حمام تختص بها ، وكان بها اثنا عشر ألف بقال ١٥
يبيعون البقولات من بعد العصر إلى العشاء ، وكان بها أربعون ألف يهودى ممن
وجب عليه الجزية ، وكان بها (٢٥٦ آ) من الروم والقبط ستمائة ألف إنسان ،
وكان بها مائة ألف مركب من مراكب الروم الكبار ، وشتان ما بين هذه الأخبار ١٨
من هذه الأخبار التى هى بها الآن ، ثم [إن] السلطان ألبس الأتابكى سودون العجمى
الكاملية المخمل الأحمر التى كانت عليه ، وأخلع على نائب الإسكندرية والخواجا
ابن أبى بكر . — وفى ذلك اليوم ثارت مماليك السلطان الخاصكية على خدا بردى ٢١
نائب الإسكندرية ، وقالوا له : انفق علينا لكل مملوك عشرين أشرفيا كما فعل
قجماس نائب الإسكندرية لما دخل الأشرف قايتباى إلى الإسكندرية ، فلم يعطهم

---

(١٩) وجور : جود . (١٤) محكة : محكمة .

شيئا فكادوا أن يخرقوا به وما سلم من القتل إلا بعد جهد كبير ، ثم حضرت التقادم الحافلة للسلطان من الكشاف ومشايخ العربان بالغربية وهى ما بين ذهب عين وخيول وأبقار وأغنام وغير ذلك ، ففرّق منها على الأمراء ممن كان صحبته أشياء كثيرة من الخيول والأبقار والأغنام ، فلما بات بالمخيم تلك الليلة وقدوا له موادن المدينة ، وعلّقوا على شراريف الصور كل واحدة قنديل ، فلما أصبح السلطان ركب وضرب الكرة على ساحل البحر الملح هو والأمراء الذين كانوا صحبته ، ثم توجّه وزار الصالحين الذين هناك ، ثم توجّه إلى البرج الذى أنشأه الأشرف قايتباى فطلع فى البرج هو والأمراء ، وأرموا قدّامه فى ذلك اليوم (٢٥٦ ب) بالمكاحل والمنجنيق ، ثم توجّه من هناك وكشف على الأبراج التى بثغر الإسكندرية وعرض ما فيها من السلاح والمكاحل . — وفى ذلك اليوم أنعم السلطان على مملوكه يوسف الزردكاش الثانى بأمرة طبلخاناه . — ثم فى ليلة الأربعاء سابع عشره أحرق السلطان فى الوطاق إحراقة نفط حافلة على شاطئ البحر الملح . — ثم فى يوم الأربعـــاء سابع عشره رحل السلطان عن ثغر الإسكندرية ، فكان مدّة إقامته بها يومين وليلتين . — ففى ذلك اليوم الذى رحل فيه أرسل محمد مهتار الطشتخاناه إلى الظاهر قانصوه الذى فى البرج وإلى قيت الرجبى الذى فى البرج ورسم له بأن يكسر قيودهما ، وأرسل على يده لكل واحد منهما ألف دينار وبدنين صمور وبدنين سنجاب وثوبين بعلبكى وغير ذلك من القماش الفاخر ، وأرسل يقول لهما : لا تجتمعوا على أحد من خلق الله ولا تكاتبوا أحدا من الأمراء فـــا يحصل لكما من السلطان خير ، فباسوا له الأرض فى البرج وأجابوا بالسمع والطاعة واستمرّوا فى البرج بغير قيود ، ثم رحل السلطان عن ثغر الإسكندرية بعد إقامته فيها يومين وليلتين ، ثم توجه إلى دمنهور فأقام بها يوما وليلة ، ثم توجّه من بعد ذلك إلى النجيلة عند عوده أيضا . — ومن الحوادث أنه لما أقام فى النجيلة غرق بها شخص من الخاصكيّة فى البحر

(ه) موادن ، يعنى مآذن .

فات (٢٥٧ آ) هناك . — ثم توجّه منها إلى الطرانة فأقام بها يوما وليلة ، ثم نزل بالمنصورية وأرسل يقول للأمير طومان باى الدوادار بأن ينادى فى القاهرة بأن لا أحدا من العسكر يلاقى السلطان إلا إذا نزل بالريدانية فى الوطاق ، فامتثلوا ذلك ، ثم إن السلطان رحل من المنصورية إلى المنية وعدّى من هناك وحضر إلى الوطاق بالريدانية ، وهذا كان من ملخص أخباره فى هذه السرحة . —
أقول وكان أول من دخل إلى ثغر الإسكندرية من السلاطين الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وذلك فى سنة سبع وستين وسبعمائة وكان سبب دخوله إلى ثغر الإسكندرية أن الفرنج طرقوا الثغر على حين غفلة وملكوا المدينة ، فلما جاءت الأخبار بذلك خرج السلطان على جرائد الخيل وصحبته الأتابكى يلبغا العمرى وجماعة من الأمراء ، فلما بلغ الفرنج مجىء السلطان رحلوا عن الثغر بعد ما نهبوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يُحصَى ، فدخل السلطان وردّ الناس إلى المدينة وطمّنهم ورجع بسرعة إلى مصر ، ثم دخلها ثانى مرّة فى سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ففى هذه المرة أوكب بها وحُملت القبة والطير على رأسه ، وكان خليل بن عرّام نائب الإسكندرية ففرش له الشقق الحرير من باب رشيد إلى باب البحر الملح ، ونثر (٢٥٧ ب) على رأسه خفائف الذهب والفضّة وكان له يوم مشهود بالإسكندرية ، ثم دخلها من بعد ذلك الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق فى سنة أربع عشرة وثمانمائة فأوكب بها موكبا حافلا وحُملت القبّة والطير على رأسه ، ومما وقع له أنه لما شق من مدينة الإسكندرية وقف له بعض تجّار المغاربة بقصّة يشكو فيها من جور القبّاض ، فلما قرأ تلك القصّة رسم بإبطال ما كان يؤخذ منهم من المكوس المحدثة وكتب لهم بذلك مرسوما شريفا فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، ثم دخلها من بعد ذلك الأشرف قايتباى فى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة وأوكب بها وحُملت القبّة والطير على رأسه ، فلما شقّ المدينة نثر عليه بعض تجـار الفرنج البنادقة ألف بندق ذهب فتزاحمت الناس عليه يلتقطون الذهب

(١) الطرانة : الطرافة . (٧) سبب : بسبب .

فكاد السلطان أن يسقط من على ظهر الفرس حتى أدركه تمراز الشمسى
رأس نوبة النوب فضرب الناس حتى فسحوا للسلطان ومشى ، ثم دخلها مرّة
٣ أخرى فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثمانمائة فلم يوكب بها مثل المرّة الأولى
وكان سبب دخوله هذه المرّة لأجل انتهاء عمارة البرج الذى أنشأه هناك فكشف
عليه لما كملت عمارته ورجع بسرعة ، وسافر هذه المرّة من (٢٥٨ آ) البحر
٦ وكان أيام النيل والأراضى مغمورة بالمياه فأقام بثغر الإسكندرية ثلاثة أيام
وكذلك فى المرّة الأولى ، ثم دخلها من بعد ذلك الملك الأشرف قانصوه الغورى
فى سنة عشرين وتسعمائة كما تقدم القول على ذلك ، انتهى . — وفى يوم الأربعاء
٩ ثانى الشهر نزل السلطان صبيحة يوم طلوعه وشقّ من الصليبة وهى مزيّنة ،
ثم توجّه إلى بولاق وكشف على عمارته التى هناك ، ثم رجع من على باب
البحر ودخل من باب القنطرة وتوجّه إلى البندقانيين وكشف على عمارته التى
١٢ هناك وكان فى نفر قليل من المماليك ، وأشيع عنه أنه قال للعوامّ : قوّوا الزينة
ولا تفكّوها لبعد مضىّ عشرة أيام ، وجعل يقول لهم ذلك بنفسه ، فأعابوا عليه
الناس ذلك . — وفى يوم الخميس ثالثه ثارت المماليك الجُلبان على السلطان بالقلعة
١٥ ورجموا الأمراء من الطباق ، وقصدوا ينزلون ينهبون الزينة ، فغلق عليهم السلطان
أبواب القلعة وباب السلسلة وباب الميدان ، فلما بلغ الناس ذلك ارتجّت القاهرة
وفكّوا الزينة فى لمح البصر ، ووزّعوا الناس الأمتعة فى الحواصل ، وكثر القال
١٨ والقيل بين الناس ، وقعدت الأمراء المقدّمون فى بيوتهم وأغلقوا أبوابهم ، وكان
الأتابكى سودون العجمى مسافرا نحو بلاده وقد سافر بعد حضوره مع (٢٥٨ ب)
السلطان ، فلما جرى ذلك تنكّد السلطان لهذه الواقعة ، وبلغه أن المماليك
٢١ يرومون منه نفقة لكلّ واحد منهم مائة دينار حلاوة السلامة ، وشرع المماليك
القرانصة يوزّون المماليك الجلبان على ذلك ، وكان العسكر جميعه غير راض من
السلطان بسبب تعطّل اللحم ، فإن العسكر قاطبة له نحو سبعة أشهر لم يُصرف لهم

(١) ظهر : ظهره . (٤) سبب : بسبب . (٢٢) يوزّون ، أى يحرّضون .

فيها زبديّة لحم ، وحصل لهم بسبب ذلك الضرر الشامل ، وكانت الدواوين فى غاية الانشحات لكثرة العسكر فى هذه الأيام ، ولا سيما ما جدّده السلطان من العسكر فى الطبقة الخامسة ، وكانت الإقطاعات خرابا والبلاد معطلة من جور الكشّاف ٣ ومشايخ العربان وهجاج فلاّحى المُقْطَعين عن البلاد ، فصارت المماليك القرانصة ينتظرون حركة مثل هذه الحركة فما صدّقوا بهذه الحركة ، وفى بقية ذلك اليوم غُلقت الأسواق والدكاكين وارتفعت البضائع منها ، ثم فى بقية ذلك اليوم ٦ قُرب المغرب نزل طائفة من المماليك إلى الصليبية ونهبوا بعض بضائع من الدكاكين ، ثم إن المماليك قبضوا على شخص من العوامّ وقالوا له : نادى عن لسان السلطان أن النفقة مع الجامكية لكل مملوك من المماليك السلطانية مائة دينار ، فما وسع ذلك ٩ الرجل إلا أنه نادى لهم كما قالوا له ، ولم تكن (٢٥٩ آ) هذه المناداة من قبل السلطان . — وفى يوم الجمعة رابعه أشيع أن شخصا من مماليك السلطان يسمى وردبش ، وهو أمير عشرة تدلّى بحبل من طبقة الميدان لما ثارت المماليك ١٢ فانقطع به الحبل ، فسقط إلى الأرض فمات من يومه ، وقد صارت المماليك فرقتين فرقة مع السلطان وفرقة عليه ، فلما كان وقت صلاة الجمعة لم يخرج السلطان ولم يصلّ صلاة الجمعة ، ولم يطلع من الأمراء غير ثلاثة أمراء مقدّمين ، وقد ١٥ اضطربت أحوال السلطان من بعد مجيئه من هذه السفرة وتكدّر عيشه ، وطرقته عين عقيب ذلك الموكب العظيم الذى طلع فيه ، فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم : ١٨

لا تغتَرِرْ بالحفظ والسلامة فإنما الحياة كالمدامة
والعمر مثل الكاس والدهر والقدَر والصفو لا بدّ له من الكدر

ومن أمثاله أيضا : ٢١

فى لحة العين بكاء وضحك وتَناجد بادٍ ودمع منسفك

وفى يوم السبت خامسه ابتدأ فيه السلطان بتفرقة الأضحية على العسكر ومن له عادة . — وفى يوم الاثنين سابعه أشيع أن السلطان رسم للوالى بأن يتسلّم ٢٤

جانى بيك الأستادار ويعاقبة على بقية المال الذى قرّر عليه ، فإنه كان قرّر عليه
ثلاثة وثلاثين ألف دينار أورد منها ستة عشر ألف دينار ، فباع (٢٥٩ ب)
٣ بيته وخيوله وقماشه ولم يغلق ذلك القدر الذى قرّر عليه ، فأظهر العجز فلم يقبل
له السلطان عُذر فى ذلك وسلّمه للوالى ، فأشيع أنه قد عُصر فى أكعابه وضُرب
كسارات على ركبه ، واستمرّ تحت العقوبة إلى الآن ، وكان جانى بيك هذا من
٦ الظلمة الكبار إذا أظفر بأحد من الناس لا يرحمه ، ولا سيما ما فعله فى ولايته
للأستادارية ، وما جرى على العسكر بسبب الحمايات وغيرها ، فلما جرى
له ذلك لم يرثِ له أحد من خلق الله تعالى . — وفيه توفى يونس سر آخورى
٩ السلطان ، وكان قبل ذلك فى خدمة الأتابكى تمراز الشمسى ، وكان حسن السيرة
لا بأس به . — وفى يوم الثلاثاء ثامنه جلس السلطان بالميدان وفرّق بقية الأضحية ،
لكنه شحّ فى هذه السنة وضاقت عينه فقطع ضحايا الزوايا والمزارات التى بالقرافة
١٢ وغيرها من زوايا الأعاجم ، فحصل لهم كسر خاطر بسبب ذلك ، ثم إنه رسم لبعض
زوايا بالقرافة بصرر فيها دراهم يسيرة مثل مقام الإمام الشافعى والإمام الليث
رضى الله عنهما وبعض مزارات بالقرافة ، وتوقّف فى البقيّة ، ثم قطع ضحايا الفقهاء
١٥ والمباشرين الذين لهم ضحايا فى الديوان والذخيرة ، فقطع أضحية الذخيرة وأبقى
الذى فى الديوان ، وكانت الأضحية فى هذه السنة فى غاية الغلوّ فى السعر (٢٦٠ آ)
وهى مشحوتة لم يظهر منها شىء بسبب تشويش المماليك على الفلاحين ، فقلّ
١٨ الجالب بسبب ذلك وكانت الأحوال فى هذه السنة غير صالحة . — وفى يوم الخميس
عاشره كان عيد النحر ، وكان السلطان فى غاية النكد من مماليكه ، وكان الأتابكى
سودون مسافرا فى إقطاعه وقد هرب من تفرقة الأضحية ، وكذلك الأمير تمر
٢١ الزردكاش ، فخرج السلطان وصلّى صلاة العيد فى الجامع ، ثم ركب من هناك ودخل
الحوش ولم يضحّ فى الإيوان على العادة القديمة ، فلما دخل الحوش لم يذبح بيده
شيئا فى ذلك اليوم ورسم للأمير مغلباى الزردكاش ويوسف الزردكاش الثانى

(٧) جرى : جار .

بأن يذبحا عنه ، ثم جلس فى الحوش ساعة يسيرة وقام ودخل الدهيشة واحتجب عن الناس . — وفى يوم الاثنين خامسه أشيع بين الناس بأن الأمير طومان باى الدوادار ضمن للمماليك الجلبان بأن السلطان ينفق عليهم فى شهر صفر لكل مملوك مائة دينار ، فرضيوا بذلك وخمدت هذه الفتنة قليلا ، ثم إن السلطان نادى للناس فى ذلك اليوم بالأمان والاطمان والبيع والشرى ، وأن أحدا لا يكثر كلاما فيما لا يعنيه وأن الأسواق تُفتح على العادة ، وأن لا أحدا يشوّش على أحد من المتسبّبين ، وكانت الأسواق جميعها (٢٦٠ ب) مقفلة من حين وقعت هذه الحركة بسبب المماليك ، فلما أشهر المناداة بذلك ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس وخمدت تلك الإشاعات بالركوب على السلطان . — وفى يوم الأربعاء سادس عشره نزل السلطان إلى الميدان وجلس به ونفق على المماليك الكتابية جامكية هذا الشهر ، ثم أحضر أغوات الطباق الأعيان ووبخهم بالكلام وقال لهم : إن كان لكم قصد أن تسلطنوا أحدا غيرى فأنا أنزل له عن الملك وأرسلونى فى أىّ مكان تختاروه ، فباسوا له الأرض وقالوا : ما لنا أستاذ إلا أنت وما نموت إلا تحت رجليك وما لنا حاجة بنفقة من السلطان وقد رضينا بلا نفقة إن شئت تعطى أو لا تعطى ، فقال السلطان : خلّى المشاعلى ينادى بأن النفقة بطّالة ، فلم يطلع الوالى ولا المشاعلى فى ذلك اليوم ، فقام الزينى بركات بن موسى المحتسب ونادى بنفسه فى الميدان بين العسكر بأن معاشر الأمراء والعسكر المنصور حسبما رسم المقام الشريف بأن النفقة على العسكر بطّالة ، ثم بعد ذلك طلع المشاعلى فقال له السلطان : نادى فى القاهرة بأن النفقة بطّالة ، فنزل الزينى بركات بن موسى والمشاعلى قدّامه ينادى للعسكر بأن النفقة بطّالة ، وقد طمعت آمال المماليك بالنفقة وما يعلم ما وراء ذلك إلا الله . — وفى يوم الخميس سابع عشره (٢٦١ آ) جلس السلطان فى الحوش على المصطبة ونفق الجامكية على العسكر ، وأشيع أن فى تلك الليلة ثارت المماليك بالقلعة بعد العشاء ، فثارت المماليك الذين فى طبقه الطازية على المماليك الذين فى طبقة الزمامية حتى اتقعوا بالدبابيس

وقالوا : إنتوا عملتوا لكم وجه عند السلطان وقلتوا ما لنا حاجة بنفقة فتصيروا إنتوا أحبابه ونحن نصير أعدايه فأحقّ ما نكون ونحن وإنتوا على كلمة واحدة وما نرجع عن طلب النفقة لكل مملوك مائة دينار ، وصمّموا على ذلك وصار طائفة من المماليك مع السلطان وطائفة عليه ، فلما سمع الناس ذلك شرعوا يوزّعون قماشهم وأمتعتهم فى الحواصل ، وكذلك السّوقة وزّعوا ما فى دكاكينهم من البضائع ، ولهج الناس بإقامة فتنة كبيرة ، والأمر فى ذلك لله تعالى . — وفى يوم الجمعة ثامن عشره ثارت المماليك الجلبان بالقلعة بعد صلاة الجمعة ونزل طائفة منهم إلى الصليبة فنهبوا منها [ما] وجدوه ، واستمرّوا على ذلك مهما لاح لهم يخطفوه ، فباتوا على أنهم يصبحوا ينهبوا المدينة وبيوت الأمراء ، وكان أكثر الأمراء وزّع قماشهم . — فلما أصبحوا يوم السبت أشيع أن السلطان نادى للمماليك الجلبان بأن النفقة عمّالة لكل مملوك خمسون دينارا ، وأن القرانصة ما يعطيهم شيئاً ، فمن المماليك الجلبان من رضى بالخمسين دينارا ومنهم من قال : (٢٦١ ب) ما نأخذ إلا مائة دينار ، وأشيع بأن المماليك القرانصة والسيفية لم ينفق عليهم شيئا ، واستمرّ القال والقيل عمّالا بين الناس وقد لهجوا بإقامة فتنة كبيرة . — وفى يوم الأحد عشرينه نزل السلطان وسيّر نحو المطريّة ، ثم عاد من يومه إلى القلعة ، وشقّ من القاهرة فى ذلك اليوم ، وسكن أمر حركة المماليك قليلا من حين نادى لهم بأن النفقة فى شهر صفر مع الجامكية لكل مملوك خمسون دينارا . — وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه رسم السلطان بسجن جانى بيك الأستادار الذى كان دوادار طراباى ، فتوجّهوا به إلى المقشرة وهو راكب على بغلة ، فبات بالمقشرة ليلة واحدة ثم أعادوه إلى بيت الوالى ثانيا ليعاقبه على المال الذى تأخّر عليه ، وكان صحبته لما أدخلوه المقشرة ابن شمس الدين بن عوض ، وقد تقدّم القول على أن والده ابن عوض مات وهو تحت العقوبة ، وصار ابنه هذا تحت العقوبة حتى يقرّ بالمال الذى قرّر على أبيه ، وكان صحبتهما شخص من أولاد ابن عمر مشايخ عربان الصعيد ، فباتوا جميعا بالمقشرة ليلة واحدة

ثم عادوا بهم إلى بيت الوالى ليعاقبهم على المال الذى تأخّر عليهم . — وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه نزل السلطان وسيّر إلى نحو بولاق وكشف على العمارة التى هناك ، ثم عاد إلى القلعة من يومه (٢٦٢ آ) وشقّ من الصليبة ذهابا وإيابا . — وفى يوم الأربعاء رابع عشرينه دخل جماعة من العسكر من المماليك السلطانية ممن كان مسافرا بحلب فى التجريدة ، وقد أرسل لهم السلطان مراسيم بالمجىء فما صدقوا بذلك ، وقد قاسوا فى هذه السفرة ما لا خير فيه من الغلاء الذى وقع بحلب فباعوا خيولهم وسلاحهم وقماشهم حتى أكلوا بهم ، وما قاسوا منهم أهل حلب خيرا ، نزلوا فى دورهم ونهبوا قماشهم وفسقوا فى حريمهم ، وشوّشوا على سوقة حلب وأخذوا بضائعهم منهم غصبا ، حتى قيل أن بعض المماليك الجلبان أزال بكارة بنت صغيرة عمرها نحو ثلاث سنين وأشيع أنها ماتت ولم يصح موتها ، وقيل كانوا يهجمون على النساء فى الحمامات ويخطفونهن منها غير ما مرّة ، وفعلوا أشياء فاحشة من هذا النمط ما فعلها من تقدّمهم من المماليك السلطانية ، وثاروا على الباش قانى باى أمير آخور كبير وبهدلوه وأخرقوا به عدّة مرار وما سلم من القتل إلا سلامة ، وأخربوا حلب عن آخرها من الظلم والجور ، وكان ترك رواحهم إلى حلب أصوب وما فاد من رواحهم شيئاً بل أفسدوا ما أصلحوا وما حصل برواحهم نفع قط . — وفى يوم الخميس رابع عشرينه حضر مبشّر الحاجّ ، وقد جدّ فى السير فكانت مسافته فى الطريق (٢٦٢ ب) اثنى عشر يوما ، فأخبر بالأمن والسلامة وأن ابن السلطان طيّب وكذلك خوند وبقية الحجّاج طيبين ، وكذلك القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا طيب فى خير وسلامة ، وكان أشيع موته فما صحّ ذلك ففرح أكثر الناس بسلامته وكان محبّبا للناس قاطبة ، وأخبر المبشّر بأن عيد النحر كان هناك يوم الجمعة ، ثم إن المبشّر طاف على الأمراء والمباشرين وأعيان الناس وأخبرهم بسلامة ابن السلطان فأفيضت عليه الخلع السنيّة من الأمراء وأعيان الناس قاطبة . — ومما أشيع

---

(١) عادوا : أعادوا . (٩ — ١١) حتى قيل . . . غير ما مرة : جاءت فى الأصل بعد « وما قاسوا » فى سطر ٧ . (١٣) سلامة : كذا فى الأصل .

من الأخبار فى كتب الحجاج أن ابن السلطان لما دخل إلى مكة لاقاه السيد
الشريف بركات أمير مكة ، فلما وصل ابن السلطان إلى باب المعلة دخل مكة
٣ فى موكب حافل ، وأشيع أن الشريف بركات نزل عن فرسه ومسك بأزكة لجام
ابن السلطان ومشى عن ميمنته ، ومشى الأمير طقطباى أمير ركب المحمل عن
يساره وهو ماسك بأزكة اللجام ، ومشى أمير ركب الأول ، ثم لاقاه قضاة مكة
٦ وأعيان التجار فمشوا قدّامه حتى وصل إلى باب السلام ، فعُدّ ذلك من النوادر ،
ثم إن الشريف بركات أرسل إلى ابن السلطان تقادم حافلة ما بين ذهب عين
وقماش ورقيق وغير ذلك ، وأرسل لخوند زوجة السلطان أضعاف ذلك ، ثم قدم
٩ إليه قضاة مكة وأعيان التجار (٢٦٣ آ) الذين بها التقادم الحافلة ، وكذلك
الأمير حسين نائب جدّة ، فدخل على ابن السلطان وخوند من التقادم الحافلة
ما لا يحصى ، وأشيع أن الشريف بركات واصل صحبة ابن السلطان بركب المحمل ،
١٢ وقيل إن خوند زوجة السلطان لما دخلت إلى مكة حملت محفّتها على أكتاف
جماعة الشريف بركات من باب المعلة إلى باب السلام ، هكذا أشيع فعُدّ ذلك من
جملة سعد السلطان ، وأشيع فى كتب الحجاج بأن الغلاء بمكة فى سائر البضائع ،
١٥ وأن الشاشات والأزر لم يوجدا بمكة لعدمهما جدا . — وفى يوم الجمعة خامس
عشرينه توجّه الأمير طومان باى الدوادار إلى الخانكاه وقد بلغه أن مماليكا
جراكسة وصلوا صحبة القفل ، وأن له أقارب جراكسة صحبة المماليك ، وأشيع
١٨ أن السلطان واصل له أخ جركسى صحبة القفل ، فخرج الأمير الدوادار بسبب
ذلك . — انتهى ما أوردناه من أخبار سنة عشرين وتسعمائة ، وقد خرجت هذه السنة
عن الناس على خير وسلامة ، وكانت سنة مباركة هادئة من الفتن وأخصب فيها
٢١ الزرع ووقع فيها الرخاء فى سائر الغلال والبضائع ، ولم يقع فيها الطاعون بمصر
ولا أعمالها ، وحصل فيها نصرة عظيمة لابن عثمان ملك الروم على إسمعيل الصوفى
ملك العراقين ، (٢٦٣ ب) وخرجت من مصر تجريدة بسبب حفظ مدينة حلب
٢٤ ورجع العسكر وهم سالمون من تلك الفتنة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وتسعمائة

فيها فى المحرم افتتاح العام كان يوم الخميس المبارك ، وكان خليفة الوقت يومئذ
المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب ، والسلطان يومئذ الملك الأشرف ٣
قانصوه الغورى عزّ نصره . — وأما القضاة الأربعة فكان يومئذ القاضى
علاى الدين الإخميمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقاضى
جلال الدين بن قاسم المالكى والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى . — وأما الأمراء ٦
المقدّمون فكان عدّتهم يومئذ سبعة وعشرون أميرا مقدّم ألف وهم : الأتابكى
سودون العجمى أمير كبير ، وكانت أمرية السلاح شاغرة ، والأمير أركماس من
طُراباى أمير مجلس والأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير والأمير سودون الدواداري ٩
رأس نوبة كبير والأمير طومان باى دوادار كبير ابن أخى السلطان والأمير
أنصباى من مصطفى حاجب كبير ؛ وأما بقية الأمراء المقدّمين غير أرباب الوظائف
فالأمير قانصوه بن سلطان جركس والأمير تمر الزردكاش والأمير أرزمك الناشف ١٢
والأمير طقطباى نائب القلعة والأمير قانصوه الفاجر والأمير أزبك المكحل
(٢٦٤ آ) والأمير تانى بيك النجمى والأمير تانى بيك الخازندار والأمير نوروز
أخو يشبك الدوادار والأمير جان بلاط الموتر والأمير علان الدوادار الثانى ١٥
والأمير خاير بيك كاشف الغربية والأمير بيبرس قريب السلطان والأمير يخشباى
والأمير قانصوه روح لو نائب قطيا والأمير قانصوه أبو سنّة الذى كان والى
القاهرة والأمير أبرك مملوك السلطان والأمير خُدا بردى نائب الإسكندرية ١٨
مملوك السلطان والأمير خاير بيك العلاى الشهير بالمعمار وهو آخر من قُرّر من
المقدّمين والأمير أقباى الطويل أمير آخور ثانى ؛ وأما الأمراء الطبلخانات والأمراء
العشرات فازداد منهم جماعة وانتقص منهم جماعة ما يحضرنى اسماؤهم الآن . — وأما ٢١
أرباب الوظائف من المباشرين فالقاضى كاتب السرّ محمود بن أجا صاحب ديوان
الإنشاء الشريف ونائبه الشهابى أحمد بن الجيعان والقاضى محيى الدين عبد القادر

القصروى ناظر الجيوش المنصورة وعلاى الدين بن الإمام ناظر الخواص الشريفة
والجمالى يوسف البدرى وزير الديار المصرية وشرف الدين الصُغَير ناظر الدولة
٣ الشريفة وكاتب المماليك أيضا والأمير طومان باى الدوادار متكلّما فى الأستادارية
وغير ذلك من الوظائف والقاضى أبو البقا بن المستوفى ناظر الاسطبل الشريف ،
وبقية المباشرين على حكم السنة الخالية ، (٢٦٤ ب) وكانت وظيفة الزمامية شاغرة
٦ من حين توفّى الأمير عبد اللطيف الزمام ، وبقية أرباب الوظائف على حكم
السنة الخالية . — فكان مستهلّ السنة يوم الخميس المبارك فطلع الخليفة والقضاة
الأربعة للتهنئة بالعام الجديد ، وكان السلطان فى الميدان ، وكان قبل ذلك بأيام نادى
٩ للعسكر أصحاب الطبقة الخامسة بالعرض ، وقد أشيع أنه يُرسل تجريدة إلى بلاد
الهند بسبب تعبّث الفرنج فى بحر الهند ، فلما طلع العسكر وعرضهم فى ذلك اليوم
فلم يقع فيه كتابة ولا تعيين بل قال لهم : اطلعوا يوم الأحد أيضا . — وفى ذلك
١٢ اليوم حضر قاصد من عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم وعلى يده مكاتبة من
سليم شاه للسلطان ، فكان من مضمون تلك المكاتبة أن شخصا من أولاد شاه
سوار بن ذالغادر حصل بينه وبين عمّه على دولات تشاجر بسبب بلاد أبيه
١٥ فحنق منه وتوجّه إلى ابن عثمان ، فتعصّب له سليم شاه وأرسل يسأل السلطان فى أن
يعطى ابن سوار بلاد أبيه التى بيد على دولات ، فلم يوافق السلطان على ذلك ،
وتنكّد لهذا الخبر فى ذلك اليوم إلى الغاية ، واشتور مع الأمراء فى هذا الأمر ،
١٨ وربما تتسع هذه الفتنة بين ابن عثمان والسلطان ، والأمر فى ذلك إلى الله تعالى . —
وفى ذلك اليوم أشيع من الأخبار بأن ابن عثمان أمدّ ابن سوار بعساكر وتوجّه
على حين غفلة (٢٦٥ آ) وكبس على عمّه على دولات وحصل بينهم مقتلة
٢١ مهولة قُتل فيها ابن على دولات وابن ابنه وقُتل جماعة كثيرة من عسكره
فى المعركة ، وأن على دولات اختفى فى قلعة زمنطوا ، وأن ابن عثمان ما هو راجع
عن على دولات ، فشقّ على السلطان هذه الأخبار ، وأشيع أن ابن عثمان أظهر

---

(٢٠) مقتلة : مقلته .

فى مكاتبته التى أرسلها للسلطان غاية العظمة وقال فيها : إن مقامنا الشريف ، وقال فى حقّ السلطان : مقامكم العالى ، وهذا من نوع الاستخفاف بالسلطان ، وكان سليم شاه بن عثمان هذا عنده جهل زائد ويحب إقامة الفتن ، وكان سفّاكا للدماء فقتل إخوته وأولادهم وكان فيهم من هو مرضع عما قيل من جهله . — فلما كان يوم الجمعة ثانى الشهر صلّى السلطان صلاة الجمعة ، ثم خلا هو والأمراء وضربوا مشورة فى أمر ابن عثمان وعلى دولات ، وأشيع أن السلطان عيّن فى ذلك اليوم أربعة من الأمراء المقدّمين يتوجّهون إلى حلب ، وأشيع أن السلطان أرسل يقول للأمراء الذين فى حلب : لا تجوا حتى ننظر ماذا يكون من أمر ابن عثمان وعلى دولات ، ولكن غالب العسكر من المماليك السلطانية دخل إلى مصر ، وكان السلطان قبل ذلك بعث إليهم مراسيم بالمجىء إلى مصر لما تقلّقوا من أمر الغلاء الذى بحلب ، ثم بعد ذلك طرقه هـذه الأخبار فندم على (٢٦٥ ب) حضور العسكر ، وكثر فى ذلك القيل والقال بين الناس أمر مجىء العسكر حتى أشيع عودهم إلى حلب والأحوال غير صالحة . — وفى يوم السبت ثالثه نفق السـلطان على جماعة الأمراء الذين لهم مرتّبات على الذخيرة ، وكان لهم من حين توفّى الأمير خاير بيك الخازندار لم يُصرف لهم شىء ، فغلّق لهم فى ذلك اليوم ما كان منكسرا لهم من المرتّبات .

وفى يوم الأحد رابعه نزل السـلطان إلى الميدان وعرض عسكر الطبقة الخامسة وقال لهم : اعملوا يرقكم إلى السفر فى أول ربيع الأول ، وسافروا إلى الهند بسبب تعبّث الفرنج فى بحر الهند . — وقيل إنه وعد الذى له جامكيّة ألف وخمسمائة درهم بأن يكمّلها له ألفى درهم إذا بيّضوا وجوههم فى هـذه السفرة ويصـير جامكية الكل ألفى درهم ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء فى ذلك اليوم ، وقيل إنه كتب عسكر الطبقة الخامسة جميعها وهم ما بين أولاد ناس ومماليك وتراكمة وغـير ذلك . — وفى ذلك اليوم خرج القاضى شهاب الدين ابن الجيعان وتوجّه إلى العقبة لأجل ملاقاة ابن السلطان وخوند والقاضى كاتب

السرّ ، فخرج وصحبته جماعة من المماليك السلطانية وغير ذلك من الأعيان ، وكان
صحبته أشياء حافلة من مأكل ومشرب برسم المدّات التى (٢٦٦ آ) تُعمل هناك ،
٣ وحلوى وفاكهة وبطّيخ صيفى وغير ذلك من الأشياء الملوكية . — وفى يوم
الاثنين خامسه جلس السلطان بالميدان ونادى للعسكر الذى جاء من حلب بأن
يطلع إلى القلعة ويقابل السلطان وعليه أمان الله تعالى ، وكان العسكر من حين
٦ حضر من حلب وهو مختفيا فى البيوت لم يظهر منهم أحد . — وفيه حضر للسلطان
شخص من بلاد جركس زعموا أنه ابن أخيه ، فطلع فى ذلك اليوم وقابل السلطان
وكان رجلا كاملا شابّا مستدير اللحية ، وكان يقرب للأمير الدوادار أيضا . —
٩ وفى يوم الخميس ثامنه حضر إلى الأبواب الشريفة طراباى نائب صفد بطلب من
السلطان ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وقيل كان أصله من مماليك
يشبك من حيدر ، وحضر عقيب ذلك قاصد من عند على دولات وعلى يده مكاتبة
١٢ للسلطان يذكر فيها ما وقع له مع ابن أخيه سوار وأن ابن عثمان متعصب له وقائم
معه والأمر على ما يراه السلطان ، وكان سبب حضور نائب صفد قيل إنه وقع
بينه وبين أمير كبير حتى يرى الظالم من المظلوم فيحكم بينهم بما تقتضيه الآراء
١٥ الشريفة فى ذلك . — وأشيع أن الشهابى أحمد بن الجيعان لما خرج إلى ملاقاة ابن
السلطان من العقبة أرسل صحبته السلطان (٢٦٦ ب) خلعة سنيّة إلى السيد
بركات أمير مكة ، وقد بلغ السلطان حضوره صحبة المحمل مع ابن السلطان
١٨ وقد تقدّم القول على ذلك . — وفى يوم السبت عاشره طلع قاصد على دولات
وقابل السلطان ، فلما قرأ مكاتبته جمع الأمراء المقدّمين قاطبة والأمراء الطبلخانات
والأمراء العشرات وقرأ عليهم مكاتبة على دولات ، ولم ينشرح السلطان فى ذلك
٢١ اليوم ولا الأمراء لهذه الأخبار التى وردت عليه من على دولات بسبب ابن عثمان ،
وأنه ما هو راجع عن على دولات وأظهر التعصّب لابن سوار ، فأقامت الأمراء
عند السلطان إلى قريب الظهر وهم فى ضرب مشورة بسبب ابن عثمان وعلى

---

(١٧) حضوره : حضرة .

دولات ، وأشيع أن السلطان عيّن أربعة من الأمراء المقدّمين يتوجّهون إلى حلب
ويقيمون بها زيادة على ما هناك من الأمراء المقدّم ذكرهم ، حتى يروا ما يكون
٣ من أمر ابن عثمان . — وفى هذا الشهر كانت وفاة صاحبنا كمال الدين بن قوسان ،
وكان عشير الناس بشوشا مستغرقا فى ملاذّ نفسه ، وكان لا بأس به ، فمات وقد
قارب السبعين سنة من العمر . — وفى يوم الأحد حادى عشره نزل السلطان
٦ وعدّى إلى المقياس وبات به تلك الليلة وانشرح هناك ، وقيل إنه لم يبت بل أقام
به إلى بعد العصر وهو فى أرغد عيش من مأكل ومشرب ، ثم عاد إلى القلعة
من يومه . — وفى يوم (٢٦٧ آ) الاثنين ثانى عشره عيّن السلطان خاصكيا
٩ يقال له جانم ، وأصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان من ذوى العقول ، بأن
يتوجّه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكتب على يده مطالعة إلى ابن عثمان بالجواب عن
مطالعته بما تقتضيه الآراء الشريفة فى أمر على دولات وابن أخيه سوار ، وقرّر
١٢ معه إذا سافر يخرج على جرائد الخيل حتى يعود بسرعة الجواب عن ذلك . —
وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره أشيع وصول إبراهيم بن السكر والليمون إلى بندر
الطور ، وكان قد تغيّر خاطر السلطان عليه فنفاه إلى مكة فأقام هناك نحو ثلاث
١٥ عشرة سنة ، فلما حصل للسلطان ذلك التوعّك فى عينه كما تقدم ورسم بإطلاق من
فى السجون فتكلم بعض المباشرين مع السلطان وشفع فى عود إبراهيم هذا إلى
الديار المصرية ، فأجاب السلطان إلى ذلك وكتب له مراسيم بالحضور إلى مصر ، فلم
١٨ يحضر إلاّ بعد أشهر ، وقد جاء من البحر الملح فوصل إلى الطور عنما قيل ،
وقد قاسى شدائد ومحنا عند عوده وأشيع أن أولاده وعياله وجميع ما يملكه
غرقوا فى البحر ، وأمره إلى الله تعالى . — وفى يوم الثلاثاء عشرينه توفى القاضى
٢١ ابن بيرم أحد نوّاب الحنابلة ، وهو أحمد بن على بيرم ، وكان بينه وبين وفاة أخيه
شمس الدين دون السنة ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه
نزل (٢٦٧ ب) الحاجّ بالبركة ، فنزل سيدى عمر بن الملك المنصور أمير ركب

(١١) تقتضيه : تقضية . (١٨) إلا : إلى .

الأول ، ونزل الأمير طُقطباى أمير ركب المحمل ، ونزل سيدى ابن السلطان وخوند
زوجه السلطان ، وحضر صحبة ابن السلطان السيّد الشريف بركات أمير مكة وولده
٣ وصهره عرْعر ، وحضر القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا ، وحضر شيخ العرب
عبد الدائم بن بقر وأخوه بيبرس ، وغير ذلك من أعيان الحجّاج ، فخرجت
الأمراء قاطبة إلى تلقّيهم وأعيان الناس ، فكان لدخولهم إلى بركة الحاجّ يوم
٦ مشهود ، ولاقاهم القضاة الأربعة فأقام ابن السلطان فى بركة الحاجّ إلى بعد العصر
وركب من هناك ودخل إلى القاهرة فنزل فى مدرسة أبيه وبات بها ، وكذلك
أمراء الحاج ؛ وأما خوند زوجة السلطان فإنها طلعت إلى القلعة فى المحفّة تحت
٩ الليل وحولها المشاعل والفوانيس ، فطلعت من باب الدرفيل ولم يشعر بها أحد
من الناس ، ودخل القاضى كاتب السرّ إلى بيته تحت الليل وكان عليلا فدخل
فى محفّة إلى داره . — فلما كان يوم الخميس ثانى عشرين المحرم جلس السلطان
١٢ بالحوش وعمل الموكب بالشاش والقماش ، وحضر الأتابكى سودون العجمى أمير
كبير وسائر الأمراء المقدّمين وغيرهم وأرباب الدولة قاطبة ، ثم إن ابن السلطان
ركب من مدرسة أبيه التى (٢٦٨ آ) بالشرابشيّين وركب قدّامه الشريف
١٥ بركات أمير مكة وولده وصهره وهم بكوامل مخمل أحمر بصمور ، وكان السلطان
أرسل تلك الكوامل إلى الشريف صحبة الشهابى أحمد بن الجيعان إلى العقبة لما
خرج إلى ملاقاة سيدى ابن السلطان ، فلبس الشريف بركات وولده وصهره
١٨ تلك الكوامل عند طلوعهم إلى القلعة ، ولبس سيدى ابن السلطان كاملية تماسيح على
أحمر ، فلاقاهم رؤوس النوب وهم بالشاش والقماش ، واستمرّوا على ذلك حتى وصلوا
إلى سلّم المدرج ، وكان قدّامه الشريف بركات وأمراء الحاج ، فلما وصلوا إلى سلّم
٢١ المدرج نزل ابن السلطان من على الفرس ، وكان تحته فرس بوز بسرج وكنبوش ،
وكذلك الشريف بركات وأمراء الحاج ، من عند المكان الذى تنزل عنده
الأمراء المقدّمون ، ثم طلعوا بالفرس ثانيا إلى عند المصطبة [التى] يجلس عليها

(٢ و ١٦) صحبة : صحبته . (٢٢) وكذلك : جاءت فى الأصل بعد «الفرس» فى سطر ٢١ السابق .

نائب القلعة ، فركب ابن السلطان من هناك ثانيا ، ومشى قدامه الشريف بركات
ومسك بأزكة لجامه من على الميمنة ومسك بأزكة اللجام من على الميسرة الأمير
طقطباى أمير ركب المحمل ، وكان الأمير طقطباى يومئذ مقدّم ألف نائب القلعة ، ٣
ومشى قدّامه الجم الغفير من الرؤوس النوب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ،
ومشى قدّامه الشبابة السلطانية والشعراء والشاوشية ، واستمرّ فى هذا الموكب
الحافل حتى وصل إلى (٢٦٨ ب) باب الحوش ، فنزل على مصطبة مُشدّ الحوش ٦
ودخل من باب الحوش والموكب عمّال ، وكان ابن السلطان عمره يومئذ نحو عشر
سنين ؛ ولقد أدركْتُ الملك المؤيّد أحمد بن الأشرف أينال لمّا أن حجّ وكان
إذ ذاك أتابك العساكر ، فلما حضر من الحجاز وطلع إلى القلعة ما وقع له ٩
مثل ما وقع لابن الأشرف الغورى هذا من المواكب الحافلة بالحوش ، فلما
وصل إلى المصطبة التى جالس عليها السلطان تقدّم الشريف بركات إلى عند
السلطان فقام له نصف قومة ، وباس أمراء الحجّ له الأرض ، ثم تقدّم ابن السلطان ١٢
وباس الأرض لأبيه ، فأحضر لهم الخلع ، على الشريف بركات مثمر وأطلسين ،
وأخلع على ابن الشريف بركات وصهره كوامل مخمل أحمر بصمور ، وأخلع على
أمراء الحجّ لكلّ واحد منهما مثمر وأطلسين لكون أن سيّدى عمر ابن السلطان ، ثم ١٥
أحضروا لابن السلطان فوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض فوق الكامليّة
المخمل التى بالصمور ، ثم نزل الشريف بركات وولده وصهره من القلعة ، ودخل
ابن السلطان إلى دور الحرم ، وانفضّ ذلك الموكب على خير ، فلما نزل الشريف ١٨
بركات وأمراء الحاج من القلعة نزل صحبتهم الأتابكى سودون العجمى وجماعة
من الأمراء المقدّمين ، فشقّوا من القاهرة (٢٦٩ آ) وكان لهم يوم مشهود ،
فأوصلوا الشريف بركات إلى المكان الذى أنزله فيه السلطان ، قيل أنزله السلطان ٢١
فى بيت الأمير جانم مصبغة الذى بالقرب من مدرسة السلطان ، فأوصلوا الأمراء

---

(٩) إذ ذاك : اذ دكات . (١٨) خير : حرير .

الشريف بركات إلى ذلك المكان ورجعوا إلى بيوتهم ، وكذلك أمراء الحاج ،
وأما القاضى كاتب السر محمود بن أجا فإنه لما رجع من الحجاز كان متوعكا
٣ فى جسده فلم يطلع إلى القلعة ولا قابل السلطان ، وقد هنّيته عند عوده من الحجاز
بهذين البيتين وهما :

عن كاتب السرّ شاع فضل   يستوجب الشكر والمحامد
٦ قد عمّ من برّه البرايا   وحجّ فى الناس وهو قاعد

فكان لهذين البيتين موقع لما عُرضوا عليه وقرأهما ، فلما رجعت الحجّاج
إلى القاهرة أثنوا بكل خير على سيّدى عمر بن الملك المنصور أمير ركب الأول
٩ وشالوا له الرايات البيض فى وسط الرملة ، بخلاف الأمير طقطباى أمير ركب
المحمل ، وأما خوند زوجة السلطان وولده فلم يثنِ عليهما أحد بخير ولا ظهر
لخوند فى المناهل مكارم أخلاق كما كانت تفعل خوند الخاصبكية زوجة الأشرف
١٢ قايتباى لما حجّت فلم يرَ لهم أحد من الحجّاج رأس سكر ولا مجمع حلوى وكل
من كان معهم ردّ يشكى من الجوع ، فكان كما يقال فى المعنى :

وكم لله من رجل سمين   كثير المـال مهزول البذال
١٥ كذاك الطبل يُسمع من بعيد (٢٦٩ ب) وداخله من الخيرات خال

وكان سبب ذلك أن السلطان هذا أخسّ خلق الله وأبخلهم على الإطلاق ،
فلم يمكن أحد من الناس فى شىء من أمر السنيح ، وكان ابن السلطان صغيرا
١٨ لا يحكم على شىء من أمور السنيح ، حتى قيل ردّوا بالأكل الذى فى السنيح لم
ينقص منه إلا القليل ، فكان كما يقال :

لا تعجبوا إن سَعَى كريم   لحاجة فى يدى بخيل
٢١ فإنه كالخـلاء حتما   لا بُدّ فيه من الدخول

---

(٨) الأول: جاءت فى الأصل بعد « الرملة » فى سطر ٨ . (١١) الخاصبكية : الخاص بكيه .
(١٦) أن السلطان : أن السلطان جمل والسلطان وكان هذا .

وفى صفر طلع الخليفة والقضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان مستهلّ الشهر يوم السبت : — وفى يوم الأربعاء خامسه جلس السلطان فى القصر الكبير المطلّ على الرملة ، وعزم هناك على الشريف بركات أمير مكة ومدّ له أسمطة ٣ حافلة ، وأقام عنده إلى أواخر النهار ، وقدّم له السلطان تقدمة حافلة ما بين خيول وجمال وغير ذلك . — وفى يوم الخميس سادسه أخلع السلطان على الشرف يونس النابلسى الذى كان أستادارا وقرّره فى استيفاء جيش الشام عوضا عن ٦ بدر الدين بن الإنبابى بحكم وفاته ، فنزل من القلعة فى موكب حافل . — وفى يوم الأحد تاسعه نزل السلطان إلى المقياس وعزم على الشريف بركات هناك ، وجلس معه فى القصر الذى أنشأه على بسطة المقياس ، وأقام هناك إلى أواخر ٩ النهار ، ومدّ له أسمطة حافلة ، (٢٧٠ آ) ثم نزل فى مركب وشقّ من على الروضة وانطلقت له النساء من الطيقان بالزغاريت ، واستمرّ فى المركب حتى طلع من بولاق ثم توجه إلى القلعة من هناك . ١٢

وفى الاثنين عاشره أشيع بأن فى تلك اللية سرق من دار الضرب التى هى بالقلعة داخل الحوش السلطانى ثمانية آلاف دينار وكسور من الذهب الجديد الذى ضربه السلطان بسبب النفقة ، فذهبت ولا يُعلم مَن فعل تلك الفعلة ، فلما ١٥ بلغ السلطان ذلك ألزم المعلّمين الذين فى دار الضرب بما سُرق من ذلك القدر ، فمضت ولم ينتطح فى ذاك شاتان . — وفى يوم ثالث عشره صمّمت المماليك على استعجال النفقة ، فأخرج السلطان من حواصل الذخيرة أشياء ١٨ كثيرة من الأمتعة التى كانت فى الحواصل من ترك الخوندات والستّات التى ماتوا واحتوى السلطان على موجودهم ، ما بين قماش وبشاخين زركش وعنبر وأوانى بلّور وصينى وكُفت وغير ذلك ، وأخرج أشياء كثيرة من شاشات وأزر ٢١ وأثواب بعلبكى وأثواب صوف قبرسى وغير ذلك فقوّم ذلك بنحو خمسين ألف دينار ، فطلب التجار وأرمى عليهم تلك الأصناف بأغلى الأثمان فأطلق فى التجّار النار ، وكان المتكلم فى ذلك محمد مهتار الطست خاناه وقد جعله ٢٤

السلطان (٢٧٠ ب) متكلما على حواصل الذخيرة من حين توفى الحاجّ ياقوت
فرّاش الخزانة ، فشدّد محمد المهتار على التجار فى جبى الأموال فجُبيت منهم
٣ فى مدّة يســيرة لأجل النفقة ، وحصل على التجار الضرر الشامل وقد خسروا
فى الأثواب الصوف النصف فإنهم كانوا معتوتين ، وكذلك خسروا فى البعلبكى
والأزر والشاشات والأنطاع والمحابس اليمنى وغير ذلك ، ثم إن الســلطان أطلق
٦ فى المباشرين النار وضيّق عليهم بسبب بواقى فضلات الأموال التى قُرّرت عليهم
من فضلات بواقى الحسابات ، فكتبوا له قوائم بما تأخّر على المباشرين والعمّال
والملتزمين وأرباب المصادرات فكان ذلك القدر نحو مائة ألف دينار ، فظهر على
٩ علاى الدين ناظر الخاصّ ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، وعلى الزينى بركات بن موسى
المحتسب خمسة عشر ألف دينار ، وعلى القاضى شرف الدين الصُغير خمسة آلاف
دينار ، وغير ذلك من العمّال ومن بواقى المصادرات ، فأطلقوا فيهم النار بسبب
١٢ النفقة على المماليك ، وما قاسى أحد من أرباب الدولة بسبب هذه النفقة خيرا ، وقد
استحثّهم السلطان فى سرعة ورود المال على النفقة . — وفى يوم الاثنين سابع
عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أبرك (٢٧١ آ) أحد الأمراء المقدّمين ،
١٥ وأصله من مماليك السلطان ، وكان خرج إلى حلب صحبة التجريدة وقد جعله
السلطان باشا على المماليك الجلبان ، فلما رسم لهم السلطان بالعود إلى مصر حضر
الأمير أبرك قبل مجىء الأمراء فدخل إلى مصر وسبق الباش ، ودخل صحبته
١٨ جماعة كثيرة من الأمراء الطبلخانات والعشرات ممن كان فى التجريدة ، فلما
طلع وقابل السلطان أخلع عليه ونزل [إلى] داره فى موكب حافل . — وفى ذلك
اليوم نفق السلطان الجامكية على العسكر ، ونفق عليهم النفقة التى كان أوعد
٢١ العسكر بها وجرى بسببها ما تقدّم ذكره ، فلم تكن هذه النقطة عامّة على العسكر
بل كانت لجماعة مخصوصة من المماليك ، فأعطى لمماليكه الجلبان لكل واحد منهم
خمسين دينارا ، وأعطى مثل ذلك للمماليك الأشرفية القايتبيهية الشباب أصحاب

(٧) الحسابات : الحسنات . (١٣) ورود : ورَدّ .

الدقون السود دون الشيوخ ، ولم يعط المماليك القرانصة الشيوخ شيئا ، ولا المماليك
السيفيّة شيئا ، ولا أولاد الناس شيئا ، ولا أصحاب الطبقة الخامسة التى تجدّدت ،
فحصل للعسكر فى ذلك اليوم كسر خاطر إلى الغاية ، وقيل إن بعض المماليك ٣
وقف إليه بسبب النفقة وأغلظ (٢٧١ ب) عليه فى الكلام ، فرسم بقطع جامكيته
فى ذلك اليوم ولو زاده عليه رسم بنفيه أيضا ، فلما جرى ذلك اعتبروا بقية
المماليك عن طلب النفقة . — وفى ذلك اليوم نادى السلطان فى القاهرة بأن ٦
لا مملوكا يركب فى سرج بداوى ولا ركب بداوى ولا يتخلّل بإحرام صوف أبيض
ولا يغطّى وجهه إذا ركب ، ولا مملوك ولا غلام ولا عبد يخرج من بعد العشاء ،
وصار يكرّر هذه المناداة يومين موالية ، فشقّ على المماليك هذه المناداة وكانوا ٩
قد زادوا فى الضرر للناس ، ثم [إن] جماعة من المماليك توجهوا إلى عند الأمير
طومان باى الدوادار ليكلّم السلطان فى أمر النفقة على بقيّة المماليك ، فلما كلّمة لم
يُفد من كلامه شيئا ، واستمرّ السلطان باقيا على عدم النفقة على المماليك ١٢
الشيوخ والعواجز ، فما وسعهم إلا الصبر والسكوت عن ذلك ، فكان كما يقال فى المعنى :

أنفقتُ عمرى وصحتى شغفا عليك والصبر آخر النفقهْ .

وفى أثناء هذا الشهر حضر الأمير أينال باى دوادار سكين ، وكان توجّه إلى ١٥
حلب بسبب مجىء العسكر وغير ذلك من الأشغال السلطانية ؛ وحضر الأمير
خاير بيك المعمار ، وكان توجّه إلى العقبة بسبب إصلاح العراقيب التى بطريق
العقبة لأجل خوند وابن السلطان قبل (٢٧٢ آ) أن يجوا إلى العقبة . — وفى ١٨
هذا الشهر كثر الدعاء من المماليك القرانصة على السلطان بسبب منعه لهم
من النفقة . — وفى يوم الأربعاء تاسع عشره أرسل السلطان خلف قاضى القضاة
الشافعى محيي الدين بن النقيب المنفصل ، فتوجّه إليه بعض مهاترة الطستخاناه ، فلما ٢١
طلع به أرسل السلطان يقول له أورد ثلاثة آلاف دينار وتولّى وظيفتك

---

(٧) يركب : لا يركب . (١٤) وصحتى : وصحة .

على العادة ، فأرسل يقول للسلطان : ما معى حاضرا غير ألف وخمسمائة دينار فولّونى وقسّطوا الباقى علىّ فى كل شهر مائتا دينار ، فما رضى السلطان بذلك
٣ وانفصل المجلس مانعا ، فلما نزل ابن النقيب من عند السلطان أتى إليه الزينى بركات بن موسى فأخذوه من المدرسة الناصرية وأركبه على حمار وتوجّه به إلى داره ورسّم عليه حتى يرد ثلاثة آلاف دينار إن ولى أوْ لا يلى ، فأقام عنده
٦ فى الترسيم أياما ثم توجّهوا به إلى بيت القاضى كاتب السرّ وأحضروا له شرف الدين بن الأسيوطى الوكيل والقاضى شمس الدين بن وحيش ويقصدوا أن يدّعوا عليه بأن تحت يده ثلاثة آلاف دينار ثمن بدل عن وقف ابتاعه وأن
٩ ذلك القدر تحت يده ، فاعترف ابن النقيب بذلك وقال : قد دفعت من ذلك القدر ألفان ومائتان دينار للسلطان ، وأظهر رجعة ذلك ، وذكر أن باقى ذلك المبلغ فُقد من حاصله ، (٢٧٢ ب) فانصرف فى الترسيم إلى بيت ابن موسى يردّ
١٢ ثلاثة آلاف دينار فقاسى من البهدلة ما لا خير فيه واستمرّ فى الترسيم مدّة حتى بردّ ذلك القدر ، ثم أشيع ولايته إلى القضاء أياما وخمدت هذه الإشاعة كأنها لم تكن ، وكان ابن النقيب أرشل قليل الحظّ غير محبب للناس . — وفى يوم الاثنين
١٥ رابع عشرينه كان أول يوم من الخماسين ، وهو يوم فطر النصارى وعيدهم ، ومن جملة لطف الله تعالى لم يقع فى هـــذه السنة طاعون بمصر . — وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه نزل السلطان إلى الميدان وساقوا قدّامه الرمّاحة كما يسوقون
١٨ عند دوران المحمل فى رجب ، وكان الشريف بركات أمير مكة حاضرا عند السلطان ، فلما مضى أمر الرمّاحة دخل السلطان هو والشريف بركات إلى البستان الذى بالميدان ومدّ له أسمطة حافلة . — وفيه عيّن السلطان شخصا من الخاصكية يقال
٢١ له جانم بأن يتوجّه إلى سليم شاه بن عثمان ملك الروم ويكشف عن أخباره هل هو يقصد أن يمشى [على] بلاد السلطان أم على بلاد الصوفى ، فإن الإشاعات كانت كثرت يمشى ابن عثمان على بلاد السلطان ، فخرج جانم هذا بسبب ذلك ، وقيل

لأجل أقارب السلطان الذين أتوا من بلاد جركس وأسرهم بعض ملوك التتر ، فتوجّه جانم ليشتريهم من ملك (٢٧٣ آ) التتر بمبلغ له صورة . — وفى يوم الخميس سابع عشرينه فيه أكمل السلطان أمر النفقة ، واستمرّ مصمّما على عدم ٣
إعطاء النفقة للمماليك القرانصة والسيفيّة وأولاد الناس ، ثم فى أثناء ذلك اليوم نادى السلطان فى القاهرة بأن المماليك الذين أخذوا النفقة يعملون يرقهم ويكونون على يقظة فإن التجريدة عمّالة إلى حلب ، فلما سمع العسكر ذلك اضطربت ٦
أحوالهم . — وفى ذلك اليوم رسم السلطان بشنق شخص من أولاد الناس كان عاتقا مجرما وله عدّة قتلاء ، فشُنق على باب الدرب الذى فى السبع سقايات . — وفى يوم الأحد سلخ هـذا الشهر نزل السـلطان وتوجّه إلى نحو قبة يشبك ٩
الدوادار التى بالمطرية وأقام بها إلى أواخر النهار ، ثم عاد إلى القلعة من يومه .

وفى ربيع الأول طلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر ، ثم عادوا إلى بيوتهم . — وفى يوم الأربعاء ثالثه ورد على السلطان [أخبار] ١٢
غير صالحة بأن سليم شاه ابن عثمان قد جهّز عساكرا عظيمة وأرمى عدّة مراكب فى البحر وأنه زاحف على علىّ دولات بنفسه ، فتنكّد السلطان لهذا الخبر ورسم لنقيب الجيش بأن يدور على الأمراء المقدّمين ويقول لهم : اطلعوا إلى عند السلطان ١٥
حتى يقرأ عليكم الكتب التى وردت عليه عن (٢٧٣ ب) أخبار ابن عثمان ، فطلعوا إلى عند السلطان فى ذلك اليوم ، فلما اجتمعوا قرأ عليهم ما ورد عليه من المطالعات عن أخبار ابن عثمان ، فأقاموا الأمراء عنده إلى بعد العصر وهم ١٨
فى ضرب مشورة بسبب علىّ دولات وابن عثمان ، ثم بعد أيام خمدت تلك الإشاعات واستمرّ الأمر مبنيّا على السكون . — وفى يوم الأربعاء عاشره نزل السلطان إلى الميدان وساقوا قدّامه الرمّاحة وهم لابسون الأحمر والخوذ كما ٢١
يفعلون عند دوران المحمل فى رجب ، واجتمع الميدان الجم الغفير من الناس بسبب الفرجة ، وكان الشريف بركات حاضرا مع الأمراء ، وكان يوما مشهودا . —

وفى ذلك اليوم توفى الأمير أسنباى الأصمّ أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان من
أعيان مماليك الأشرف قايتباى ، وكان علاّمة فى لعب الرمح وقد فاتته التقدمة من
٣ قبل ذلك ، وكان لا بأس به ، وقد مات فجأة على حين غفلة . — وفى يوم الخميس
حادى عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوى ونصب الخيمة الكبيرة
المدوّرة بالحوش ، قيل إن مصروف تلك الخيمة على الأشرف قايتباى ستة وثلاثين
٦ ألف دينار ، فحضر القضاة الأربعة والشريف بركات أمير مكة ، قيل أجلسه السلطان
فوق الأتابكى سودون العجمى ، واجتمع سائر الأمراء المقدّمين وأرباب (٢٧٤ آ)
الوظائف ومشايخ العلم ، وكان يوما مشهودا على العادة . — وفى يوم السبت ثالث
٩ عشره أشيع أن إقطاع أسنباى الأصمّ أنعم به السلطان على الأمير قايتباى الذى
كان نائب الكرك ، فصار من جملة الأمراء الطبلخانات . — وفيه حضر الأمير ألماس
دوادار سكين الذى كان توجّه إلى طرابلس بسبب ضبط موجود جانم نائب
١٢ طرابلس الذى توفى ، وقُرّر عوضه تمراز مملوك السلطان الذى كان نائب قلعة
حلب ، وقُرّر فى نيابة قلعة حلب قانصوه الساقى عوضا [عن] تمراز الأشرفى بحكم
انتقاله إلى نيابة طرابلس ، وتوجّه ألماس أيضا بسبب تقليد تمراز المذكور لما ولى
١٥ نيابة طرابلس ، وبسبب جَبْى الأموال التى قُرّرت على عربان جبل نابلس وغير
ذلك من البلاد بسبب المُشاة ، فأهلك الحرث والنسل . — وفى يوم الاثنين خامس
عشره حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير باش
١٨ العسكر الذى كان توجّه إلى حلب ، وحضر الأمير سودون الدواداري رأس
نوبة النوب ، وحضر الأمير أرزمك الناشف أحد الأمراء المقدّمين ، وكانوا
توجّهوا فى هذه التجريدة صحبة أمير آخور ، فلما دخلوا إلى القاهرة باتوا فى مدرسة
٢١ السلطان ، ثم طلعوا إلى القلعة وقابلوا فى ذلك (٢٧٤ ب) اليوم السلطان ، فأخلع
عليهم كوامل بصمور ونزلوا إلى دورهم فى موكب حافل ، فكانت مدّة غيبة الأمراء
فى هذه السفرة نحو تسعة أشهر ورجعوا وهم سالمون لم يُفقَد منهم أحد ، ولا وقع

بينهم قتال بسبب ابن عثمان والصوفى ، لكن قاسى العسكر فى هذه السفرة مشقّة زائدة بسبب الغلاء الذى وقع بحلب وقلّة العليق على الخيول ، فباعوا خيولهم وسلاحهم وقماشهم ، فدخلوا إلى مصروهم فى غاية التعفيش ومنهم من دخل وهو ٣
راكب على حمار . — وفى ذلك اليوم أكمل السلطان على العسكر النفقة المقدّم ذكرها على حكم ما شُرح فيه ولم يعط المماليك القرانصة العواجز ولا أولاد الناس شيئا ، وصار الذى يأخذ النفقة يكتبه كاتب المماليك طائفة إلى جهة الشرقية ٦
وطائفة إلى جهة الغربية وطائفة إلى منفلوط وطائفة لحفظ الجسور ، فصار بعض المماليك يقول ما لنا حاجة بنفقة على هذا الوجه . — فلما أقام قانى باى أمير آخور فى المدينة ثلاثة أيام أهدى إلى السلطان تقدمة حافلة على ما قيل ، فكان ٩
من جملتها ذهب عين عشرة آلاف دينار وخمسة وعشرين مملوكا جراكسة وخيول خاصّات أربع طوايل وأربعمائة رأس غنم وأثواب بعلبكى (٢٧٥ آ) وأثواب صوف وغير ذلك أشياء فاخرة ، وقيل أحضر إلى السلطان ثمانين ألف دينار وذلك ١٢
مما جباه من أمر المشاة الذى أفرده السلطان على الشام وحلب وحماة وغير ذلك من البلاد بسبب المشاة الذى تخرج قدّام العسكر فى التجريدة ،فحصل على أهل تلك البلاد منه الضرر الشامل وأخذ أموالهم بالظلم والعسف ، وقرّر على ١٥
جهات البلاد الشامية من الإقطاعات والرزق على كل رأس من الفلاّحين قدرا معلوما ، كما فعل بعربان جبل نابلس وغيره من البلاد ، فضجّ منه الأفلاك والأملاك بسبب ذلك ، وكان المحرّك لذلك يوسف بن أبى أصبع . — وفى يوم الثلاثاء ١٨
سادس عشره نزل السلطان إلى الميدان وأرسل خلف الشريف بركات أمير مكة ، وحضر أمير كبير وجماعة من الأمراء المقدّمين ، ثم أحضر مماليك يرمون بالنشاب على الخيل وهم باللبس الكامل فأظهروا أشياء غريبة فى فنون الرماية ، ٢١
وأحرق السلطان إحراقة نفط بالنهار فى الميدان ، وأحضر الأفيال الكبار فتسارعوا قدّامه ، وكذلك السبع والهزبر ، فانشرح السلطان فى ذلك اليوم وكان

(٥) ذكرها : دكرها . (١٣) الشام : شام .

يوما مشهودا فأقام فى الميدان إلى قريب الظهر . — وفى يوم الجمعة تاسع عشره
الموافق لسابع بشنس القبطى ، فيه قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وكان
٣ الوقت يومئذ (٢٧٥ ب) رطبا . — وفى يوم السبت عشرينه نزل السلطان إلى
الميدان وبات به ليلة الأحد ، فدخل إلى البستان الذى أنشأه به فأطلق ماء البحرة
ونثر فيها الورد والياسمين ، وفرش حولها الفرش الفاخرة ، وعلّق بين الأشجار
٦ أحمال قناديل وتعاليق كثيرة ما بين تنانير وأمشاط وغير ذلك حتى أضاء البستان
بالنور ، ثم أرسل خلف الشريف بركات وبات عنده تلك الليلة ، ومدّ له
أسمطة حافلة وطوارى فاخرة ما بين حلوى وفاكهة وغير ذلك ، ثم أحضر
٩ إليه مغانى البلد وأرباب الآلات الدواخل ، فكانت ليلة حافلة من الليالى الملوكية ،
كما قال فيها الشاعر :

ومجلس راق من واشٍ يُكدّره ومن رقيب له فى اللوم إيلامُ
١٢ ما فيه ساعٍ سوى الساقى وليس به على الندامى سوى الريحان نمّامُ

فلما أصبح صبح يوم الأحد خرج السلطان وجلس فى الميدان وأحضر
جماعة من المماليك يرمون بالنشاب على القبق ، فأقام فى الميدان يومين وليلة ثم
١٥ طلع إلى القلعة ، وقد بالغ فى إكرام الشريف بركات بأشياء لم تقع لأحد من أجداده
ولا أقاربه . — وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه فيه أخلع السلطان على أمراء الحاج
فقرّر الأمير علان أحد المقدّمين ودوادار ثانى أيضا أمير ركب المحمل ، وقرّر
١٨ الجناب العلاى على بن المؤيّد أحمد بن الأشرف (٢٧٦ آ) أينال أمير ركب
الأول ، فكان لهما موكب حافل . — وفى ذلك اليوم أشيع أن خشقدم شاد الشون
قد هرب وصحبته جماعة من المماليك السلطانية فهيّأ له مركبا بستة عشر مقدافا ،
٢١ وقيل إنه أخذ معه نحو عشرة مماليك ، وخرج من مصر على حميّة ، فأشيع أنه
قد توجّه إلى عند سليم شاه بن عثمان ملك الروم ، وقيل إن له أخا عند ابن عثمان
أميرا من أمرائه فتوجه [إليه] ، وأصل خشقدم هذا من مماليك السلطان قانصوه

(١) عشره : عشرينه .

الأشرف الغورى من مشترواته ، وكان أنعم عليه بأمرة عشرة وجعله رأس نوبة
عصاة ثم قرّره فى شادية الشون ، وكان قبل ذلك تكلّم فى نيابة جدّة نيابة عن
الأمير حسين نائب جدّة فاستمرّ على ذلك مدّة ، ثم إن السلطان صادره وأخذ منه ٣
نحو خمسة آلاف دينار ، وكان خشقدم هذا متزوّجا بنت جانى بيك دوادار
طراباى الذى كان ناظر الديوان المفرد ، فلما قبض السلطان على [جانى بيك
أمر] خشقدم بطلاق بنت جانى بيك غصبا وقيل كان له منها أولاد وربما ألزمه ٦
بما تأخّر على جانى بيك من المال ، فما طاق خشقدم ذلك وحمل على نفسه فهرب
نحو بلاد ابن عثمان ، فكان كما يقال فى المعنى :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق ٩

فلما أشيع توجه خشقدم إلى بلاد ابن عثمان (٢٧٦ ب) كثر القال والقيل
بين الناس بسبب ذلك ، وقيل أن أخا خشقدم هذا كان مقيما عند ابن عثمان سليم
شاه وهو من أخصائه ، فخشى بعض العقلاء أن خشقدم يحسّن لابن عثمان أن ١٢
يمشى على بلاد السلطان ويهوّن عليه ذلك الأمر ، والله غالب على أمره . — وفى
يوم الجمعة سادس عشرين هذا الشهر كانت وفاة الأمير قانى باى قرا أمير آخور
كبير الذى كان باش العسكر المتوجّه إلى حلب ، وكان موته بغتة على حين غفلة ، ١٥
وكانت مدّة توعّكه خمسة أيام حتى أشيع أنه مات مسموما من بعض أخصائه ،
والعلم عند الله تعالى ، وكان أصل الأمير قانى باى هذا من مماليك الملك الأشرف
قايتباى من مشترواته ، فأعتقه وأخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك ١٨
الجمدارية ، ثم بقى سلحدارا ، ثم أنعم عليه بأمرية عشرة فى سنة ثمان وتسعين
وثمانمائة فأقام على ذلك مدّة يسيرة ، وقرّره فى نيابة صهيون وقيل سعى فيها
بمال له صورة فأقام بصهيون مدة ، وكان الساعى له فى نيابة صهيون الأمير أزبك ٢١
الخازندار ، وقيل قُرّر فى أمرية الكبرى بحلب مدّة يسيرة ، ثم عاد إلى مصر

(٢٢) يسيرة : جاءت فى الأصل بعد « الخازندار » فى أول هذا السطر .

وبقى مقدّم ألف فى دولة الملك الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، ثم بقى أمير
آخور كبير بعد وقعة الأمير أقبردى الدوادار لما قتل (٢٧٧ آ) الأمير كرتباى
٣ ابن عمّة الأشرف قايتباى فى مدرسـة السلطان حسن ، فقرّره الملك الناصر
فى أمرية آخورية الكبرى عوضا عن الأمير كرتباى بحكم قتله وذلك فى المحرّم
سنة ثلاث وتسعمائة فأقام فى أمرة آخورية الكبرى نحوا من ثمان عشرة سنة
٦ وثلاثة أشهر ، وكان أميرا جليلا مبجّلا معظّما فى سعة من المال والسلاح والبرك
والخيول والبغال والجمال والمماليك ، وكان فى ملاءة من كلّ شيء ، وهو الذى
أنشأ الجامع الذى عند المصنع تُجاه سوق الخيل ، والجامع الذى بالقرب من ميدان
٩ المهارة الذى بجوار البركة الناصرية ، وكان له من العمر لما مات نحو ستين سنة ،
وكان صفته طويل القامة ملىء الجسد أسمر اللون جدّا كما وكزه الشيب ، وكان
مشهورا بالشجاعة والفروسية ولعب الرمح بحيث كان يدعى بقانى باى الرمّاح ،
١٢ لكنه كان عنده الطمع الزائد والظلم والعسف ، وكانت معاملته أنحس المعاملات
يأكل أموال الناس بغير حقّ ، وإن وضع يده على وقف أو تركة أكلها عن
آخرها ، وإن اشترى من أحد شيئا أكل ثمنه عليه ، وإن استعمل صنايعيا أو مُسبّبا
١٥ قطع مصانعته فى أجرته ، ويخرج من بابه غير راض عنه ، وكان السلطان قرّره
باش العسكر على التجريدة التى توجّهت إلى حلب فأظهر فى البلاد الشامية
(٢٧٧ ب) والحلبية غاية الظلم وأفرد الأموال الجزيلة على جهات البلاد الشامية
١٨ والحلبية بسبب المشاة الذين يكونوا أمام العسكر ، فجار على الناس وأخذ جملة من
الأغنام لأهل الضياع من الفلاّحين نحو ثلاثين ألف رأس غنم ، وقيل أكثر من
ذلك ، وكان السلطان فى وقت عيّنه بأن يتوجّه إلى جهات الشرقية بسبب فساد
٢١ العربان فكان إذ ظفر بأحد من الفلاّحين الضعفاء يوسّطه أو يسلخه من رأسه
إلى عند أقدامه ، وربما صنع ذلك بجماعة من الأشراف وزعم أنهم من العربان

(٣) الناصر : الناصرى . (٨) تجاه : بجاه . (١٠) ملىء : ميلى .

العصاة عما قيل عنه ، وكانت مساوئه أكثر من محاسنه ، وكان شديد القسوة كثير
الجهل وقد أراح الله تعالى الناس منه ، فلما مات لم يثن عليه أحد من الناس
بخير قط ، وقد قلت فى ذلك مداعبة لطيفة : ٣

جهنم منذ قالت لقانى باى خُذْ حذارك
قد زاد نيران وجدى من كثرتى لانتظارك

وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه من ذلك ، ولكن أحببت أن ٦
أذكر هنا شيئا من مساوئه حتى يعتبر من بقى لعل أن تحسن أخبارهم من
بعدهم ، وكان السلطان متأثرا من الأمير قانى باى هذا فى الباطن ، وقد
عيّن له أمرة السلاح غير ما مرّة ويترك أمرية آخورية الكبرى فيأبى من ٩
ذلك ، (٢٧٨ آ) وكان السلطان له قصد أن يقرّر أحدا من أخصّائه فى
أمرية آخورية الكبرى فيعارضه فى ذلك . فلما مرض الأمير قانى باى استمرّ
مقيما بباب السلسلة فى مدّة انقطاعه نحو خمسة أيام . فمات بباب السلسلة ليلة الجمعة ١٢
بعد العشاء ، فرسم السلطان أن ينزل إلى داره وهو ميت فنزلوا به فى تابوت إلى
بيته الذى عند حدرة البقر ، وكا متزوّجا ببنت الأمير يشبك من مهدى أمير
دوادار كبير فأقامت له نعيا بالطارات ، واستمرّت تدق عليه بالطارات ثلاثة أيام ١٥
متوالية فعزّ ذلك على السلطان فى الباطن ، وأشيع بين عياله أنه قد مات مسموما ،
فحقد ذلك على بنت الأمير يشبك فيما بعد وقرّر عليها فوق الثلاثين ألف دينار
وزعم أن قانى باى أمير آخور أودع عندها مالا فشرعت فى بيع جهازها ١٨
حتى تردّ ما قرّر عليها من المال . — فلما كان يوم الجمعة حضرت القضاة الأربعة
والأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء المقدّمين وأرباب الوظائف من المباشرين ،
وأخرجت جنازته من بيته وقدّامه كفارة فطلعوا به من على حدرة البقر ، فلما ٢١
وصل إلى الرملة نهبت العوامّ تلك الكفّارة ، فلما وصل إلى سبيل المؤمنى خرج
السلطان من الميدان (٢٧٨ ب) وصلّى عليه وكانت جنازته حافلة ، ثم رجعوا به

---

(٦) وأنا . . . ذلك : جاءت فى الأصل بين البيتين . (١٥) فأقامت : فقامت .

من المصلاة (١) ودفنوه فى مدرسته التى تجاه سوق الخيل ، وخلى بعلمه وانقضى
أمره . — وفى يوم السبت سابع عشرينه فيه ابتدأ السلطان بضرب الكرة
٣ فى الميدان على العادة . — وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه وقف الأتابكى سودون
العجمى وبقيّة الأمراء المقدّمين قاطبة وباسوا الأرض للسلطان وسألوا بأن
يكون سيلى ابن السلطان أمير آخور كبير عوضا عن الأمير قانى باى قرا بحكم
٦ وفاته ، فأعجب السلطان ذلك فى الباطن وقد مشت الأمراء فى غرض السلطان لما
رأوا له قصدا فى ذلك ، فأنعم على ولده المقرّ الناصرى محمد فى ذلك اليوم بأمرية
آخورية الكبرى عوضا عن الأمير قانى باى قرا ، فحضر ابن السلطان وباس الأرض
٩ على ذلك الإنعام له .

وفى ربيع الآخر كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فطلع الخليفة والقضاة
الأربعة والسيد الشريف بركات أمير مكة فهنّوا السلطان بالشهر وعادوا إلى
١٢ دورهم ، وقد بالغ السلطان فى إكرام السيد الشريف بركات وقام إليه وعظّمه
تعظّما بالغا . — وفى يوم الخميس ثانى الشهر أكمل السلطان النفقة على جماعة
من المماليك القراصنة ، وكان عوّل قبل ذلك أن لا ينفق عليهم شيئا ثم نفق
١٥ عليهم ، ولكن أعطاهم السمّ فى (٢٧٩ آ) الدسم فكتب منهم جماعة إلى الشرقية
وجماعة إلى الغربية وجماعة إلى العقبة والأزنم وإلى منفلوط ، ثم صرّح لهم جهارا
وقال : الذى يطلب يخرج ويسافر من يومه والذى ما يطلب نفقة يقعد ويستريح
١٨ فى بيته ، فرجع غالب المماليك عن طلب النفقة والذى أخذ النفقة خرج إلى السفر
من يومه . — وفى يوم الاثنين سادس هذا الشهر عمل السلطان الموكب بالقصر
الكبير ، ودار نقيب الجيش على الأمراء المقدّمين وأعلمهم أن الموكب بالقصر
٢١ الكبير وهو بالشاش والقماش ، فلما تكامل الموكب وحضر الأمراء المقدمون طلب
السلطان ولده (٢) المقر الناصرى محمد وأخلع عليه وقرّره فى أمرية آخورية
الكبرى عوضا عن الأمير قانى باى قرا بحكم وفاته ، فلما أخلع عليه نزل وصحبته

(١) ودفنوه : ودفنه . (٢) ولده : والده .

الأتابكى سودون العجمى وسائر الأمراء المقدّمين وأرباب الوظائف من المباشرين ، فنزل من سلّم المدرج وتوجه إلى باب السلسلة وقدّامه الأمراء قاطبة بالشاش ، ومشت قدّامه الشعراء والشبابة السلطانية ، فدخل إلى باب السلسلة ونزل على سلّم الحراقة ٣ وطوّب للأمراء وانفضّ ذلك الموكب الحافل ، وكان سنّ ابن السلطان يومئذ إحدى عشرة سنة ، ولم يُسمع فيما مضى من الأخبار المتقدمة أن ابن سلطان ولى أمير آخور (٢٧٩ ب) كبير سوى هذا ، ولكن الملك الظاهر خشقدم قرّر ربيبه الشهابى ٦ أحمد بن العينى أمير آخور كبير ولم يكن ابن سلطان ، فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة ، ولم يُسمع فيما مضى من الأخبار أن ابن سلطان ولى الأتابكية فى حياة والده وتسلطن منها سوى الملك المؤيّد أحمد بن الأشرف أينال . — وفى يوم ٩ الأربعاء ثامنه نزل السلطان إلى باب السلسلة وجلس فى الحراقة ومدّ بها سماط الغدى ، ثم عرض مماليك الأمير قانى باى أمير آخور وعرض البوتات التى كانت للأمير آخور ورسم بجميع ذلك إلى ولده . — وفى يوم الخميس تاسعه رسم ١٢ السلطان لولده أن يركب ويتوجّه إلى بيت أمير كبير سودون العجمى ويتشكّر منه الذى تعصّب له فى أن يلى أمير آخور كبير ، فنزل وصحبته الأمير طومان باى أمير دوادار كبير وجماعة من الأمراء العشرات والجمّ الغفير من المماليك ١٥ والخاصكية ، فشقّ من الصليبة وتوجّه إلى بيت أمير كبير فقام إليه ولاقاه من الحوش ، ثم ألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور وفوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض وأركبه فرس بسرج ذهب وكنبوش ، ثم شقّ من الصليبة ثانيا فى موكب ١٨ حافل فطلع وهو لابس الفوقانى والكاملية فباس الأرض للسلطان (٢٨٠ آ) ثم رجع إلى باب السلسلة . — وفى يوم السبت ثامن عشره فيه توفى الأمير نانق الغورى الخازن أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان عند السلطان من المقرّبين فكان ٢١ موته فجأة على حين غفلة ، وكان مشهورا بالشح الزائد والبخل وكان غير مشكور فى أفعاله . — وفى يوم الخميس ثالث عشرينه أخلع السلطان على شخص

---

(٨) حياة : حياته . (٢٢) بالشح : بالح .

من الأمراء العشرات يقال له بيبردى من كسباى وقرّره باش المجاورين بمكة
عوضا عن جانى بيك قرا الذى كان بها فى السنة الخالية ، وأخلع على شخص من
٣ الأمراء العشرات الرؤوس النوب يقال له قراكز الجكم وقرّره فى نظر الحسبة
الشريفة بمكة ، وكانت الحسبة مضافة لباشية مكة فأفصلها السلطان منها وقرّر بها
قراكز هذا . — وفى يوم السبت خامس عشرينه كان ختام ضرب الكرة ، فلعب
٦ السلطان الكرة فى الميدان ، ثم طلع إلى القلعة وعزم على الأمراء وجلس فى المقعد
الذى أنشأه بالحوش ومدّ لهم هناك أسمطة حافلة وطوارى فاخرة ، فأقامت الأمراء
عنده إلى بعد العصر ، وكان السيد الشريف بركات أمير مكة حاضرا ذلك المجلس
٩ فبالغ السلطان فى إكرامه وتعظيمه إلى الغاية وأجلسه فوق أمير كبير ، ثم أحضر
السلطان ثيران وكباش يتناطحون قدّامه فى الحوش ، (٢٨٠ ب) فلما دخل وقت
الظهر أحضر جماعة من المماليك لعبوا خصمانية فى الرمح واستمرّوا على ذلك
١٢ إلى بعد العصر ، ثم انفضّ ذلك الجمع ونزلت الأمراء إلى بيوتهم . — وفى يوم
الاثنين سابع عشرينه حضر إلى الأبواب الشريفة الأمير أقبـاى الذى كان
كاشف الشرقية وكان قد توجه إلى نحو طرابلس فى أشغال السلطان ، فلما
١٥ طلع إلى القلعة كان عليه كاملية بصمور من عند نائب طرابلس إنعاما .

وفى جمادى الأولى كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع الخليفة والقضاة
الأربعة والسيد الشريف بركات أمير مكة فهنّوا السلطان بالشهر ، ثم إن السلطان
١٨ أخلع فى ذلك اليوم على السيد الشريف بركات خلعة السفر وأذن له بالعود إلى
مكة ، فأخلع عليه أطلسين وفوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض مثل
خلعة الأتابكية ، وأخلع على ولد الشريف كاملية مخمل أحمر بصمور ، وأخلع
٢١ على عرْعر صهر الشريف بركات كاملية صوف بصمور ، وأخلع على شخص
من أولاد دراج أمير الينبع وقرّره فى أمرة الينبع ، وجعل للشريف بركات
التحدّث على بندر الينبع يولى به من يشاء من تحت يده ويعزل من يشاء . —

(١) كسباى : كسبارى . (١٣) اقباى : أقباى بعض .

وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على ولده المقر الناصرى محمد أمير آخور كبير خلعة الإنظار ، فألبسه (٢٨١ آ) أطلسين وفوقانى حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض مثل خلعة الأتابكية ، فخرج من الميـــدان وقدامه السيد الشريف ٣
بركات أمير مكة والأتابكى سودون العجمى وجماعة من الأمراء المقدّمين وأرباب الوظائف من المباشرين ، فشقّوا من القاهرة فى موكب حافل وكان لهم يوم من الأيام المشهودة ، فتوجّه ابن السلطان إلى المدرسة البرقوقية على جارى العادة ، ٦
وتوجه السيد الشريف بركات إلى تربة الملك الظاهر برقوق فأقام بها إلى حين يرحل . — وفى يوم الجمعة ثانى هذا الشهر أرسل السلطان إلى السيد الشريف بركات تقدمة حافلة وهو فى تربة الظاهر برقوق ، فكان من جملتها ذهب عين ٩
أربعة آلاف دينار ، وأربعة مماليك فرسان وهم باللبس الكامل ، وكان الشريف بركات اشترى من مصر مماليك ، وأهدت إليه الأمراء عدّة مماليك ، فكان معه نحو خمسين مملوكا مكملة بالسلاح ، وأرسل إليه السلطان ستة بقج ضمنها صوف وصمور ١٢
ووشق وسنجاب وبعلبكى وتفاصيل حرير سكندرى وأبراد منزلاوى وشقق برق بجرّ ذهب وأثواب مخمل ملوّن وأثواب برصاوى مزهر بقصب ، فأرسل إليه من كل صنف من هذه الأصناف عشرة قطع ، وأرسل إليه نمجاة (٢٨١ ب) ١٥
زعموا أنها نمجاة بعض الصحابة ، فكتب السلطان اسم الشريف بركات عليها وسقّطها بالذهب ، وأرسل إليه أربعة أسياف خاصّ وهى مسقّطة بالذهب ، وأرسل إليه أربعة زرديات وهى مسقّطة بالذهب ، وأرسل إليه صنجقين سلطانى ١٨
بطلعتين فولاذ ، أحدهما حرير أصفر مرقوم بالذهب وآخر حرير أصفر برسم الأصفار ، وأرسل إليه محفّة بغشى جوخ أصفر ، وكان قبل ذلك أرسل إليه عدّة خيول وهجن وجمال بخاتى وبغال وسلاح برسم المماليك الذين معه ، وقد أغدق عليه ٢١
بكثرة الإنعام له حتى أدهشه بالعطايا فوق ما أهدى إليه السيد الشريف بركات بأضعاف ، فلما وصلت هذه التقدمة إلى الشريف بركات أخلع على غلمان السلطان

والمهتار محمد مهتار الطستخاناه الخلع السنية وفرّق عليهم الدنانير والدراهم ، ولم يقع لأحد من أجداده ولا أقاربه ما وقع له مع الملك الأشرف قانصوه الغورى
٣ وقد بالغ فى إكرامه وتعظيمه جـدا . — وفى يوم الأربعاء سابع هـذا الشهر طلع ابن أبى الردّاد ببشا رةالنيل المبارك ، وأخذ قاع النيل فجاءت القاعدة سبعة أذرع وأربعة أصابع ، أرجح من نيل السنة الخالية بعشرين أصبع كما قيل . —
٦ وفى يوم الأربعاء المذكور توجّه القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا ونائبه الشهابى أحمد بن الجيعان ، فتوجّها إلى عند السيد الشريف بركات أمير مكة (٢٨٢ آ) وعلى أيديهما تقليد بولاية أمرة مكة ، وقد بالغوا فى نعته وترجمته إلى الغاية ، ثم
٩ أحضروا له مصحفاً شريفاً وسيفاً وحلّفه عليهما أنه لا يخون السلطان ولا يُعطى عليه ولا يخرج عن طاعته على ممرّ الليالى والأيام ولا ولا ، فلما حلف كتبوا صورة هذا الحلف فى ورقة وأشهدوا عليه وكتب خطّ يده على تلك
١٢ الورقة ، ثم عادوا إلى القلعة وعرضوا ذلك الحلف على السلطان ، وكل ذلك وقع والشريف بركات فى تربة الظاهر برقوق ، فألبس الشريف بركات القاضى كاتب السرّ كاملية مخمل بصمور وكذلك الشهابى أحمد بن الجيعان . — وفى يوم الجمعة
١٥ تاسعه نزل الأمير طومان باى الدوادار من عند السلطان إلى المقر الناصرى محمد ابن السلطان وعلى يده منشورا بإقطاع الأمرية بالتقدمة ، فلما نزل الأمير طومان باى إلى عند ابن السلطان بالمنشور ألبسه أطلسين وفوقانى حرير أخضر بطرز
١٨ يلبغاوى عريض وأركبوه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، فلما وصل الأمير الدوادار إلى بيته أرسل إليه ابن السلطان على يدّ لالاته سنبل الطواشى خمسمائة دينار وقيل ألف دينار ، فألبسه الأمير الدوادار كاملية مخمل أحمر بصمور ودفع
٢١ إليه خمسين دينارا ، وقد تعاظم أمر ابن السلطان فى أمرية آخورية الكبرى وصار فى كلّ ليلة يقد على باب السلسلة فانوسين (٢٨٢ ب) أكرة وكذلك على باب الميدان وقد عظم أمره جدا ، ورسم السلطان أن أحدا لا يقول له سيّدى بل

يقولون له أمير آخور كبير . — وفى يوم الاثنين ثانى عشره جلس السلطان فى الميدان وعرض العسكر أصحاب الطبقة الخامسة ، فكتب منهم جماعة نحو ستمائة مملوك ، وقيل أكثر من ذلك ، وعيّنهم إلى جهة الهند ، وكان فيهم جماعة من مماليك السلطان الجلبان وجماعة من المماليك القرانصة وأولاد الناس وغير ذلك ، وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج تزايد عبثهم فى البحر الملح وطفشت به مراكب الفرنج ، فاهتمّ بعمارة مراكب فى السويس نحو عشرين مركبا وأوسقهم بالسلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك من آلة الحرب ، وجعل سلمان العثمانى رئيسا لتلك المراكب ، وتحت يده جماعة كثيرة من العثمانية والمغاربة البحارة نحو ألفى إنسان ، وقيل أكثر من ذلك ، فلما عيّن السلطان العسكر فى ذلك اليوم استحثّهم على الخروج بسرعة ، ورسم أن النفقة تكون يوم الثلاثاء بعد النصف ، فانفصل المجلس على ذلك . — وفى يوم الأربعاء رابع عشره أشيع بين الناس أن فى ذلك اليوم حضر هجان من البلاد الحلبيّة وأخبر أن سليم شاه بن عثمان ملك الروم مشى على شاه إسمعيل الصوفى ملك العراقين ، فلما بلغ على دولات أن طائفة من عسكر ابن عثمان قد قربت من بلاده خرج إليها وتحارب معها فانكسرت تلك الطائفة (٢٨٣ آ) اليسيرة التى من عسكر ابن عثمان وقتل منها جماعة ونهب على دولات ما معهم ، فعند ذلك طمع على دولات فى عسكر ابن عثمان ، فلما بلغ سليم شاه بن عثمان ذلك أرسل إلى على دولات عسكرا ثقيلا نحو ثلاثين ألف مقاتل عنما قيل ، ومعهم من الأمراء نحو سبعة أمراء من أمرائه ، ومعهم سبعة صناجق فتحاربوا مع على دولات وكسروه ونهبوا عسكره ، وقُتل على دولات فى المعركة هو وولده ، وحزّوا رؤوسهما عنما قيل وأشيع ، ووقعت الكسرة على علىّ دولات وقد قويت الإشاعات بقتله والعلم عند الله تعالى ، فلما سمع السلطان هذا الخبر تنكّد له إلى الغاية ، ثم أرسل خلف الأمراء فى ذلك اليوم وأطلعهم على ما بلغه من هذه الأخبار وضربوا مشورة فيما يكون من أمر هذه الواقعة ، والأمر لله فى ذلك ، فكان حال على دولات مع ابن عثمان كما يقال فى المعنى :

لا تأمَنَنّ عدوّا وإن دنا للمنيّة
فحيّة السم تُدعَى بعد المنيّة حيّة

٣ وقد تقدم القول على أن ابن عثمان كان متعصّبا لابن شاه سوار بأن يرد إليه بلاد أبيه سوار من يد عمه على دولات ويولّيه مكان أبيه ، فكان يخشى من السلطان ، وقد تقدّم القول على أنه كان أرسل يسأل فصل السلطان فى ذلك ، وكان ٦ الأمر مبنيّا على (٢٨٣ ب) السكون فما يُعلم الآن ما يصير من بعد ذلك . — وفى يوم الخميس خامس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة السيفى جانم الخاصكى الذى كان توجّه إلى ابن عثمان ، فلما حضر أخبر أن ابن عثمان أكرمه غاية الإكرام وأخلع ٩ عليه عند عوده إلى مصر خلعة تماسيح بصمور ، ولكن هذا الأمر حدث من بعد مجىء جانم من عند ابن عثمان ، والحركات والسكون بيد الله تعالى . — وفى ذلك اليوم خرج نائب بهنسا الذى قرّره السلطان بها وهو شخص من الخاصكية ١٢ خادم السجّادة يقال له قانصوه العجمى ، وأصله من مماليك السلطان الغورى ، وقد سعى فى هذه النيابة بمال له صورة حتى وليها . — وفى يوم الخميس المذكور رحل السيد الشريف بركات من تربة الظاهر برقوق وتوجّه إلى بركة الحاج ١٥ وعزم على السفر إلى مكة ، فخرج معه جماعة كثيرة من الناس يرومون الحج ، فخرجوا صحبته إلى مكة . — وفى يوم الثلاثاء عشرينه نفق السلطان على العسكر المعيّن للهند نفقة السفر ، فأعطى لكل مملوك خمسين دينارا وأوعدهم أن ينفق ١٨ عليهم جامكيّة ستة أشهر معجّلا قبل أن يسافروا . وقيل أعفى منهم جماعة من أولاد الناس ممن شكى ضعفا فى جسده أو من به حَبّ افرنجى ، وصار يصرّح لهم (٢٨٤ آ) جهارا ويقول : الذى ما يُطيق سفر البحر الملح يعلمنى بذلك فأعفيه ٢١ من السفر ، فعُدّ ذلك له من محاسنه . — وفى أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد الغرب بأن الشيخ يحيى صاحب جربة قد توفى إلى رحمة الله تعالى ، وكان لا بأس به ، وقيل إنه مات قهرا من أولاده وقد افتتنوا فى بعضهم وقتل بعضهم ٢٤ بعضا ، فحصل له توعّك فى جسده واستمرّ عليلا إلى أن مات .

وفى جمادى الآخرة كان مستهلّ الشهر يوم الجمعة ، فطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر . — وفى يوم الثلاثاء خامسه نفق السلطان على العسكر المعيّن للهند جامكيّة أربعة أشهر معجّلا ، ومنهم من تشكّى بأن به الحبّة الافرنجى وما يقدر يسافر فأعفاه السلطان من السفر وقال له : أعيد النفقة التى أخذتها ولا تسافر ، وربما رسّم على بعض أولاد الناس حتى يعيد الخمسين أشرفيا التى أخذها نفقة وقال لهم : الذى ما يقدر على السفر وهو ضعيف يعيد النفقة ولا يسافر ، وكان مجموع هذا العسكر الذى كُتب (٢٨٤ ب) للهند نحو خمسمائة إنسان ، غير التراكة البحّارة من جماعة الرئيس سلمان . — وفى يوم الأربعاء سادسه عزل السلطان قاضى القضاة الشافعى علاى الدين الإخميمى ، فكانت مدّته فى هذه الولاية ستة وسبعة أشهر إلا يومين ، وكان ماشيا فى منصب القضاء على الأوضاع كما ينبغى ، ومباشرا هذه الوظيفة بعفّة زائدة وحسن تصرّف ، وجاء فى منصب القضاء كفوًا لذلك ، وعُزل من هذه الوظيفة والناس عنه راضية وحاز الثناء الجميل من الدين والخير ومنع الرشوة ، وكان فى مدّة ولايته لا يتعاطى شيئا من معلوم الإنظار بل كان ينعم بذلك على طلبة العلم والفقهاء وغير ذلك ، فلما عُزل أخلع السلطان فى يوم الأربعاء المذكور على قاضى القضاة محيى الدين عبد القادر بن النقيب وولاّه القضاء ، وهذه سادس ولاية وقعت له بالديار المصرية ، منها خمسة ولايات فى دولة الأشرف الغورى والولاية الأولى فى دولة الأشرف جان بلاط ، فلما لبس التشريف بالقصر الذى بالحوش نزل من القلعة فى موكب حافل وقدّامه القضاة الثلاثة وسائر نوّاب الشافعية وناظر الجيش وناظر الخاصّ وغير ذلك من الأعيان ، فتوجّه إلى المدرسة الصالحية على جارى العادة ، ولكن سعى فى هذه الولاية بثلاثة آلاف دينار غير خدمة الأمير الدوادار الكبير (٢٨٥ آ) والدوادار الثانى والقاضى كاتب السرّ ، فقيل نفد منه

(٩) الإخميمى : الإخميمى بن النقيب . (١٣ – ١٤) وكان فى مدة ... وغير ذلك : جاءت فى الأصل بعد « الذى كتب » فى سطر ٧ .

فى هذه الستة ولايات فوق الثلاثين ألف دينار ، وولى هذه الولاية فى يوم الأربعاء
وهو يوم نحس مستمرّ ، فتفاءلوا له الناس بعدم إقامته فى هذه الولاية لكونه ولى
٣ فى يوم الأربعاء ، فذهب منه هذا المال العظيم ، ويا ليته لو شبع من ماله بنصف
رطل سكر أو طير دجاج برّ به نفسه ، وأخباره فى الشحّ والبخل الزائد مشهورة
بين الناس فما يحتاج لشرح ذلك ، فكان كما يقال فى المعنى :

٦ ويحبس روثه فى البطن شهرا   مخافة أن يجوع إذا خريه
ويبكى بالدموع لهضم أكل   كما يبكى اليتيم على أبيـــه

وفى يوم السبت تاسعه رسم السلطان بشنق أربعة أنفار منهم جارية بيضاء
٩ روميّة وجارية حبشيّة وصبى ابن ناس لفّاف وشخص قواس ، وسبب ذلك
أن هذا الابن الناس والقوّاس أفسدا هذين الجاريتين وحسّنوا لها بأن يقتلوا أستاذهما
وكان أستاذهما شخصا من أولاد الناس مقطع ، فقتلوه ثم ألقوه فى المستراح وأخذوا
١٢ كل ما فى بيته وسافروا إلى نحو إطفيح ، ومضى على هـــذا الأمر نحو خمسة أشهر
ثم فشى من بعد ذلك أمرهم ونمّ عليهم جارية صغيرة ، فقبض عليهم بعض مشايخ
إطفيح وأرسلهم (٢٨٥ ب) إلى السلطان ، فقرّرهم فاعترفوا بقتله وأنهم ألقوه
١٥ فى المستراح ، فرسم السلطان للوالى بأن يفحص عن أمره ، فتوجّه وكشف المستراح
فوجده فيه وقد تقدّد جلده فأخرجه من المستراح ، فلما عرضه على السلطان
رسم بدفنه وأخرج إقطاعه لبعض المماليك ، ثم رسم بشنق هؤلاى الذين فعلوا
١٨ ذلك ، فلما توجّهوا بهم إلى الشنق ارتجّت لهم القاهرة فى ذلك اليوم ، ثم توجّهوا
بهم إلى المكان الذى قتلوا فيه أستاذهم ، وهو مكان بالقرب من باب سعادة ،
فشنقوا هناك الأربعة أنفس ومضى أمرهم . — وفى يوم الخميس رابع عشره أخلع
٢١ السلطان على الأمير يوسف الذى كان نائب القدس وقرّره فى نيابة صفد عوضا
عن طراباى الذى كان بها ، وكان عادة نيابة صفد ما يليها إلا مقدّم ألف ، وآخر
من وليها من الأمراء المقدّمين الأمير أزدمر المسرطن وأقام بها إلى أن مات ، فلما
٢٤ وليها الأمير يوسف عزّ ذلك على الأمراء كونه سيفى ، وكان يُعرف بيوسف

من سيباى ، ولكن سعى فى نيابة صفد بمال له صورة حتى وليها ، وما زال الدهر كثير الغلطات . — وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له قانصوه الساقى ، وقرّره فى وظيفة الأمير نانق الخازن على الحواصل السلطانية . — ٣
وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على الأمير قانصوه حبانيّة ، ورسم له بأن يتوجّه إلى طرابلس (٢٨٦ آ) فى بعض المهمّات الشريفة . — وفى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى يوم الأحد خامس مسرى ، ٦
وفُتح السدّ فى يوم الاثنين سادس مسرى ، وكان نيلا مباركا قوىّ العزم ، فلما أوفى رسم السلطان للأتابكى سودون العجمى بأن يتوجّه ويفتح السدّ ، فتوجّه إلى المقياس وخلّق العمود ونزل فى الحراقة وفتح السدّ على العادة ، وكان ذلك ٩
اليوم مشهودا ، ووقع فيه محاسن كثيرة على العادة ، فلما فتح السدّ ومضى طلع إلى القلعة فأخلع عليه السلطان خلعة سنيّة ونزل إلى داره ، وللناس مدّة طويلة لم يروا النيل أوفى فى خامس مسرى ، وقد قيل فى المعنى : ١٢

رعى الله مصرًا كم بها من مَسَرَّةٍ ومنزل أنسٍ لاح بالطالع السَعْدِ
رَوَيتُ الوفا عن سَدّها يوم كسره فها أنا مهْمَا عِشتُ أرْوى عن السدِّ

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه حضر قاصد ملك الروم سليم شاه ، فلما ١٥
حضر طلع إلى القلعة ، فجلس السلطان فى الحوش على المصطبة ، فلما مثل بين يديه أحضر صحبته رأس على دولات ورأس ولده ورأس وزيره وهم فى علبة ، فلما أحضروا بتلك الرؤوس بين يدى السلطان شقّ عليه ذلك وقال : إيش أرسلنى ١٨
هذه الرؤوس هى رؤوس ملوك الفرنج انتصر عليهم حتى أرسلهم لى ، ثم رسم للوالى بأن (٢٨٦ ب) يأخذ تلك الرؤوس ويدفنها على شاه سُوار عند الكوم الذى بالقرب من زاوية الشيخ كهنبوش ، فانفضّ الموكب فى ذلك اليوم والسلطان ٢١
والأمراء فى غاية الاضطراب ، وكثر القال والقيل فى ذلك أن قلعة زمنطوا وبلاد على دولات جميعها ملكها ابن عثمان واستناب فيها ابن سوار ، وقد خرجت

(١٥) عشرينه : عشرين .

بلاد على دولات من يدى السلطان ولم تنتطح فى ذاك شاتان ، وابن عثمان يقصد
فى الباطن إثارة فتنة كبيرة بينه وبين السلطان وأظهر التحرّش بالسلطان وفتح
٣ باب الشر ، فتنكّد السلطان فى ذلك اليوم إلى الغاية . — وفى يوم الثلاثاء
سادس عشرينه لم يخرج السلطان من الدهيشة ولم ينزل إلى الميدان ، وأشيع أنه
قد شرب دواء وأنه متوعّك فى جسده ، وكان حصل له فى يوم الاثنين انزعاج
٦ لما حضر قاصد ابن عثمان برأس على دولات ، وحصل فى ذلك اليوم بين السلطان
والأمراء كلام يابس وخاشنوه فى الكلام وقالوا له : يا مولانا السلطان غالب البلاد
الحلبية خرجت من أيدينا وصارت بيدّ ابن عثمان وخُطب له فيها باسمه وضُربت
٩ له السكّة باسمه وشرع فى بناء برج عند عقبة بغراص وآخر على باب الملك
والسلطان يده فى الماء البارد وفسدت أحوال المملكة وغالب الرعية بحلب وغيرها
(٢٨٧ آ) من ظلم النوّاب وجورهم بيميلوا إلى ابن عثمان لأجل عدله فى الرعية
١٢ وهذه الأحوال غير صالحة ، فشقّ عليه كلام الأمراء وكظم لذلك ، ولم ينزل
الميدان فى ذلك اليوم ولا حكم بين الناس . — ومن الحوادث قد أشيع بين الناس أن
سنبل الطواشى لا لا سيدى ابن السلطان وقع بينه وبين جماعة من المماليك
١٥ الجلبان بسبب مملوك كان ساقيا عند ابن السلطان ، فضربه سنبل ضربا مبرحا بسبب
فشروى فأقام أياما ومات ، فتعصّب له جماعة من المماليك الجلبان وأوعدوا سنبل
بالقتل فى ذلك اليوم ، وكثر القيل والقال فى ذلك وأشيع إقامة فتنة كبيرة بين
١٨ المماليك والسلطان لأجل سنبل بسبب ذلك . — وفى يوم الخميس ثامن عشرين
هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير طراباى من يشبك الذى كان نايب صفد
وعُزل عنها فاستقر به حاجب الحجّاب بدمشق ، وهذه درجة من حيدر لأسفل ،
٢١ وقيل إنه سعى فى ذلك بمبلغ له صورة . — وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه قويت
الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة من المماليك الجلبان بسبب سنبل الطواشى لالا سيدى

---

(٢) التحرش : التحيريش . (٥) انزعاج : ازعاجا . (٢٠) وعزل : كتبت فى الأصل بعد
« طرا باى » فى سطر ١٩ .

ابن السلطان ، وقد تقدّم سبب ذلك من أجل المملوك الذى قتله ، فلم يطلع من الأمراء فى ذلك اليوم إلا القليل ، وقيل إن السلطان لم يخرج ولم يصلّ الجمعة وكان فى غاية (٢٨٧ ب) النكد ، وأرسل قبض على سنبل الطواشى وأودعه فى الترسيم واحتاط على موجوده ورسم عليه بالدهيشة أربعة من الخاصكية ، ومن حين وقعت هذه الحادثة رسم السلطان لولده بأن يقيم فوق القلعة ولا ينزل لباب السلسلة ، خوفا عليه من المماليك حتى تخمد هذه الفتنة ويكون من أمرها ما يكون .

وفى رجب كان مستهلّ الشهر يوم السبت فطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر ، وكان بالميدان فسلّموا عليه ونزلوا إلى دورهم . — ومما وقع فى ذلك اليوم من الحوادث المهولة أن المماليك الجلبان لما أصبحوا فى ذلك اليوم استمرّوا على إثارة الفتنة المقدّم ذكرها ، فلبسوا كباشيات مقلوبة ووقفوا على باب سلم المدرّج ومنعوا الناس من الطلوع إلى القلعة ، وخاف مقدّم المماليك وغيّب من باب القلعة ، وقصدوا المماليك أن ينهبوا الدكاكين التى فى خرائب التتار ، وقصدوا أن ينزلوا إلى المدينة وينهبوا الأسواق ، فمنعهم من ذلك الأمير طقطباى نائب القلعة من النزول إلى المدينة ، فلما طلع السلطان من الميدان ودخل إلى الدهيشة فبلغه أمر هذه الفتنة ، ثم اتّسع الكلام بين المماليك وبين السلطان بسبب سنبل الطواشى الذى قتل المملوك ، وقد تقدّم القول على ذلك ، فأرسلت المماليك تقول للسلطان : (٢٨٨ آ) إن لم تسلّمنا سنبل الطواشى أو تُنفق علينا لكل مملوك منا مائة دينار وتقيم حرمتنا فإن السوقة صارت تمسك لجام المماليك فى الأسواق وتُبهدلهم وما صار لنا حرمة بين الناس على أيامك ، فلما ترددت الرسل بين المماليك وبين السلطان بسبب ذلك وقد رأى السلطان عين الغدر من المماليك ، ورسم للوالى بأن يقبض على سنبل ويخرج به إلى المماليك ، وكان سنبل من حين جرى منه ما جرى بسبب المملوك الذى قتله وهو فى الترسيم عند السلطان فى الدهيشة ،

---

(٤) بالدهيشة أربعة : أربعة بالدهيشة .

فأخذه الوالى وخرج به وهو ماشى وعلى رأسه زمط وعليه ملوطة بيضاء وهو
مفكك الأطواق ، فلما خرج إلى باب القُلّة أحاطت به المماليك وقصدوا أن
٣ يقطّعونه بالسيوف ، فصار يسأل قرابة المملوك الذى قُتل بألف دينار فأبى من
ذلك وقال : ما آخذ إلا روحه ، ثم أنزلوه من سلّم المدرج وأتوا به إلى عند الحوض
الذى تحت سلّم المدرج فوسّطوه هناك ، وأحضروا له تابوت فحملوه فيه ومضوا
٦ به فغسّلوه ودفنوه ومضى أمره كأنه ما كان ، وكان سنبل هذا من أعيان الخدّام
حبشى الجنس جميل الصورة يُدعى سنبل من غارى ، وكان له من العمر يومئذ
نحو ثلاثين سنة ، وكان لالا سيدى ابن السلطان وحجّ معه (٢٨٨ ب) ورأى
٩ من العزّ والعظمة غاية التعظيم ، وكان خازندار كيس ، وكان من المقرّبين عند
السلطان وافر الحرمة نافذ الكلمة ، ولا سيما لما ولى ابن السلطان أمير آخور كبير
فصار سنبل هو المتصرّف فى أمور باب السلسلة ويحكم عوضا عن ابن السلطان ،
١٢ وصار لا يقبل لأحد من الأمراء رسالة ولا شفاعة فعادى جميع الأمراء وحملوا
منه فى الباطن ، فلما جرى له ما جرى لم يرثِ له أحد من الأمراء ، ولم يفد سنبل
مما ناله من ذلك العزّ والعظمة شيئا ، ومات هذه الموتة الشنيعة ، ولم يتفق لأحد
١٥ من الخدّام قبله أنه مات موسَّطا ، وكان ذلك من الأمور المقدّرة ، فلما توسّط
سنبل خمدت تلك الفتنة وطلعت المماليك إلى الطباق وبطل أمر الفتنة ، ثم
إن السلطان أشهر المناداة فى القاهرة : بأن لا سوقى ولا تاجر يبهدل مماليك
١٨ السلطان ولا يمسك لأحد منهم لجام فرسه ومن فعل ذلك قطعت يده ولا يقلّ
حياه عليهم ، وكانت هذه المناداة من أكبر أسباب الفساد فى حقّ الناس ، وصارت
المماليك من بعد ذلك يدخلون إلى الأسواق ويخطفون القماش من على الدكاكين
٢١ ولا يقدر أحد يمنعه من ذلك ، وصار الناس معهم من بعد ذلك فى غاية الضنك
والقهر ، وقد أرضى المماليك بقتل سنبل وبهذه المناداة (٢٨٩ آ) عن طلب
النفقة . — وفى يوم الاثنين ثالثه وردت على السلطان أخبار رديّة بأن سليم
٢٤ شاه بن عثمان تملّك غالب بلاد علىّ دولات وشرع فى بناء أبراج على عقبة

بغراص عند باب الملك ، وأرسل نائب الشام ونائب حلب يعتب السلطان فى تأخير
إرسال التجريدة إلى اليوم بسبب حفظ البلاد قبل أن يتمكّن منها عسكر ابن عثمان ،
فلما وردت هذه الأخبار على السلطان تنكّد إلى الغاية وطلع إلى الدهيشة هو ٣
والأمراء وضربوا مشورة فى ذلك الأمر . — وفى يوم الأربعاء خامسه نزل
السلطان إلى قبة الأمير يشبك التى بالمطرّية فأقام بها إلى بعد العصر ، فلما رجع
إلى القلعة شقّ من على باب اللوق ، فلما شقّ من هناك وقف له جماعة هناك ٦
من التجّار وشكوا له من أذى المماليك فى حقّهم وخطفهم القماش من على
الدكاكين ، فلم يلتفت إلى ذلك ، وربما أغلظوا التجار على السلطان فى القول ،
فطلع إلى القلعة وهو فى غاية السودنة من العوامّ . — وفى يوم الخميس سادسه توفى ٩
القاضى أبو الفتح السرم ساحى ، وكان من أعيان الناس ورأس الموقّعين العدول ،
وكان موته فجأة على حين غفلة . — وفى يوم السبت ثامنه نزل السلطان من القلعة
وتوجّه إلى المقياس وبات به ، وأصبح يوم الأحد مقيما هناك ، ومدّ له (٢٨٩ ب) ١٢
الزينى بركات بن موسى أسمطة حافلة وانشرح هناك ، ثم طلع إلى القلعة بعد العصر
من يوم الأحد ، وكان النيل يومئذ فى عشرين ذراعا ، فجلس فى القصر الذى أنشأه
على بسطة المقياس وكان ذلك اليوم بالسلطانى . — وفى يوم الاثنين عاشره جلس ١٥
السلطان فى الميدان وعرض العسكر المعيّن إلى جهة الهند ، فعرضهم وهم باللبس
الكامل واستدعاهم كلّ واحد باسمه ، فلما فرغ من عرض العسكر أخلع على
الرئيس سلمان العثمانى كاملية مخمل أحمر بصمور وقرّره باش المراكب المجهّزه ١٨
للهند ، وقرّر الباش الثانى شخصا يسمّى يشبك وهو أمير عشرة ، وقرّر الباش
الثالث شخصا يقال له دمرداش الإقريطشى ، وكان أصله افرنجى يبيع النبيذ
الإقريطشى فاشتهر بذلك ، فأنعم عليه السلطان بأمرة عشرة وجعله باش العسكر ، ٢١
وكان ذلك من غلطات الزمان ، فلما انتهى أمر العرض بسط السلطان يده وقرأ
سورة الفاتحة ودعى بالنصر للعسكر ، ثم إن العسكر خرج من الميدان ونزل وشق

من القاهرة وقدّامهم الطبول والزمور ومكاحل النفط والبندقيات وعلى رؤوسهم الصنجق السلطانى ، وكان لهم يوم مشهود ، وكان مجموع هذا العسكر المتوجّه
٣ إلى الهند على تحرّر أمره نحو ستة آلاف إنسان ، تفصيله : خاصكية خمسين ، جمدارية (٢٩٠ آ) ماتة وخمسين ، ومن الطبقة الخامسة المتجددة ما بين أولاد ناس ومماليك وغير ذلك أربعمائة وخمسين ، وبحّارة ومقاتلين وتراكمة ومغاربة وغير
٦ ذلك خمسة آلاف وثلاثمائة أربعة وأربعين على ما قيل ، فلما خرجوا من القاهرة توجّهوا إلى الريدانية إلى أن يرحلوا من هناك إلى السويس ، فكان السلطان فى مدّة إقامتهم فى الريدانية يمدّ لهم أسمطة حافلة من ماله بكرة وعشيّا إلى أن
٩ رحلوا من هناك وتوجّهوا إلى نحو السويس ، وكان عدّة المراكب التى أنشأها السلطان بالسويس عشرين مركبا ، وقد أشحنها بالمكاحل والمدافع والبارود وغير ذلك من الزاد بسبب العسكر ، وقد تقدّم القول على أن السلطان نفق على هؤلاء
١٢ العسكر قبل ذلك وأعطى لكل مملوك منهم خمسين دينارا ، وأوعدهم بأن ينفق عليهم قبل أن يسافروا جامكية ستة أشهر معجّلا عند خروجهم إلى السفر . — وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على قاصد ابن عثمان وأذن له بالعود إلى بلاده وكتب
١٥ له الجواب عن مطالعته التى حضرت على يده ، ثم إن السلطان قصد أن يعيّن له قاصدا من عنده فلم يطاوعه أحد من الأمراء ولا من الخاصكية بأن يتوجّه قاصدا إلى ابن عثمان وقالوا للسلطان : هذا رجل جاهل سفاك للدماء وكل (٢٩٠ ب)
١٨ من توجّه إليه بهذا الجواب قتله ، فلم يوافق إلى التوجّه إليه أحد من العسكر . — وفى يوم الخميس ثالث عشره أخلع السلطان على الوزير يوسف البدرى بأن يستمرّ فى الوزارة على عادته ، وكان له مدّة وهو فى الترسيم بسبب عمل الحساب ،
٢١ وآخر الأمر كتب عليه السلطان مسطورا بخمسة وستين ألف دينار والتزم بأمر السداد هو والقاضى شرف الدين الصُغير ناظر الدولة ، فأخلع السلطان عليهما ونزلا فى موكب حافل . — وفى يوم السبت خامس عشره نزل السلطان من القلعة

وعدّى إلى الروضة ونصب له خيمة عند خرطوم الروضة وصواوين ، وأقام هناك يومين وليلة ، وأحضر عنده مغانى وأرباب الآلات ، ومدّ له هناك الزينى بركات بن موسى المحتسب أسمطة حافلة وطوارى فاخرة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما ٣ يهدى للملوك ، فانشرح السلطان هناك إلى الغاية وصنع دكّة خشب فى وسط الماء ، وكان النيل فى قوة الزيادة ، وجلس عليها وحوله الخاصكية وهم خائضون فى الماء حتى ابتلّت ملاليطهم بالماء والطين ، وقد فتك فى القصف والفرجه حتى خرج ٦ فى ذلك عن الحدّ ، وكان السلطان حصل له قبل ذلك غاية النكد بسبب توسيط الطواشى (٢٩١ آ) سنبل وفتنة المماليك فى طلب النفقة ، فما صدق بإخماد تلك الفتنة عنه فنزل هناك وانشرح فى ذلك اليوم ، واستمرّ مقيما هناك إلى يوم الأحد ٩ آخر النهار ، وكانت ليلة تفرقة الجامكية ، فطلع من هناك إلى القلعة وشقّ من الصليبة ولم يكن قدّامه أحد من الأمراء سوى جماعة من خاصكيته فقط . — وفى يوم الخميس عشرينه خرج الأمير طومان باى الدوادار الكبير وصحبته الأمير خاير بيك ١٢ أحد المقدّمين الذى كان كاشف الغربية وبعض أمراء عشرات وخاصكيّة ، فخرج فى ذلك اليوم وتوجّه إلى جبل نابلس بسبب فساد العربان الذى هناك ، فإنه حصل بينهم وبين نائب غزة فتنة كبيرة وقُتل فيها جماعة ، واضطربت أحوال الدرب ١٥ السلطانى من غزة إلى مصر ، وخرج الأمير الدوادار بغير طلب ، وكان ذلك اليوم يوم نوروز وأوّل السنة القبطية فلم تتفاءل الناس بخروج الدوادار فى ذلك اليوم وقالوا : يستمرّ سنته كلها فى هجاج وسفر . — وفى يوم السبت ثانى عشرينه توفى ١٨ شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له جانى بيك قرا من حيدر ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى ، وكان لا بأس به . — وفى يوم الاثنين رابع عشرينه رحل الأمير الدوادار من الريدانية وتوجّه إلى الخانكة ، ومما عُدّ من محاسن ٢١ (٢٩١ ب) الأمير طومان باى الدوادار أن شخصا من الفقراء كان على باب جامع شيخوا يتمنى مائة دينار ذهب وجمل وعبد حتى يتوجّه إلى الحجاز ، فأقام على ذلك

---

(١٤) فإنه : فإن . (١٧) السنة : سنة .

مدّة طويلة وكان يبتلش بالأمراء كلّما طلعوا إلى القلعة ونزلوا فأصورهم وأبادهم
شرّ وأحرمهم يشقّوا من الصليبة ، ففى بعض الأيام أرسل إليه الأمير طومان باى
٣ الدوادار خمسين دينارا ذهب وجمل وعبد وقال له : امض إلى الحجاز ، فقال له
ذلك الفقير : احملنى معك إلى القدس فأزوره قبل أن أحجّ ، فحمله معه لما سافر إلى
نابلس ، فعُدّ ذلك من النوادر اللطيفة من الأمير الدوادار ، وكان فيه الخير ، وكان
٦ قليل الأذى بخلاف من تقدّمه من الدوادارية . — وفى يوم الخميس سابع عشرينه
عزل السلطان قاضى القضاة الشافعى محيي الدين بن النقيب فكانت مدّته فى هذه
الولاية خمسين يوما لا غير ، ونفذ منه فى هذه الولاية ثلاثة آلاف دينار غير
٩ الكلف ولم يقم فيها سوى هذه المدّة اليسيرة وعُزل ، فلما عُزل لم يرثِ له أحد
من الناس فى سعيه فى هذه الوظيفة ، وقد نفذ منه على وظيفة القضاء فوق
الثلاثين ألف دينار ، وهو ممقوت عند الناس ولم يمكث فى هذه الست ولايات إلا
١٢ مدّة يسيرة نحو السنتين ، وكان أرشل قليل الحظ . — فلما عُزل ابن النقيب فى ذلك
اليوم أخلع السلطان (٢٩٢ آ) على قاضى القضاة كمال الدين الطويل وأعاده إلى
القضاء ، وهذه رابع ولاية وقعت لقاضى القضاة كمال الدين ، وقد سعى فى هذه
١٥ الولاية بثلاثة آلاف دينار ، وكان الساعى له القاضى علاى الدين ناظر الخاص
والشرفى يحيى الشطرنجى نديم السلطان ، فلما لبس التشريف وشقّ من القاهرة
فأوقدوا له الشموع على الدكاكين وزينوا له بعض دكاكين فى حارته عند الخانقاه
١٨ البيبرسية ، وكان قاضى القضاة كمال الدين محبّبا للناس قاطبة ، ولما عاد قاضى
القضاة كمال الدين إلى منصب القضاة هنيته بهذين البيتين وهما :

إلى قاضى القضاة تقول مصر ... لقد جاد الزمان بمَشى حالى
٢١ ولما عاد منصبه أتاها ... سرورٌ بالتمام وبالكمالى

فلما أحضروا له التشريف فوقف السلطان عن لبسه فى ذلك اليوم وصار
يعتبه بكلمات مما تقدّم منه ، وقال له : لا تبقى تحكم وترجع عن أحكامك . —

(١٩ — ٢١) بهذين ... وبالكمالى : جاءت فى الأصل بعد « أحكامك » فى سطر ٢٣ .

وفى يوم الجمعة ليلة السبت ثامن عشرين رجب كانت وفاة قاضى القضاة الحنفى سرىّ الدين عبد البرّ بن قاضى القضاة محبّ الدين بن الشحنة ، وقد تقدّم ترجمة نسبهم فى الجزء الثامن من التاريخ ، وكان قاضى القضاة عبد البر إماما فاضلا عالما ٣
علاّمة فى هيبة وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت من أعيان علماء الحنفية ، توفى وله من العمر نحو خمسة وسبعين سنة أو دون ذلك ، ومات وهو منفصل عن القضاء ، وقد (٢٩٢ ب) أقام فى منصب القضاء نحو ثلاث عشرة سنة وأشهر ، ورأى فى دولة ٦
الأشرف قانصوه الغورى ما لا رآه غيره من القضاة ، وكان من أخصّاء السلطان بحيث أنه كان يبات عند السلطان بالقلعة ثلاث ليال فى الجمعة ، وصار هو المتصرّف فى أمور المملكة بحضرة السلطان ، واستمرّ على ذلك حتى تغيّر خاطر السلطان عليه ٩
بسبب ما تقدّم ذكره من عزل القضاة الأربعة فى يوم واحد ، فعُزل معهم ، واستمرّ على عزله والسلطان متغيّظ عليه ولا يسمع بذكره قط حتى مات من شدّة قهره ، وأشيع بين الناس أن ، ثم مات رحمة الله عليه ، وقد قلت فى هذه الواقعة : ١٢

طلعتْ لعبد البرّ أعظم ذبلة ... من قهر أحكام القضا لما عُزِلْ
قد نال ذُل الطرد من سلطانه ... وأتى إليه كل عَكس متّصلْ

وفى شعبان كان مستهل الشهر يوم الأحد ، فجلس السلطان فى الميدان ، وطلع ١٥
القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان الخليفة متوعكا فى جسده لم يطلع للتهنئة بالشهر . — وفى يوم الثلاثاء ثالثه نزل السلطان وتوجّه إلى قبّة الأمير يشبك التى بالمطرية ، فبات بها وتفرّج على الملقة وكانت فى قوّة ملوها ، فأقام هناك إلى ١٨
يوم الأربعاء آخر النهار ثم عاد إلى القلعة ، ونزل أيضا عقيب ذلك إلى القبة وبات بها . — وفى يوم الاثنين سادس عشره حضر إلى الأبواب الشريفة جانم الخاصكى (٢٩٣ آ) الذى كان أرسله السلطان إلى ملك التتار بسبب أقارب السلطان ٢١
الذين أسرهم ملك التتار عنده ، فلما مرّ من على بلاد ابن عثمان أرسل قبض عليه

(٢ – ٣) وقد تقدم ترجمة نسبهم فى الجزء الثامن من التاريخ : انظر ابن إياس طبعة باول كاله ومحمد مصطفى ج ٣ ص ٢٠٩ س ٤ . (٤) هيبة : هبة . (١٢) وأشيع بين الناس أن : كذا فى الأصل ، ويظهر أنه قد سقطت هنا بعض الكلمات من المتن .

وأخذ ما كان معه من الهدية التى كان أرسلها السلطان إلى ملك التتار ، وحصل لجانم من ابن عثمان غاية البهدلة ، وهمّ بشنقه غير ما مرة حتى شفع فيه بعض
٣ وزراء ابن عثمان ، فلما رجع جانم أخبر عن ابن عثمان أمورا شنيعة قالها فى حقّ السلطان وعسكر مصر ، وأنه جهّز عدّة مراكب كثيرة نحو أربعمائة مركب فى البحر تجىء ثغر الإسكندرية ودمياط ، وفرقا من عسكره تجىء من على البلاد
٦ الحلبيّة ، فلما تحقق السلطان ذلك أرسل خلف أمير كبير سودون العجمى وبقية الأمراء ، فجلسوا فى الدهيشة وضربوا مشورة بسبب ابن عثمان ، وقيل إنه حلّف الأمراء فى ذلك اليوم بأن يكونوا كلمة واحدة ولا يخرجوا عن طاعته ظاهر
٩ وباطنا ، وحلف هو أيضا لهم بمعنى ذلك ، وانفضّ المجلس بعد الحلف ، ويقال كان سبب إثارة هذه الفتنة الحادثة بين السلطان وبين ابن عثمان أن خشقدم مملوك السلطان الذى كان مُشدّ الشون ، وقد تقدّم القول على أنه كان قد حصل له من
١٢ السلطان حنق بسبب زوجته بنت جانى بيك دوادار الأمير طراباى وقد تقدّم ذكر ذلك ، فلما رأى خُشقدم أن (٢٩٣ ب) السلطان محطّ عليه بسبب جانى بيك ففرّ على حين غفلة ونزل فى مركب وتوجّه إلى عند سليم بن عثمان وكان له أخ
١٥ عند ابن عثمان ، فلما توجّه خشقدم إلى ابن عثمان أكرمه وأنعم عليه بأمرية فى بلاده ، فلما استقرّ خشقدم عند ابن عثمان شرع يحطّ على السلطان عند ابن عثمان ويخبره بأمور من أفعال السلطان من أبواب المظالم ، وأخبره بما أحدثه على السوقة من
١٨ أمر المشاهرة والمجامعة على أرباب البضائع من المال المقرّر عليهم فى كل شهر ، وأخبره بأمر الغشّ الذى فى المعاملة فى الذهب والفضّة ، وأخبره بأشياء كثيرة من هذا النمط عن أحوال مصر ، حتى أخبره بجملة عساكر مصر وما يشتملون عليه ،
٢١ وأخبره عن أمر قضاة مصر قاطبة وأنهم يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية ، وحسّن له أن يمشى على بلاد السلطان وسهّل عليه ذلك الأمر ، فعرّفه كيف يرسل مراكب على الإسكندريّة ودمياط ، فعند ذلك طمعت آمال ابن عثمان بأن

---

(٢٣) طمعت : طمت .

يملك مصر ، والله تعالى غالب على أمره ، فمن حين توجّه خشقدم إلى ابن عثمان
وهو يظهر المشى على بلاد السلطان ، ولا سيا قتل علىّ دولات وملك بلاده وولى
فيها ابن سوار وجعله نائبه وصار يكاتب السلطان فى مطالعاته بألفاظ يابسة ، ٣
وكلّ ذلك مما أوحاه إليه خشقدم عن أحوال الديار المصرية ، فلما حضر جانم
الخاصكى (٢٩٤ آ) وأخبر السلطان بما قاله ابن عثمان فى حقه من هذه الأخبار
المقدّم ذكرها ، اضطربت أحوال السلطان وتنكّد لذلك ، واستمرّت الوحشة بينه ٦
وبين ابن عثمان عمّالة . — وهذه الواقعة تقرب مما وقع للملك الناصر محمد بن قلاوون
مع قبجق نائب الشام ، فإنه أظهر العصيان على السلطان فأرسل بالقبض عليه ، فلما
تحقق ذلك فرّ من الشام وتوجّه إلى غازان ملك التتار وقوّى عزمه وحسّن إليه ٩
بأن يمشى على بلاد السلطان فيملكها من غير مانع ، وكذا جرى فمشى غازان على
بلاد السلطان وملك حلب والشام ، فخرج إليه الملك الناصر محمد بن قلاوون
وتحارب مع غازان فكسر غازان الملك الناصر كسرة مهولة ، فرجع الملك الناصر ١٢
إلى مصر وهو مهزوم ، ثم تحايا عسكر مصر ورجع الملك الناصر وتحارب مع
غازان ثانيا فكسره [كسرة] مهولة وغنم منه أشياء كثيرة من خيول وسلاح
وغير ذلك ، وكان هذا كلّه من فتنة قبجق لما توجه إليه وحسّن له ذلك ، ١٥
ونعوذ بالله أن يكون فتنة ابن عثمان مثل ذلك ، والأمر إلى الله تعالى . — وفى
يوم الأربعاء ثامن عشره جاءت الأخبار من السويس بأن المراكب التى جهّزها
السلطان إلى الهند غرق منهم مركب وقد انصدمت فى شعب فانكسرت وغرق ١٨
جميع ما كان فيها ، وفُقد من (٢٩٤ ب) العسكر الذى كان فيها جماعة ، فلم تتفاءل
الناس بذلك . — وفى يوم الخميس تاسع عشره أخلع السلطان على الأمير أينال
باى دوادار سكين وعيّنه بأن يسافر إلى البلاد الشامية بسبب أمور تتعلّق بأشغال ٢١
السلطنة ، فتوجّه إليها . — وفى يوم الجمعة عشرينه فُتح سدّ بحر أبى المنجا ، وكان
النيل يومئذ فى ستة عشر أصبع من إحدى وعشرين ذراعا ، وكان فتحه فى أول

(٤) بألفاظ : بالحفاظ .

يوم من بابه من الشهور القبطية ، وقد تأخّر فتحه عن العادة إلى ذلك اليوم ، وكان النيل فى قوّة عزمه من الزيادة ، فلما فُتح سدّ أبى المنجا نقص النيل فى ذلك اليوم ولم يزد من بعد ذلك شيئا وقد ثبت على ستة عشر أصبعا من إحدى وعشرين ذراعا ، وحصل به غاية النفع وأروى سائر البلاد التى قط ما رويت ، واستمرّ ثابتا إلى أوائل هاتور فعُدّ ذلك من النوادر ، ومن العجائب أن مع وجود علوّ النيل وثباته لم يسكن فى الجزيرة الوسطى ولا بيت واحد ولم يفتح فيها دكّان ولم يعمل بها مقصف للمتفرّجين ، ولم يُعلم ما سبب ذلك ولكن أشاعوا أنه سكن بالجزيرة عدّة مناخات جمال لابن السلطان والأمراء ، فخشى الناس أن يسكنوا الجزيرة من النفر الذى هناك ، فهذا كان السبب فى منع الناس فى سكنى الجزيرة . — وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه نادى السلطان فى الحوش للعسكر بأن يعملوا يرقهم (٢٩٥ آ) وأن يكونوا على يقظة فإن السلطان ينفق ويخرج فى جمعته ، وصار فى كلّ جامكيّة ينادى للعسكر بذلك فى الحوش ، وأشيع أن السلطان هو الذى يسافر بنفسه بسبب ابن عثمان ، واستمرّت الإشاعات قائمة بسفر السلطان ثم خمدت تلك [الإشاعات] قليلا . — وفى ذلك اليوم كانت وفاة القاضى جلال الدين محمد الزفتاوى أحد نوّاب الشافعية ، وكان لا بأس به ، ومات وهو فى عشر الثمانين سنة . — وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه نزل السلطان إلى بولاق وتوجّه إلى ضيافة القاضى كاتب السرّ محمود بن أجا بالبرابخية التى هناك فأقام عنده إلى يوم الأربعاء وهو فى أرغد عيش ، فما أبقى القاضى كاتب السر فى ضيافته ممكنا وأحضر من كلّ شىء أحسنه ، حتى قيل إنه تكلّف على أسمطة وطوارى حافلة وتقدمة عظيمة قدّمها للسلطان فوق آلاف دينار ، وكان ا[بن] السلطان معه وجماعة من الخاصكية ، وانشرح السلطان هناك إلى الغاية وأحـ[ـضر] بين يديه مغانى وأرباب الآلات ، وأظهر القاضى كاتب السر أنواع العظـ[ـمة] الفُرش الفاخرة والأوانى الصينى والنحاس المكفّت وغير ذلك من كل [illegible]

---

(٣) شيئا وقد : وشيئا قد . (٥) وجود علو : موجود علوى . (٦) يفتح [illegible]

ثم إن السلطان صلّى العصر يوم الأربعاء وطلع إلى القلعة وكانت ليلة جامكية ، فلما ركب من هناك (٢٩٥ ب) أخلع على القاضى كاتب السرّ كاملية حافلة من ملابيسه مخمل أحمر بصمور فاخر ، وتشكّر منه لما تكلفه له من الأسمطة الحافلة ٣
وغير ذلك من المأكل والمشرب والتقادم الحافلة . — وفى يوم الخميس سادس عشرينه نفق السلطان الجامكية ، وهى آخر الجوامك ، ثم نادى للعسكر بأن يعملوا يرقهم وأن يكونوا على يقظة فإن التجريدة إلى حلب عمّالة ، فلما تحققوا ٦
المماليك ذلك نزلوا من القلعة وأطلقوا فى الناس النار ، وأخذوا بغال القضاة والعلماء والتجّار وهجموا عليهم الحارات والبيوت ، ونزّلوا الفقهاء من على بغالهم فى وسط الأسواق وأخذوهم من تحتهم ، وأخذوا بغلة الشيخ برهان الدين ٩
ابن الكركى وهو فى الحضور فى المدرسة الأشرفية فبرطل عليها بمبلغ له صورة حتى خلّصها ، ثم صارت المماليك تسافر إلى نحو بلبيس والصالحية ويأخذون بغال المسافرين وأكاديشهم ، حتى ضجّ منهم جميع الناس وتزايد منهم الضرر الشامل ١٢
فى حقّ الناس جدّا ، وصاروا يبهدلون القضاة والعلماء بالضرب ويُنزلونهم من على بغالهم ، وفعلوا من هذا النمط أشياء كثيرة .

وفى رمضان كان مستهلّ الشهر يوم الثلاثاء ، فجلس السلطان فى الميدان ، ١٥
وطلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالشهر ، ثم طلع الوزير يوسف البدرى والزينى بركات (٢٩٦ آ) بن موسى المحتسب ، وطلعوا بالخبز والسكر والدقيق وهو على رؤوس الحمّالين مزفوف ، وطلعوا بأغنام وأبقار كما جرت به ١٨
العادة فأخلع السلطان على الوزير وناظر الدولة شرف الدين الصُغير والمحتسب ، وكان يوما مشهودا . — وفى يوم الأربعاء ثانى شهر رمضان قوى عزم السلطان بأن يسافر إلى ثغر الإسكندرية ورشيد بسبب تفقّد أحوال الأبراج التى هناك ، وأشيع أنه ٢١
شرع فى بناء سور برشيد على شاطئ البحر الملح فأرسل عدة بنائين وحجارين

---

(٣) لما : فا . (٧ و ١١) بغال : أبغال . (٢٢) سور : بصور .

بسبب ذلك ، وقد بلغه عن ابن عثمان أنه يقصد يطرق ثغر الإسكندرية ودمياط
على حين غفلة ، فلما صلى السلطان الصبح يوم الأربعاء نزل من القلعة وتوجّه
٣ إلى بولاق وعدّى إلى برّ إنبابة ونصب له خيمة هناك حتى يتكامل خروج
العسكر ، فكان صحبته من الأمراء المقدّمين الأتابكى سودون العجمى والأمير أركماس
أمير مجلس والأمير سودون الدوادارى رأس نوبة النوب والأمير أنسباى حاجب
٦ الحجّاب والأمير تانى بيك الخازندار أحد الأمراء المقدّمين ، وجماعة من الأمراء
الطبلخانات والعشرات منهم الأمير خاير بيك المعمار ، وكان صحبته من المباشرين
الشهابى أحمد (٢٩٦ ب) ابن الجيعان نائب كاتب السرّ والقاضى أبو البقا ناظر
٩ الاسطبل ، وآخرون من المباشرين من أرباب الوظائف ، وعيّن معه نحو خمسين
خاصكيا من أرباب الوظائف وألزمهم بأن يصحبوا معهم كلّ واحد فرسا وبغلا
جنيبا ، فقاسوا فى المراكب بسبب الخيول ما لا خير فيه ، وكان النيل فى عشرين
١٢ ذراعا والطرق مقطوعة من كثرة الماء ، فحصل للأمراء والعسكر مشقّة زائدة ولا
سيما فى رمضان والصيام عمّال كل يوم ، فأقام السلطان فى برّ إنبابة إلى يوم الخميس
ثالث الشهر فنزل فى مركب ورحل من إنبابة هو والأمراء فى عدّة مراكب
١٥ كثيرة ، وكانت هذه السفرة على حين غفلة . — وفى ليلة الجمعة رابع الشهر سقط
سقف زاوية الشيخ أبى العباس البصير رحمة الله عليه ، وهى التى عند باب الخرق
المطلّة على الخليج ، فقُتل تحت الردم رجل وصبىّ صغير وهرب من كان بها من
١٨ المصلّيين وقت العشاء فسلموا ، ولم يُقتل غير اثنين كما تقدم . — ومن الحوادث
فى غيبة السلطان أن المماليك الجلبان ربطوا كُلاّب حديد فى حبل وشالتوه
فتعلّق فى شباك الطبقة التى على باب الزردخاناه ، وتسلّقوا عليه وهم من داخل
٢١ الحوش السلطانى ، فلما وصلوا إلى الشباك وجدوا بالقرب منهم أربع طُنفريات
بأسقاط فضّة فسحبوهم وأخذوهم . (٢٩٧ آ) فلما طلع النهار حضر الأمير
مغلباى الشريفى الزردكاش الكبير ، فأعلموه بذلك ورأى الحبل معلقا فى الشباك

فكتب بذلك محضرا ، ولم يُفد من ذلك شيء وراحت على من راح . — وفى
يوم الأحد ثالث عشره أشيع بين الناس أن الوالى عاقب جانى بيك دوادار
طراباى على بقيّة المال الذى تأخر عليه ، فطالبوه بأن يورد مما عليه شيئا على ٣
الجامكية فقال : ما بقى معى شىء من المال غير روحى خذوها ، فضربوه كسارات
على ركبه ، وقيل عصروه فى أصداغه ، وهو يقول مابقى معى شىء من المال ، فاستمرّ
يعاقبه الوالى حتى أشرف على الموت ، وأشيع بين الناس موته ، ولكن ما صحّ ذلك ، ٦
وهذا انتقام من الله تعالى فإن جانى بيك هذا كان من وسائط السوء مستحقّا
لكل الأذى . — وفى يوم الثلاثاء خامس عشر هذا الشهر حضر السلطان من
ثغر الإسكندرية ، وهذه السفرة الثانية ، فكانت مدّة غيبته فى هذه السفرة ثلاثة ٩
عشر يوما لا غير ، بخلاف السفرة الأولى ، وكان سبب توجّهه إلى ثغر الإسكندرية
فى هذه المرة فإنه لما بلغه عن سليم شاه ابن عثمان بأنه قد جهّز نحو أربعمائة
مركب وهو قاصد إلى ثغر الإسكندرية ودمياط الشهير ، فتوجّه السلطان إلى هناك ١٢
(٢٩٧ ب) لتفقّد أحوال الأبراج التى هناك وترميم بنائها ، وتوجّه إلى رشيد
وأيضا رسم بأن يُبنى عليها سور من جهة البحر الملح ، وأشيع أن السلطان أنعم
هناك على خاير بيك العلاى الشهير بالمعمار بتقدمة ألف وجعله متحدثا فى باشية ١٥
برج الأشرف قايتباى ، وأشيع أيضا أن السلطان حصل له هناك توعّك فى جسده
وأفطر يوما من شهر رمضان عند ما حصل [له] دوخة وأغمى عليه ، فعند
ذلك بادر بسرعة المجىء إلى مصر ، فأتى فى مركب لبرّ مصر عند السواقى التى ١٨
أنشأها هناك فطلع من عند السواقى هو والأمراء الذين كانوا صحبته ، فأخلع عليهم
هناك كوامل مخمل بصمور ، فلما طلع لاقاه من هناك الخليفة والقضاة الأربعة وبقية
الأمراء الذين كانوا بمصر ، فشقّ من السبع سقايات إلى قناطر السباع ، ورسم لأمير ٢١
كبير سودون العجمى بأن يتوجّه إلى بيته من هناك ، فلما وصل إلى المدرسة
الصرغتمشية رسم للخليفة بأن يتوجّه إلى بيته من هناك ، وكان الأمير أركماس أمير
مجلس حصل له رمد فى عينه فلم يركب مع السلطان ، فشقّ السلطان من الصليبة ٢٤

وطلع إلى الرملة ودخل إلى الميدان ، فطوّب إلى القضاة وانصرفوا إلى بيوتهم ، وكان (٢٩٨ آ) موكب للسلطان هيّنا بخلاف مواكبه المقدّمة . وفى يوم الخميس
٣ رابع عشره فرّق السلطان الكسوة على العسكر مع الجامكية . — وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على حسام الدين محمود بن قاضى القضاة سرىّ الدين عبد البرّ بن الشحنة وقرّره فى قضاء الحنفية ، عوضا عن القاضى شمس الدين السمديسى الحنفى
٦ بحكم انفصاله عن القضاء ، فكانت مدّته فى القضاء سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام ، وكان من أخصّاء السلطان وإمامه ولكن سعى عليه الحسامى محمود بن الشحنة بثلاثة آلاف دينار حتى ولى وظيفة القضاء ، وكان الحسامى محمود شابّا قليل
٩ الرأسمال من العلم ولم يكن فى طبقة علماء الحنفية ممن ولى وظيفة قضاء الحنفية ، ولكن السلطان ما عنده أعزّ ممن يورد له مال ويكون مهما كان ، وقد استكثر غالب الناس على محمود وظيفة القضاء ، وفيه يقول القائل :

١٢ لا واخذ الرحمن سلطاننا أفعاله بالطبع رهّاجة
ولّى علينا للورى قاضيا ما كان للدهر به حاجة

وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على محيي الدين يحيي بن قاضى القضاة برهان الدين
١٥ الدميرى وأعاده الى قضاء المالكية ، عوضا عن جلال الدين بن قاسم بحكم انفصاله عن القضاء ، وقد سعى عليه محيي (٢٩٨ ب) الدين يحيي الدميرى بألفى دينار ، وهذه ثانى ولاية وقعت لمحيي الدين بن الدميرى بمصر ، فكان مدّة جلال الدين بن قاسم
١٨ فى قضاء المالكية سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام مثل مدة السمديسى الحنفى فإنهما وليا فى يوم واحد ، وقد تولّى الحسامى محمود ومحيي الدين يحيي بن الدميرى فى يوم واحد ، وشقّا من القاهرة وعليهما التشاريف ، وكان لهما يوم مشهود . — وفى
٢١ هذا الشهر كملت عمارة مدرسة الأمير بيبرس قريب السلطان التى أنشأها بقرب خط الجودرية ، وجاءت فى غاية الحسن والظرف ، فخُطب بها فى ذلك الشهر . — وفى يوم الاثنين حادى عشرينه كان أول هاتور الشهر القبطى ، ومن العجائب

---

(٩) الرأسمال : الرسمال . (١٢) واخذ : كذا فى الأصل ، ويعنى آخذ .

أن النيل استمرّ فى ثبات لم ينهبط حتى دخل هاتور ، وكان يومئذ فى تسعة عشر ذراعا ونصف ذراع ، حتى عُدّ ذلك من النوادر ، ولكن حصل بذلك الضرر الشامل على المزارعين بمكث الماء على الأراضى ، ومن العجائب مع وجود ثبات النيل هذه المدّة لم تسكن الجزيرة الوسطى فى هذه السنة ولا كُرِى فيها بيت ولا دكّان . — وفى ذلك اليوم توفّى الأمير أقبردى الحسنى أحد الأمراء العشرات من طبقة الزمامية ، وكان أصله من مماليك الأشرف قايتباى . — وفى (٢٩٩ آ) يوم الأحد سابع عشرينه كان ختم صحيح البخارى بالقلعة ، وأخلع السلطان على القضاة الأربعة وأعيان العلماء ومن له عادة ، وفرّقت الصرر على جارى العادة ، وكان ختما حافلا . — وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه عرض ناظر الخاص خلع العيد على السلطان ، وألبسه كاملية مخمل أحمر بصمور ، ونزل من القلعة فى موكب حافل ، وكانت الخلع فى هذه السنة فى غاية الوحاشة من انشحات ناظر الخاص بخلاف كل سنة .

وفى شوال كان مستهل الشهر يوم الأربعاء ، وهو يوم عيد الفطر ، فخرج السلطان وصلى صلاة العيد ، ثم دخل إلى الحوش الكبير وجلس على الدكّة وأخلع على القضاة الأربعة ثم على أمير كبير وبقية الأمراء المقدّمين . — وفى ذلك اليوم أخلع السلطان على الأمير خاير بيك المعمار وألبسه مثمر وأطلسين لكونه بقى مقدّم ألف ، ثم أخلع على المباشرين ومن له عادة ، وكان موكب العيد حافلا ، وكان الأمير طوماى باى الدوادار مسافرا فى جبل نابلس ، وكانت الخلع فى هذا العيد فى غاية الوحاشة ، وأبطل ناظر الخاص الطرز النخ الذى كان يُعمل فى الخلع ، وكانت الخلع من القماش القطنى الذى مثل القشّ ، ثم نزل (٢٩٩ ب) ابن السلطان إلى باب السلسلة وعليه فوقانى بطرز يلبغاوى عريض ، ونزل فى موكب حافل وقدّامه الشعراء والشبابة السلطانية ، فمدّ بباب السلسلة مدّة حافلة وأخلع على غلمانه أرباب الوظائف ، ثم أخلع الفوقانى الذى كان عليه على الأمير أقباى الطويل

---

(١٣) الفطر : الظفر .

أمير آخور ثانى أحد المقدّمين ، فلما انقضى أمر المدّة بباب السلسلة نزل المقر الناصرى ولد السلطان من باب السلسة وعليه تخفيفة صغيرة وسلارى بعلبكى ٣ أبيض ، وقدّامه القاضى محيى الدين عبد القادر القصروى ناظر الجيش والقاضى أبو البقا ناظر الاسطبل وبعض جماعة من الخاصكية ، وقدّامه ثلاث طوائل خيل بغواشى حرير أصفر ، فلما شقّ من القاهرة ارتفعت له الأصوات بالدعاء ، ٦ وأوقدوا له أحمال وتنانير بالنهار من الورّاقين إلى آخر البندقانيين ، وزيّنوا له عند بيته زينة حافلة بالخيام والسحائب ، وصنعوا له ردك على بابه وفيه أشجار وأحواض جلد بفواوير ماء عمّالة ، واصطفّت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجة ، ودُقّت ٩ له الكوسات على بابه ، وزفّته المعانى بالطارات على الدكاكين ، ولاقته طائفة اليهود بالشموع موقودة قدّامه ، فاستمرّ فى هذا الموكب حتى دخل إلى بيته الذى فى خط البندقانيين ، ومدّ له هناك (٣٠٠ آ) مدّة ثانية ، واستمرّ هناك فى ١٢ بيته إلى أواخر النهار ، ثم ركب من هناك وطلع إلى القلعة . — وفى يوم الخميس ثانيه تغيّر خاطر السلطان على عبد العظيم الصيرفى وأودعه فى الحديد ، وأرسله إلى بيت الأمير الدوادار حتى عمل حساب الشعير الذى هو متحدّث عليه ، فاستمرّ ١٥ فى الترسيم حتى يكون من أمره ما يكون . — وفى يوم الثلاثاء سابعه عرض السلطان جماعة من المماليك القرانصة ، وعيّن منهم جماعة إلى العقبة وجماعة إلى الأزنم وجماعة إلى الإسكندرية وإلى رشيد وجماعة إلى دمياط يقيمون بها ، فغالب ١٨ المماليك اختار دمياط ورشيد دون تلك المواضع ، وشرعوا يتشكون من ذلك فقال لهم السلطان : أنا ما أشرطتُ عليكم كل من أخذ منكم الخمسين دينار النفقة يسافر إلى العقبة والأزنم وغير ذلك من الأماكن وقلتوا نعم نسافر إلى أى مكان ٢١ أرسلنا فيه السلطان ، فحصل فى ذلك اليوم بين السلطان وبين المماليك بعض تشاجر ، وانفضّ المجلس مانعا ، وحنق السلطان من المماليك القرانصة فى ذلك اليوم إلى الغاية . — وفى يوم الخميس تاسعه أخلع السلطان على الأمير قانصوه العادلى

---

(١٣) وأودعه : وأودعه .

كاشف الشرقية على عادته . — وفى يوم الجمعة عاشره ، الموافق لتاسع عشر
هاتور القبطى ، فيه لبس السلطان الصوف وقلع البياض ، (٣٠٠ ب) وقد أخّر
لبس الصوف عن عادته أياما . — وفى يوم السبت حادى عشره قبض السلطان ٣
على المعلّم خضر معامل اللحم وشكّه فى الحديد وقيده وسجنه بالعرقانة حتى يغلق
ما عليه من اللحوم المكسورة للعسكر ، وفى ذلك اليوم أورد عبد العظيم الصيرفى
مما قُرِّر عليه بسبب الشعير المنكسر ألفى دينار ، واستمرّ فى الترسيم حتى يغلق ما بقى ٦
عليه وهو فى الحديد . — وفى يوم السبت المذكور توفى الأمير نوروز أخو الأمير
يشبك الدوادار أحد الأمراء المقدّمين الألوف ، وكان له مدّة وهو منقطع فى بيته
عليل حتى مات فى ذلك اليوم . — وفى يوم الخميس سادس عشره نفق السلطان ٩
الجامكية على العسكر ، ووقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن
السلطان كان عيّن من المماليك القرانصة خمسين مملوكا يتوجهّون إلى مكة صحبة باش
المجاورين على جارى العادة ، وكان قد عيّنهم فى ربيع الأول وأخذوا فى أسباب ١٢
عمل يرقهم ، فلما كان يوم الخميس المقدّم ذكره بدا للسلطان فى ذلك اليوم بأن
يُبطل هؤلاء الخمسين مملوكا الذين كان عيّنهم صحبة باش المجاورين وعيّن غيرهم
فى ذلك اليوم وأبطل الذين كان عيّنهم قبل ذلك ، وكان قد بقى لخروج المحمل ١٥
(٣٠١ آ) يومين ، فحصل الضرر الشامل إلى المماليك الذين بطلوا بعد أن باعوا
خيولهم وقماشهم وأكروا لنسائهم على أنهم يقيمون فى مكة سنة ، فتنكّدوا إلى الغاية
بسبب ذلك ، وحصل غاية الضرر للمماليك الذين تعيّنوا إلى مكة فى ذلك اليوم ، ١٨
وقد بقى لخروج الحجّاج يومين فخرجوا على وجوههم ، وفيهم من سافر فى شُقدف ،
وما حصل عليهم خير ، فما شكر السلطان أحد على ذلك وأعابوا عليه هذه الفعلة ،
فعُدّ ذلك من النوادر الغريبة . — وفى ذلك اليوم عرض السلطان كسوة الكعبة ٢١
الشريفة ومقام إبراهيم عليه السلام ، وعرض المحمل الشريف ، وكان السلطان
فى الحوش جالسا به ، وكان ذلك اليوم مشهودا . — وفى يوم السبت ثامن عشره

خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمّل زائد ، وكان له يوم مشهود ، وكان
أمير ركب المحمل الأمير علان الدوادار الثانى أحد الأمراء المقدّمين ، وأمير الركب
٣ الأول المقرّ العلاى على بن الملك المؤيّد أحمد بن الملك الأشرف أينال ، وكان باش
المجاورين فى تلك السنة الأمير بيبردى من كسباى أحد الأمراء العشرات ، ومحتسب
مكة الأمير قراكز الجكمى رأس نوبة عصاة ، فارتجّت لهم القاهرة (٣٠١ ب)
٦ فى ذلك اليوم . — وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره وقعت فيه نادرة غريبه وهو أن
السلطان نزل إلى الميدان وجلس به وأحضر بين يديه شخصا يهوديا يقال له يوسف
شنشوا ، وكان أصله تاجرا من تجّار الفرنج ، وكان يعرف باللغة التركية ، ثم بقى
٩ معلما فى دار الضرب ، فقيل إنه تأخّر عليه مال من بقايا المصادرات وحساب
قديم وهو مبلغ اثنا عشر ألف دينار فتكاسل عن وزن ذلك ، فأرسله السلطان إلى
المقشرة فأقام بها أياما ولم يردّ شيئا مما عليه من المال ، فأحضره السلطان بين يديه
١٢ وأحضر له المعاصير وعصره فى أكعابه فى وسط الميدان بين يديه ، فلما تزايد به
أمر الوجع من عصر أكعابه أسلم وقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدا
رسول الله برأت عن كل دين بخلاف دين الإسلام ، فكبّر الحاضرون من العسكر
١٥ والناس أجمعين ، فلم يلتفت السلطان إلى إسلامه وأبقاه بالعمامة الصفراء ورسم
ليحيى بن نُكار دوادار الوالى بأن يتسلّمه ويعاقبه ويستخلص منه المال جميعه ،
وقال : المسلمون كثير والإسلام ما له حاجة بهذا ، فشكّه ابن نكار فى الحديد
١٨ ونزل به ليعاقبه ويستخلص منه المال ، فكان كما يقال : (٣٠٢ آ) إذا تسلّط
على اليهودى يسلم . — وفى هذا الشهر أشيع بين الناس أن العجمى الشنقجى الذى
كان نديم السلطان يضحك عليه ، وقد تقدّم القول على أن السلطان كان أرسله فى
٢١ أواخر شهر رمضان إلى نائب الشام وإلى نائب حلب ، وعلى يده فيلين تقدمة من
عند السلطان أحدهما إلى نائب الشام والآخر إلى نائب حلب ، فأشيع بين الناس أن
الشنقجى العجمى قد مات على غير وجه مرضى ، وقد اختلف القول فى سبب

موته وإلى الآن لم يثبت عنه خبر صحيح فى كيفية موته والأقوال فى ذلك كثيرة ، وكان هذا العجمى مشعوثا مُضحكا يلعب بالصحون النحاس على جريدة فى الحلق ، فلما قرّبه السلطان وأحسن إليه صار من جملة أعيان المملكة ويركب وقدّامه الساعى ويشقّ من القاهرة وتعظمه الأمراء وتقوم إليه إذا دخل عليها ، وكذلك أرباب الدولة من المباشرين وغيرها ، وقيل إنه لما دخل إلى الشام كان فى موكب حافل وزيّنت له مدينة دمشق لما شقّ فيها بالأفيال الذى أرسلهما السلطان ، ويقال إن نائب الشام أنعم عليه بنحو ألف دينار وكذلك نائب حلب ، وكسب من السلطان أموالا جزيلة وسلاريات صمور ووشق وغير ذلك أشياء كثيرة ، ومن الأمراء وأعيان الناس ، وكان الناس يسألونه فى قضاء حوائجهم عند السلطان ، ورأى من العزّ والعظمة بالديار المصرية (٣٠٢ ب) ما لا رآه أحد قبله من المقرّبين عند الملوك ، وكانت رياسة هذا العجمى من غلطات الزمان كما قيل : ما طاب فرع أصله خبيث ولا زكى من مجده حديث ، ولم يصحّ موته . — وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه حضر مبشر الحاج وقد أبطأ عن ميعاده أياما ، وسبب ذلك أن العربان خرجوا عليه وعرّوه وأخذوا جميع ما معه حتى الراحلة التى تحته وجميع كتب الحجاج ، فلم يصل لأحد من الناس من حجاجه كتاب فى هذه السنة ، وقيل إن المبشّر مشى على أقدامه يومين وهو لابس بشت ، فلما سمع السلطان ذلك تنكّد والناس قاطبة لهذه الأخبار المهولة ، فلما حضر المبشّر أشيع بين الناس وفاة القاضى زين الدين النابلسى أخى الشرفى يونس النابلسى الذى كان أستادارا ، وكان القاضى زين الدين مجاورا بمكة فمات هناك : — وفى هذا الشهر أشيع سفر السلطان إلى جهة الفيوم ليكشف عن الجسر الذى انهدم من الماء وشرّق غالب بلاد الفيوم ، فلما تسامعت المماليك الجلبان بسفر السلطان إلى الفيوم تنكّدوا لذلك وقالوا : كيف يسافر السلطان فى قوّة الشتاء وخيولنا فى الربيع ، فشقّ عليهم ذلك وربما أشاعوا وقوع فتنة كبيرة . — وفى يوم الخميس سابع عشرينه حضر إلى الأبواب

الشريفة ابن على دولات الكبير وقد اجتمع أولاد على دولات وأخيه عبد الرزاق (٣٠٣ آ) الكل بمصر ، ولما حضر ابن على دولات حضر صحبته حاجب ثانى
٣ بحلب وهو شخص يقال له قانصوه من نفيس ، وكان نائب حلب أرسله إلى ابن عثمان قاصدا بسبب القلاع التى أخذها من بلاد على دولات ، فلما حضر قانصوه هذا من عند سليم شاه بن عثمان فأخبر عنه بأخبار غير صالحة بأنه قال : أنا ما أخذت
٦ هذه القلاع إلا بالسيف وما أردّهم إلا بالسيف ، وأنه ما هو راجع عن التوجّه إلى حلب والشام وحدثته نفسه بأخذ مصر ، وهو فى عمل يرق عظيم وجهّز مراكب فى البحر ليجىء على إسكندرية ودمياط ، فلما سمع السلطان ذلك تنكّد واجتمع
٩ هو والأمراء فى ضرب مشورة بسبب ذلك ، وأخبر هذا القاصد أنه أراد أن يعوّقه عنده أو يقتله فما مكّنوه أمراؤه من ذلك ، وقالوا : القاصد ما يُقتل . — وفى ذلك اليوم كان آخر تفرقة الجامكية فأشيع فى ذلك اليوم بإقامة فتنة كبيرة
١٢ من المماليك الجلبان ، فلما كان ليلة الجمعة أثاروا المماليك فتنة بالقلعة ورجموا من الطباق ، فلما طلع النهار يوم الجمعة نزل السلطان إلى الميدان وجلس به وتردّدت الرسل بينه وبين المماليك وقد أرسل لهم جماعة من الأمراء والخاصكية فقالوا لهم :
١٥ نحن ما [نطلب] منه نفقة وإنما نطلب أن يبطل المجامعة والمشاهرة التى قرّرها على السوقة (٣٠٣ ب) فى الدكاكين وعلى سائر البضائع حتى ما نلتقى شىء نأكله ويصرف هذه اللحوم المنكسرة للعسكر ففيهم من له عشرة أشهر مكسورة
١٨ وفيهم من له ستة أشهر وأربعة أشهر مكسورة وأن يُبطل هذا الظلم الزائد والمصادرات للناس وأن يمشى على طريقة الملوك السالفة وأن يعزل ابن موسى من الحسبة ويعزل الوزير يوسف البدرى من الوزارة ويعزل كرتباى الوالى
٢١ فإنه قتل من خُشداشينا مملوكا وما بقى لنا حرمة بين العوام ، وذكروا أشياء كثيرة من هذا النمط ، وفى رواية أخرى أن المماليك قالوا : ويسلّمنا علم الدين الحلبى

---

(١٦) وعلى : وقد على .

وجمال الدين بوّاب الدهيشة ، فإن جمال الدين كان متحدثا فى الخزائن الشريفة من بعد موت الأمير خاير بيك الخازندار ، فصار جمال الدين يعارض المماليك فيما رسم لهم به السلطان من إنعام لهم ، فلما طال المجلس على السلطان وأعيت ٣ الرسل المترددة بالرسائل بين السلطان وبين المماليك قام السلطان من الميدان وقد أدركته صلاة الجمعة ، فلما طلع أغلقت المماليك فى وجهه باب السبع حدرات ثم رجموه من الطباق ولم يمكنوه من الدخول إلى الحوش ، وقيل جاءته رجمة فى تخفيفته ٦ وسبّوه من الطباق سبّا فاحشا بعبارة قبيحة ، فلما عاين السلطان (٣٠٤ آ) ذلك خاف على نفسه من البهدلة فرجع إلى الميدان وخرج من باب الميدان الذى عند حوش العرب وخرج من بين الكيمان وتوجّه إلى الروضة وعدّى إلى المقياس ٩ وأقام به ذلك اليوم ، ثم نادى لأصحاب المراكب أن لا يعدّى أحد من النواتية بأمير ولامملوك إلا بمشورة السلطان ، فلما قرب وقت صلاة الجمعة طلع جماعة من الأمراء المقدّمين إلى صلاة الجمعة فلما بلغهم توجّه السلطان إلى المقياس صلوا ١٢ الجمعة بالقلعة ، ثم نزل ستة عشر أميرا مقدّم ألف وتوجّهوا إلى عند السلطان فى المقياس لكى يُرضوا خاطره على مماليكه مما وقع من المماليك فى حقّه ، فلما اجتمعوا بالسلطان قال لهم : أنا ما بقيت أعمل سلطانا ولّوا عليكم من تختاروه ١٥ غيرى ، فبات تلك الليلة بالمقياس وباتت عنده الأمراء المقدّمون ، فلما كان وقت المغرب نزل من القلعة الجمّ الغفير من المماليك الجلبان وقصدوا أن ينهبوا بيوت الأمراء ، فمنعوا بعضهم بعضا من ذلك ، فنهبوا بعض دكاكين من الصليبة مثل الشمع ١٨ والحلوى والخبز وغير ذلك ، واستمرّ الحال على ذلك بطول الليل وهم يشوّشون على الناس ويخطفون العمائم والشدود ، وحصل منهم فى تلك الليلة الضرر الشامل من اذى (٣٠٤ ب) المماليك ، وكان السلطان لما توجّه إلى المقياس أخذ ولده ٢١ معه خوفا عليه من المماليك أن لا ينكدوا عليه . — فلما كان يوم السبت تاسع عشرينه توجهت الأمراء المقدّمون قاطبة إلى عند السلطان ، وكذلك الأمراء

الطبلخانات والعشرات من أرباب الوظائف ، فوقف الأتابكى سودون العجمى
وبقيّة الأمراء المقدّمين وباسوا الأرض للسلطان على أنه يقوم ويطلع إلى القلعة
٣ ويرضى عن مماليكه ، فشقّ السلطان ملوطته وبكى حتى أغمى عليه ورشّوا على
وجهه الماء وهو يقول : ما بقى لى حاجة بسلطنة فأرسلونى أى مكان تختارونه وولّوا
أمير كبير ، فخاف أمير كبير وصار يرعب من كلام السلطان وحصل له وهم . —
٦ وقد وقع عروض ذلك للملك الأشرف قايتباى لما طلبوا منه المماليك نفقة عند
حضورهم من تجريدة ابن عثمان ، فجمع الأمراء قاطبة والخليفة والقضاة الأربعة
وأحضر القبّة والطير وفرس النوبة وقال : سلطنوا أمير كبير أزبيك ، وفكك
٩ أزرار ملوطته على أنه يدخل إلى البحرة ، وقال للقضاة : اشهدوا علىّ أنى قد
خلعت نفسى من السلطنة ، وقد تقدم ذلك فى أوّل التاريخ من أخباره ، فلما خلع
نفسه من السلطنة أعاده الخليفة إلى السلطنة ثانيا ، وكان سبب ذلك المماليك أيضا . —
١٢ ثم إن السلطان أرسل خلف أغوات الطباق وهو فى المقياس ، فلما حضروا بين
يديه صاروا (٣٠٥ آ) يشكون له أن إقطاعاتهم لم يصل لهم منها شىء ، وأن الحماية
يأخذونها من المقطعين معجّلا قبل أوان النيل بمدّة ، وأن لحوم العسكر مكسورة
١٥ بالأشهر ، وأن جميع البضائع غالية بسبب المشاهرة والمجامعة التى قُرّرت على
السوقة ، وأن كلّ شىء غال حتى الخام والبعلبكى والتبن ما يوجد ، وصارت
الجامكية ما فيها بركة كونها من مال المصادرات وأغلظوا عليه فى القول ، وقالوا
١٨ له : ليش ما تمشى على طريقة الملوك السالفة وتقلّ من هذا الظلم ، ثم قرّروا معه
بأن يصرف للعسكر اللحوم المكسورة وأن يبطل المشاهرة والمجامعة ، ويعزل
المحتسب ويولى غيره ، ويعزل الوزير والوالى ويولى غيرهما ، فقال السلطان : نعم
٢١ أفعل لكم ذلك جميعه ، وصاروا يشرطون عليه شروطا كثيرة من هذا النمط ، وهو
يقول : نعم ، وكان ألماس دوادار سكين هو الذى يتردّد بالرسائل بين السلطان وبين
المماليك ، فلما طلب خاطر المماليك على ذلك أحضر لهم السلطان مصحفا شريفا وحلّف

عليه أغوات الطباق من الخاصكية ، وكلّ واحد منهم على انفراده ، بأن يرجّعوا
بقية المماليك ويُخمدوا هذه الفتنة ويكونوا تحت طاعة أستاذهم ، فحلفوا على
ذلك ودخلوا على السلطان وباسوا له الأرض ، وخمدت تلك الفتنة على ٣
خير ، ولولا لطف الله تعالى فى إخماد هذه الفتنة عن قريب ، وإلا كان قصد
المماليك الجلبان أن ينهبوا المدينة وأسواق القماش وبيوت الأمراء وأعيان
(٣٠٥ ب) الناس ويقتلوا من الأمراء من أرادوا قتله ، ولو فعلوا ذلك لطلع من ٦
يدهم ، وكل مفعول جائز فى هذه الأيام ، ولكن الله سلّم ولله الحمد على ذلك .

أقول :

عَوِّل على كتب التاريخ وَاغْنَ بها فكم تَهزّ لها الأعطاف من طرب ٩
ولا تُعوِّل على من قال من سفه السيف أصدق أنباء من الكتب

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء وتحريره ، على يد كاتبه ومؤلفه فقير رحمة
ربّه محمد بن احمد بن إياس الحنفى عامله الله تعالى بلطفه الخفى ، فى يوم الاثنين ١٢
مستهلّ المحرم افتتاح عام سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة المبارك ، وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل . ١٥

ذكر أرجوزة لطيفة تتضمن أسماء السلاطين هم وأولادهم على الترتيب ، ومن
ولى منهم من مبتدأ دولة الأتراك وإلى يومنا هذا ، فكان أول ملوك الترك بالديار
المصريّة الملك المعزّ أيبك التركمانى ، تولى الملك سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فهو ١٨
أول ملوك الترك بالديار المصرية .

وهذه الأرجوزة الموعود بذكرها :

فأول الترك أتى المعزّ ثم ابنه ووافقته الغُزّ ٢١

---

(١٦) وأولادهم : أولادهم .

فهو علىّ لا على فى القدر أيامه مغـدوقة بالشرّ
ثم أتانا الملك المظفّر وحظّه من نصره موفّر
٣ ثم حوى الأمر الملك الظاهر لازال(٣٠٦ آ)للأعداء وهو قاهر
ثم أتانا الملك السعيد وكل يوم فى ذراه عيد
ثم أقيم بعده سـلامش أخٌ له طفلٌ صغيرٌ طائش
٦ مدّته قصيرة يسيرة ولى قلاوون بها تدبيره
ثم أتانا الملك المنصور فهو قلاوون أبو الذكور
ثم تولاّها المليك الأشرف ومن غدا بكل جود يُعرف
٩ ثم تولاّها المليك الناصر وما له فى نصره مؤازر
ثم أتانا كتبغاء العادلُ وما جرى أيامه فسائلوا
وبعده لاجين هو المنصور وروَكُهُ بلادنا مشـهور
١٢ ثم أعيـد الناصر الكبير نجل قلاوون هو المنصـور
فصار أمر الملك للبرجيّة فى مدّة نالوا بها الأمنية
فضاق ذرعا بالذى قد حازوا وامتاز غيظا وهم ما مازوا
١٥ ثم حوى الأمر بها المظفر ليقضى أمر ربنّا المقدّر
فصار مُلْك مصر للمظفر ولم يقم فى الملك غير أشهر
ثم أتى السلطان أعنى الناصرا إلى سرير ملكه مبادرا
١٨ ثم له بهـذه ثلاثة وسنّهُ إذ ذاك فى الحداثة
أقام فيها مدّة طويلة وسار فيها سـيرة جميلة
ثم أبو بكر سليل الناصر تلا أباه فى الزمان الحاضر
٢١ ولُقّب المنصور مثل جَدّه وليس جَدّه كمثل جدّه

(٥) طالش : طاش . (١٥) المظفر : زيد هنا فى الأصل « المظفر هو بيبرس الجاشنكير » .

وبعده طفلٌ صغير هو كجك خمس سنين ما مضت حتى هلك
لا بارك الرحمن فى من قتله لقد أتى خِزيا بما قد فعله
قوصون(٣٠٦ب)ساس الملك فى ذى المدّة وكان فيها فى أذى وشدّة ٣
ثم أتى الناصر بن الناصر وبعده الصالح ذو المآثر
والناصر المذكور عاد راجعا لحصنه والملك صار ضائعا
أقام فينا الصالح الجليلا طائره أضحى به جميلا ٦
وبعده شعبان وهو الكامل وبعده المظفّر المماطل
وبعد الناصر أعنى عن حسن وبعده الصالح فى البرج سجن
وعا للملك إلينا حسننا وبعده المنصور ثار الفتنا ٩
ثم أقيم بعده شعبان فابتهجت بملكه الأكوان
ولقّبوه أشرفا مثل كجك والده الحسين قطّ ما ملك
ثم أقيم بعده المنصور وهو على بخله الكبير ١٢
وبعده حاجى أخوه الصالح بيعته السعد عليها لائح

وبه انتهت دولة بنى قلاوون وابتدأت دولة الجراكسة ، فكان أول ملوك الجراكسة الملك الظاهر برقوق ، فابتدأت دولة الجراكسة من سنة أربع وثمانين ١٥ وسبعمائة ، وذلك فى شهر رمضان المعظم قدره :

ثم ولى الملك المليك الظاهر برقوق سهم للأعادى قاهر
وبايعوا حاجى أيضا بعده ولقّب المنصور مثل جدّه ١٨
ثم ولى برقوق ثانى مرة للملك واستقام أمره
ثم ابنه بعده الناصر فرج فنال من سلطانه أعلا الدرج

---

(٩) حسننا : حسبنا .

ثم أقاموا الملك المنصورا عبد العزيز فاعتلا السريرا
ثم أعيد الملك ثانى مرة لفرج الناصر بعد حسرة
٣ (٣٠٧ آ) وبعد هذا بويع الخليفة ذو الرتبة العالية المنيفة
المستعين الأعظم العبّاس فاستوثق الأمر وسُرّ الناس
ثم أتانا الملك المؤيّد شيخ أبو النصر الشجاع الأمجد
٦ ثم أقاموا ابنه الرضيعا أحمد المظفّر الرفيعا
وبعده قد فاز بالملك ططر ولُقّب الظاهر أياما ومر
ثم أقاموا نجله محمدا ولقّبوه الصالح الممجّدا
٩ ثم ولى من بالرعايا يرؤفُ وهو بُرسباى المليك الأشرف
كُنى أبو النصير وذاك فالُ لجيشه بالرعب حيث مالوا
قد خصّه الله بفتح قبرسى وكان أمر الفتح شيئا قد نُسى
١٢ ثم ابنه وهو العزيز يوسف وأمره فى ملكه مستضعف
ثم أتى الظاهر أعنى جقمقا من بعده وكان بالجود أرتقا
ونال من مولاه فخرا كاملا ببرّه الأيتام والأراملا
١٥ ثم أقاموا نجله عثمانا بالعهد فى حياته سلطانا
ملقّبا بالملك المنصور ورافلا فى البشر والسرور
فما استقام أمره زمانا بل زال ما كأنه قدْ كانا
١٨ ثم أقاموا بعده أينالا ولقّبوه أشرفا فنالا
ولم يزل فى ملك مصر يرتع حتى أتاه حادث لا يُدفع
فاستخلفوا ابن الكبير أحمدا ولقّبوه الملك المؤيّدا

---

(٤) فاستوثق : فاستوسق .

فلم تطل مدّته من بعــده ولم يجد مساعدا من جُنده

ثم ولى خشقدم الهمام من بعده على العدا حسام

ولُقّب الظاهر فألا فظهر ثم إلى ضدوا حقيقا قد قهر ٣

ثم ولى الظاهر يلباى بعده وبايعوه أجمعين جنــده

فلم يقم إلا قليلا وخُلع ومُلك مصر من يديه قد قُلع

(٣٠٧ ب) ثم أتى من بعده تمربغا فكان سيفا قاطعا لمن بغى ٦

ملقبا يدعونه بالظاهر أيضا بتقدير الإله القاهر

فلم يقم إلا كمثل الأول وزال عنه ملكه بالعجل

ثم لقايتبيه آل الملك قول صحيح ليس فيه شك ٩

ملقّبا من بعده بالأشرفِ عامله الله بلطفه الخفى

أقام فى الملك ثلاثين سوى سبع شهور وحوى ما قد حوى

وبعده قد سلطنوا محمدا نجل له حقا على رغم العدا ١٢

ولقبوه بالمليك الناصرى فلم يكن بين الورى بشاكرى

وخمسمائة قد تولى بعــده أيامه كالحلم يبدى فقــده

ثلاث أيام ســوى دولته وانقطعت منها بها حجتّه ١٥

ثم أعيد الناصر الصبور وجاءه نصر له سرور

---

(٢) كتب الناسخ ما يأتى على الهامش : فخشقدم هذا هو أول ملوك الروم بمصر ، وتمربغا هو ثانى ملوك الروم بمصر ، وسليم شاه بن عثمان ثالث ملوك الروم بمصر ، وابنه سليمان رابع ملوك الروم ، والباشاه أحمد خامس ملوك الروم بمصر .

فعاجلوه بعد ذا بالباتر وقد أتى لرمسه مبادر

فسلطنوا خال له من بعده وليس يدرى عيّه من رشده

٣ فلقّبوه بالمليك الظاهر وساعدته نصرة من قادر

فجاء فى الملك على الوجه الرضى وكل إنسان بفعلوا قد رضى

ثم أتى الدهر بجان بلاط فأظهرت أيامه الإفراط

٦ ثم نهى العادل فينا وأمر دولته كانت كلمح بالبصر

وبعده قد جاءنا ذا الغورى فسلطنوه سرعة بالفور

أقام فى الملك سنين عدّة والناس فى ضنك وقاسوا شدّة

٩ فعدّهم لسلطنة ذا الغورى سبعة وأربعون جدّ السيرى

فعدّة الأتراك ممن قد وُلّى سبعة وأربعون فاسمع يا خلّى

فهم وأولادهم فى العَدّ تذكرة لمن يجى من بعدى

١٢ فإن عدّ الأشرف قانصوه خمسمائة من جملة السلاطين فيكونوا به ثمانية وأربعون سلطانا ، هم وأولادهم ، والله أعلم بمن يجىء من بعد ذلك .

وجاء طومان باى يسعى الملك من بعده وليس فيه شك

١٥ يقرب فى أنسابه للغورى لا فى المظالم وارتكاب الجور

ثم سليم شاه ولى من بعده وضلك فى أيامه عن رشده

وبالهنا جاء سليمان ابنه تملك الملك حقيقا ذريته

١٨ ثم ولى الباشا المسمّى أحمدا فثار نارا فى الورى ما أخمدا

تمت الكلام فى شهر رجب سنة ١١٢٧ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٩٤/٨٤

ISBN ٩٧٧ - ١ - ٠٢٩٢ - x



INHALT

auch noch erwähnen, dass das Ministerium für Kultur und Nationale Information und das Ministerium für Erziehung in der Südlichen Region der Vereinigten Arabischen Republik und ebenfalls die Ägyptische Gesellschaft für Historische Studien in Kairo sich bereit erklärten, sich an allen Bänden dieses Werkes zu beteiligen. Damit ist auch die Gewähr für die Herausgabe der vollständigen Chronik gegeben.

Kairo, den 15. Februar 1960.

Mohamed Mostafa.

1955 in Hamburg brachte er diesen Vorschlag zur Sprache, der auch von allen anwesenden Mitgliedern genehmigt wurde.

Daher hat die Deutsche Morgenländische Gesellschaft mich beauftragt, den Text für die Neuausgabe dieser drei Bände zu bearbeiten und dafür die Indices und die Einleitung zu schreiben. Auch ist die Gesellschaft auf meine Anregung eingegangen, dass die Neuausgabe die gesamten fünf Bände der Chronik des Ibn Ijās umfassen soll. Es hat sich nämlich herausgestellt, dass dem Text in manchen Teilen der Bulaqer Ausgabe eine Handschrift zugrundeliegt, deren Text soweit gekürzt ist, dass er sich grundlegend von dem Originaltext unterscheidet, den Ibn Ijās selbst geschrieben hat.

Ich habe mit der Herausgabe des vierten Bandes den Anfang der Neuausgabe gemacht. Er enthält die Geschichte der Zeit von 1501 bis 1516; das ist derjenige Zeitabschnitt, der der osmanischen Eroberung Ägyptens vorausgeht. Ich tat das aus dem Grunde, weil diese Epoche in der Bulaqer Ausgabe gänzlich fehlt.

Danach werde ich den fünften Band der Chronik folgen lassen und später auf die drei ersten Bände zurückgehen. Dem ersten Band werde ich eine umfassende Einleitung zu dem Werk und über seinen Verfasser beigeben. Zum Schluss werde ich die Indices für alle fünf Bände in einem besonderen sechsten Band zusammenstellen. Dabei wird einer der Indices die in diesem Werk vorkommenden Fachausdrücke und Spezialwörter bringen. Bei den Indices werde ich denselben Richtlinien folgen, die ich für die *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas* anwendete.

Mein aufrichtiger Dank gilt vor allem meinem verehrten Lehrer, Herrn Professor Dr. Paul Kahle, der mir in grosszügiger Weise eine Photographie der Handschrift zur Verfügung gestellt hat. Seinem unermüdlichen Einsatz ist es in erster Linie zu verdanken, dass dieses Buch erscheinen kann. Mein Dank gilt ferner Herrn Professor Dr. Hans Roemer, dem Bevollmächtigten der DMG in Kairo, dessen wertvolle Hilfe uns bei allen Druckfragen des Bandes sehr willkommen war.

Es ist eine besondere Ehre für mich, bei dieser Gelegenheit auch den Institutionen der verschiedenen Länder zu danken, die der Aufforderung der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft Folge leisteten und sich grosszügig an der Herausgabe dieses Bandes beteiligten. So ist es eine internationale wissenschaftliche Zusammenarbeit, die diesem Werk zur Entstehung verhalf. Hier möchte ich



Meinem hochverehrten Lehrer,
Herrn Professor Dr. Paul Kahle,
in Dankbarkeit gewidmet

at-Tibr al-masbūk fī ḏail as-sulūk bis zu Abū l-Maḥāsins *an-Nuǧūm az-zāhira* und endlich zu der Chronik des Ibn Ijās *Badā'iʿ az-zuhūr fī waqā'iʿ ad-duhūr*.

Demnach haben wir die ersten 98 Blatt der Handschrift Fatih 4198 nicht veröffentlicht. Sie enthalten die Geschichte der Zeit vom Monat Rabīʿ I des Jahres 857 (1453) bis zum Monat Raǧab 872 (1468), das heisst die Berichte über die Regierungszeiten der Sultane Aināl, Aḥmad ibn Aināl, Ḫušqadam und Timur Boǧā.

Bei einem Vergleich der Nachrichten, die Ibn Ijās in diesem Teil seiner Chronik bringt, mit dem, was Abū l-Maḥāsin über dieselbe Zeit in seinen beiden Büchern *an-Nuǧūm az-zāhira* und *Ḥawādiṯ ad-duhūr* berichtet, ist mir jedoch klar geworden, dass die Ereignisse einiger Monate in diesen beiden letztgenannten Werken fehlen. Auch berichtet Abū l-Maḥāsin nicht über alle Geschehnisse, die Ibn Ijās erwähnt. Das hat mich bewogen, diesen Teil im Jahre 1951 in den Veröffentlichungen der Ägyptischen Gesellschaft für Historische Studien herauszugeben unter dem Titel *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas*.

Hinzu kommt, dass nach meinen Feststellungen Ibn Ijās Vorkommnisse erwähnt, an die er sich aus seiner Kindheit zurückerinnert, und dass er erzählt, was er selber in seiner Jugend sah. So berichtet er z. B. [1], dass er sich noch erinnern könne (*adraka*), wie der Atabek Aḥmad, der Sohn des Sultan Aināl, zur Pilgerfahrt auszog und wie er von der Pilgerfahrt zurückkehrte. Dabei vergleicht er zwischen dem Festzug bei dessen Rückkehr und dem bei der Rückkehr von Sultan Ġūrīs Sohn aus dem Ḥiǧāz. Wir wissen, dass Aḥmad ibn Aināl im Jahre 862 [2] von der Pilgerfahrt zurückkehrte. Damals war Ibn Ijās ungefähr neun Jahre alt.

Während des zweiten Weltkrieges sind alle am Lager der DMG in Leipzig vorhandenen Exemplare aller drei Bände der Chronik des Ibn Ijās verbrannt. Da dieses Werk zu den wichtigsten und grundlegenden Quellen zählt und für alle, die sich mit dem Studium der ägyptischen Geschichte beschäftigen, unentbehrlich ist, hat sich Herr Professor Dr. Paul Kahle für eine Neuherausgabe dieser drei Bände eingesetzt. Auf dem Deutschen Orientalistentag im Jahre

[1] Vgl. im vorliegenden Band S. 440, Z. 8.

[2] Vgl. *Unpublished Pages*. S. 50, Z. 8 ff. und Anm. 4.

VORWORT

Im Jahre 1928, als ich Lektor am Orientalischen Seminar der Universität Bonn war, forderte mich mein Lehrer, Herr Professor Dr. Paul Kahle, auf, mit ihm zusammen die Chronik des Ibn Ijās herauszugeben. Wir publizierten gemeinsam die Bände 3, 4 und 5 dieses Werkes in der *Bibliotheca Islamica* der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. Der vierte Band erschien im Jahre 1931, der fünfte wurde 1932 und der dritte im Jahre 1936 veröffentlicht.

Diese drei Bände behandeln den Zeitabschnitt der ägyptischen Geschichte von 1468 bis 1522. Sie erwähnen auch die wichtigsten Ereignisse, die zu dieser Zeit in andern arabischen Ländern und der übrigen bekannten Welt vorkommen. Dabei fällt noch ins Gewicht, dass Ibn Ijās fast der einzige zeitgenössische Historiker dieser für die Geschichte des Landes so entscheidenden Epoche und Augenzeuge aller Geschehnisse war. Im Jahre 1468 war er etwa zwanzig Jahre alt, denn er gibt selber an [1], dass er am 6. Rabiʿ II 852 (8. Juni 1448) geboren ist.

Wir haben den dritten Band mit Folio 99*a* der Handschrift Fatih Nr. 4198 begonnen, nämlich da, wo der Bericht von der Übernahme der Regierung durch Sultan al-Ašraf Qaitbāj im Monat Raǧab 872 (1468) beginnt. Bei diesem Datum endet bekanntlich das Buch *an-Nuǧūm az-zāhira fī mulūk Miṣr wal-Qāhira* des Abū l-Maḥāsin Yūsuf ibn Taġri Birdi. So haben wir eine ununterbrochene Folge der ägyptischen Geschichte, angefangen mit Maqrīzīs *Sulūk,* zu Saḫāwīs

[1] Seite 16 des Vorworts zu *Unpublished Pages of the Chronicle of Ibn Iyas.*



DIE CHRONIK
DES
IBN IJĀS

DRITTE AUFLAGE

BEARBEITET UND MIT EINLEITUNG

UND INDICES VERSEHEN VON

MOHAMED MOSTAFA

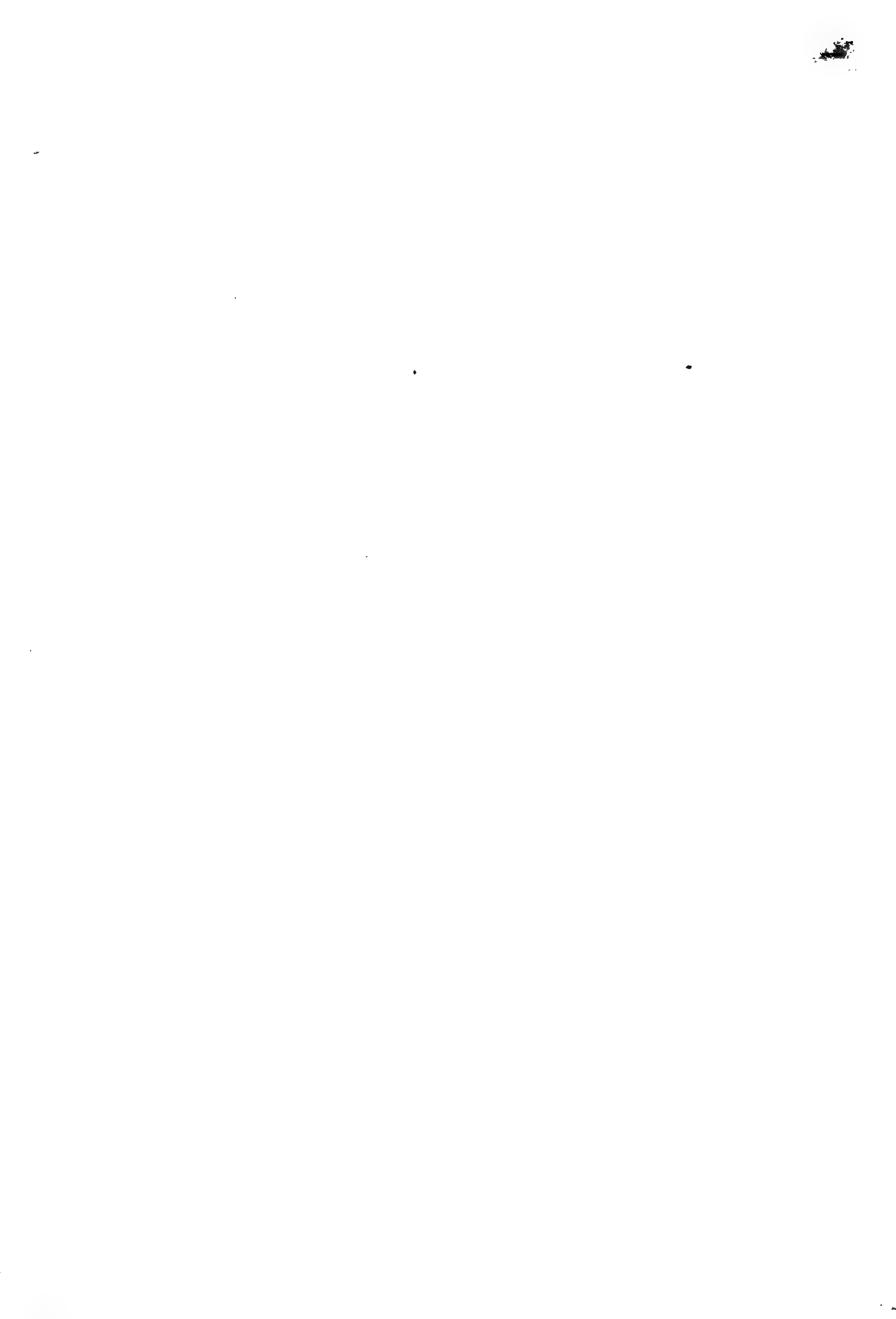
VIERTER TEIL

A.H. 906-921/A.D. 1501-1515



GENERAL ÄGYPTISCHE BUCHORGANISATION

1984



DIE CHRONIK DES IBN IJĀS

مركز تحقيق التراث

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي

حققها وكتب لها المقدمة والفهارس

محمد مصطفى

الجزء الرابع

من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١ هـ

(١٥٠١ إلى ١٥١٥ م)



الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

١٤٠٤ ـ ١٩٨٤

طبعة ثالثة

مصورة عن الطبعة الثانية

بدائع الزهور في وقائع الدهور

الجزء الرابع



الى أستاذي الجليل

الدكتور پاول كاله

تحية شكر وتقدير



تصـــدير

فى سنة ١٩٢٨ ، عندما كنت أعمل مدرسا بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة بون ، دعانى أستاذى الدكتور باول كاله إلى الاشتراك معه فى نشر كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس . وقد نشرنا معا الأجزاء الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب ، فى سلسلة « النشرات الإسلامية » التى تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، فظهر الجزء الرابع فى سنة ١٩٣١ ، والجزء الخامس فى سنة ١٩٣٢ ، والثالث فى سنة ١٩٣٦ .

وتتناول هذه الأجزاء الثلاثة تاريخ مصر ، كما تسرد لنا الحوادث الهامة التى وقعت فى البلاد العربية الأخرى ، أو فى غيرها من البلاد ، وذلك من سنة ٨٧٢ ﻫ (١٤٦٨) إلى سنة ٩٢٨ ﻫ (١٥٢٢) ، على اعتبار أن ابن إياس كان المؤرخ الوحيد تقريبا الذى عاصر تلك الفترة الحاسمة من تاريخ هذه البلاد ، وكان شاهد عيان لما وقع فيها من أحداث ، فإن عمره كان فى سنة ٨٧٢ حوالى عشرين عاما ، على ما نعرفه مما كتبه هو عن نفسه[١] من أنه ولد فى ٦ من ربيع الآخر سنة ٨٥٢ (٨ من يونيه سنة ١٤٤٨) .

وقد بدأنا الجزء الثالث من صفحة ٩٩ آ من مخطوط فاتح رقم ٤١٩٨ ، حيث يبدأ ابن إياس ذكر تولى السلطان الأشرف قايتباى الحكم فى شهر رجب سنة ٨٧٢ (١٤٦٨) ، وهو التاريخ الذى ينتهى عنده كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى . وبذلك تتوالى حلقات

---

(١) انظر ص ١٦ من مقدمة « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

تاريخ مصر فى عصر المماليك من كتاب السلوك للمقريزى ، إلى التبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوى ، فالنجوم الزاهرة لأبى المحاسن ، وأخيرا بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن إياس .

وكان نتيجة لذلك أننا لم ننشر الثمان والتسعين ورقة الأولى من مخطوط فاتح رقم ٤١٩٨ ، التى تسبق بداية المتن فى الجزء الثالث ، وهى تشمل تاريخ الفترة من شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ (١٤٥٣) إلى شهر رجب سنة ٨٧٢ (١٤٦٨) ، أى أخبار عصور السلاطين أينال وأحمد بن أينال وخشقدم وتمربغا .

غير أنه تبين لى من مقارنة ما كتبه ابن إياس فى هذا القسم من تاريخه ، بما أورده أبو المحاسن من أخبار عن نفس هذه الفترة فى كتابيه النجوم الزاهرة وحوادث الدهور ، أن أنباء بعض الشهور ناقصة فى هذين الكتابين الأخيرين ، وأن أبا المحاسن لم يكتب عن كل الحوادث التى ذكرها ابن إياس . وقد دفعنى ذلك إلى أن أنشر هذا القسم فى سنة ١٩٥١ بين مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بعنوان « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

هذا إلى جانب أننى لاحظت أن ابن إياس يذكر ما انطبع فى ذاكرته من عهد طفولته ، وأنه يروى ما رآه بنفسه فى صباه ، فيقول مثلا[1] إنه « أدرك » أتابك العساكر أحمد بن الملك الأشرف أينال لما خرج إلى الحج ، ثم لما حضر من الحج ، ويقارن بين موكب عودته ، وموكب عودة ابن السلطان الغورى من الحجاز . والمعروف أن أحمد بن أينال رجع من الحج[2] فى شهر المحرم سنة ٨٦٢ (١٤٥٧) ، أى أن ابن إياس كان حينئذ فى نحو التاسعة من عمره .

---

(١) راجع ما يلى هنا ص ٤٤٠ س ٨ .

(٢) انظر « صفحات لم تنشر » ص ٥٥ س ٨ وما بعده و ح ٤ .

وفى خلال الحرب العالمية الثانية احترق كل ما كان يوجد من نسخ الأجزاء الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب فى مخازن جمعية المستشرقين الألمانية بمدينة ليبزج . ونظرا إلى أن تاريخ ابن إياس يعتبر من المراجع الأساسية الهامة ، التى لا يمكن أن يستغنى عنها المشتغلون بدراسة تاريخ مصر ، فقد سعى الدكتور باول كاله لإعادة طبع هذه الأجزاء ، واقترح ذلك فى مؤتمر المستشرقين الألمان الذى عقد فى هامبورج سنة ١٩٥٥ ، ووافق المجتمعون على هذا الاقتراح .

وقد كلفتنى جمعية المستشرقين الألمانية أن أعيد تحقيق هذه الأجزاء الثلاثة وأن أراجعها على مخطوطات الأصل لابن إياس ، وأن أكتب لها المقدمة والحواشى والفهارس . ثم وافقت الجمعية على ما طلبته من أن يشمل النشر طبع الأجزاء الخمسة كلها لكتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، اعتبارا لما ثبت من أن المتن فى بعض أقسام الجزءين الأول والثانى من طبعة بولاق ، قد اعتمد فى طبعه على نسخة اختصر فيها المتن إلى حد أنه صار بعيدا كل البعد عن متن الأصل الذى كتبه ابن إياس بخطه[1] .

وقد بدأت بنشر الجزء الرابع ، ويشمل تاريخ الفترة من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢١هـ (١٥٠١ — ١٥١٦) ، وهى الفترة التى تسبق الفتح العثمانى لمصر ، نظرا إلى أنها تنقص تماما فى طبعة بولاق ، فلم يرد فيها ذكر شىء عن هذه الفترة الهامة من التاريخ .

وسوف أنشر بعد ذلك الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس ، ثم أعود بعده إلى نشر الأجزاء الثلاثة الأولى منه . وسوف أضيف إلى الجزء الأول مقدمة شاملة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه . كما أننى سوف أنشر الفهارس فى جزء سادس خاص بها ، وسأخصص أحدها للمصطلحات اللغوية التى وردت فى كتاب

(١) انظر ص ١٠ من مقدمة « صفحات لم تنشر » .

ابن إياس ، وسيكون ذلك على نمط ما اتبعته فى فهارس كتاب « صفحات لم تنشر من بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

وإننى أقدم أخلص الشكر لأستاذى الدكتور باول كاله الذى تفضل متطوعا ووضع تحت تصرفى نسخة من الصور الفوتوغرافية المأخوذة عن نسخة الأصل ، وكان لمساعيه أكبر الفضل فى نشر هذا الكتاب . وأشكر السيد الدكتور هانس رويمر ، مندوب الجمعية فى القاهرة ، لمعاونته الصادقة فى شئون طبع هذا الجزء من الكتاب .

وإنه ليشرفنى فى هذه المناسبة أن أشكر الهيئات المختلفة فى شتى الأقطار ، التى لبت نداء جمعية المستشرقين الألمانية ، فأسهمت فى إخراج هذا الجزء من الكتاب ، مما يبرزه فى مظهر تعاونى علمى ، له الصفة الدولية . ولا يفوتنى أن أنوه بأن وزارة الثقافة والإرشاد القومى ووزارة التربية والتعليم بالإقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، وكذلك الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، قد قبلت كلها الاشتراك فى جميع ما يصدر من أجزاء هذا الكتاب ، فأكدت بذلك أمر صدوره .

القاهرة فى ١٥ من فبراير سنة ١٩٦٠ — محمد مصطفى

المحتويات

صفحة

